Qassim University
جامعة القصيم
المجلة العلمية لجامعة القصيم
(مجلة محكمة)

المجلد (٩) – العدد (٢)

مجلة
العلوم العربية والإنسانية

ربيع ثاني ١٤٣٧هـ – يناير ٢٠١٦م

النشر العلمي والترجمة

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ. د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي

الأعضاء

أ. د. إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع

أ. د. حمديني عبدالقادر العوضي

أ. د. محمود محمد أحمد صادق

د. يوسف بن إبراهيم الرجيعي

سكرتير المجلة

صالح بن عبدالعزيز العليقي

الهيئة الاستشارية

أ. د. إبراهيم بن مبارك الجوير	(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) اجتماع
أ. د. سعد حمدان الغامدي	(جامعة أم القرى) نحو وصرف
أ. د. عبدالله بن حمد الحميدان	(جامعة الملك سعود) علم لغة تطبيقي
أ. د. عبدالله بن يوسف الشبل	(مدير جامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً) تاريخ
أ. د. عبدالله يوسف الغنيم	(جامعة الكويت) جغرافيا
أ. د. فخر الدين قباوة	(جامعة حلب) اللغويات

رقم الإيداع : ٢٠٢٧ / ١٤٢٩

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص‌ص ٤٧١-٩٦٤ بالعربية، ص‌ص ١-١٩ بالإنجليزية، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

المحتويات

صفحة

القسم العربي

"أو" في سورة البقرة "دراسة نحوية دلالية"
د. مراد رفيق البياري ٤٧١

من مظاهر اللهجات اليَمَنيّة القديمة في اللهجة القَصيْمِيّة المعاصرة -دراسة دلالية لألفاظ مختلفة تبدأ بحرفي الباء والراء وحروف أخرى بينهما
د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة ٥٠٧

اللون في شعر ابن عبد ربه الأندلسي ودلالته الموضوعية والفنية
د. سالم بن عبيد عبدالمحسن القرارعة ٥٩٣

بنية المعجم الشعري عند محمد الثبيتي: الرؤية والدلالة
د. سهيل عبد اللطيف الفتياني ٦٤٥

أشكال الولاء عند العرب قبل الإسلام
د. فاطمة بنت علي باخشوين ٦٧٣

بعض القيم الإنسانية في قوانين الملك حمورابي (١٧٩٢ -١٧٥٠ق.م) (دراسة تحليلية)

د. شيخه عبيد دابس الحربي ٦٩٧

الأراضي الزراعية في بلاد الشام خلال الحكم الأيوبي (٥٧٠ -٦٤٨هـ/ ١١٧٤ -١٢٥٠م)

د. عبدالمعز عصري محمد بني عيسى ٧٦٣

السلطان علاء الدين الخلجي (٦٩٥ – ٧١٦هـ / ١٢٩٦ – ١٣١٦م)

د. خيرية بنت محمد آل سنة ٨٣٧

التحليل الجيومورفولوجي لحوض وادي النساء باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية

د. أحمد عبد الله الدغيري، و أ. آلاء عبد الله الوهيبي ٨٨٣

دور الوسائط التكنولوجية المتعددة في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات "دراسة وصفية مطبقة بكلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن"

د. فاطمة فؤاد محمد محمود ٩٢١

القسم الإنجليزي

تقييم برنامج اللغة الإنجليزية في السنة التحضيرية في جامعة الدمام (الملخص العربي)

د. ماجد بن نعيمان البدراني العمري ١٩

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٤٧١-٥٠٦، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

"أو" في سورة البقرة "دراسة نحوية دلالية"

د. مراد رفيق البياري
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الملك فيصل

ملخص البحث. تقوم فكرة هذه المحاولة على دراسة معاني حرف العطف "أو" في سورة البقرة، محاولة بيان المعاني المختلفة لهذا الحرف، موضحة ذلك بالأسباب والعلل . وقد عمدت الدراسة على تحليل مجموعة الآيات التي اختلف النحاة والمفسرون في معنى "أو" فيها، ولعل السبب في اختيار هذا الحرف أنّ معناه لا يستقر في ذهن القارئ، حيث تتعدد معانيه ودلالاته وفق القصد العام للخطاب، ولهذا جاءت معاني هذا الحرف مختلفة عند النحاة والمفسرين وفق تحليل كل منهم، وفهمه للنص القرآني. ولعل مثل هذه الدراسة توضح مدى أهمية هذا الاختلاف ودوره في فهم الخطاب اللغوي والنحوي للنص القرآني. أضف إلى ذلك أنها تساعد في بيان دور مثل هذه الحروف في تماسك النص القرآني، وفهم مقصده. وقد اعتمدت الدراسة منهجاً تحليلاً في دراسة الآيات التي ورد فيها حرف العطف"أو"، وحتى تكون الرؤية واضحة قدمت الدراسة في نهاية كل محور من محاور الدراسة مخططاً مفاهيمياً يلخص معاني "أو" في الآية التي هي موطن الدراسة.

المقدمة

تقوم هذه الدراسة على بيان معاني "أو" في سورة البقرة، محاولة التفصيل في المعاني المحتملة لها، موضحة ذلك بالأسباب والعلل. وقد وقفت الدراسة على مجموعة الآيات التي اختلف النحاة في معنى "أو" فيها، ولم يكن هدف الدراسة الإحصاء. والسبب في اختيار هذا الحرف أنّ معناه لا يستقر في ذهن القارئ، حيث تتعدد معانيه ودلالاته وفق القصد العام للخطاب، لذا فإنّ النحاة اختلفوا في النظر إلى معناه كل وفق تحليله لمعنى النص وفهمه له. وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ مثل هذا الاختلاف من شأنه أن يُعمق الدراسة النحوية. وهذا ما تحاول دراستنا أن تؤكده، وتوضح مدى أهمية مثل هذا الحرف في تماسك النص القرآني. وقد عمدت الدراسة في ذلك إلى التوفيق بين آراء العلماء، والوقوف عند رأي يكون أقرب للصّواب وفقاً للدراسة والتحليل لآيات سورة البقرة التي ورد فيها حرف العطف" أو".

ولقد أفدنا في تحليل الآيات من قصد الخطاب اللغوي في استخدام حرف العطف "أو"؛ "ذلك أنّ موضوع القصد في خطاب العطف يمثل موضوعاً خصباً للمحاججة والجدل في المعاني التي يحملها"[(١)]، "فضلاً عن ذلك فإنّ أغراض العطف حين يُنظر إلى طريقة استعمالها في اللغة، يتضح أنها تؤسس خطاباً قصدياً معرفياً، بواسطة الطبيعة المتميزة لحروفه التي تفيد المعاني النسقية في ربط الكلام وترتيبه"[(٢)]. ولا شك أنّ "الرابط في الخطاب له دور رئيس في إفهام متلقيه ما يبغيه متكلمه عبر تشابك

(١) ينظر:كتانة، حسين أحمد حسين- الخطاب القصدي وآلياته التواصلية في أسلوب العطف"نموذج الامتاع والمؤانسة" حوليات آداب عين شمس-المجلد ٣٩- أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م-ص٣٤٣.

(٢) ينظر: كروم، أحمد- استلزام التخاطب في معاني العطف- مجلة دراسات-كلية الآداب والعلوم الإنسانية- أكادير- العدد ١٥-ص٢٢١

تسلسله الكلامي واللغوي"[٣] ذلك أنّ أدوات العطف تربط بين متتاليات الجمل على مستواها السطحي، وهي بدورها تحدث تماسكاً وترابطاً دلالياً داخل النص، وتقوم بتوليد علاقات دلالية أفقية على مستوى الجملة، وعلاقات دلالية رأسية بين الفقرات في بنية النص، وتجعل من المتوالية الجملية مساراً خطياً متماسكاً [٤].

ولبيان المقصود من الدراسة ابتعدت هذه المحاولة عن معاني "أو" المتفق على معناها في آيات سورة البقرة، إذ المقصد هو دراسة الآيات التي اختلف النحاة في معنى "أو" فيها .

وقد جاءت منهجية الدراسة وفقاً للآتي :

١ - جمع بعض الآيات التي بدا فيها الاختلاف في معنى "أو" في سورة البقرة.وقد جاء عددها خمس آيات.

٢ - بيان آراء النحاة والمفسرين في معنى هذا الحرف.

٣ - الإفادة من آراء الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع، وبيان إلى أي مدى اتفقت دراستنا مع هذه الدراسات.[٥]

---

(٣) عبد الله، مراد حميد- من أنواع التماسك النصي"التكرار، الضمير، العطف" –مجلة جامعة ذي قار- المجلد٥- حزيران٢٠١٠م- العدد الخاص –ص٥٩

(٤) ينظر: حماد، خليل عبد الفتاح، و العايدي حسين راضي-أثر العطف في التماسك النصي في ديوان: على صهوة الماء للشاعر مروان محيسن –"دراسة نحوية دلالية"-مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية-المجلد العشرون- العدد الثاني- يونيو٢٠١٢م-ص٣٣٧

(٥) هنا لابد من الإشارة إلى الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع، ولعل أهمها: عبد القادر، منال فوزي- أو العاطفة ومعانيها في القرآن الكريم - مجلة الجامعة الإسلامية- العدد١٣٨. وهنا قامت الباحثة بإحصاء جميع الآيات التي وردت فيها "أو" في القرآن الكريم، موضحة آراء النحاة في معانيها، مرجحة الرأي الذي ارتضته، ولعل الفرق بين دراستنا ودراستها أننا خصصنا بحثا لخمس آيات فقط وردت فيها "أو" في سورة البقرة، وقمنا بتحليلها، فضلاً عن ذلك فإن وجهات النظر في معنى الحرف جاءت مختلفة عما جاءت به الباحثة كما سيتضح ذلك من خلال صفحات البحث، ولعل في ذلك إثراء لموضوع البحث.=

٤ - رسم مخطط تفصيلي لمعنى " أو" في الآية، باستخدام الخريطة المفاهيمية لمعنى الآية، نحاول فيه أن نوضح طبيعة العلاقة المنطقية في تعدد معاني الحرف.

وقد جاءت الدراسة مقسمة وفقاً للآتي:

- التمهيد، وضحنا فيه معاني "أو" عند النحاة دون التعمق في ذلك؛ لأنه ليس هدفاً للدراسة، وإنما كان الغرض منه أن يكون بمثابة تقديم نظري بما يخدم الدراسة.

- قُسمت الدراسة إلى خمسة محاور مرتبة حسب ورود الآية في سورة البقرة، جُعل كل محور لآية واحدة ورد فيها الحرف "أو".

- الخاتمة، وفيها أودعت أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

وأسأل الله أن يحقق هذا البحث مقصده

❖ يتقدم الباحث بالشكر الجزيل لعمادة البحث العلمي بجامعة الملك فيصل على دعمها المادي، والمعنوي في تمويل هذا المشروع رقم"١٥٠٢٤١"

التمهيد: معاني أو في كتب النحاة

تحدث سيبويه عن معنى حرف العطف "أو"، وأشار إلى عمله الإعرابي بقوله: "مررت برجلٍ أو امرأة، فـ"أو" أشركت بينهما في الجر، وأثبتت المرور لأحدهما دون الآخر، وسوت بينهما في الدعوى.[٦]

=ومن الدراسات ذات الصلة بالموضوع: بنت أبي طالب، رقية -حروف العطف في سورة البقرة "دراسة تحليلية تطبيقية" -رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية- ماليزيا. وهذه الدراسة جعلت دراستها لجميع حروف العطف في سورة البقرة، ولم تخصصها للحرف "أو".

(٦) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان- الكتاب- تحقيق عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي- القاهرة-ج١- ص٤٣٨

وقد تعددت معاني " أو" في كتب النحاة، وقدموا لها معاني مختلفة أشهرها :[٧]

١ - التخيير، نحو: "خذ من مالي درهماً أو ديناراً"

٢ - الإباحة، نحو: " جالس الحسن أو ابن سيرين"، "وائت المسجد أو السوق"[٨]، و"كل السمك أو أشرب اللبن" أي لا تجمعهما، ولكن اختر أيهما شئت.[٩] والفرق بين الإباحة والتخيير أنّ الإباحة لا تمنع الجمع، والتخيير يمنعه. والتخيير يرد في أصله الحظر، والإباحة ترد فيما ليس أصله الحظر، ومن علامات الإباحة استحسان الواو موضعها، فلو جاء بالواو مكان أو لم يختلف المعنى، فإذا قلت: "جالس الحسن أو ابن سيرين"، جاز مجالستهما ومجالسة أحدهما، وإذا عطفت بالواو لم يجز مجالسة أحدهما دون الآخر.[١٠]

٣ - التقسيم، نحو:" الكلمة: اسم، أو فعل، أو حرف". ويسميه البعض تفريق مجرد، يعني من الشك والإبهام والتخيير، والتعبير عن هذا بالتفريق أولى من التعبير بالتقسيم، لأنّ استعمال "الواو" فيما هو للتقسيم أجود من استعمال "أو"[١١].

---

(٧) تحدثت معظم الكتب النحوية عن هذه المعاني أو عن بعضها، ينظر على سبيل المثال: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد- المقتضب- تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة-القاهرة ١٩٩٤-ج١-ص١٤٨-١٤٩، وابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل- الأصول في النحو-تحقيق عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة -ج٢-ص٥٥-٥٦، وابن يعيش، موفق الدين بن علي- شرح المفصل-المطبعة المنيرية- ج٨ص٩٧-١٠٣، و ابن الناظم، أبو عبد الله بن مالك- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك- تحقيق محمد باسل عيون السود- منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ٢٠٠٠م-ط١-ص٣٨٧-٣٨٠، والمرادي، ابن أم قاسم- توضيح المقاصد على ألفية ابن مالك-تحقيق عبد الرحمن علي سليمان-دار الفكر العربي- القاهرة-٢٠٠١م- ط١- ج٣ص١٠٠٧- ١١١١، وابن عقيل، بهاء الدين عبد الله- شرح ابن عقيل- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد-دار التراث- القاهرة- ١٩٨٠م- ط٢٠- ج٣ ص٢٣٢-٢٣٣، والمكودي، أبو عبد الرحمن علي- شرح المكودي على ألفية ابن مالك- تحقيق فاطمة الراجحي- جامعة الكويت- ١٩٩٣- ج٢- ص٥٦٨-٥٧٠.

(٨) المبرد- المقتضب -ج١-ص١٤٩

(٩) ابن السراج الأصول في النحو -ج٢-ص٥٦

(١٠) ينظر: المرادي- توضيح المقاصد على ألفية ابن مالك ج٣ص١٠٠٨

(١١) المرجع نفسه ج٣ص١٠٠٩-١٠١٠

٤ - الإبهام على السامع، نحو:" جاء زيد أو عمرو". إذا كان المتكلم عالماً بالجائي منهما وقصد الإبهام على السامع. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[١٢]، ففي هذه الآية

وجوه منها الإبهام، أي أنه لو رأيتموهم لقلتم هذه المقالة.[١٣]

٥ - الشك، نحو: "أتيت زيداً أو عمراً" و"جاءني زيدٌ أو عمروٌ"[١٤].

٦ - الإضراب، نحو قول الشاعر:

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

أي بل زادوا .

وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[١٥][١٦].

وقد أجاز الكوفيون موافقتها "بل" في الإضراب، ووافقهم أبو علي، وابن برهان، وابن جني، وابن عصفور، والإضراب ذكره سيبويه في النفي والنهي إذا أعدت العامل. كقولك"لست بشراً أو لست عمراً، ولا تضرب زيداً ولا تضرب عمراً".

وزعم بعضهم أن تكون للإضراب على الإطلاق واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[١٧]. وما ذهبوا إليه فاسد[١٨].

---

(١٢) الصافات آية ١٤٧

(١٣) ابن الدهان، أبو محمد سعيد المبارك- شرح الدروس في النحو- تحقيق إبراهيم محمد- مطبعة الأمانة- القاهرة- ١٩٩١م-ط١ص٥٥٨

(١٤) المبرد- المقتضب- ج١-ص١٤٨

(١٥) النحل آية٧٧

(١٦) ينظر ابن يعيش - شرح المفصل- ج٨- ص٩٩

(١٧) البقرة آية ٧٤

(١٨) المرادي – توضيح المقاصد على ألفية ابن مالك - ج٣- ص١٠٠٩-١٠١٠

أمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الأصل في " أو" أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام بخلاف الواو وبل، لأنّ الواو معناها الجمع بين الشيئين، وبل معناها الإضراب وكلاهما مخالف لمعنى "أو" والأصل في الحرف أنّ لا يدل إلا على ما وضع له، ولا يدل على معنى حرف آخر، فنحن تمسكنا بالأصل

ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل، ومن عدل عن الأصل بقي مرتهنا بإقامة الدليل(١٩).

ولا نظن أنّ ابن الأنباري قد أصاب في هذا المقال فالحروف تتناوب معانيها وفقاً للسياق الذي جاءت فيه، وهذه خاصية تميزت بها اللغة العربية، ولعل صفحات البحث اللاحقة توضح شيئاً من هذا.

٧ -تأتي بمعنى الواو عند أمن اللبس، كقول الشاعر:

جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

أي وكانت له قدرا ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (٢٠).(٢١)

وقد أشار الأشموني إلى معنى الواو بقوله: "وفهم من قوله - أي ابن مالك -وربما عاقبت الواو، أي أنّ ذلك قليل مطلقاً، وذكر في التسهيل أنّ "أو" تعاقب الواو في الإباحة كثيراً، وفي عطف المصاحبة والمؤكد قليلاً.فالمصاحب نحو قوله صلى الله عليه وسلم "فإنما عليك نبيٌ، أو صديقٌ، أو شهيدٌ"، والمؤكد قوله تعالى

---

(١٩) ابن الأنباري، أبو البركات بن الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين- تحقيق جودة مبروك محمد- راجعه رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجي- القاهرة-ط١-ص٣٨٤

(٢٠) الإنسان: آية ١٤

(٢١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد- الجمل في النحو- تحقيق فخر الدين قباوة- مؤسسة الرسالة — بيروت- ١٩٨٥م- ط١-ص٣٨٩

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ﴾[٢٢] [٢٣] ثم يتبع قوله: "والتحقيق أنّ "أو" موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء، وهو الذي يقوله المتقدمون، وقد تخرج إلى معنى الواو"[٢٤].

٨ -تأتي أحياناً بمعنى "إلا أن" كقولك: "لألزمنك أو تقضي حقي"، وتكون غاية بمعنى "حتى" "لا تبرح أو أخرج إليك"[٢٥].

محاور الدراسة

المحور الأول

"أو" في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢٦]

ذكر أهل المعاني أنّ "أو" جاءت هنا بمعنى "الواو"، يريد وكصيب[٢٧] كأنه قال: وكصيب من السماء[٢٨]، وهي بذلك تكون كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ

---

(٢٢) النساء: آية ١١٢

(٢٣) ينظر:المرادي- توضيح المقاصد على ألفية ابن مالك- ط١- ج٣- ص ١٠١٠، و الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ١٩٥٥م- ط١-ج٢- ص٤٢٤.

(٢٤) المرجع نفسه —ج٢- ص٤٢٤

(٢٥) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن - حروف المعاني- تحقيق توفيق علي الحمد-مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٨٦-ط٢-ص٥١-٥٢

(٢٦) البقرة: آية ١٩، ١٨، ١٧

(٢٧) النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد- الكشف والبيان-تحقيق أبو محمد بن عاشور-مراجعة وتدقيق نظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ٢٠٠٢م- ط١-ج١- ص١٦١

(٢٨) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تفسير الفخر الرازي-دار إحياء التراث العربي-ج١- ص٢٣٧

كَفُورًا ﴾ [٢٩][٣٠]، وإلى مثل ذلك أشار الطبري بقوله: "لما كان معلوماً أنّ "أو" دالة في ذلك على مثل الذي كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بـ"أو" أو "الواو"، وكذلك وجه حذف المثل من قوله تعالى: "أو كصيب" لما كان قوله "كمثل الذي استوقد ناراً" دالاً على معناه كمثل صيب، حذف المثل واكتفى بدلالة ما مضى من الكلام في قوله"كمثل الذي استوقد ناراً" على أنّ معناه كمثل صيب من إعادة ذكر المثل، طلبَ الإيجاز والاختصار"[٣١].وإلى مثل هذا المعنى أشار الزركشي بقوله: كصيب أي كمثل ذوي صيب[٣٢]

ومنهم من يرى أنّ "أو" هنا أفادت معنى التخيير والإباحة، أي اضرب لهم مثلاً بهذا، وإن شئت بهذا[٣٣] فالقارئ مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت[٣٤]، فإن شئت مثلّهم بالمستوقد ناراً، وإن شئت مثلهم بالصيب[٣٥] .

ويفصِّل القول الفخر الرازي في هذه الآية بطرحه السؤال الآتي: لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك. ويجيب: الأمر من وجوه أحدها: لأنّ "أو" في أصلها

---

(٢٩) الإنسان: آية ٢٤

(٣٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر- تفسير القرآن العظيم- تحقيق سامي محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- ١٩٩٠-ط٢-ج١- ص١٩٤

(٣١) الطبري، محمد بن جرير- جامع البيان في تأويل القرآن- تحقيق أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة- ٢٠٠٠م- ط١-ج١ص٣٣٧-٣٣٨

(٣٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله- البرهان في علوم القرآن-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-دار إحياء الكتب العربية-ط١- ج٣-ص١٥٠

(٣٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم- ج١ص١٩٤

(٣٤) البيضاوي، تفسير البيضاوي- ج١ص١٩٩- برنامج المكتبة الشاملة، وينظر: الشربيني- محمد أحمد- تفسير السراج المنير- دار الكتب العلمية- بيروت- ج١ص٣٠

(٣٥) السمعاني، محمد أبو المظفر- تفسير القرآن- تحقيق ياسر إبراهيم — دار الوطن — الرياض- ١٩٩٧م-ج١ص٥٤

تساوي شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في الشك كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ معناه أنّ كيفية المنافقين شبيهة بكيفيتي هاتين القصتين فبأيتهما مثلت فأنت مصيب، وإن مثلت بها جميعا فكذلك[٣٦]. أي اضرب لهم مثلاً بهذا، وإن شئت بهذا فهي للتساوي. ويكون معناه: سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم[٣٧]. وإلى مثل ذلك أشار الآلوسي في معنى "أو" في هذه الآية بقوله: " إذ المعنى مثِّل بأي القصتين شئت فهما سواء في التمثيل، ولا بأس لو مثلت بهما جميعاً، وإن كان التشبيه الثاني أبلغ لدلالته على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ؛ لذا أخر ليتدرج من الأهون إلى الأهول"[٣٨].

ولعل هذين المثلين باعتبار جنس المنافقين فإنهم أصناف وأصحاب أحوال وصفات[٣٩]، فالمنافقون قسمان بعضهم يشبهون أصحاب النار، وبعضهم يشبهون أصحاب المطر[٤٠]. وبهذا يكون التمثيل مباحاً في المنافقين إن شبهتوهم بأي النوعين[٤١].

ومن النحاة من خص معنى "أو" هنا بالشك وعللوا ذلك أنه راجع إلى الناظر في حال المنافقين فلا يدري أيشبههم بالمستوقد ناراً، أو بأصحاب الصيب، كقوله تعالى:

---

(٣٦) تفسير الفخر الرازي- ج١ص٢٣٧

(٣٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم- ج١ص١٩٤

(٣٨) الآلوسي، محمود-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ج١ص١٧١. هنا أفاد الآلوسي من أبي حيان عندما أشار أن التمثيل الثاني أبلغ....الخ ينظر: أبو حيان- محمد بن يوسف الأندلسي- تفسير البحر المحيط – تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية- بيروت- ٢٠٠١م-ط١ص٢٢١

(٣٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم- ج١ص١٩٤

(٤٠) الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي- ج١ص٢٣٧

(٤١) الزركشي- البرهان في علوم القرآن- -ج٤ص٢١١

﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[٤٢] أي يشك الرائي لهم في مقدار عددهم[٤٣]. ولعلنا نضّعف هذا الرأي، فليس من غايته تعالى الإلباس والشك على القارئ[٤٤].

نظرة ورأي توفيقي

لا شك أنّ جميع هذه المعاني التي قدمناها في" أو" في هذا الموطن محتملة، غير أننا بحاجة إلى ما يثبت المعنى ويُعمقه وفقاً لفهم النص القرآني وربط هذه الأداة في فهم النص وبيان دورها في تماسكه وبنائه. وقد التفت أبو حيان إلى هذا الأمر وابتعد عما جاء به النحاة والمفسرون مقدماً رأياً نرتضيه ؛ لأنّه وضع الأمر ضمن سياق النص وبنيته اللغوية. فقد أشار إلى أنَّ "أو" هنا للتفصيل، بقوله: أو هنا للتفصيل فكأنّ من نظر في حالهم منهم من يشبههم بحال المستوقد، ومنهم من يشبههم بحال ذوي صيب. ولا ضرورة تدعو إلى كون" أو" للتخيير، وأنّ المعنى أيهما شئت مثلهم به، وليس "أو" هنا للإباحة، لأنّ التخيير والإباحة إنما يكونان في الأمر أو ما في معناه، وهذه الجملة خبرية صرف، ولا أنّها بمعنى "الواو"، ولا إلى كون "أو" للشك بالنسبة للمخاطبين إذ يستحيل وقوعه من الله تعالى، ولا إلى كونها بمعنى بل [٤٥].وإنما المعنى الظاهر فيها كونها للتفصيل، وهذا التمثيل الثاني أتى كاشفاً لحالهم بعد كشف الأول، وإنما قصد بذلك التفصيل والإسهاب بحال المنافقين وشبههم في التمثيل الأول بمستوقد النار وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع جدواه بذهاب النور، وشبه في

---

(٤٢) الصافات: آية ١٤٧

(٤٣) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن- دار الكتب العلمية – بيروت ج١ص٢١

(٤٤) ينظر: أبو حيان-تفسير البحر المحيط-ج١ص٢٢١

(٤٥) ينظر: أبو حيان – البحر المحيط – ج١ ص٢٢١. وكون التخيير والإباحة في يكونان الأمر هذا ما عليه النحاة فقد ذكر ابن الناظم أنّ "أو" إذا عطفت بها في الطلب تكون إما للتخيير أو الإباحة، وإذا عطفت بها في الخبر فهي للتقسيم. ينظر شرح ابن الناظم-ص٣٧٨

الثاني دين الإسلام بالصيب ومافيه من الوعد والوعيد وبالرعد والبرق وما يصيبهم من الإفزاع من جهة المسلمين بالصواعق. فوصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما حبطوا فيه من الحيرة والدهشة بما يكابد من طُفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وبحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق . والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدلّ على فرط الحيرة وشدة الأمر، ولذلك أُخِر فصار ارتقاءً من الأهون إلى الأغلظ وهذا من التمثيلات المركبة دون المفرقة(٤٦) .

وإلى مثل ذلك أشار ابن سيده بقوله" ولا ضرورة تدعو إلى كون أو للتخيير، وإنّ المعنى أيهما شئت مثلهم به، ولا إلى الإباحة، ولا إلى أنها في معنى "الواو" أو الشك أو "بل"(٤٧) .

وقد دعم هذا الموقف السمين الحلبي عندما ذكر أنّ "أو" في هذه الآية فيها خمسة أقوال أظهرها للتّفصيل(٤٨). (٤٩).

وحتى تكون دلالات "أو" أوضح لدى القارئ يمكن لنا أن نقدم الخريطة المفاهيمة الذهنية الآتية، التي تبين حركة المعاني ودورانها حسب ما قدمته الدراسة النظرية لهذه الآية :

---

(٤٦) ينظر تفسير البحر المحيط- ج١ص٢٢١

(٤٧) ابن سيده، إعراب القرآن -ج١ص٧٢- برنامج المكتبة الشاملة

(٤٨) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- تحقيق أحمد محمد الخراط- دار القلم- دمشق- ج١ص١٦٧

(٤٩) أشارت الباحثة منال فوزي إلى آراء النحاة في معاني "أو" في هذه الآية، ورأت أنّها للتخيير أو التساوي وذلك في حق المخاطبين أي شبهوهم بأي الفريقين شئتم وذلك أنه سبحانه وتعالى أراد تقريب التشبيه لعقول المخاطبين فأتى بالتخيير في التشبيه. ينظر: أو العاطفة ومعانيها في القرآن الكريم- مجلة الجامعة الإسلامية – العدد ١٣٨-ص٤١٧-٤٢٠

الخريطة المفاهيمية لمعنى "أو" في قوله تعالى ﴿ أَوۡكَصَيِّبٖ ﴾

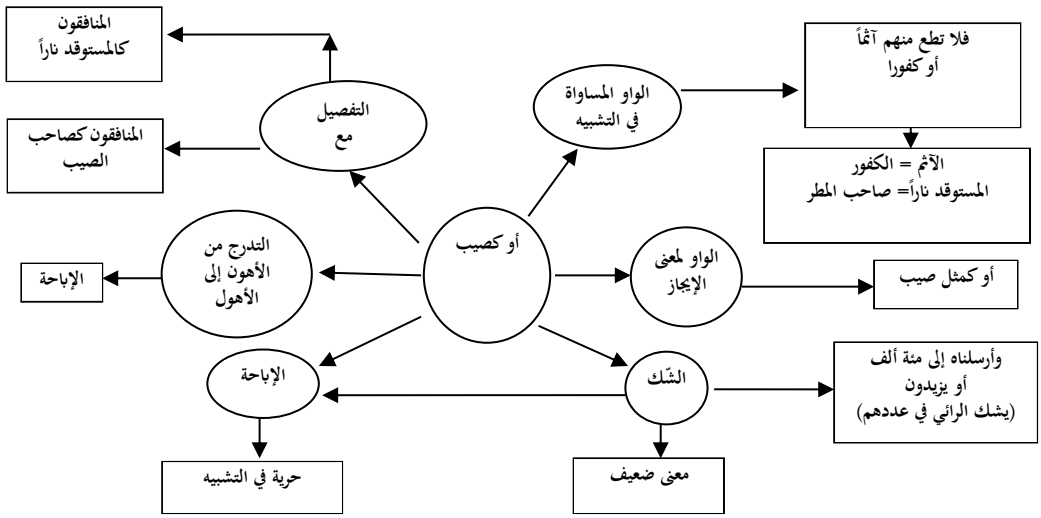

تدرج

المحور الثاني

"أو" في قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾(٥٠).

جاءت "أو" هنا لتحقيق المماثلة في الخبر كقوله تعالى" **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**"(٥١) فليست "أو" هنا للشك قطعاً، وإنما هي لتحقيق الخبر عنه بأنه كذلك أو

(٥٠) البقرة آية ٧٤

(٥١) النجم آية ٩

أزيد منه[٥٢]. وقال النحويون: معناه إن شئت مثلهم بالحجارة، وإن شئت مثلهم بما هو أشد من الحجارة فأنت مصيب في الكل وهذا قول حسن[٥٣] فهي للتخيير، وهذا كقول القائل" تعلم الفقه أو النحو"[٥٤]، أو تكون للإباحة أي بأي هذين شبهت قلوبهم كان صدقاً[٥٥]، وذلك لأنّ أكثر ورود "أو" للإباحة إنما يكون في التشبيه على نحو ما في هذه الآية[٥٦].

وذهب بعضهم إلى أنّ"أو" هنا تفيد الإبهام على السامعين وإلى ذلك أشار جماعة من أهل العربية، فقال بعضهم إنما أراد الله جل ثناؤه بهذا القول وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي بـ"أو": أنه عالم بذلك ولكنه أبهم على المخاطب[٥٧]، فهي على جهة الإبهام على المخاطب[٥٨].

ويرى البعض أنها على بابها من الشك، ومعناها عندكم أيها المخاطبون وفي نظركم: أنكم لو شاهدتم قسوتها لشككتم أهي كالحجارة أو أشد قسوةمن

---

(٥٢) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم-ج١ص٥٥٧-٥٥٧

(٥٣) السمعاني – تفسير القرآن-ج١ص٩٥

(٥٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر -الجامع لأحكام القرآن- تحقيق هشام سمير البخاري- دار عالم الكتب- الرياض- المملكة العربية السعودية-ج١ص٤٦٣-٤٦٤

(٥٥) ذكر هذا المعنى: الماوردي- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب -تفسير الماوردي- تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دار الكتب العلمية – بيروت-ج١ص١٤٦، وينظر : صافي- محمود بن عبد الرحيم- الجدول في إعراب القرآن- دار الرشيد مؤسسة الإيمان- دمشق- ط٤- ١٤١٨ هـ-ج١ص١٦٤

(٥٦) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب-تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله- دار الفكر - بيروت-١٩٨٥-ج١ص٨٨

(٥٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن- ج٢ص٢٣٥

(٥٨) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- لبنان- ١٩٩٣م- ط١-ج١ص١٤٦، وينظر: الدرويش، محيي الدين- إعراب القرآن وبيانه- دار الإرشاد. سورية-ج١ص١٢٧

الحجارة[٥٩]، غير أنّ هذا المعنى رفضه المرتضي في آماليه بقوله: إنّ هذا لا يجوز عليه تعالى[٦٠]، فالله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك[٦١].

ويرى قوم أنها بمعنى الواو[٦٢]، ومن نظائرها قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[٦٣][٦٤] وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[٦٥] والتقدير فهي كالحجارة و أشد قسوة، ومثله كذلك قول جرير: **"جاء الخلافة أو كانت له قدرا"**[٦٦]. وحاول بعضهم تخريج الألف من "أو" على اعتبار أنها صلة أي و أشد قسوة[٦٧].

ويرى البعض: أنها للتنويع والتقسيم، وكأن قلوبهم على قسمين قلوب كالحجارة قسوة، وقلوب أشد قسوة من الحجارة، فأجمل ذلك قي قوله: "ثم قست قلوبكم"، ثم فصّل ونوّع إلى مشبه بالحجارة، وإلى أشد منها إذ ما كان أشد كان مشاركاً في مطلق القسوة، ثم امتاز بالأشدية[٦٨]. فيصح هنا التقسم أي أنّ

---

(٥٩) أشار القرطبي إلى أن بعضهم ذكر هذا المعنى- الجامع لأحكام القرآن- ج١ص٤٦٤

(٦٠) المرتضي، أبوالقاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين٠- أمالي المرتضي-ج١ ص٧١٠ برنامج المكتبة الشاملة

(٦١) الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن-ج٢ص٢٣٥

(٦٢) ينظر: الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة- معاني القرآن- تحقيق هدى قراعة- مكتبة الخانجي – مصر ١٩٩٠م-ج١-ص١١٥

(٦٣) طه: آية ٤٤

(٦٤) ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي- اللباب في علوم الكتاب- تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض- دار الكتب العلمية – بيروت- ١٩٩٨ م-ط١-ج٢ص١٨٤

(٦٥) ينظر :ابن عطية- المحرر الوجيز-ج١ص١٤٦-١٤٧

(٦٦) ينظر: الماوردي- تفسير الماوردي -ج١ص١٤٥-١٤٦

(٦٧) النيسابوري- الكشف والبيان –ج١ص٢٢١

(٦٨) أبو حيان- البحر المحيط-ج١ص٤٢٨

القسوة عَمَّت قلوبكم فأقلها قسوة تشبه بالحجر الصلد، ومنها ما هو أشد منه قسوة[٦٩]، والذي نراه هنا في معنى "أو" أن تكون للإضراب على طريقة المبالغة وذلك لما سيأتي من تحليل للنص وربط معنى هذا الحرف بما يتوصل إليه التحليل:

المعنى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة في صلابتها، بل هي أشد صلابة منها؛ لأنّ من الحجارة ما فيه ثقوب متعددة، وخروق متسعة، فتتدفق منه مياه الأنهار التي تعود بالمنافع على المخلوقات، ولأنّ من بينها ما يتصدع تصدعا قليلا فيخرج منه ماء العيون والآبار، ولأنّ منها ما يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف اللّه وخشيته، أمّا أنتم - يا بنى إسرائيل - فإن قلوبكم لا تتأثر بالمواعظ ولا تنقاد للخير، ولا تفعل ما تؤمر به، مهما تعاقبت عليكم النعم والنقم والآيات[٧٠] فهي إذاً كالحجارة صلابة بل أشد قسوة[٧١]. وقد استشهدوا لهذا المعنى بقول ذي الرمة:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أو أنت في العين أملح

ف"أو" هنا بمعنى بل.[٧٢]

وهذه "أو" هنا ما يقال عنها التي بمعنى "بل" الانتقالية، لتوفر شرطها و هو كون معطوفها جملة. وهذا المعنى متولد من معنى التخيير الموضوعة له "أو"، لأنّ الانتقال

---

(٦٩) رضا، محمد رشيد بن علي- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٠ م-ج١ص٢٩٢

(٧٠) طنطاوي، محمد-سيد- التفسير الوسيط للقرآن الكريم-ج١ص١٧٤

(٧١) ينظر: السمعاني-تفسير القرآن-ج١ص٩٥، والمراغي، أحمد مصطفى- تفسير المراغي- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي-مصر-ج١ ص١٤٦، والزحيلي، وهبة مصطفى- التفسير المنير-دار الفكر المعاصر- دمشق-هـ١٤١٨-ط٢-ج١ص١٩٢.

(٧٢) النيسابوري- الكشف والبيان- ج١ص٢٢١

ينشأ عن التخيير، فإنّ القلوب بعد أن شبهت بالحجارة وكان الشأن يكون المشبه أضعف في الوصف من المشبه به، فيُبنى على ذلك ابتداءُ التشبيه بما هو أشهر، ثم عقب التشبيه بالترقي إلى التفضيل في وجه الشبه على حد قول ذي الرمة. فليست "أو" للتخيير في التشبيه أي ليست عاطفة على قوله الحجارة المجرورة بالكاف، لأنّ تلك لها موقع مَا إذا كُرر المشبه به(٧٣). وقد أشار صاحب المنار بعد عرضه للمعاني المحتملة لـ"أو" في هذه الآية إلى أنّ "أو" هنا للإضراب على طريقة المبالغة أي بل هي أشد قسوة من الحجارة يقول: إِنَّ هَذه القلوب في قسْوَتِهَا تُشْبِهُ الْحِجَارَةَ أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا . وَيَصِحُّ فِيهَا التَّقْسِيمُ، أَيْ أَنَّ الْقَسْوَةَ عَمَّتْ قُلُوبَكُمْ، فَأَقَلُّهَا قَسْوَةً تُشْبِهُ الْحَجَرَ الصَّلْدَ، وَمِنْهَا مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قَسْوَةً، وَأَظْهَرُ مِنْهُمَا أَنْ تَكُونَ لِلْإِضْرَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُبَالَغَةِ، أَيْ بَلْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ" (٧٤) (٧٥).

ولعل هذا ضرب من ضروب الأداء اللغوي في التعبير القرآني، الذي قدمه حرف العطف وأبرز المعنى بصورة لغوية متميزة حتى غدا النص القرآني وحدة متماسكة." فالخطاب القرآني يتميز –عموما - بترابطه الوثيق والتحامه الأخاذ ونسيجه المتراص"(٧٦).

ولنا بعد بيان الرأي في معنى "أو" في هذه الآية أن نقدم الخريطة المفاهيمية الآتية حتى تتضح معاني "أو" بصورة جلية:

---

(٧٣) ابن عاشور، محمد الطاهر- التحرير والتنوير- دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس – ١٩٩٧- ج١ص٥٦٣-٥٦٤

(٧٤) رضا- تفسير المنار-ج١ص٢٩٢

(٧٥) أشارت الباحثة منال فوزي إلى معاني أو في هذه الآية ورأت أنها للتخيير، وقد تكون للتفصيل. أو العاطفة ومعانيها في سورة البقرة-ص٤٢٠-٤٢٢

(٧٦) عبد الله، مراد حميد- من أنواع التماسك النصي"التكرار، الضمير، العطف" - ص٥٨

الخريطة المفاهيمية لمعنى "أو" في قوله تعالى: " **فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**"

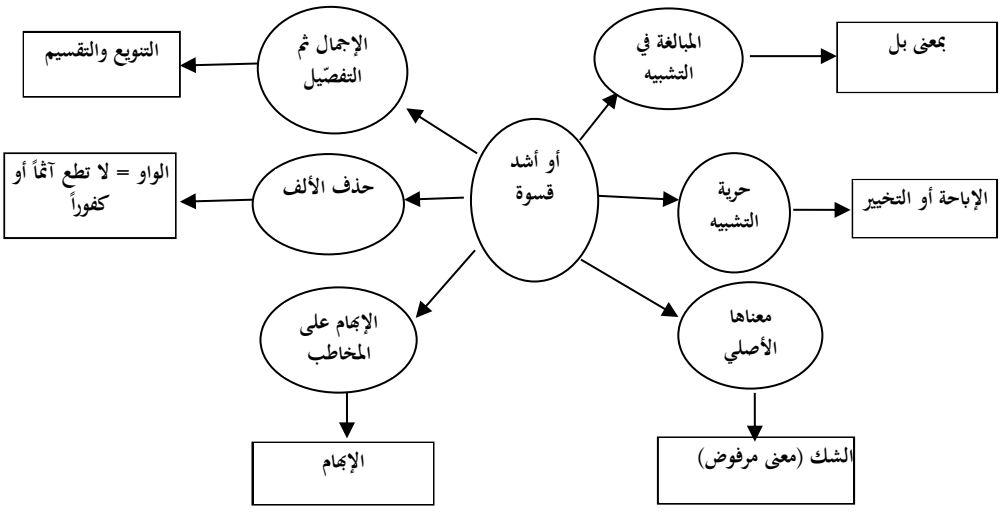

المحور الثالث

"أو" في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾[٧٧]

لا يجوز أن يكون المراد بالمعنى التخيير إذ المعلوم حال اليهود أنها لا تُجَوِز اختيار النصرانية على اليهود، بل تزعم أنه كفر، والمعلوم من حال النصارى أيضاً ذلك. بل المراد أنّ اليهود تدعو إلى اليهودية، والنصارى تدعو إلى النصرانية، فكل فريق يدعو إلى دينه، ويزعم أنّه الهدي[٧٨].

(٧٧) البقرة آية ١٣٥

(٧٨) الرازي- تفسير الرازي ج١ص٦١٩

والأمر كذلك في الشك إذ ليس الموطن هنا موطن شك، و ليس الأمر كذلك للإباحة، إذ لا يؤدي معنى الآية إلى اختيار اليهودية، أو النصرانية أو الجمع بينهما. والذي يبدو أنّ "أو" هنا تفيد التقسيم بعد الجمع؛ لأنّ السامع يرد كلاً إلى من قاله[٧٩]، أو أنها للتفصيل ومعناه: قال بعضهم وهم اليهود كونوا هوداً، وقال النصارى كونوا نصارى[٨٠]. وإلى مثل ذلك أشار صاحب إعراب القرآن وبيانه بقوله: "أو" هنا حرف عطف ومعنى "أو" هنا التفصيل، وهذا من اللف والنشر، والسامع يرد إلى كل فريق[٨١].

وهذا يتفق معناه كذلك مع قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾[٨٢] أي قال اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا الذين هم نصارى[٨٣]، ويرى البعض أنّ "أو" هنا للتوزيع أو التنويع، أي أنّ اليهود يدعون إلى اليهودية التي هم عليها، ويحصرون الهداية فيها، والنصارى يدعون إلى النصرانية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها، وهذا الأسلوب معهود في اللغة العربية[٨٤].

---

(٧٩) ابن عاشور- التحرير والتنوير-ج١ص٧٣٦.

(٨٠) ابن الجوزي، عبد الرحمن علي- زاد المسير- المكتب الإسلامي – بيروت- ط٣-ج١ص٤٣.

(٨١) محيي الدين الدرويش-ج١ص١٩٣.

(٨٢) البقرة آية ١١١.

(٨٣) الزركشي، بدر الدين محمد- البرهان في علوم القرآن- ج٤ص٢١٠، وينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- دار الجيل- بيروت- ١٩٧٩- ط٥-ج٣ص٣٧٨، والزحيلي- التفسير المنير-ج١ص٣٢١.

(٨٤) رضا-محمد رشيد- تفسير المنار-ج١ص٣٩٥، وإلى مثل هذا المعنى(التنويع) أشار صاحب التفسير المظهري. ينظر: المظهري، محمد ثناء الله- التفسير المظهري- دار إحياء التراث العربي- بيروت ٢٠٠٤- ج١ص١٣٥.

وقد يرد المصطلح بلفظ التقسيم، وسماه بعضهم التفريق[٨٥]. وقد يسمى تفريق مجرد أي من الشك والإبهام والتخيير[٨٦].

والذي نراه أن المعنى يفيد التفصيل، وأنّ الخلاف في المصطلح فبعضهم يطلق عليه التفصيل، والبعض يسميه التقسيم والآخر التفريق. وقد عالج هذه المسألة عباس حسن في حديثه عن معاني "أو" بقوله: "ومن هذه المعاني التفصيل بعد الإجمال أي التقسيم. وبيّن أنّ الجدل قد طال بين بعض النحاة في معنى التقسيم والتفصيل أهما مترادفان معناهما واحد، أم لكل منهما معنى خاص، وكذلك بين التقسيم والتفريق، ولا داعي اليوم للرجوع إلى هذا الجدل، ولا لما يذكرونه من أنّ التفصيل تبيين للأمور المجملة بلفظ واحد كما في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾، أي قالت اليهود كونوا هوداً، وقالت النصارى كونوا نصارى. ولا داعي لما يذكرونه من أنّ التقسيم تبيين لما دخل تحت حقيقة واحدة. ففي الآية جُمع اليهود والنصارى في لفظ واحد، وهو الضمير "واو الجماعة" الذي هو فاعل "قال" وهو الفعل الذي جمع لفظه ما نطق به اليهود والنصارى إلى غير هذا مما أثاروه من خلاف يغنينا عنه الرأي الذي لا يفرق بينها ويرى أنّ المسألة هنا اصطلاحية محضة، فلا ضرر في توحيد معناهما وجعلهما مترادفين"[٨٧] [٨٨].

ولعل الهدف من ذكر هذه الآية ضمن عينة الدراسة على الرغم من تشابه المعاني، والاتفاق بينها هو الاختلاف في المصطلح. ولنا أنّ نوضح المعاني المحتملة لـ" أو" في هذه الآية ونتائج البحث فيها في الخريطة المفاهيمية الآتية:

---

(٨٥) الدرويش-محيي الدين-إعراب القرآن وبيانه-ج٥ص١٧٦

(٨٦) المرادي- توضيح المقاصد-ج١-ص١٠٠٨

(٨٧) حسن، عباس- النحو الوافي- دار المعارف-ط١٥-ج٣ص٦٠٦

(٨٨) جعلت الباحثة منال فوزي هذه الآية من الآيات المتفق على معنى "أو" فيها وهو التقسيم أو التفصيل، ورأت أن جميع التعبيرات التي ذكرت تؤدي معنى واحداً. وهو أنّ الشيء يذكر ثم تكون له تفصيلات أو تنويعات أو تقسيمات. ينظر: أو العاطفة ومعانيها في سورة البقرة-ص٣٦١-٣٦٢.

الخريطة المفاهيمية لمعنى "أو" في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾

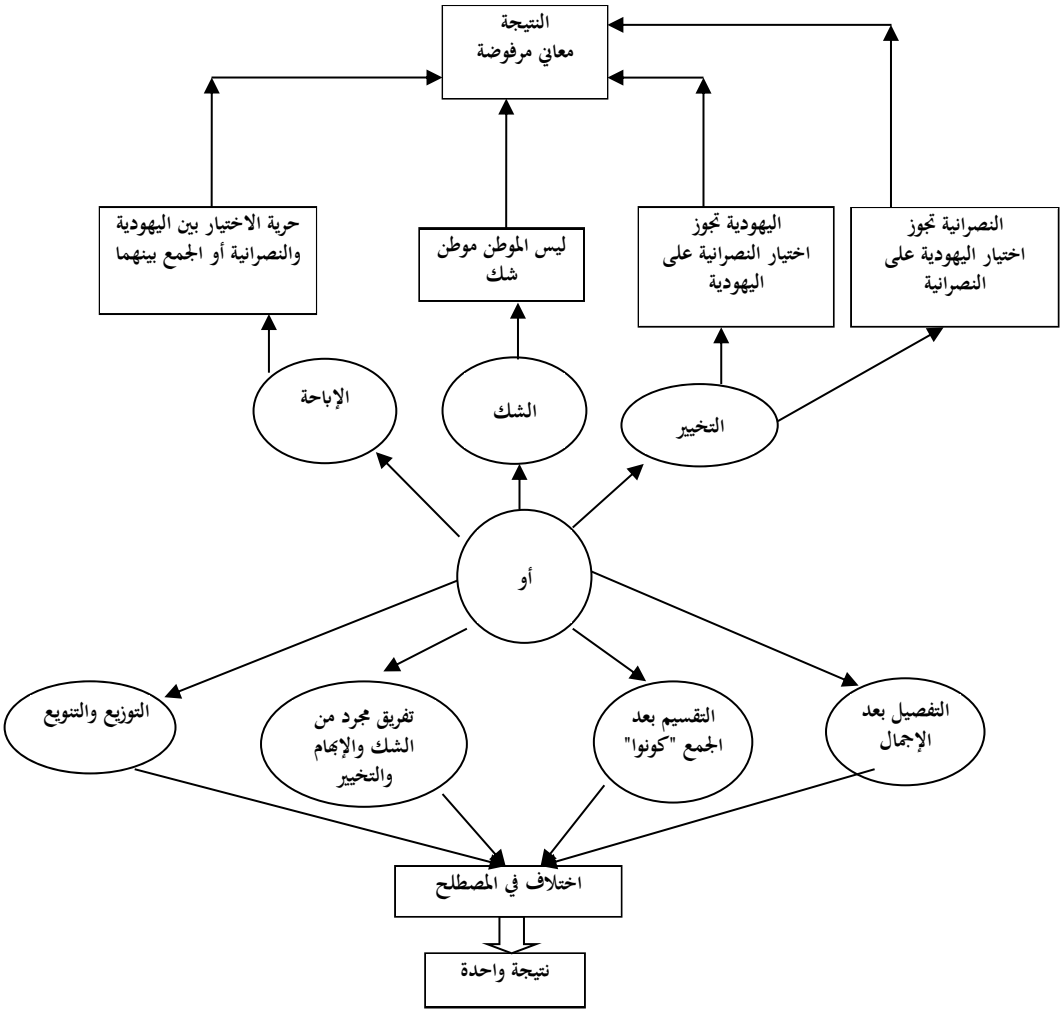

المحور الرابع

"أو" في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[٨٩]

أشارت الباحثة منال فوزي في دراستها أنّ "أو" هنا أفادت معنى الإباحة، حيث عنونت مبحثها بـ"مجيء "أو" لمعنى الإباحة في القرآن الكريم" وجعلت هذه الآية ضمن المعاني التي تفيد الإباحة، بقولها: " ذكر العكبري أنّ "أو" هنا للتخيير والإباحة، قلت: إنّ "أو" هنا للإباحة لأنه أباح لهم ذكره على وجه من هذه الوجوه فإن ذكروه كذكرهم آباءهم فهو جائز، وإن ذكروه أكثر من ذلك فهو جائز فالوجهان مباحان لهم، سواء فعلوا الأول فقط، أو الثاني فقط، أو فعلوهما معاً"[٩٠]. فالباحثة رأت هنا أنّ المعنى للتخيير أو الإباحة أو لهما معاً.

ومن خلال البحث في هذه المسألة وقفت على معاني ربما تكون أقرب للصّواب حسب ما سنورده من أدلة.

الظاهر أنّ معنى "أو" هنا لا يفيد الإباحة؛ وإنما يفيد التأكيد على ذكر الله أكثر من ذكر الآباء. فـ"أو أشد ذكراً" يعني بل أشد، كقوله: أو يزيدون، أو أشد ذكرا أي أكثر ذكراً[٩١]. فقد عُرف عن أهل الجاهلية أنهم إذا قضوا مناسكهم ذكروا آباءهم، وفِعلَ آبائهم، بذلك يخطب خطيبهم إذا خطب وبه يحدث محدثهم إذا حدث فأمرهم الله عز وجل إذا قضوا مناسكهم أن يذكروه كذكرهم الآباء أو

---

(٨٩) البقرة آية ٢٠٠

(٩٠) أو العاطفة ومعانيها في القرآن الكريم-ص٤٠٦

(٩١) النسيابوري- الكشف والبيان-ج٢-ص١١٥

أشد ذكرا، يعني بل أشد ذكرا[٩٢]. فـ"أو" هنا تعني بل أشد ذكراً، وقيل بمعنى الواو، أي وأشد ذكراً، وأكثر ذكراً للآباء لأنه هو المنعم عليهم على الآباء وهو المستحق للذكر والحمد مطلقاً[٩٣]؛ وذلك لأنّ مفاخر آبائهم كانت قليلة، أما صفات الكمال لله عز وجل فهي غير متناهية فيجب أن يكون اشتغالهم بذكر صفات الكمال في حق الله تعالى أشد من اشتغالهم بذكر مفاخر آبائهم.قال القفال رحمه الله: "ومجاز اللغة في مثل هذا معروف، يقول الرجل لغيره: افعل هذا إلى شهر أو أسرع منه، لا يريد به التشكيك، إنما يريد به النقل عن الأول إلى ما هو أقرب منه. و يجب على العبد أن يكون دائم الذكر لربه دائم التعظيم له دائم الرجوع إليه في طلب مهماته دائم الانقطاع عمن سواه"[٩٤].

وقد فصّل ابن عاشور القول في هذا المعنى وأكد أنها ليست للتخيير "أو" الإباحة بقوله: "أو" أشد ذكرا. أصل "أو" أنها للتخيير ولما كان المعطوف بها في كما هو هنا أولى بمضمون الفعل العامل في المعطوف عليه أفادت "أو" معنى التدرج إلى أعلى، فالمقصود أن يذكروا الله كثيراً، وشبه أولاً بذكر آبائهم تعريضاً بأنهم يشتغلون في تلك المناسك بذكر لا ينفع، وأنّ الأجدر بهم أن يعوضوه بذكر الله فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر . ولهذا قال أبو علي الفارسي وابن جني : إن "أو" في مثل هذا للإضراب الانتقالي، ونفيا اشتراط تقدم نفي، أو شبهه واشتراط إعادة العامل . وعليه خُرج قوله تعالى: "وأرسلناه إلى مائة ألف أو

---

(٩٢) ابن زمنين، تفسير ابن زمنين-ج١ص٥٠ – برنامج المكتبة الشاملة

(٩٣) الخازن، علاء الدين علي بن محمد- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل- دار الفكر- بيروت-١٩٧٩م-ج١ ص١٨٧

(٩٤) الرازي- تفسير الفخر الرازي- ج١ص٨٣٥

يزيدون". وعلى هذا فالمراد من التشبيه أولاً: إظهار أنّ الله حقيق بالذكر هنالك مثل آبائِهم، ثم بيّن بأنّ ذكر الله يكون أشد لأنه أحق بالذكر(٩٥). فالمعنى إذاً كونوا أشد ذكراً له منكم لآبائكم(٩٦). وإلى مثل ذلك أشار صاحب تفسير المنار وغيره بأنّ معناه ظاهر وهو بل اذكروه أشد من ذكركم آباءكم، وفيه من الإيجاز ما ترى حسنه(٩٧).

وواضح مما سبق أنّ المعنى جاء وفق مبدأ من المبادئ التي تنشدها العربية ضمن ما يسمى بـ"بالإيجاز في اللغة العربية"، بأن يُقدم المعنى بأقل عدد ممكن من الألفاظ. فضلاً عن ذلك فإنّ ورود الآية بهذه الصورة دعوة واضحة إلى التدبر والتفكر في قوله تعالى، تحفيزاً للعقل، وتنشيطاً لدور الفهم، والعودة إلى أسباب نزول الآية، حتى يستقر المعنى في ذهن المتلقي.

وفيما يلي نقدم الخريطة المفاهيمية التي تتناول دلالة الحرف "أو" في هذا السياق القرآني محاولة منا لتشكيل صورة ذهنية للمتلقي ضمن رسم توضيحي للمعنى:

---

(٩٥) التحرير والتنوير- ج٢ص٢٤٥

(٩٦) أبو حيان- تفسير البحر المحيط-ج٢ص١١٢

(٩٧) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود- معالم التنزيل- تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة وسليمان الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ١٩٩٧م-ط٤ج١ص٢٣١، وينظر:السمين الحلبي- الدر المصون-ج١ص٤٦٢، والمظهري- التفسير المظهري- ج١ص٢٣٩-، و رضا، محمد رشيد- تفسير المنار- ج٢ص-١٨٩

الخريطة المفاهيمية لمعنى "أو" في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾

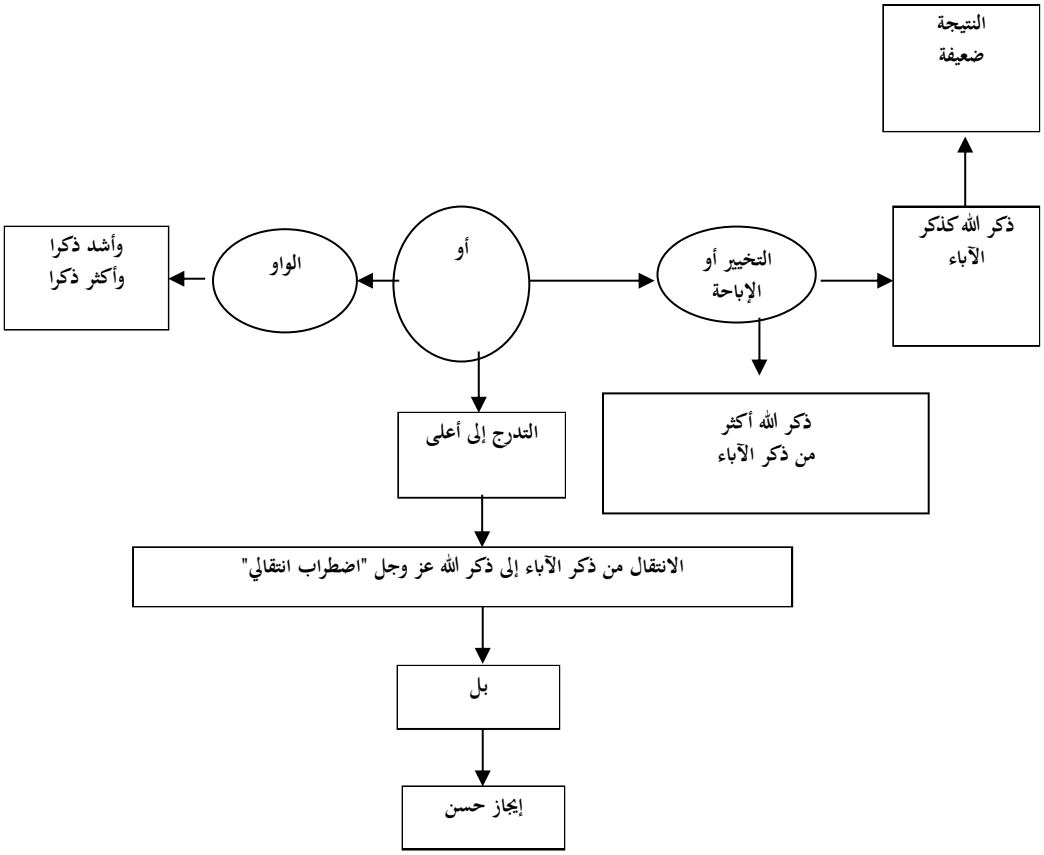

المحور الخامس

"أو" في قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٩٨]

أشار صاحب الكشاف إلى أنّ "أو" هنا بمعنى إلا أن، أو حتى تفرضوا[٩٩]. كقولك لألزمنك أو تقضي حقي، والتقدير ما لم تمسوهن إلا أن تفرضوا[١٠٠]. وإلى مثل ذلك أشارت الباحثة منال فوزي في دراستها حيث ذكرت المعاني المحتملة فيها ورجحت أنّ "أو" بمعنى إلا أن ذلك لأنه تعالى ذكر المطلقات قبل المسيس وبعد الفرض فلا حاجة بنا أن نفسرها بالواو كما أنه هو المعنى الأكثر ظهورا في الآية [١٠١].

وقد رد ابن عاشور على الرأي وأشار إلى رأي صاحب الكشاف واستدرك عليه بقوله: "وجعل صاحب الكشاف، "أو" في قوله: ﴿أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾، بمعنى إلا أو حتى، وهي التي ينتصب المضارع بعدها بأن واجبة الإضمار، بناء على إمكانه هنا وعلى أنه أبعد عن الخفاء في دلالة "أو" العاطفة في سياق النفي، على انتفاء كلا المتعاطفين، إذ قد يتوهم أنها لنفي أحدهما كشأنها في الإثبات، وبناء على أنه أنسب بقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾، حيث اقتصر في التفصيل على أحد الأمرين: وهو الطلاق قبل المسيس مع فرض الصداق، ولم يذكر حكم الطلاق

---

(٩٨) البقرة: آية ٢٣٦

(٩٩) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر- تحقيق- عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي — بيروت- ج١ص٣١٣

(١٠٠) السمين الحلبي- الدر المصون ج٢ص٤٨٧، وينظر: الحنفي، إسماعيل حقي- تفسير روح البيان- إحياء التراث العربي-ج١ص٣٠٣، والمظهري- تفسير المظهري-ج١ص٣٣٢، و الزحيلي-التفسير المنير ج٢ص٣٨٤

(١٠١) أو العاطفة ومعانيها في القرآن الكريم- ص٤٢٢-٤٢٣

قبل المسيس أو بعده، وقبل فرض الصداق، فدل بذلك على أنّ الصورة لم تدخل في التقسيم السابق، وذلك أنسب بأن تكون للاستثناء أو الغاية، لا للعطف، ولا يتوهم أنّ صاحب الكشاف أهمل تقدير العطف لعدم استقامته، بل لأنّ غيره هنا أوضح وأنسب، يعني والمراد قد ظهر من الآية ظهوراً لا يدع لتوهم قصد نفي أحد الأمرين خطوراً بالأذهان، ولهذا استدركه البيضاوي فجوز تقديرها عاطفة في هذه الآية[١٠٢].

ف"أو" هنا عاطفة على تمسوهن المنفي، لأنّ "أو" إذا وقعت في سياق النفي تفيد مفاد "واو العطف" فتدل على انتفاء المعطوف والمعطوف عليه معاً، ولا تفيد المفاد الذي تفيده في الإثبات، وهو كون الحكم لأحد المتعاطفين، نبه على ذلك الشيخ ابن الحاجب في "أماليه" وصرح به التفتازاني في شرح الكشاف، وقال الطيبي : إنه يؤخذ من كلام الراغب، وهو التحقيق ؛ لأن مفاد "أو" في الإثبات نظير مفاد النكرة وهو الفرد المبهم، فإذا دخل النفي استلزم نفي الأمرين جميعاً، ولهذا كان المراد في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾، النهي عن طاعة كليهما، لا عن طاعة أحدهما دون الآخر، وعلى هذا انبنت المسألة الأصولية وهي: هل وقع في اللغة ما يدل على تحريم واحد، لا بعينه، بناء على أن ذلك لا يكون إلا بحرف "أو"، وأن "أو" إذا وقعت في سياق النهي كانت كالتي تقع في سياق النفي [١٠٣].

ف" أو" إذا هنا بمعنى الواو أي "ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن" و الأمثلة في النص القرآني كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[١٠٤]أي وهم قائلون، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾[١٠٥]

(١٠٢) التحرير والتنوير–ج٢ص٤٥٨

(١٠٣) المرجع نفسه– ج١ص٤٥٨

(١٠٤) الأعراف آية ٤

(١٠٥) المائدة آية ٦

معناه وجاء أحد منكم الغائط ، وأنتم مرضى أو مسافرين.وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾[١٠٦] وما كان مثله. ويؤكد هذا بأنه تعالى عطف عليها بعد ذلك المفروض لها فقال: "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً"[١٠٧]. فلو كان الأول لبيان طلاق المفروض لها قبل المسيس لما كرره.[١٠٨]

ولعل هذه الأمثلة التي قدمها النحاة على هذا المعنى تضعف الرأي الذي يرى أنها بمعنى إلا أن.

وفيما يأتي المخطط المفاهيمي الذي يوضح المعاني المحتملة لـ "أو" في هذه الآية :

الخريطة المفاهيمية لمعنى "أو" في قوله تعالى : ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾

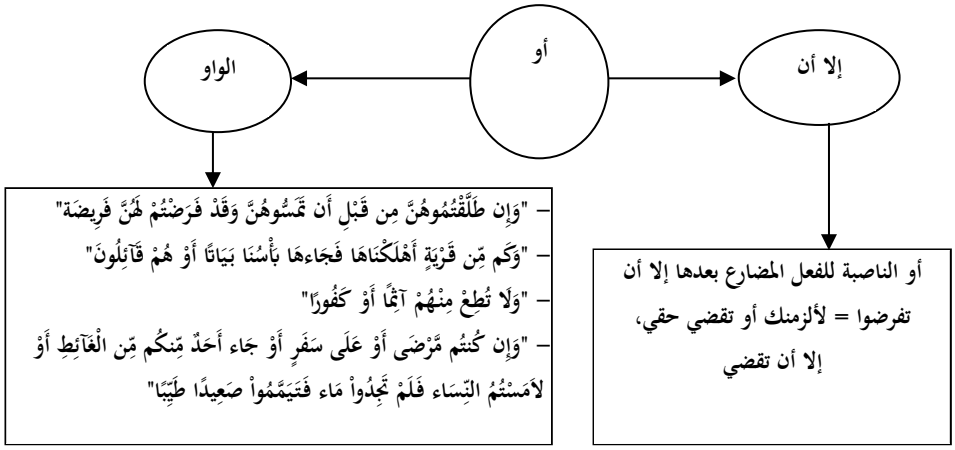

(١٠٦) الأنعام آية ١٤٦

(١٠٧) البقرة : ٢٣٧

(١٠٨) القرطبي– الجامع لأحكام القرآن– ج٣– ص١٩٩–٢٠٠، وينظر إلى من أشار أن معناها هنا بمعنى الواو: السمين الحلبي– الدر المصون–ج٢ص٤٨٧، و رضا، محمد رشيد –تفسير المنار–ج٢ص٣٤٠.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة لآيات "أو" في سورة البقرة، توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

١ - جاء حرف العطف "أو" يُشكِّل رابطاً مهما في بنية النص اللغوي، وأدى اختلاف الآراء في معناه إلى تعميق الدراسة، حيث كان لفهم السياق، وتحليله الدور الواضح في التصريح بالمعنى المراد لحرف العطف.

٢ - تعددت دلالات الحرف "أو" في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ ﴾ فكانت المعاني التي قدمتها الدراسة تدل بالمجمل على أنها جميعاً تقترب من الصواب، غير أننا حاولنا بالاعتماد على تحليل جملة النص في هذه الآية الاقتراب من المعنى المراد وهو التفصيل في ضرب المثل لحال المنافقين.

٣ - رفضت الدراسة معنى الشك لـ"أو" في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾ ورأت أنّ حرف العطف جاء لضرب المثل، وخرج بذلك إلى معنى "بل" بسبب المبالغة في التشبيه.

٤ - أعادت الدراسة النظر في معنى " أو" في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾ ، وبينت أنّ المعاني التي قدمها النحاة كلها متشابهة، وأنّ الاختلاف هو اختلاف في المصطلح لا في الدلالة.

٥ - حاولت الدراسة لـ"أو" في قوله تعالى: "أو أشد ذكراً" أن تؤسس لدور السياق وفهم الواقعة التي نزلت الآية بسببها في فهم المعنى المراد للنص، لذا رفضت المعنى الذي يرى أن"أو" هنا للإباحة، وقدمت الإضراب الانتقالي بديلاً لهذا المعنى.

٦ - كان لتعدد الأمثلة النصية من القرآن الكريم على مجيء "أو" بمعنى الواو السبب الذي رفضت به الدراسة أن تكون "أو" في قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَفۡرِضُواْ﴾ بمعنى إلا أن.

المصادر والمراجع

[١] الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة - معاني القرآن - تحقيق هدى قراعة - مكتبة الخانجي – مصر ١٩٩٠م

[٢] الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٩٥٥م - ط١

[٣] الآلوسي، محمود - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت

[٤] ابن الأنباري، أبو البركات بن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين - تحقيق جودة مبروك محمد - راجعه رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة -ط١

[٥] البغوي - أبو محمد الحسين بن مسعود - معالم التنزيل - تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة و سليمان الحرش - دار طيبة للنشر والتوزيع - ١٩٩٧م -ط٤

[٦] بنت أبي طالب، رقية -حروف العطف في سورة البقرة" دراسة تحليلية تطبيقية -رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - ماليزيا

[٧] البيضاوي - تفسير البيضاوي - برنامج المكتبة الشاملة

[٨] ابن الجوزي، عبد الرحمن علي - زاد المسير - المكتب الإسلامي – بيروت - ط٣
[٩] حسن، عباس - النحو الوافي - دار المعارف -ط١٥
[١٠] حماد، خليل عبد الفتاح، و العايدي حسين راضي -أثر العطف في التماسك النصي في ديوان على صهوة الماء للشاعر مروان محيسن –"دراسة نحوية دلالية" -مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية -المجلد العشرون - العدد الثاني - يونيو٢٠١٢م
[١١] الحنفي، إسماعيل حقي - تفسير روح البيان - إحياء التراث العربي
[١٢] أبوحيان، محمد بن يوسف الأندلسي - تفسير البحر المحيط – تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - دار الكتب العلمية - بيروت
[١٣] الخازن، علاء الدين علي بن محمد - تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل - دار الفكر - بيروت -١٩٧٩م
[١٤] الدرويش، محيي الدين - إعراب القرآن وبيانه - دار الإرشاد ـ سورية
[١٥] ابن الدهان، أبو محمد سعيد المبارك - شرح الدروس في النحو - تحقيق إبراهيم محمد - مطبعة الأمانة - القاهرة - ١٩٩١م -ط١
[١٦] الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تفسير الفخر الرازي -دار إحياء التراث العربي
[١٧] رضا، محمد رشيد بن علي - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠م
[١٨] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي – حروف المعاني - تحقيق توفيق علي الحمد -مؤسسة الرسالة - بيروت -١٩٨٦ -ط٢

[١٩] الزحيلي، وهبة مصطفى - التفسير المنير -دار الفكر المعاصر - دمشق - هـ١٤١٨ -ط٢

[٢٠] الزركشي، بدر الدين -البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - بيروت - ١٩٥٧م -ط١

[٢١] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر - تحقيق - عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي – بيروت

[٢٢] ابن زمنين - تفسير ابن زمنين -ج١ص٥٠ – برنامج المكتبة الشاملة

[٢٣] ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل - الأصول في النحو -تحقيق عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة

[٢٤] السمعاني، محمد أبو المظفر - تفسير القرآن - تحقيق ياسر إبراهيم – دار الوطن – الرياض - ١٩٩٧م

[٢٥] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - تحقيق أحمد محمد الخراط - دار القلم - دمشق

[٢٦] سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة

[٢٧] ابن سيده -إعراب القرآن - برنامج الكتبة الشاملة

[٢٨] الشربيني، محمد أحمد - تفسير السراج المنير - دار الكتب العلمية - بيروت

[٢٩] صافي، محمود بن عبد الرحيم - الجدول في إعراب القرآن - دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق - ط٤ - ١٤١٨ هـ

[٣٠] الطبري، محمد بن جرير - جامع البيان في تأويل القرآن - تحقيق أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ٢٠٠٠م - ط١

[٣١] ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي - اللباب في علوم الكتاب - تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض - دار الكتب العلمية – بيروت - ١٩٩٨ م -ط١

[٣٢] ابن عاشور، محمد الطاهر - التحرير والتنوير - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس – ١٩٩٧

[٣٣] عبد القادر - منال فوزي أو العاطفة ومعانيها في القرآن الكريم - مجلة الجامعة الإسلامية - العدد١٣٨

[٣٤] عبد الله، مراد حميد - من أنواع التماسك النصي"التكرار، الضمير، العطف" –مجلة جامعة ذي قار - المجلد٥ - حزيران٢٠١٠م - العدد الخاص

[٣٥] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - لبنان - ١٩٩٣م - ط١

[٣٦] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله - شرح ابن عقيل - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -دار التراث - القاهرة - ١٩٨٠م - ط٢٠

[٣٧] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن - دار الكتب العلمية – بيروت

[٣٨] الفراهيدي، الخليل بن أحمد - الجمل في النحو - تحقيق فخر الدين قباوة - مؤسسة الرسالة – بيروت - ١٩٨٥م - ط١

[٣٩] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر -الجامع لأحكام القرآن - تحقيق هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية

[٤٠] كتانة، حسين أحمد حسين - الخطاب القصدي وآلياته التواصلية في أسلوب العطف"نموذج الامتاع والمؤانسة" حوليات آداب عين شمس -المجلد ٣٩ - أكتوبر -ديسمبر ٢٠١١م

[٤١] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر - تفسير القرآن العظيم - تحقيق سامي محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ١٩٩٠ -ط٢

[٤٢] كروم، أحمد، استلزام التخاطب في معاني العطف - مجلة دراسات -كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير - العدد ١٥

[٤٣] المبرد -أبو العباس محمد بن يزيد - المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة -القاهرة ١٩٩٤

[٤٤] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب -تفسير الماودري - تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية

[٤٥] المرادي، ابن أم قاسم - توضيح المقاصد على ألفية ابن مالك -تحقيق عبد الرحمن علي سليمان -دار الفكر العربي - القاهرة -٢٠٠١م - ط١

[٤٦] المراغي، أحمد مصطفى - تفسير المراغي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي -مصر

[٤٧] المرتضي، أبوالقاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين٠ - أمالي المرتضي - برنامج المكتبة الشاملة

[٤٨] المظهري، محمد ثناء الله - التفسير المظهري - دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢٠٠٤

[٤٩] المكودي، أبو عبد الرحمن علي - شرح المكودي على ألفية ابن مالك - تحقيق فاطمة الراجحي - جامعة الكويت - ١٩٩٣

[٥٠] ابن الناظم، أبو عبد الله بن مالك - شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد باسل عيون السود - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ٢٠٠٠م -ط١

[٥١] النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد - الكشف والبيان -تحقيق أبو محمد بن عاشور -مراجعة وتدقيق نظير الساعدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠٢م - ط١

[٥٢] ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب -تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر - بيروت

[٥٣] ابن يعيش، موفق الدين بن علي - شرح المفصل -المطبعة المنيرية

The Conjunction "Or" in Surat Al Baqarah "A Grammatical and Semantic Study"

Dr. Murad Rafiq Albayyari
Department of Arabic - Faculty of Arts - King Faisal University

Abstract. The idea of this research depends on the study of the meanings of the conjunction "or" in Surat Al Baqarah trying to show the different meanings of this conjunction and explaining the reasons and interpretations. In addition, the study proceeded to analyze the verses that grammarians and commentators differed in the meaning of "or" in that verses. Moreover, the reason for the choice of this conjunction is that its meaning does not settle in the reader's mind as it has multiple meanings and connotations in accordance with the general intent of the speech, so that this conjunction had different meanings according to the analysis of and understanding of the Quranic text of the grammarians and commentators.

Moreover, this study shows the importance of this difference and its role in the understanding of linguistic discourse and grammar of the Qur'anic text. Moreover, it helps to indicate the role of such conjunctions in the cohesion of the Quranic text, and understanding its purpose. This study adopts the analysis approach in the study of verses that have the conjunction "or," and presents a graphic organizer summarizing the meanings of "or" in the verse that is under study at the end of each section.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٥٠٧-٥٩١، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

من مظاهر اللهجات اليَمَنيّة القديمة في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة – دراسة دلالية لألفاظ مختلفة تبدأ بحرفي الباء والراء وحروف أخرى بينهما

د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة
أستاذ فقه اللغة المشارك في كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية، جامعة القَصِيْم

ملخص البحث. هذا البحث دراسة لغوية مقارنة أثبتت أن بعض المظاهر اللهجية الدلالية التي رواها اللغويون العرب القدماء منسوبة إلى اليَمَن أو إلى إحدى قبائله ، لا تزال حَيّة مستعملة في لهجة عربية نَجْدية حديثة ، هي اللهجة القَصِيْمية ، وقد حاولت الدراسة بالإضافة إلى هذا أن تتلمس الطريق الذي سلكته تلك المظاهر في انتقالها . إن هذا البحث وأمثاله يثبت صواب ما أشارت إليه الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة في العصر الحديث ، من اتصال قوي بين اللهجات العربية الحديثة والقديمة ، وأن ملامح هذا الاتصال أكثر ظهوراً ونقاء وأصالة في لهجات عرب الجزيرة العربية ، خاصة وسطها ، أعني بلاد نَجْد التي تشغل منطقة القَصِيْم التي تنسب إليها اللهجة القَصِيْمية مساحة شاسعة من وسطها ؛ حيث إن منطقة نَجْد بقيت قروناً طويلة ـ قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها اليوم ـ معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية ، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجات أهلها ؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي ، لا نراه في اللهجات العربية المعاصرة الأخرى.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

فإن المتأمل في اللهجات العربية الحديثة[١] يرى فيها مظاهر لهجية مشتركة كثيرة، تنتمي إلى المستويات اللغوية؛ الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، على الرغم من الظروف المختلفة التي تعيشها المجتمعات التي تتحدثها، بيئياً واجتماعياً وثقافياً، وقد أثبتت الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة أن سبب ذلك يعود إلى أن هذه المظاهر المشتركة قد ورثتها اللهجات العربية الحديثة من لهجات عربية قديمة كانت في شبه الجزيرة العربية، ثم انتقلت إلى الأقاليم العربية مع تلك القبائل التي انتقلت إليها من جزيرة العرب إبّان الفتوح الإسلامية والعصور التي تلتها[٢].

واللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة واحدة من اللهجات العربية الحديثة التي نالت نصيباً كبيراً من ذلك الإرث؛ فهي لهجة شائعة في منطقة القَصِيْم، التي هي إحدى مناطق وسط المملكة العربية السعودية[٣]، وإذا كان التأثير اللهجي للقبائل القديمة في الجزيرة العربية لا يزال ممتداً تُرى ملامحه واضحة في لهجات المتكلمين بالعربية في أنحاء الوطن العربي اليوم رغم ما حصل للعرب فيها من اختلاط بالأمم الأخرى قديماً وحديثاً، فإن هذه الملامح ستكون أكثر ظهوراً ونقاء وأصالة في لهجات عرب الجزيرة العربية؛ فهؤلاء العرب الذين يعيشون فيها اليوم هم في الغالب بقايا القبائل العربية القديمة التي ظلت في جزيرتها ولم تهاجر، ويزداد هذا النقاء والأصالة في لهجات

---

(١) سيأتي الحديث عن المراد بمصطلحي اللهجات العربية القديمة، و اللهجات العربية الحديثة في التمهيد رقم ب، بإذن الله.

(٢) ينظر لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٣١ ـ ٣٢ .

(٣) سيأتي الحديث عن القَصِيْم في التمهيد رقم أ، وعن المراد باللهجة القَصِيْمِيّة تحديداً في التمهيد رقم ب، بإذن الله.

سكان وسط الجزيرة، أعني منطقة نَجْد، التي يشغل القَصِيْم مساحة شاسعة منها، كما ستأتي الإشارة إلى أسباب ذلك بعد قليل.

إن من أهم ما حفزني للبحث في هذا الموضوع بالإضافة إلى حبي للغة العربية، وتعلقي بلهجاتها:

١ -رغبتي في ألا نكرر ما وقع فيه اللغويون القدماء ـ وهم مجتهدون في هذا ـ من خطأ منهجي في تعاملهم مع العربية؛ حيث أهملوا رصد التطورات التي أصابتها في عصورها ومواطنها المختلفة بعد الحد الزمني الذي رأوا فيه نهاية لزمن الفصاحة، وهو ما أُطْلِق عليه نهاية عصر الاحتجاج(٤)، فقد حرموا دارسي العربية بهذا من الاطلاع على تطورات كثيرة مرت بها على كافة مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية عبر عصورها الإسلامية المختلفة، ففي المستوى الدلالي مثلاً ـ وهو من أهم مستويات اللغة التي ما كان ينبغي أن يُهْمَل ما ينتابه من تطور مستمر ـ نجد معجماتنا العربية، على كثرتها واختلاف مدارسها وأزمنة مؤلفيها تكاد تكون صوراً متشابهة فيما تحويه من ألفاظ ودلالات(٥)، فمشكلتها الكبرى تكمن في جمودها عند حدود زمنية ارتضاها أئمة العربية الأوائل؛ فهي إنما تعطي صورة واقعية لزمن محدود من أزمنة اللغة العربية وعصر معين من عصور مستعمليها، يبدأ قبل الإسلام بما يقرب من قرن من الزمن، وينتهي بوقت جمع

---

(٤) يتفاوت اللغويون الأوائل في تحديد هذه النهاية، لكن جمهورهم على أن عصر الاحتجاج انتهى في حدود نهاية القرن الثاني الهجري تقريباً، وإن فرقوا في هذا بين الحواضر والبوادي، ينظر خزانة الأدب ١/ ٥ ـ ٨، وفي أصول النحو ١٩.

(٥) يتضح هذا الأمر للدارس عندما يقارن معجماً أُلِّف في القرن الثاني الهجري، كالعين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) بمعجم أُلِّف بعده بما يقرب من ألف سنة، هو تاج العروس للزَّبيدي (محمد بن المرتضى ت ١٢٠٥هـ)، بل إن هذا الأمر يُرى حتى في المعجمات العربية التي أُلِّفت في العصر الحديث، باستثناء محدود لبعضها، كالمعجم الوسيط ومعجم المرجع.

اللغة الذي تمّ غالبه في القرنين الأول والثاني الهجريين، أما ما بعد ذلك مما مرت به العربية من أطوار في العصور الإسلامية المختلفة فلا نجد له صورة في هذه المعجمات، فهي لا تفيد دارس العربية في تتبع التطورات اللفظية والدلالية للعربية عبر عصورها المختلفة، ولذا كان من أهم المهمات المنوطة باللغويين في عصرنا محاولة إصلاح هذا الخلل، وسد شيء من هذه الثُّلْمة، وهو أمر ممكن، يستعان عليه باستقراء ما جاء في دواوين الأدب شعره ونثره، وكتب التاريخ والفن، وما أحدثه العلماء من مصطلحات علمية، وما رصده اللغويون في كتب لحن العامة في كل عصر من عصور العربية المختلفة، وتجميع كل ذلك؛ حتى يتسنى لنا استعادة شيء من الحلق الكثيرة المفقودة من سلسلة المراحل التطورية التي مرت بها العربية، منذ عصر جمع اللغة إلى يوم الناس هذا، ورصد مثل هذه التطورات من أهم ما يُعنى به صُنّاع المعجمات في الأمم المتقدمة، ذلك أن مما يميز المعجمات الأجنبية، كالإنجليزية والفرنسية ميزة الإضافة المستمرة؛ فمع اهتمامها بالألفاظ والدلالات القديمة فإنها لا تهمل ما يستجد من الألفاظ والدلالات الجديدة الناجمة عن تطور الحياة بمختلف مرافقها؛ العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية، ولذا فإن أهمية أي معجم يظهر في عصر من عصور هذه اللغات تكمن فيما يحمله من الألفاظ الجديدة، وبما يرصده من التطورات التي تصيب دلالات الألفاظ القديمة المعروفة، بل إن هذا التحديث قد يوجد في كل طبعة جديدة لمعجم من معاجم تلك اللغات(٦).

---

(٦) طال انتظار المهتمين بالعربية لمشروع عظيم، هو (المعجم التاريخي للغة العربية) الذي لم يزل المخلصون من المهتمين بالعربية من العلماء والمؤسسات العلمية يجاهدون في سبيل إقامته، ومن أواخر هذه الجهود الندوة الدولية التي كانت بعنوان: (المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية)، التي عقدت في مدينة فاس المغربية، بتنظيم من مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بالتعاون مع معهد الدراسات المصطلحية ومختبر الأبحاث والدراسات المصطلحية التابعين لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، وكان ذلك بتاريخ ٢٢- ٢٤/٤ / ١٤٣١هـ، الموافق ٨- ١٠ /٣ / ٢٠١٠م، وكنت ممن شارك فيها بحمد الله.

٢ -تعلق هذا البحث بالجزيرة العربية، وبوسطها خاصة، وهو منطقة نَجْد التي ظلت قروناً طويلة ـ قبل الطَّفْرة الاقتصادية التي تعيشها اليوم ـ معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية(٧)، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجات أهلها؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي، لا نراه في اللهجات العربية المعاصرة، خاصة في مستواها الدلالي، ثم الصوتي والصرفي.

٣ -إن مما يزيد من أهمية اللهجات النَّجْدية المعاصرة ـ والقَصِيْمِيّة واحدة من أهمها ـ ويرشحها لمزيد من العناية والبحث أن منطقة نَجْد ـ بالإضافة إلى بوادي الحجاز ـ هي أهم البيئات العربية التي توجه إليها اللغويون الأوائل عندما أرادوا جمع اللغة، حيث إن " الذين نُقِلت عنهم العربية، وبهم اُقْتُدِي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم قَيْس وتَمِيم وأَسَد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هُذَيْل وبعض كِنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم..."(٨)، فاللغة مأخوذة في أغلبها عن القبائل المشار إليها في النص، وهذه القبائل ـ عدا هُذَيْل وكِنانة ـ هي التي كانت تسكن منطقة نَجْد في وقت جمع اللغة، ولا تزال بقاياها هم أكثر أهلها إلى يومنا هذا، ولذا لا عجب عندما نرى ارتباطاً قوياً بين ما سجله اللغويون في ذلك الوقت وبين اللهجات النَّجْدية المعاصرة اليوم، وخاصة في الجانب الدلالي المعجمي.

٤ -أنه بعد الطفرة الاقتصادية والحضارية التي شهدتها المملكة العربية السعودية تسارعت بشكل كبير التغيرات اللهجية لسكان مناطقها ـ ومنهم أهل منطقة القَصِيْم ـ بسبب ظروف كثيرة، من أهمها: كثافة اتصالهم بغيرهم من العرب

---

(٧) سيأتي الحديث عن هذا عند الحديث عن اللهجة القَصِيْمِيّة في التمهيد رقم ب، بإذن الله.

(٨) ينظر المزهر ١/ ٢١٠ ـ ٢١١.

والشعوب الأخرى ؛ فبلادهم بعد أن منّ الله عليها بالخيرات صارت قبلة لطالبي الرزق الذين يؤمونها للعمل، ويخالطون سكانها لفترات طويلة، ومن هؤلاء من يؤدي دوراً تعليمياً وتربوياً، فيزداد تأثيره.

كما أن سكانها أيضاً ازدادت أسفارهم إلى بلاد العالم الأخرى، لظروف أملتها عليهم حياتهم ؛ كالدراسة والتجارة والسياحة.

إضافة إلى التزايد الكبير جداً في أعداد الحجاج والمعتمرين القادمين إلى أراضيها، بسبب تيسر أمر السفر في هذا العصر، وبسب ما تبذله حكومتها -وفقها الله- من جهود جبارة في خدمة حجاج بيت الله الحرام وزائري مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى إنه يصل إلى أراضيها ملايين البشر في كل عام، وهم في ازدياد مطّرد.

ومنها الحياة المترفة والعيش الرغد الذي صار يتمتع به عامة سكانها، وهو أمر أحدث تبدلات جذرية في أساليب حياتهم ؛ في منازلهم ومراكبهم وملابسهم ومآكلهم ومشاربهم وأدواتهم وطريقة عيشهم بالجملة، مما كان له أبلغ الأثر في لهجاتهم، فكان من الواجبات على اللغويين، وخاصة من أهل هذه البلاد العناية بهذه المظاهر وتقييدها، قبل أن يدركها الانقراض الذي نراه يسرع جاداً إليها ؛ للأسباب التي سلفت.

أما منهجي في هذا البحث فتبين معالمه النقاط التالية :

١ -مهدت لهذا البحث بتمهيد طابعه الإيجاز، وقد جعلته أقساماً ثلاثة ؛ أولها : عَرَّفت فيه بمنطقة القَصِيْم التي تنسب إليها اللهجة التي يهدف البحث إلى بيان أصالة بعض مظاهرها وارتباطها باللهجات العربية القديمة التي رواها اللغويون ؛ وهو تمهيد سيكون القراء الذين لا يعرفون مناطق المملكة العربية السعودية بحاجة شديدة

إليه. والثاني: بينت فيه وحددت ما أقصده باللهجة القَصِيْمِيّة؛ وفي ذلك إفادة للقارئ من جهة، وضبط للبحث وصون له من جهة أخرى. والثالث: خصصته للحديث عن اللهجات اليَمَنية التي أدرس جانباً من آثارها في اللهجة القَصِيْمِيّة؛ حيث بينت بإيجاز ما أقصده بها، كما تحدثت عن موطنها و قبائلها وعلاقتها باللهجة القَصِيْمِيّة.

٢ -ليس من مقصودي إيراد جميع ما نُسِب إلى اللهجات اليَمَنية، وإنما المراد دراسة ما وافق اللهجة القَصِيْمِيّة منه، وفي مستوى لغوي محدد، هو المستوى الدلالي فقط، ومن أجل هذا عمدت إلى ما وصل إليه علمي مما نسبه اللغويون إلى بلاد اليَمَن أو إلى إحدى القبائل اليَمَنية من لهجات تتصل بهذا المستوى وقارنتها بما أعرفه من اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة[٩] ـ وأنا ابن من أبنائها ـ فتبين لي توافقها مع بعض تلك اللهجات في ألفاظ ودلالات كثيرة، عندما حصرتها ورتبتها وجدتها تبدأ بحرفي الباء والنون وحروف أخرى بينهما، وتنتمي إلى مواد لغوية مختلفة، إذا رتبناها ترتيباً ألفبائياً حسب أوائل أصولها، صار أولها مادة (بلل) وآخرها مادة (نكخ)، وقد عمدت في هذا البحث إلى دراسة بعض تلك الألفاظ، وهي التي تبدأ بحرفي الباء والراء وما بينهما من الحروف، وتنتمي إلى مواد: بلل، جحح، جرن، خربش، خنز، خوا، دحج، دفر، ذيخ، رمخ، ريغ، وأجلت الباقي إلى بحوث أخرى قادمة[١٠]، إن مَدَّ الله في الأجل وأعان.

كما أنني قارنت ذلك بما توفر عندي من دراسات تتصل باللهجات العربية المعاصرة عامة واللهجات المستعملة في جزيرة العرب خاصة، مع مزيد اهتمام باللهجات المعاصرة النجدية واليَمَنية ولهجات جنوب جزيرة العرب؛ لاتصال هذه

---

(٩) سيأتي الحديث عن المراد بهذه اللهجة تحديداً في التمهيد رقم ب، بإذن الله.

(١٠) البحوث المطولة لا تناسب طبيعة المجلات المُحَكَّمة، ولذا يرفض القائمون عليها نشرها.

اللهجات باللهجتين المدروستين، ولا يخفى ما لهذه المقارنات من دور كبير في إثراء البحث، وعليه فإن هذا البحث يسير في الأصل على المنهج المقارن، ولكنه أيضاً يعتمد على المنهج الوصفي؛ ومعروف عند الباحثين أن المنهج المقارن لا يقوم إلا متكئاً عليه؛ فمقارنة الظاهرتين اللغويتين غير ممكنة إلا بعد توصيفهما توصيفاً دقيقاً.

٣ -رأيت أن أسير في تعاملي مع الألفاظ المقصودة بالبحث على النحو التالي:

أ) أوردت الألفاظ التي عليها مدار البحث مسبوقة بالمواد اللغوية التي تنتمي إليها، واتبعت في ترتيب المواد طريقة المعجم الوسيط، المتمثلة في ترتيبها ترتيباً ألفبائياً حسب أوائل أصولها مع مراعاة الحرف الثاني وما بعده إن لزم الأمر، وإذا كان في المادة اللغوية أسماء وأفعال بدأت بإيراد الاسم ثم الفعل.

ب) أبدأ الحديث عن اللفظ بإيراده مضبوطاً بالشكل كما ينطق في اللهجة القَصِيْمِيّة، وقد أنص على ضبطه نصاً إن بدت لي فائدته، كأن يكون اللفظ ينطق بنطق لا يعبر عنه الضبط المعروف تعبيراً دقيقاً، كالممال والمبدل والمبدوء بالساكن ونحو ذلك، ثم أحدد نوعه؛ اسماً أو فعلاً ماضياً أو مضارعاً...، ثم أذكر دلالته في هذه اللهجة مستشهدا عليها بما يتيسر لي من المحفوظ من كلام العامة شعراً ونثراً، وقد أذكر بعض مشتقاته التي يستعملها العامة إذا رأيت حاجة لهذا. وإذا كان اللفظ يستعمل في هذه اللهجة بأكثر من دلالة والمقصود منها واحدة فقط فإنني أعبر بقولي: " من دلالاته في هذه اللهجة... "، وإن كان يستعمل بدلالة واحدة قلت: " يدل في هذه اللهجة "، أو بعبارات مشابهة تؤدي المراد.

ج) في حديثي عن اللفظ في اللهجة القَصِيْمِيّة عُنِيْت بأمرين أراهما مهمين؛ أولهما: بيان حاله في هذه اللهجة؛ من حيث كثرة الاستعمال وقلته، خاصة على ألسنة الأجيال الشابة؛ حيث إن بعض الألفاظ معروفة مستعملة عند قدماء أهلها، كما

أنها أيضاً لا تزال حية فاشية كثيرة الاستعمال، وبعضها يستعمل لكنه بدأ يقل على ألسنة الناشئة، وأخرى ماتت واندثرت حتى لا تكاد تذكر، بل حتى لا يكاد معناها يُعرف(١١)، وهي تطورات طبيعية معروفة في اللغات واللهجات؛ فهي مثل الكائنات الحية لا تدوم على حال واحدة، ولكنني طلباً للاختصار لا أنص على فشو اللفظ وكثرة استعماله إلا إن رأيت حاجة لذلك؛ لأن هذا هو الأصل، وإنما أقصر التنبيه على الحالتين الأخريين، وهما قلة استعمال اللفظ أو موته، وعليه فإن عدم ذكري لشيء من هذه الحالات الثلاث دليل على أن اللفظ لا يزال معروفاً في الجملة عند أهل هذه اللهجة كباراً وصغاراً. والثاني: يتصل بحال اللفظ خارج هذه اللهجة؛ فإن علمت أنه مستعمل بدلالته التي أتحدث عنها في لهجات عربية أخرى أشرت إلى ذلك.

٤ -ليقيني بأن الشواهد تثري البحث اللغوي، وتجلي القضية المبحوثة، وتكسر ملل القارئ، وتسهم في إقناعه دعمت البحث بما أرى أنه يحقق الغرض من الشواهد العامية للهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة، بعضها من الأمثال العامية التي يتداولها أهل القَصِيْم، وبعضها من شعرهم العامي، مما حوته ذاكرتي منه أو استخرجته من دواوينه المطبوعة، و لا يفوتني أن أنبه على شيء مهم يتصل بالشواهد الشعرية؛ هو أن ما أوردته منها هو من شعر الذين لم يدركوا هذه الطفرة الاقتصادية التي تعيشها بلادهم، أو أدركوا طرفاً منها، لكن لهجتهم تكونت ورسخت قبلها، أما الذين عاشوا طفولتهم أو بدايات شبابهم فيها فلم أستشهد بشعرهم؛ لأنه قد لا يكون صادق التمثيل للهجتهم؛ فمنطقة القَصِيْم أصبحت الآن بفعل ما تتمتع به من مقومات

---

(١١) وهذا النوع من الألفاظ هو الذي أقام عليه شيخنا معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي كتابه (كلمات قضت)، وهو معجم في مجلدين كبيرين لألفاظ اختفت من اللهجات النجدية الدارجة أو كادت .

من مناطق الجذب السكاني في المملكة، حيث استوطنت مدنها وقراها خلال الأربعين سنة الماضية أعداد كبيرة من الناس بادية وحاضرة لم يكونوا من أهلها في الأصل، كما أنه يعمل فيها أيضاً عدد كبير من جنسيات عربية وغير عربية، وهو أمر أدى إلى نشوب صراع لهجي بين لهجة أهلها الأصليين التي يخصها هذا البحث[١٢] واللهجات الأخرى المتعددة لمستوطنيها الجدد، فأثرت كل من هذه اللهجات المتصارعة وتأثرت بنسب متفاوتة، يضاف إلى هذا انتشار التعليم في المملكة وكثرة التواصل بين مناطقها مما أدى إلى تغير بعض معالم لهجاتها وذوبان الفروق بينها بشكل ملحوظ.

كما لا يفوتني هنا أن أنبه إلى أنني ذكرت هذه الشواهد العامية، لا على سبيل الاحتفاء بها والدعوة إلى أساليبها، بل لأنها في نظري خير نصوص يمكن التمثيل بها لهذه اللهجة؛ فهي أمثلة محفوظة، بل بعضها مطبوع متداول، وهي لأناس معينين معروفين من أبناء القَصِيْم، فالتمثيل بها يمنح البحث مزيداً من الثقة لا توفره أمثلة من كلام العامة تُسَجَّل عن المجاهيل، أو تبتدع ابتداعاً، ولولا خشية أن تؤدي كثرة الشواهد بالبحث إلى الطول لتماديت في إيرادها؛ فعندي بحمد الله منها مزيد ومزيد.

٥ -عمدت إلى ضبط ما ورد في البحث من شواهد وألفاظ، وخاصة الألفاظ الدالة على أعلام غير مشهورة؛ فما يخص اللهجات اليَمَنية ضبطته كما ضبطته المصادر القديمة التي أوردته، وما يتصل باللهجة القَصِيْمِيّة ـ وخاصة الشواهد الشعرية العامية؛ لارتباطها بالوزن ـ كتبته وضبطته على نحو يجعله مطابقاً لنطق أهلها ما أمكن، وذلك على النحو التالي:

---

(١٢) سيأتي الحديث عن المراد باللهجة القَصِيْمِيّة تحديداً في التمهيد رقم ب، بإذن الله.

أ) لجأت إلى وضع سكون على الحرف الأول من بعض الصيغ والأدوات ؛ لبيان أن العامة ينطقونه ساكناً ويتوصلون إلى نطقه بهمزة الوصل(١٣)، كقولهم: اِمْحَمَّدْ قامْ اُوْ جَلَسْ، في: مُحَمّدٌ قامَ وَجَلَسَ، فمثل هذا وأشباهه مما ينطق عندهم بهذه الطريقة أكتبه مضبوطاً هكذا: مْحَمَّدْ قامْ وْجَلَسْ، ولا أكتبه بهمزة الوصل حتى لا أُحْدِثُ خللاً في طريقة الإملاء المعروفة، وعليه فإنني إذا ضبطت الحرف الأول الذي يبدأ به اللفظ بالسكون، كالميم الأولى من (محمد)، أو الميم من حرف الجر (من)، ولو كان اللفظ على حرف واحد، كواو العطف مثلاً، فإن هذا الحرف ينطق في اللهجة القَصِيْمِيّة مسبوقاً بهمزة وصل.

ب) من المعلوم أن اللهجات العربية الحديثة تخلصت من الإعراب ومالت إلى تسكين أواخر الألفاظ وصلاً و وقفاً، واللهجة القَصِيْمِيّة مثلها في هذا في الجملة(١٤)، ويستثنى من ذلك غالباً الأسماء التي لم تدخل عليها (ال) وليست أعلاماً فإنها في حالة الوصل ينون آخرها غالباً بالكسر(١٥)، يقولون مثلاً: مْحمَّدْ رَجْلٍ كِرِيْمٍ شِجاعٍ....

---

(١٣) إسكان الحرف الأول من بعض الصيغ والأدوات اللغوية مظهر لهجي فاشٍ في اللهجات العربية المعاصرة في عموم الوطن العربي.

(١٤) وإن كان التخلص من التقاء الساكنين قد يوهم أحياناً بتحريك الأواخر بإحدى الحركات الثلاث، وخاصة الفتحة والكسرة، والشعر العامي عندما يُلْقِيه أهله العارفون به و بلُحُونه وأوزانه يلجئون كثيراً إلى هذا التخلص، لكنني غالباً لم أراع هذا في ضبطه، وإنما ضبطته على الأصل الغالب في كلام العامة، وهو التسكين، وهو ضبط لا يُخِلّ بوزنه .

(١٥) وبعض بلدات القَصِيْم و قراه الشمالية، كعُيُون الجِواء و أُثال تجري هذا التنوين في الأعلام أيضاً؛ فهذه البلدات لها بعض السمات اللهجية التي لا توجد في أنحاء القَصِيْم الأخرى، وسوف أشير إلى هذا في التمهيد رقم (ب).

ج) من الظواهر الفاشية في اللهجة القصيمية حذف الألف من ضمير الغائب المؤنث وجمع غير العاقل المتصلين بالأسماء والأفعال والحروف والاكتفاء بفتح ما قبله للدلالة عليه[١٦]، فتراكيب الأسماء، مثل: مَشْيها، أَحْمالها، أو الأفعال مثل: أَكَلَها، أو الحروف مثل: بِها، لَها، ينطقونها: مَشْيَهْ، أَحْمالَهْ، أَكَلَهْ، بَهْ، لَهْ، وهذا الحذف قد يُحْدِث لَبساً عند القارئ غير الخبير بهذه اللهجة بين ضمير المؤنث وضمير جمع غير العقلاء من جهة وضمير المذكر من جهة أخرى، ولذا حرصت في الضبط على إزالة هذا اللبس؛ فضبطت الحرف الذي يسبق ضمير المؤنث و وضمير جمع غير العاقل بالفتح، و ضبطت الحرف الذي يسبق ضمير المذكر بالضم؛ كما هو السائد في نطق أصحاب هذه اللهجة، وعليه فالضمير مثلاً في: مَشْيَهْ، أَحْمالَهْ، أَكَلَهْ، بَهْ، لَهْ، يعود لمؤنث أو لجمع غير عاقل، حسب ما يقتضيه السياق، وفي: مَشْيُهْ، أَحْمالُهْ، أَكَلُهْ، بُهْ، لُهْ، يعود لمذكر، وهذا هو السائد في نطق أصحاب هذه اللهجة.

د) إمالة الفتحة نحو الكسرة تارة ونحو الضمة تارة أخرى، وإشمام الضمة الكسرة[١٧] كلها مظاهر صوتية شائعة في هذه اللهجة حاولت إبرازها في الضبط،

---

(١٦) وهو مظهر فصيح منسوب إلى قبيلة طَيِّئ، تحدثت عنه مع مظاهر أخرى مختلفة في بحث عنوانه : (من مَظاهِر لَهْجة طَيِّئ في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة)، نشرته هذه المجلة في عددها الثاني من المجلد السادس الصادر في رجب من عام ١٤٣٤هـ .

(١٧) يستعمل مصطلح الإشمام في تراثنا للدلالة على أكثر من مفهوم، ومن أبرزها أنه حركة مركبة من حركتين ضمة وكسرة، أو حركة بين الكسرة والضمة، وهذا ما أريده به هنا، فهو ظاهرة صوتية تعني تقريب صوت الضمة من صوت الكسرة، بحيث ينتج صوت جامع لميزات مشتركة من الصوتين، ينظر بحث (الإشمام في اللغة ـ حقيقته وأنواعه)، للدكتور غانم قدوري الحمد، منشور في مجلة الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد التاسع، جمادى الآخرة ١٤٣١هـ، وبحث (الإشمام ـ الظاهرة ومفهوم المصطلح)، للدكتور إبراهيم الشمسان، منشور في مجلة دارة الملك عبد العزيز، العدد الثاني من السنة العشرين، الصادر عام ١٤١٥هـ، وقد حاول فيه أن يستقصي مفاهيم الإشمام في التراث.

فالحرف الذي تُمال فتحته نحو الكسرة أضبطه بفتحة وكسرة في آن واحد، كما في حرف الراء من لفظ الرِّيْغا[١٨]، وكما في الحرف الذي يسبق تاء التأنيث المربوطة في مثل لفظ دَحْجَةِ[١٩]، والحرف الذي تُمال فتحته نحو الضمة أضبطه بفتحة وضمة في آن واحد كذلك، كما في حرف الياء من لفظ يَـوْم، والحرف الذي يشم ضمه الكسر، أضبطه بكسرة وضمة في آن واحد، كما في حرف الميم من لفظ مُخْنِز[٢٠].

هـ) حذفت الهمزة التي لا ينطقونها، فأكتب لفظ الأَوَّل، هكذا: الاَوَّل، وأكتب مثل قولهم: وَأَنا...، المكون من واو العطف والضمير، هكذا: وَانا...، مبقياً الألف دلالة على الهمزة المحذوفة، ولكيلا أُحْدِث خللاً في طريقة الإملاء المعروفة، مع أنهم ينطقونهما هكذا: الَوَّل[٢١]، وَنا...، كما أكتب لفظ عِشاء وحَمْراء الممدودين، هكذا: عْشا، حَمْرا، كما هو نطقهم لهما.

٦ -فَسَّرت في الهوامش ما رأيت أنه بحاجة إلى تفسير من الشواهد عموماً، ومن الشواهد العامية خصوصاً؛ حتى أعين القراء غير العارفين باللهجة القَصِيْمِيّة، أو من هم من ناشئة أهلها على فهمها.

---

(١٨) سيأتي الحديث عنه في مادة (ريغ) بإذن الله .

(١٩) سيأتي الحديث عنه في مادة (دحج) بإذن الله، والحرف الذي يسبق التاء المربوطة إن لم يكن ألفاً ولم يقع اللفظ مضافاً فإن فتحته تمال نحو الكسرة في اللهجة القَصِيْمِيّة، وهذا النوع من الإمالة لهجة معروفة مروية عن الفصحاء، واردة في القراءات السبع، فقد قرأ بها الكسائي، ينظر النشر في القراءات العشر ٨٢/٢، واللهجات العربية في التراث ٢٨٥/١، واللهجات في الكتاب لسيبويه ٨٩ .

(٢٠) سيأتي الحديث عنه في مادة (خنز) بإذن الله .

(٢١) ينطقونه بحذف الهمزة وإلقاء حركتها ـ وهي هنا الفتحة ـ على اللام قبلها، وهذا مطرد في لهجتهم في كل مبدوء بهمزة دخلت عليه (ال).

٧ -رأيت أن أعرف بإيجاز شديد بشعراء العامة الذين أستشهد بشعرهم، فهم أعلام يجهلهم غالباً الباحثون الذين ليسوا من أهل هذه البلاد، ومعرفة القارئ بشيء من حالهم مما يزيده ثقة بالبحث وأمثلته التي قامت عليها مسائله، ومن المعلوم أن مصادر تراجمهم قد لا تتوفر لكل أحد، وقد اقتصرت في هذا التعريف على ذكر اسم الشاعر كاملاً واسم بلدته وسنة وفاته، إن كان قد توفي. أما أسماء الأمكنة فأكتفي بالنص على طبيعتها، فأشير مثلاً إلى أن الاسم لمدينة أو قرية، ثم أحيل إلى المصادر التي عرفت بها.

وأختم هذه المقدمة بالقول: إن دراسة اللهجات العامية ـ وإن توجس منها بعض الغيورين خيفة ـ فيها خدمة للعربية وللمتحدثين بها؛ فمن خدمتها للعربية تأصيل مظاهر كثيرة من تلك اللهجات تحسب على العامية وهي فصيحة صريحة، والكشف عن حال العربية في بيئات وأزمنة قد لا يعرف المختصون من حالها شيئاً، بَلْهَ مَن سواهم من سائر أهلها. وخدمتها للمتكلمين تكمن في إثراء قواميسهم اللغوية الذهنية بالألفاظ والأساليب والعبارات والصور النطقية الفصيحة، فكثير من العلماء والمثقفين وسائر المتكلمين الذين يراعون الفصاحة في كلامهم الرَّسمي يعانون في أثناء هذا الكلام من قلة محفوظهم من الألفاظ التي يطمئنون إلى فصاحتها، فتنتابهم حالات من التردد والتباطؤ في التعبير عن المعاني المختلفة، مع أن أذهانهم تَعُجّ بألفاظ وأساليب وعبارات كثيرة وصور نطقية اعتادوا عليها تناسب هذه المعاني، يتركونها ويترفعون عنها؛ يحسبونها عامية، وهي فصيحة معروفة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد.

كتبه:

د. خالد بن محمد الجمعة

في مدينة بُرَيْدة في ٥/٦/ ١٤٣٦هـ

أولاً: التمهيد

أ) القَصِيْم.

ب) اللَّهْجة القَصِيْمِيّة.

ج) اللهجات اليَمَنية القديمة: المقصود بها، وعلاقتها باللَّهْجة القَصِيْمِيّة المعاصرة.

أ) القَصِيْم:

القَصِيْم الذي تنسب إليه هذه اللهجة التي ندرس بعض ظواهرها في هذا البحث إقليم كبير معروف، يقع في وسط نَجْد، بين دائرتي العرض ٣٤ و ٢٨ وخطي الطول ٤١ و ٤٥، واسمه قديم، ذكره الشعراء الجاهليون والمخضرمون والإسلاميون(٢٢)، وجرى ذكره في أمثال العرب(٢٣)، كما ذكره وحدده الجغرافيون القدماء(٢٤).

والأصل في تسميته أن القَصِيْم والقَصِيْمة اسم للرَّمْلة التي تُنبت الغَضا(٢٥)، وهو الشجر البري المعروف الذي يكثر نباته في هذا الإقليم(٢٦).

---

(٢٢) ينظر مثلاً: ديوان أبي دؤاد الإيادي ١٥٣، وشرح شعر زهير بن أبي سلمى ١٥٣، وديوان لبيد بن ربيعة ١٩١، وينظر معجم بلاد القَصِيْم ١/ ٢٨، وما بعدها.

(٢٣) ينظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ٤٦٨، حيث أورد قول العرب: "سِرْحان القَصِيْم" وقال: إنه مثل قولهم: "ذئب الغَضا".

(٢٤) ينظر مثلاً صفة جزيرة العرب ٢٨٩، ٣١١، ومعجم ما استعجم ٣/ ١٠٧٨، ومعجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

(٢٥) ينظر التهذيب ٨/ ٣٨٦، واللسان (قصم) ١٢/ ٤٨٦، والتاج (قصم) ٣٣/ ١٦٣، وقد ساق صاحب التهذيب قولاً آخر، وهو أنه اسم للرملة التي تنبت العِضاهَ، ولكنه رجح القول الأول، وما رجحه هو الصواب، ولفظ العِضاهِ لا شك محرف عن الغَضا؛ لأن العِضاهَ اسم يطلق على الشجر العظام ذي الشوك، كالطَّلْح وما أشبهه، ينظر اللسان(عضه) ١٣/ ٥١٦، ومعلوم أن هذا النوع من الشجر لا ينبت في الرمل، وهو المشاهد اليوم في رمال منطقة القَصِيْم، فهي تنبت الغَضا، لا العِضاه.

(٢٦) الغَضا: شجر رملي دائم الخضرة، له هَدَب قريب من هَدَب الأَرْطَى والأثل، وله خشب صلب، يستعمل وقوداً فيكون له جمر يبقى طويلاً، وهو من أجود الوقود عند العرب، وطالما ذكره الشعراء بهذا المعنى، ينظر: النبات والشجر للأصمعي ٤٥، ٥١، والنبات لأبي حنيفة ١٥- ١٦، والمنتخب ٤٦٢/٢، ٤٨٨. ومعجم النباتات والزراعة ٤٠٥/٢، والنباتات البرية في المملكة العربية السعودية ٢٩١.

والقَصِيْم قديم العمارة، ففيه أماكن يمتد تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام، ويظهر أنه كان كثير السكان في القرون التي تلت الإسلام[٢٧]، ومواضعه الكثيرة من أشهر منازل القبائل العربية في الجاهلية والإسلام، ومن أشهر القبائل التي سكنته قديماً بنو أَسَد وبنو تَمِيم وبنو ضَبّة وبنو عَبْس وغَطَفان وباهِلة وفَزارة ومُزَينة[٢٨]، كما سكنت بعض مواضعه قبيلة طَيِّئ[٢٩]، وهي من القبائل اليَمَنية التي نبحث الآن في آثار لهجاتها في لهجة سكانه المعاصرين.

ومواضعه لا يزال كثير منها محتفظاً باسمه القديم؛ كعُنَيْزة وأُثال والجِواء ورامة، وكذلك أسماء جباله؛ كأَبانَيْن وقَطَن، وأوديته؛ كالرُّمة والجُرَيِّر، ورماله؛ كاللِّوى، وكلها طالما ترددت في أشعار شعراء العربية؛ من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين[٣٠]، ومثلها في هذا أسماء أشجاره البرية ونباتاته؛ كالأَرْطَى والغَضا والشِّيْح والعَرار والقَيْصُوم والنَّفَل[٣١] وغيرها.

---

(٢٧) ينظر معجم بلاد القَصِيْم ١/ ٥٢.

(٢٨) ينظر تفصيل لأسماء القبائل العربية التي سكنت القَصِيْم قديماً وحديثاً في معجم بلاد القَصِيْم ١/ ١٢٤ وما بعدها، ١٣٥ وما بعدها.

(٢٩) ينظر معجم بلاد القَصِيْم ٦/ ٢٣٩٤، وستأتي الإشارة إلى هذا بعد قليل .

(٣٠) تنظر أحاديث موسعة عن هذه المواضع وما قيل فيها من شعر ونثر في معجم بلاد القَصِيْم ١٦٣٨/٤، ٢٨٤/١، ٢/ ٧٥٢، ٩٨١/٣، ١/ ٢٢١، ٥/ ٢٠٦٤، ٦/ ٢٤٧٤، ٢/ ٧٢٨، ٥/ ٢١٦٠، على الترتيب .

(٣١) ينظر ما جاء عن هذه النباتات في النباتات البرية في المملكة العربية السعودية ٦٠، ٢٩١، ٢٢٩، ٢٥٦، ٣٢٧، ٣٥٦، الترتيب.

والقَصِيْم اليوم منطقة كبيرة من المناطق الإدارية المهمة في المملكة العربية السعودية، تصل مساحتها إلى ما يقرب من مائة وعشرين ألف كيل مربع، وبهذا فهي تشكل قريباً من ستة في المائة من مساحة المملكة [٣٢].

أكبر مدنه بُرَيْدة، وهي عاصمة المنطقة، تليها مدينة عُنَيْزة، فمدينة الرَّس، ثم مدينة البُكَيْريّة[٣٣]، ويضم القَصِيْم بالإضافة إلى هذه المدن عدداً كبيراً من البلدات والقرى والهِجَر[٣٤].

ويبلغ عدد سكانه أكثر من مليون ومائتي ألف نسمة، يتركز ما يقرب من خمسمائة ألف منهم في مدينة بُرَيْدة عاصمة المنطقة، ثم مدينة عُنَيْزة التي يعيش فيها ما يقرب من مائة وسبعين ألفاً، ويتوزع بقيتهم في مدنه وقراه وهِجَره، وعليه فسكانه يشكلون قرابة خمسة في المائة من سكان المملكة العربية السعودية[٣٥].

---

(٣٢) أكثر امتداد القَصِيْم من الشرق إلى الغرب، إذ يبدأ شرقاً من الدَّهْناء، وينتهي غرباً بحدود منطقة المدينة المنورة، على امتداد ما يقرب من ستمائة كيل، ويبدأ جنوباً بإقليم السِّر، وينتهي شمالاً بحدود منطقة حائل، على امتداد ما يقرب من مائتي كيل في المتوسط، ينظر معجم بلاد القَصِيْم ١/ ١٥، و معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ٢٨٥/٨.

(٣٣) تنظر أحاديث موسعة عن هذه المدن في معجم بلاد القَصِيْم ٤٥٦/٢، ٤/ ١٦٣٨، ١٠٢٣/٣، ٢/ ٦٢٠، على الترتيب .

(٣٤) الهِجَر جمع هِجْرة، والهِجْرة في عرف أهل نَجْد اليوم : القرية التي سكانها من البادية، وهو عرف حديث نسبياً، ظهر بعد مشروع توطين البادية الذي قام به الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وكانت بدايته في حدود سنة ١٣٣٠هـ.
وقد ألف شيخنا معالي الشيخ محمد بن ناصر العُبُودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي معجماً ضخماً يقع في ستة مجلدات للتعريف بمدن القَصِيْم وهِجَره وقراه وجميع ماله اسم من مواضعه، سماه (معجم بلاد القَصِيْم)، وكانت أولى طبعاته عام ١٣٩٩هـ .

(٣٥) يبلغ سكان المملكة حسب آخر إحصائية للسكان قامت بها الدولة ـ وكانت عام ١٤٣١هـ ـ ٢٧١٣٦٩٧٧ نسمة، في حين يبلغ سكان منطقة القَصِيْم ١٢١٥٨٥٨ نسمة. تنظر إحصاءات مفصلة لأعداد من يعيشون في المملكة وتوزيعاتهم على المدن والمحافظات في الموقع الإلكتروني لمصلحة الإحصاءات العامة.

ويشتهر القَصِيْم بخصوبة أرضه ووفرة مياهه الجوفية، وقد كان فيه إلى عهد قريب أدركت أنا طرفاً منه عيون جارية تسيح على الأرض بدون رافعات، ولكنها غارت بسبب الإكثار من حفر الآبار الإرتوازية؛ لسد حاجة التوسع الزراعي الذي تشهده المنطقة، فهي تعد من أهم المناطق الزراعية في المملكة، حيث يزرع فيها القمح وأنواع الخُضَر، وتشتهر بصفة خاصة بإنتاج التمر؛ فهي من أكبر مناطق إنتاجه في العالم(٣٦)، وفيها من أنواعه ما لا يوجد مثله في أي بلد، ومن ذا الذي لم يسمع عن تمره الذائع الصيت المسمى بالسُّكَّريّ(٣٧).

ب) اللَّهْجة القَصِيْمِيّة:

تعد اللغة العربية في ماضيها وحاضرها من أشهر اللغات التي تشيع الفروق اللهجية المختلفة بين المتكلمين بها؛ وهو تعدد لهجي ضارب بجذوره في تاريخها القديم

---

(٣٦) وصل عدد النخيل المنتجة في القَصِيْم إلى ثمانية ملايين نخلة، تنتج ما يقرب من مائتي ألف طن سنوياً، وهي أرقام تزداد كل سنة؛ بسبب نتاج المزارع الجديدة، وقد أنشئ في مدينة بُرَيْدة سوق كبير للتمر يسمى مدينة التمور، يعد أكبر سوق للتمر في العالم، افتتحت مرحلته الأولى في ١٤٣٠/٨/١٥هـ، ويقع على مساحة قدرها مائة وخمسة وستون ألف متر مربع، وهناك توجه لزيادتها لتصل إلى مائتين وستين ألف متر مربع، ومن مرافق هذا السوق : صالات عرض موسمية كبيرة، معارض مستمرة طوال العام لعرض أنواع التمر الطازجة والمبردة والمعلبة، مصانع خاصة بتعليب التمر، مكاتب لشركات التسويق والنقل، فندق راقٍ، مكتب اتصال وتنسيق لتبادل الخبرات مع كافة المهتمين بالنخيل وتسويق منتجاتها في العالم . ويقام في مدينة التمور في موسم التمر مع بداية شهر أغسطس مهرجان سنوي يستمر أكثر من شهرين، يسمى مهرجان بُرَيْدة للتمور، تصدر عنه مجلة باسم (تمور القَصِيْم)، ويباع فيه أكثر من ٦٥% من تمور القصيم، وتقدر مبيعاته اليومية في المتوسط بثمانية عشر مليون ريال سعودي، ويرد إليه من أصناف التمور أكثر من ثلاثين صنفاً، (المعلومات السابقة متاحة على النت في موقع أمانة منطقة القصيم وموسوعة ويكيبيديا الحرة ومواقع أخرى مختصة).

(٣٧) الواحدة منه سُكَّرية، ينظر ما جاء عن هذا النوع وأنواع نخل القَصِيْم الأخرى في معجم بلاد القَصِيْم ١/ ١١٤، ومعجم النخلة ١٤٠.

الممتد إلى ما قبل الميلاد بقرون طويلة، فبالإضافة إلى تفرع اللغة العربية القديمة إلى فرعين معروفين، هما العربية الجنوبية والعربية الشمالية، شهد هذان الفرعان انقسامات لهجية ظهرت جلية في النقوش الكثيرة التي خَلَّفها المتكلمون بهما، حيث اتضح من خلالها للغويين في العصر الحديث أن للعربية الجنوبية عدداً من اللهجات؛ من أشهرها: المَعِينية والسَّبَئية والقَتْبانية، وأن للعربية الشمالية البائدة لهجات أخرى؛ من أشهرها: الثَّمُودية والصَّفَوية واللِّحْيانية(٣٨).

ولم تكن اللغة العربية الباقية ــ وهي العربية الفصحى التي كان يتكلم بها العرب وقت البعثة النبوية، وبها نزل القرآن الكريم، وبها جاءتنا آداب العرب من شعر ونثر ــ أقل في هذا التعدد من سابقاتها، حيث حفلت متون اللغة التي دَوَّنها جُمّاعها الأوائل في القرنين الهجريين الأول والثاني بمظاهر كثيرة جداً تشير إلى هذا التعدد، منسوبة أحياناً إلى مواطن عربية، كنَجْد والحِجاز واليَمَن...، أو إلى قبائل عربية، كقُرَيش وتَمِيْم وطَيِّئ وهُذَيْل وأَسَد...، وغير منسوبة في أحيان أكثر، وهو تعدد ظهرت آثاره واضحة في القرآن الكريم وقراءاته، وفي الأحاديث النبوية والآثار المنقولة عن الصحابة، وفيما رواه الرواة من آداب العرب شعراً ونثراً(٣٩)، ولذا حظيت لهجات العربية الفصحى باهتمام مبكر من اللغويين المتقدمين، وخصها بعضهم بمؤلفات خاصة(٤٠).

---

(٣٨) ينظر دراسات في فقه اللغة ٥٢، وما بعدها، وفقه اللغة العربية ٩٩، وما بعدها.

(٣٩) ينظر اللهجات العربية في التراث ١/ ٥٥، وما بعدها، ١١٥، وما بعدها، ودراسات في فقه اللغة ٥٩، وما بعدها.

(٤٠) ينظر حديث موسع عن التراث اللهجي في كتاب اللهجات العربية في التراث ١/ ١٣٥، وما بعدها.

واللغويون في العصر الحديث عندما يطلقون مصطلح (اللهجات العربية القديمة) فإنهم قد يعنون به اللهجات العربية التي وجدت قبل الميلاد وعُرفت عن طريق النقوش، كما تقدم، لكنه أكثر ما ينصرف عندهم إلى لهجات العرب التي تحفل بها كتب التراث، مما رواه لنا اللغويون من لهجات منسوبة إلى مَواطن معروفة في جزيرة العرب، أو منسوبة إلى القبائل العربية التي كانت تعيش في نواحيها وعلى أطرافها قبيل البعثة النبوية وبعدها، قبل أن تتفرق القبائل ويرتحل كثير منها من مَواطنها الأصلية في الجزيرة العربية، ليعيش في البلاد التي فتحها العرب المسلمون، بعد أن جاء الله بالإسلام ففتحت الفتوح ومُصِّرت الأمصار.

أما عندما يطلقون مصطلح (اللهجات العربية الحديثة) فإنهم يعنون به تلك اللهجات التي يتكلم بها العرب في عصورهم المتأخرة والحديثة، وهي لهجات بدأ تمايزها بتمايز الأقاليم العربية بعد الفتوح الإسلامية واستقرار كثير من المرتحلين، كلهجات جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وبلاد المغرب العربي وغيرها من المَواطن العربية، وهي أقاليم أَدّت سعتها وتعدد القبائل العربية التي سكنتها، ومؤثرات لغوية خارجية تختلف من مكان إلى آخر، أَدّى كل هذا وغيره إلى شيوع مظاهر لهجية متعددة داخل الإقليم الواحد، كما هو معروف ومشاهد.

وكما أشرت في مقدمة هذا البحث فإن اللهجات العربية الحديثة في الجملة بينها مظاهر لهجية مشتركة كثيرة، على الرغم من الظروف المختلفة التي تعيشها المجتمعات التي تتحدثها؛ وسبب ذلك يعود إلى أن هذه المظاهر المشتركة قد انحدرت إلى هذه اللهجات العربية الحديثة من لهجات عربية قديمة كانت في الجزيرة العربية، ثم انتقلت

إلى الأقاليم العربية مع تلك القبائل التي انتقلت إليها من الجزيرة العربية إبّان الفتوح الإسلامية والعصور التي تلتها[٤١].

وإذا كان التأثير اللهجي للقبائل القديمة في الجزيرة العربية لا يزال ممتداً تُرى ملامحه واضحة في لهجات المتكلمين بالعربية في أنحاء الوطن العربي اليوم، رغم ما حصل للعرب فيها من اختلاط بالأمم الأخرى قديماً وحديثاً، فإن هذه الملامح ستكون أكثر ظهوراً ونقاء وأصالة في لهجات عرب الجزيرة العربية اليوم؛ فهؤلاء العرب في الغالب هم بقايا القبائل العربية القديمة التي ظلت في جزيرتها ولم تهاجر، ويزداد هذا النقاء والأصالة في لهجات سكان وسط الجزيرة، أعني منطقة نَجْد التي يشغل القَصِيْم مساحة شاسعة من وسطها؛ لأن هذه المنطقة ظلت قروناً طويلة ـ قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها المملكة العربية السعودية اليوم ـ معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية؛ فطبيعتها الجافة الصحراوية، وتدني مقوماتها الاقتصادية والجغرافية جعلها بمنأىً عن المطامع الخارجية، فعاش أهلها ـ إلا أفراداً منهم، كالتجار وطلاب العلم والمسافرين للبحث عن العمل ـ عزلة عن العالم الخارجي، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجاتهم؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي، لا نراه في غيرها من اللهجات العربية المعاصرة، خاصة في مستواها الدلالي، ثم الصوتي والصرفي، يدرك ذلك من يستمع إليها، ممن يكون على علم بالعربية الفصحى ولهجاتها التي رصدها قدماء اللغويين، ولعلي لا أجانب الصواب عندما أقول: إنه يقل أن تجد مظهراً لهجياً فاشياً في اللهجات النجدية اليوم ـ والقَصِيْمِيّة واحدة منها ـ خاصة في مستوياتها الثلاثة المشار إليها إلا وتجد له أصلاً من لهجات القبائل العربية القديمة، ولئن أحدثت الطفرة الاقتصادية التي يعيشها المواطنون السعوديون اليوم ـ ومنهم أهل نَجْد ـ ما أحدثته من أثر واضح على لهجاتهم، فإن اللهجات النجدية لا تزال إلى يوم

(٤١) ينظر لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٣١ ـ ٣٢ .

الناس هذا تتمتع بقسط وافر من أصالتها، خاصة في جانبها الدلالي المعجمي[٤٢]؛ لأن المظاهر الدلالية في اللغات واللهجات أكثر قدرة من المظاهر الأخرى على مقاومة التغيرات المختلفة والتأثيرات الخارجية، ولذا تكون آخر معاقل اللغة أو اللهجة المهزومة سقوطاً في حالة الصراع اللغوي[٤٣].

إن اللغة المحكية المعاصرة في نَجْد ليست على مستوى واحد، بل تشيع فيها مظاهر لهجية متنوعة؛ خاصة في المستويين الصوتي والصرفي، وهي مظاهر واضحة مميزة لأصحابها، يدركها عامة الناس بَلْهَ اللغويين المتخصصين؛ فالحاضرة من أهل نَجْد لهم لهجات متباينة، تنسب إلى الأقاليم النَّجْدية، فيقال مثلاً: لهجة أهل الرِّياض، لهجة أهل القَصِيْم، لهجة أهل سُدَير[٤٤]، بل إن بعض البلدات والقرى في

---

(٤٢) ألف شيخنا معالي الشيخ محمد بن ناصر العُبُودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي ـ متعه الله بالصحة والعافية ـ معجماً ضخماً يقع في ثلاثة عشر مجلداً، سماه (معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة)، صدرت أولى طبعاته في عام ١٤٣٠هـ .

ولي في ألفاظ اللهجة النجدية وتأصيلها بحث عنوانه : (من معجم اللهجة النجدية في القرن الثاني عشر الهجري) نشر القسم الأول منه في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا بمصر، في العدد الحادي والسبعين، يوليو ٢٠١٠ م، وسوف أنشر بقيته بإذن الله .

(٤٣) عرف المهتمون هذه الميزة للهجات الجزيرة العربية؛ فجاء في الفقرة الثالثة من توصيات ندوة (ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية) التي عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض، في المدة من ٢٣ـ ٢٥ / ٥ / ١٤١٦هـ، الموافق ١٧ـ ١٩ / ١٩٩٥م ـ وكنت ممن شارك فيها ـ ما نصه : " التوكيد على أن الجزيرة العربية هي بيئة الفصحاء والبلغاء، وأنها لا تزال مرجعاً للاستيثاق من أصالة المفردات، وسلامة مخارج الحروف، وأن اللغة العامة فيها وإن أخطأت الفصيح في التركيب، فإنها لا تخطئه في اللفظ المفرد، على أن يُربط ذلك كله بالأخذ بأسباب الريادة اللغوية " .

(٤٤) سُدَيْر : ينطقه أهل نَجْد اليوم : سْدَير ـ بإسكان أوله مع همزة وصل مكسورة، وأكثرهم يُميل فتحة الدال نحو الكسرة ـ إقليم من أكبر أقاليم اليَمامة، في وسط نَجْد، قاعدته مدينة المَجْمَعة، ينظر ما جاء عنه في معجم اليَمامة ١٨/٢ .

الإقليم الواحد تشيع فيها أحياناً مظاهر لهجية تخالف اللهجة السائدة في بقية الإقليم، كما أن البوادي لهم لهجات متباينة أيضاً، تنسب عادة إلى القبائل، فيقال مثلاً: لهجة قبيلة الدَّواسِر، لهجة قبيلة شَمَّر، لهجة قبيلة عُتَيْبة[٤٥]، وهذه اللهجات على وجه العموم تضرب بجذورها إلى اللهجات العربية القديمة، واختلافها امتداد لاختلاف لهجات القبائل العربية التي رصدها ودونها قدماء اللغويين، كما تقدم بيانه قبل قليل، ولا عجب في هذا؛ فبلاد نَجْد من أهم المواطن التي أَمّها جُمّاع اللغة الأوائل لتدوين الفصيح[٤٦]، وما أهلها اليوم إلا أبناء أهلها بالأمس.

وإذا كانت بلاد نَجْد هي قلب جزيرة العرب، فإن منطقة القَصِيْم التي يعنى هذا البحث بربط بعض المظاهر اللهجية الدلالية فيها بجذورها العربية القديمة تشغل مساحة شاسعة من وسط هذا القلب[٤٧]، ولذا فاللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة سائرة على منوال بقية اللهجات النَّجْدية مطبوعة بطوابعها؛ فالمتأمل في مظاهرها يجد كثيراً منها امتداداً للهجات نسبها اللغويون الأوائل إلى المَواطن والقبائل العربية، ففيها مثلاً مما نسبوه إلى تَمِيم وإلى قَيْس وإلى طَيِّئ وغيرها، ومما نسبوه إلى أهل نَجْد واليَمَن[٤٨]، وبحثنا هذا منصب على أثر من آثار اللهجات اليَمَنية فيها يتصل بالمستوى الدلالي، كما هو واضح من عنوانه.

---

(٤٥) ينظر تعريف بهذه القبائل في معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٢٠٥/١، ٣٥٥، ٤٤٩/٢، على الترتيب . وعُتَيْبة تُنطق اليوم : عْتَيْبة، بإسكان أوله مع همزة وصل مكسورة، و في بعض لهجات البادية تُبْدَل الياء ألفاً : عْتَابة .

(٤٦) ينظر رواية اللغة ٨٣ ـ ٨٥ .

(٤٧) سبق الحديث عن القَصِيْم وموقعه في التمهيد رقم أ.

(٤٨) لي شغف بتتبع آثار اللهجات العربية القديمة في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة، و قد نشرت لي مجلة العلوم العربية والإنسانية التي تصدر عن جامعة القَصِيْم في عددها الثاني من المجلد السادس الصادر في رجب من عام ١٤٣٤هـ بحثاً عنوانه : (من مَظاهِر لَهْجة طَيِّئ في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة)، وسوف أنشر بحوثاً أخرى تتصل بهذا الشأن بإذن الله .

إن اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة التي أقصدها في هذا البحث، وأحاول ربط بعض الألفاظ الشائعة فيها بأصولها القديمة هي لهجة الحاضرة من أهل القَصِيْم؛ فالقَصِيْم في عمومه لا يشكل وحدة لهجية واحدة، بل تشيع في بعض أمكنته مظاهر لهجية لا تشاركها فيها أمكنته الأخرى؛ فهو إقليم من أكبر الأقاليم النَّجْدية وأكثرها سكاناً[٤٩]، ولمزيد من التحديد أقول: إن هذا البحث منصب على وحدة لهجية واضحة معروفة، إذا أطلق اسم (اللهجة القَصِيْمِيّة) فإنه لا ينصرف إلا إليها حتى في أذهان العوام فضلاً عن ذوي الاهتمام، وهي وحدة لهجية تنتظم إلى حد كبير جداً مدنه الأربع الكبار على وجه الخصوص؛ بُرَيْدة وعُنَيْزة والرَّس والبُكَيْريّة[٥٠]، وعموم البلدات والقرى التي يسكنها الحاضرة من أهله، كالبَدائع والخَبْراء والشِّماسِيّة والمِذْنَب[٥١] وغيرها، لا أستثني من هذا إلا بعض بلداته وقراه الشمالية، في منطقة الجِواء، كعُيُون الجِواء وأُثال[٥٢]، أو الشمالية الشرقية في الأَسْياح، أعني عَيْن ابن فُهَيد وأَبا الدُّوْد[٥٣] وما

(٤٩) سبق الحديث عن القَصِيْم وموقعه ومساحته وعدد سكانه في التمهيد رقم أ.

(٥٠) تنظر أحاديث موسعة عن هذه المدن في معجم بلاد القَصِيْم ٢/٤٥٦، ٤/ ١٦٣٨، ٣/١٠٢٣، ٢/ ٦٢٠.

(٥١) تنظر أحاديث موسعة عنها في معجم بلاد القَصِيْم ٢/٤٤١، ٣/ ٨٦٣، ٤/١٢٧٢، ٦/٢٢٢٩.

(٥٢) تنظر أحاديث موسعة عنهما في معجم بلاد القَصِيْم ٤/ ١٧٨٣، ١/٢٨٤.

(٥٣) تنظر أحاديث موسعة عنهما في معجم بلاد القَصِيْم ١/ ٣١١، ٤/ ١٧٧٢، ١/ ٢٤٨، على الترتيب، وقبل بضع سنوات رأى جماعة ممن يسكنون أبا الدود تغيير اسمه ليصبح أبا الوُرُود، وسعوا إلى الجهات الرَّسمية في هذا فتم لهم، وإنما فعلوا هذا اعتقاداً منهم بقبح الاسم الأول؛ لأن الدُّوْد في اللهجة المحلية اسم للرائحة الكريهة، وفي نظري أنهم تسرعوا في هذا؛ لتغييرهم اسم علم قديم معروف مرتبط بأحداث تاريخية للمنطقة نصت عليها كتب التاريخ، ولأن معنى الدُّوْد المشار إليه معنًى لا وجود له في معاجم الفصحى، فالدُّوْد فيها اسم جنس مفرده دُوْدة، وإنما أطلق العامة على الرائحة الكريهة دُوْداً لأنه يغلب على ما يتولد فيه الدُّوْد من طعام وغيره أن تكون له رائحة كريهة، وهذا الموضع إنما سمي بهذا الاسم لأن ماء المطر يطول لُبْثه فيه فيتولد عنه الدُّوْد، واسمه القديم أبو الدِّيْدان، ينظر معجم بلاد القَصِيْم ١/ ٢٤٩.

بينهما من قرى الحاضرة؛ ففي هذه البلدات والقرى تشيع بعض الظواهر اللهجية التي لا توجد في سائر مدن القَصِيْم وقراه[٥٤]، وسوف أنبه على ما يعرض لي من هذا في ثنايا البحث.

أما لهجة بادية القَصِيْم ممن يعيشون في براريه أو في هِجَره[٥٥] أو استوطنوا حديثاً في مدنه وقراه، فتختلف اختلافاً واضحاً عن لهجة حاضرته، ثم إن البوادي في نَجْد لا تنضبط نسبتها إلى منطقة دون أخرى؛ لأنها كانت إلى وقت غير بعيد غير مستوطنة، بل تجوب مناطق نَجْد وغيرها، فهي لم تستقر في الحواضر والقرى إلا بأخرة[٥٦]، بعد أن أفاء الله على أهل البلاد السعودية ما أفاء من الازدهار الاقتصادي الذي غَيَّر في حياتهم وأساليب عيشهم وثقافتهم ما غَيَّر، يضاف إلى هذا أن البوادي التي استقرت في القَصِيْم وغيره ليست على لهجة واحدة، بل بينها فوارق لَهْجية لا تخفى على سائر الناس، بَلْهَ اللغوي الخبير، ولذا ينبغي عند تمييز لهجات البادية أو دراستها ألا يكون الضابط مبنياً على المكان، بل على القبيلة، كأن يقال مثلاً: لهجة قبيلة كذا، فإن كانت القبيلة كبيرة كثيرة العدد منتشرة في أكثر من منطقة، وليس لها وحدة لهجية، فلا بأس من المزاوجة بين الضابطين، المكاني والقَبَلي النَسَبي، فيقال مثلاً: لهجة قبيلة حَرْب في القَصِيْم، أو لهجة قبيلة حَرْب في الحجاز.

---

(٥٤) تنظر إشارات إلى هذا الاختلاف الذي تتميز به لهجة أهل منطقة الجِواء في معجم بلاد القَصِيْم ٢/ ٧٦١.

(٥٥) الهِجَر جمع هِجْرة، وهي في عرف أهل نَجْد اليوم: القرية التي سكانها من البادية، وهو عرف حديث نسبياً، ظهر بعد مشروع توطين البادية الذي قام به الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وكانت بدايته في حدود سنة ١٣٣٠هـ.

(٥٦) بدأ هذا الاستقرار بمشروع توطين البادية الذي قام به الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في حدود سنة ١٣٣٠هـ.

ولا يفوتني في نهاية الحديث عن ضابط اللهجة القَصِيْمِيّة التي قصدتها في هذا البحث أن أنبه إلى ما أشار إليه بعض علماء اللغة المحدثين من أنه "يستحيل على أية مجموعة بشرية تشغل مساحة شاسعة من الأرض أن تحتفظ في لهجات الخطاب بلغة واحدة "[٥٧]، وهم يقصدون استحالة التطابق التام الدقيق في كل مظهر من المظاهر اللهجية لهذه المجموعة، وهذا قد يصدق أحياناً على اللهجة القَصِيْمِيّة التي يعيش أهلها في مدن القَصِيْم وقراه التي حددتها آنفاً؛ ولذا فإن بعض المظاهر التي أنسبها إلى هذه اللهجة قد تكون أكثر ظهوراً في بعض أمكنته منها في أمكنته الأخرى، كما أنها قد تموت في مكان في حين لا تزال حية في مكان آخر.

إنَّ القَصِيْم الذي نعنى الآن بدراسة لهجة حاضرته أصبح بفعل ما يتمتع به من مقومات معيشية متنوعة، وما يعيشه من ازدهار اقتصادي من مناطق الجذب السكاني في المملكة العربية السعودية، حيث استوطنت مدنه وقراه خلال الأربعين سنة الماضية أعداد كبيرة من الناس بادية وحاضرة لم يكونوا من أهلها في الأصل، ويعمل فيها أيضاً عدد كبير من غير السعوديين من جنسيات عربية وغير عربية، وهو أمر أدى إلى نشوب صراع لهجي بين لهجة أهله الأصليين التي يخصها هذا البحث وبين اللهجات الأخرى المتعددة لمستوطنيه الجدد، فأثرت كل من هذه اللهجات المتصارعة وتأثرت بنسب متفاوتة، مما أدى إلى تغير بعض معالمها، يحدث هذا ضمن إطار حقيقة لغوية بدأت تشرق شمسها على اللهجات المحلية للبادية والحاضرة في المملكة العربية السعودية، حيث بدأت تهب على هذه اللهجات رياح تغيير قوية، تحركها ظروف عديدة؛ من أهمها التعليم والإعلام، وابتعاد الناس تبعاً لمصالحهم عن بيئاتهم الأصلية التي نشئوا فيها، واختلاطهم في المدن الكبيرة، ونشأة أجيال جديدة في هذه المدن، مما جعل جليد الفوارق اللهجية يبدأ بالذوبان، وقلاعها التي تحرسها

---

(٥٧) ينظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٦٣ .

سيطرة البيئات الخاصة لا تصمد لجيوش التغيير، وكل ذلك مؤذن بحقبة امتزاج لهجي بدأنا نراه واضحاً للعيان في خطاب الأجيال الشابة وكتاباتها غير الرَّسمية، مما يكتب على شبكة الإنترنت وغيرها، ويبدو لي أن هذا الأمر ليس مقصوراً على المملكة العربية السعودية، بل يمكن طرده على بقية دول الوطن العربي، وإن تفاوت في وضوحه من دولة إلى أخرى؛ تبعاً للظروف التي تحيط بالمجتمعات العربية في تلك الدول؛ فالمجتمع واللغة يتبادلان أثراً عكسياً.

ج) اللهجات اليَمَنيّة القديمة:

المقصود بها، وعلاقتها باللَّهْجة القَصِيْمِيّة المعاصرة:

١- المقصود بها:

أقصد باللهجات اليَمَنية تلك اللهجات التي جاءت منسوبة في مصادر اللغة إلى بلاد اليَمَن، كوصف اللغويين للهجة بأنها لغة يَمانية(٥٨)، أو لغة لأهل اليَمَن(٥٩)، أو ما نسبوه إلى قبائله القحطانية المستقرة فيه أو على أطرافة؛ مثل: الحارث بن كَعْب وخَثْعَم ومَذْحِج وهَمْدان وخَوْلان وحِمْيَر(٦٠)، أو التي هاجرت منه قديماً واستقرت في

---

(٥٨) ينظر مثلاً الجمهرة ٦٠٢/١ .

(٥٩) ينظر مثلاً : العين ١٠٤/٦، والتهذيب ٣٦/١١، واللسان (سطح) ٤٨٥/٢، و التاج (جرن) ١٩٣/٣٤.

(٦٠) ينظر تعريف بهذه القبائل في جمهرة النسب ٢/ ٧٠، ١١٤، ٣٠١، ٣١٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٠، ٣٩٢،٤١١، ٤١٨، ٤٣٢، ٤٧٦، ومعجم قبائل العرب ١/ ٢٣١، ٣٠٥، ٣٣١، ٣٦٥، ٣/ ١٠٦٢، ١٢٢٥ . وتنظر نماذج مما نسبه اللغويون إليها في التهذيب ٤٣/١٤ - ٤٤، و المحكم ٢٤٩/٩، والمخصص ٣٩/٥، و التكملة (ذيخ) ١٤٢/٢ ، واللسان (عيب) ١ / ٦٣٤، و(بلل) ٦٥/١١، و(مطا) ٢٨٦/١٥، والتاج (عيب) ٣ / ٢٨١، و (ذيخ) ٧/ ١٤٣، و(عيش) ١٤٦/١٧، و(مطا) ٢٧١/٣٩ .

نجد، وأقصد بذلك قبيلة طَيِّئ[٦١] وبعض قبيلةالأَزْد[٦٢] ـ وسيأتي عنهما حديث بعد قليل ـ لأن نجداً هو موطن اللهجة القَصِيْمِيّة كما تقدم، أما القبائل اليَمَنية التي هاجرت من اليمن قديماً واستقرت في مواطن أخرى، كخُزاعة والأَوْس والخَزْرَج والغساسنة[٦٣] فلا يشملها البحث.

وهذه اللهجات اليَمَنية محسوبة في الجملة ـ كما هو واضح ـ على اللغة العربية الباقية؛ وإنما وصفتها بالقديمة حتى لا ينصرف ذهن القارئ إلى اللهجات اليَمَنية الحديثة، ولم أقصد بها مطلقاً اللهجات اليَمَنية القديمة التي كشف عنها علماء اللغة المحدثون بعد تمكنهم من فك رموز كثير من النقوش المنتشرة في بلاد اليَمَن، وهي التي يسميها بعض الباحثين بلهجات اللغة اليَمَنية القديمة، ويسميها آخرون بلهجات العربية الجنوبية، ومن أشهرها: المَعِينية والسَّبَئية والحَضْرَمية والقَتْبانية[٦٤].

والموطن الأصلي للهجات اليَمَنية ـ كما هو واضح من اسمها ـ بلاد اليَمَن، فهي منسوبة إليه، واليَمَن وإن استقر في أذهان الناس أنه الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية، فإن الجغرافيين يختلفون في حدوده الشمالية، فالكتابات الجغرافية اليونانية القديمة قبل الإسلام لا تقصره على هذا الجزء فقط، بل تتوسع فيه جداً فتطلقه على كل المناطق التي تعرف اليوم بشبه الجزيرة العربية[٦٥]، أما الجغرافيون العرب المسلمون فقد اتضحت في كتاباتهم حدود اليمن ومعالمه، فهم

---

(٦١) ينظر مثلاً اللسان (رمخ) ٣/ ١٩.

(٦٢) ينظر مثلاً التاج (عيش) ١٤٦/١٧.

(٦٣) ينظر تعريف بهذه القبائل في جمهرة النسب ٢/ ١٩٣، ٢١٠،٢٤٥، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٢، ٣٣٩، ٤٧٠، ومعجم قبائل العرب ١/ ٥٠، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣ / ٨٨٤ .

(٦٤) ينظر فقه اللغة العربية للدكتور كاصد الزيدي ٩٩، ويقارن بفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ٧٢ .

(٦٥) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٦٣ ـ ١٦٦، واللهجات العربية في التراث ٢٠/١ ـ ٢١ .

يقتربون من التحديد الدولي المعاصر لليمن الذي يشمل ما يُسمّى اليوم باليمن الشمالي واليمن الجنوبي، وإن كانوا يمدون حدوده الشمالية والشرقية فيدخلون فيه مناطق لا تدخل اليوم في الجغرافيا الدولية الحديثة ضمن دولة اليمن، وإن تفاوتت أقوالهم في هذا أيضاً(٦٦).

وليس من مقاصد هذا المبحث إيراد تفاصيل مثل تلك الخلافات الجغرافية في تحديد بلاد اليمن، وإنما الغرض بيان الموطن الأصلي للهجات اليَمَنية، فهي واللهجة القَصِيْمِيّة الركنان الرئيسان اللذان يقوم عليهما هذا البحث.

٢- علاقتها باللَّهْجة القَصِيْمِيّة المعاصرة:

عندما لفت انتباهي وجود آثار دلالية للهجات اليَمَنية في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة فكرت في كيفية انتقال هذه الآثار؛ فالقَصِيْم في وسط نجد، ونجد وسط الجزيرة العربية، فهو بعيد عن اليمن !، وأهل القَصِيْم وإن كانوا أهل تجارة قديمة معروفة تجاوزت حدود الجزيرة العربية إلى العراق والشام ومصر والهند(٦٧)، إلا أنهم لم يكن لهم تواصل تجاري فيما أعلم مع اليمن، فكيف حصل هذا التأثر ؟.

---

(٦٦) ينظر صفة جزيرة العرب ٦٥، ومعجم البلدان ٤٤٧/٥، و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٧٠، ومعجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ١٠/ ٤٦٤ وما بعدها، وموسوعة المدن العربية والإسلامية ١٣٠ وما بعدها .

(٦٧) يطلق على هؤلاء التجار اسم عُقَيْل والعُقَيْلات، وينطق أهل نجد الاسمين هكذا : عْقَيْل، العْقَيْلات، وقد ألفت عنهم مؤلفات تحدثت عنهم، مثل :كتاب نجديون وراء الحدود (العقيلات) لعبد العزيز عبد الغني إبراهيم، والعقيلات لإبراهيم المُسَلَّم، كما كتب عنهم أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري بحثاً ضمنه كتابه مسائل من تاريخ الجزيرة العربية .

قد يُظَنّ أن هذه الآثار آثار حديثة طارئة على اللهجة القَصِيْمِيّة، ورثتها اللهجات اليَمَنية الحديثة من أمهاتها القديمة، ثم انتقلت حديثاً إلى اللهجة القَصِيْمِيّة مع الجالية اليَمَنية التي انتشرت للعمل في مناطق المملكة العربية السعودية ــ ومنها منطقة القَصِيْم ــ بعد أن أفاء الله على المملكة ما أفاء من هذا الرخاء الاقتصادي الذي تعيشه اليوم(٦٨)، لكن آثار لهجات العرب القادمين حديثاً للعمل في المملكة من يمنيين ومصريين وسوريين وغيرهم على اللهجات المحلية فيها وإن كان لا يمكن إنكارها، فهي آثار تختلف عن الآثار التي أقصدها في هذا البحث؛ ولا تدخل في حدوده؛ لأنني أتكلم عن آثار موجودة في اللهجة القَصِيْمِيّة المعروفة في القَصِيْم قبل الطفرة الاقتصادية التي حدثت مؤخراً في المملكة العربية السعودية(٦٩)، عندما كانت هذه المنطقة ــ كحال أكثر مناطق المملكة الأخرى ــ بيئة طاردة اقتصادياً؛ فهي عاجزة عن الوفاء بمتطلبات حياة أهلها فضلا عن غيرهم، ولذا كان شبابها في ذلك الوقت يؤمون بعض البلاد العربية المجاورة وغيرها للعمل والتجارة ــ ولم تكن اليَمَن من وجهاتهم في هذا الأمر مطلقاً ـ كما يفعل أهل تلك البلاد اليوم عندما يقدمون للعمل في بلادنا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (٧٠).

---

(٦٨) تتفاوت بدايات قدوم اليَمَنيين للعمل في المملكة من منطقة إلى أخرى، وقد كان قدوم أوائلهم إلى القَصِيْم في بدايات التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري أو قبلها بقليل.

(٦٩) وقد سبق أن بينت ذلك في المقدمة، في الفقرة رقم ٤ من الفقرات التي بينت فيها منهجي في هذا البحث، والتي بينت فيها ضابط الشواهد الشعرية العامية التي أستشهد بها .

(٧٠) آل عمران ١٤٠.

إن الذي ظهر لي بعد تأمل في اللهجة القَصِيْمِيّة وأحوال سكان منطقة القَصِيْم وأنسابهم أن هذه الآثار قديمة موروثة؛ قدمت مع القبائل اليَمَنية التي هاجرت من اليمن باتجاه الشمال؛ فالمتأمل اليوم في الأصول النَّسَبية لكثير من حاضرة سكان مدن القَصِيْم الأربع الكبار وعموم البلدات والقرى التي يسكنها الحاضرة من أهله ــ ولهجة الحاضرة هي التي نعنيها باللهجة القَصِيْمِيّة [٧١] ــ يجدها راجعة إلى قبائل يمنية معروفة هاجرت من اليَمَن باتجاه الشمال في أزمنة مختلفة، فهذه الآثار اللهجية اليَمَنية التي نراها ماثلة في اللهجة القَصِيْمِيّة قديمة موروثة عن أولئك المهاجرين.

إن المتتبع لأنساب حاضرة القَصِيْم اليوم يجد أن نسبة كبيرة منهم تعود أصولهم إلى قبائل عربية يَمَنية معروفة، هي:

١- قبيلة الأَزْد:

ينتسبون إلى أَزْد ــ ويقال أيضاً بالسين: أَسْد، وهذا لقبه، واسمه دِرْء، وقيل: دِراء[٧٢] ـ بن غَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قَحْطان[٧٣]، وهم من أعظم القبائل العربية عموماً واليَمَنية خصوصاً، ويعتقد أن هجرتهم أو بعضهم من اليَمَن إلى الشمال كانت بسبب

---

(٧١) وأقصد بذلك الحاضرة من أهل مدنه وبلداته الأصليين المعروفين المقيمين فيها قبل الاختلاط السكاني الذي حدث في العقود الأربعة الأخيرة بعد أن نعمت المملكة العربية السعودية ـ بفضل الله ـ بالوحدة والأمن والرخاء الذي تعيشه اليوم، وقد سبق أن ذكرت على وجه التحديد مرادي باللهجة القَصِيْمِيّة، عندما تحدثت عنها في المبحث رقم ب من هذا التمهيد .

(٧٢) ينظر التاج (أزد) ٢١٥/٧، وفيه : أنه بالسين أفصح وبالزاي أكثر، كما ينظر اللسان (أزد) ٣/ ٧١ .

(٧٣) ينظر جمهرة النسب ٢/ ١٩٢، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٠، و اللسان (أزد) ٣/ ٧١، ومعجم قبائل العرب ١٥/١ ـ ١٧ .

سَيْل العَرِم الذي اجتاح سَدّ مأرب وهدمه قبل الإسلام بقرون(٧٤)، حيث تفرقوا في الجزيرة العربية وامتدوا إلى أطرافها الشمالية مما يلي بلاد الشام؛ يدل على ذلك مساكن فروعهم التي من أشهرها الأوس والخزرج أهل يثرب أنصار النبي ﷺ، وخُزاعة قرب مكة، والغَساسِنة في الشام، وأَزْد عُمان وأَزْد السَّراة وأَزْد شَنُوْءة وغيرهم(٧٥).

وفي الجزيرة العربية اليوم قبائل معروفة تنتمي إلى الأَزْد(٧٦)، لكنني لن أتعرض إلا للتي لها علاقة بمنطقة القَصِيْم، وأرى أن لها دوراً في انتقال بعض المظاهر اللهجية اليمنية إلى اللهجة القَصِيْميّة المعاصرة، وهي:

أ) الدَّواسِر:

قبيلة كبيرة مشهورة، يقال للواحد منهم: دَوْسَري(٧٧)، ولبعض هذه القبيلة علاقة وثيقة بمنطقة القَصِيْم؛ ذلك أنه من المعروف عند المهتمين أن قبيلة الدَّواسِر تعود إلى فرعين مشهورين، يظهر أنهما اجتمعا على أساس حِلْف قديم؛ الفرع القحطاني: وهو أكبر الفرعين وأكثرهما شهرة، ويسمى المنتمون

---

(٧٤) ينظر معجم قبائل العرب ١٦/١، وينظر ما جاء عن هذا السد واجتياح سيل العَرِم له في: تفسير الطبري ٢٢/ ٧٨، والبداية والنهاية ٢/ ١٥٨، والقاموس الإسلامي ٣/ ٢٨٣، والموسوعة العربية الميسرة ١/ ٩٧٤، وأطلس القرآن الكريم ١٤٧.

(٧٥) وللأزد فروع أخرى ليس هذا محل بسطها، ينظر فيها جمهرة النسب ٤٧٣/١، ١٩٢/٢، ٢٦٤ وما بعدها، وجمهرة أنساب العرب ٣٦٧، ومعجم قبائل العرب ١٥/١ ـ ١٧ .

(٧٦) ينظر كنز الأنساب ١٩٩، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٦١،، وقلب جزيرة العرب١٣١ ـ١٣٢، ٢٣٣.

(٧٧) ينطقه عامة نجد ـ ومنهم أهل القَصِيْم ـ بإمالة فتحة الدال نحو الضمة . والدَّواسِر جمع دَوْسَر، ومن معانيه في اللغة الأَسَد الصُّلْب المُوَثَّق الخَلْق، والجَمَل الضخم الشديد المجتمع ذو الهامة والمناكب، ينظر التاج (دسر) ١٥٧/١١، وللمعنى الأول صلة باسم بعض أجداد الدواسر، كما سيأتي في التعليق التالي على (أولاد زايد).

إليه أولاد زايد[٧٨]، وينتمي إلى قبيلة الأَزْد القحطانية، والفرع العدناني: وينتمي إلى قبيلة تَغْلِب العدنانية، ويسمى المنتمون إليه التَّغالبة[٧٩].

ومنازل الدَّواسِر عموماً في جنوب نَجْد في الوادي المعروف المنسوب إليهم، أعني وادي الدَّواسِر الذي كان يسمى قديماً وادي العَقِيْق[٨٠]، وقد هاجرت طوائف منهم من هذا الوادي إلى جهة الشمال، وانتشرت في البلدان النجدية وغيرها[٨١]، ومن هؤلاء المهاجرين عشيرة من الفرع الأول القحطاني ــ هم آل شِماس[٨٢] ـ هاجروا من وادي الدواسر في حدود القرن الثامن الهجري

---

(٧٨) زايد هذا ـ فيما يذكره النسابون من قبيلة الدَّواسِر ـ لقب للعَتِيْك بن الأَسْد، ودَوْسَر الذي سميت به القبيلة كلها لقب لوالده الأَسْد . وقد جاء نسب العَتِيْك في كتب النسب القديمة هكذا : العَتِيْك بن الأَسْد بن عمران بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد ـ ويقال أيضاً بالسين : الأَسْد، كما تقدم ـ بن غَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قَحْطان، ينظر جمهرة النسب ٢/ ١٩٢، ٢٦٤، وتسمية الأَزْد أو طوائف منهم بالدَّواسِر قديمة، وردت الإشارة إليها في شعر لثابت بن كعب العَتْكي الأَزْدي المعروف بثابت قُطْنة (ت ١١٠هـ)، قاله يمدح قومه الأَزْد في أحداث وقعت بينهم وبين وبني تَمِيم عام ١٠١هـ، تنظر في ديوانه ٦٢، وفي تاريخ الطبري ٤/ ٧٩.

(٧٩) ينظر ما جاء عن الدَّواسِر في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٢٣٧/١، ومعجم قبائل المملكة العربية السعودية ٢٠٥/١، و معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ٣/ ٤٤٠ وما بعدها، وكنز الأنساب ١٩٢، ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٦٠، وانقسام الدواسر إلى فرعين قحطاني وعدناني هو المشهور، ويرى بعض النسابين أن الفرعين كليهما قحطانيان أزديان، ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣٩٣/٦، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٤/١.

(٨٠) ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ عالية نجد٩٧٥/٣ . ووادي الدَّواسِر اليوم محافظة كبيرة تابعة لإمارة منطقة الرياض، وفيها مدن وقرى عديدة قاعدتها مدينة الخَماسِين التي تبعد عن مدينة الرياض إلى جهة الجنوب حوالي ٥٠٠ كيل، ينظر المرجع السابق ٢٦٥/٢ .

(٨١) ينظر جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٢٤٠/١ ـ ٢٤٢، و معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ٣/ ٤٤٠ وما بعدها .

(٨٢) وينطقه العامة بإسكان الحرف الأول والتوصل إلى النطق به بهمزة وصل مكسورة : شْماس . وآل شِماس فرع من الوَداعين من الدَّواسر؛ فهم أبناء شماس بن غانم بن ناصر بن وَدْعان بن سالم بن زايد الدَّوْسَري، وزايد هذا هو جَدّ الفرع القحطاني للدَّواسِر .

واستقروا في القَصِيْم، وأنشؤوا فيه بلدة تعد من أقدم البلدات المعمورة فيه، هي بلدة الشِّماس(٨٣)، ثم أنشؤوا بعد ذلك بلدة الشِّماسِيّة المنسوبة إليها(٨٤)، ولذا فإن الأسر الحضرية الدَّوسَرية في القَصِيْم كثرة كاثرة، سواء من آل شِماس أم من أبناء عمومتهم الذين التحقوا بهم بعد ذلك(٨٥).

---

(٨٣) ينطقها العامة بإسكان الحرف الأول : الشْماس، وهي بلدة قديمة مندثرة الآن، تعد من أقدم بلدان القَصِيْم في وسط نَجْد عمراناً، مسماة باسم جَدّ أهلها شِماس ـ الذي سبق التعريف به قبل قليل ـ حيث أسسها في حدود القرن الثامن الهجري، وسكنها هو وذريته، وظلت مزدهرة حتى خربت عام ١١٩٦هـ، وقد دخلت بقاياها الآن في مدينة بُرَيْدة قاعدة القَصِيْم، وأصبحت حياً من أحيائها يحمل الاسم نفسه، وكان موقع الشِّماس إلى الشمال الغربي منها، وتفرق أهلها في مدن القَصِيْم وقراه، وخاصة مدينة بُرَيْدة وقراها الغربية المسماة بالخُبُوْب، ينظر ما جاء عنها وعن أهلها في معجم بلاد القَصِيْم ١٢٦٧/٣ وما بعدها، و معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ١٣٤/٥، كما ينظر عنوان المجد في تاريخ نجد ٢٨٧/١ ـ ٢٨٨ حوادث سنة ١٢٦٧هـ، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ٣٩٣/٦ ـ ٣٩٥، و جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤١٦/١ وما بعدها .

(٨٤) ينطقها العامة بإسكان الحرف الأول : الشْماسِيَّة، وبعضهم ـ ومنهم أهل القصيم ـ يميلون فتحة الياء نحو الكسرة، وهي بلدة قائمة مزدهرة معروفة في شرقي القَصِيْم، ينظر حديث موسع عنها في معجم بلاد القَصِيْم ١٢٧٢/٣ وما بعدها، و معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ١٣٤/٥.

(٨٥) ويوجد في القَصِيْم أسر كثيرة متحضرة تنتمي إلى البِدارِين من الدَّواسِر ـ وهم أبناء بَدْران بن سالم بن زايد، وزايد هو جَدّ الفرع القحطاني للدَّواسِر ـ ويعتقد أن هجرات هذه الأسر إلى القَصِيْم تمت بعد هجرات أبناء عمهم آل شْماس الذين هم من الوَداعين ـ وهم أبناء وَدْعان بن سالم بن زايد، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة الدَّوْسَرية في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤٨/١، ٥٤، ٦٥، ٨٣، ٨٤، ١١٠، ١٢٥، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٦، ٣١١,٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٨، ٤٠٤، ٤١٨، ٤٢٦، ٤٤٩، ٤٥٥، ٤٦٥/٢، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١٤، ٥١٨، ٥٤٣، ٥٨١، ٥٩٣، ٦٢٤، ٦٣٨، ٦٥٥، ٦٧١، ٦٧٢، ٧٢٩، ٧٣١، ٧٥٦، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٩٠٧، وكنز الأنساب ١٩٢ ـ ١٩٨، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٦٠ ـ ٦٥، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ٣٧٨/٥، ٣٨٤، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٧٩، ٨٣، ٨٥، ١١١، ١٤٩، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ١٢، ٤١، ٤٨، ٥٤، ٨٥، ٩٥، ١٠٩، ١١١، ١١٤، ١١٦، ١٣٠، ١٤٦، ١٥١، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٠، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٥١، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣٢٣، ٣٤٤، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤١٢، ٥٧٥، ٥٨٠.

ب) البُقُوم:

يقال للواحد منهم: بَقَمِي[٨٦]، ينتمون إلى الأَزْد، ومنازلهم في جنوب شرقي الحجاز مما يلي نَجْداً في تُرَبة[٨٧]والخُرْمة وما حولهما[٨٨]، ولا يعرف لهذه القبيلة رحلة جماعية إلى القَصِيْم كقبيلة الدَّواسر، لكن يعيش في مدنه وقراه أسر حضرية غير كثيرة منتمية إليها، حَلَّت فيها في أزمنة مختلفة[٨٩].

٢) قبيلة طَيِّئ:

تنتمي إلى طَيِّئ ـ وهذا لقبه[٩٠]، واسمه جُلْهُمة ـ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُرَيْب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان[٩١].

---

(٨٦) وينطق العامة الاسمين هكذا : بْقُوْم، بْقُمِي؛ بإسكان الحرف الأول والتوصل إلى النطق به بهمزة وصل مكسورة، كما ينطقون القاف بصورة تشبه الجيم القاهرية، لكنها أكثر عمقاً في الفم، و أكثر استعلاء وتفخيماً، ونطقهم للقاف هو في نظري الصورة التي رواها اللغويون في نطق القاف ونسبوها إلى تَمِيم ينظر: الجمهرة ١/ ٤٢، والصاحبي ٣٦ .

(٨٧) وينطقها العامة : تْرُبة؛ بإسكان الحرف الأول والتوصل إلى النطق به بهمزة وصل مكسورة .

(٨٨) ينظر كنز الأنساب ٢١١، وقلب جزيرة العرب ١٣١، و معجم قبائل العرب ٨٩/١، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٤٣، كما ينظر ما جاء عنهم في معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ٤٣٦/١. وتُرَبة والخُرْمة اليوم محافظتان من محافظات المملكة، تتبعان لإمارة مكة المكرمة، تبعد تُرَبة عن مدينة الطائف حوالي ١٨٠ كيلاً، في حين تبعد عنها الخرمة حوالي ٢٣٠ كيلاً، وكلتاهما باتجاه الجنوب الشرقي، ينظر معجم معالم الحجاز ٢٠/٢ ـ ٢٣، ١١٨/٣ .

(٨٩) تنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتمية إليها في كنز الأنساب ٢١١، ومنهاج الطلب ٤٨ ـ ٤٩، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤٩/١ ـ ٥٠، ٣٩٦، ٥١٨/٢، ٧٤٤، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٣٤، ٥٤، ١٣٣، ١٤٥، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٢٧، ٤٣.

(٩٠) وفي سبب تلقيبه بهذا اللقب خلاف؛ ينظر في : الاشتقاق لابن دريد ٣٨٠، واللسان (طوأ) ١/ ١١٦، والتاج (طوأ) ١/ ٢٣٠، وقد استقصى المصدر الأخير أقوال العلماء في هذه المسألة.

(٩١) وفي بعض أفراد هذه السلسلة النسبية خلاف بين المصادر إثباتاً وحذفاً وتقديماً وتأخيراً؛ يقارن بين ما جاء في : جمهرة أنساب العرب ٣٩٨، ٤٧٦، ونهاية الأرب ٢٩٧، واللسان (طوأ) ١/ ١١٦، والتاج (طوأ) ١/ ٢٣٠.

وتُعَدّ طَيِّئ من أكبر القبائل القحطانية وأكثرها شهرة، واليَمَن أول مساكنها[٩٢]، وقد خرجت منه قديماً، على أثر خروج الأَزْد منه[٩٣]، بعد سَيْل العَرِم وخراب سَدّ مأرب ــ كما تقدم ــ و هاجرت شمالاً فسكنت بلاد الجَبَلَين ــ وهما أَجا وسَلْمَى[٩٤] ــ في شمالي نَجْد[٩٥]، ثم كان لفروع منها هجرات من بلاد الجَبَلَين بعد الإسلام؛ فسكنوا العراق والشام ومصر والأندلس[٩٦]، لكن بلاد الجَبَلَين هي موطن هذه القبيلة الذي عرفت به وعرف بها، حيث ارتبط اسم الجَبَلَين قديماً بها فعرفا بجَبَلَي طَيِّئ[٩٧]، كما ارتبط اسمهما حديثاً بقبيلة كبيرة تنتمي إليها، هي قبيلة شَمَّر، كما سيأتي الحديث عنها بعد قليل.

وفي الجزيرة العربية اليوم وفي خارجها قبائل معروفة تنتمي إلى طَيِّئ، لكن ليس هذا محل الحديث عنها[٩٨]، ويظهر أن علاقة منطقة القَصِيْم ببعض هذه الفروع علاقة وثيقة موغلة في القدم؛ حيث يُعْتَقَد أن بعض مواضع القَصِيْم كانت من منازلها قديماً،

---

(٩٢) وكانت لهم فيه مواضع، مثل: الشِّحْر، والجَوْف، ينظر معجم البلدان ٩٤/١ ـ ٩٩، واللهجات العربية الغربية القديمة ٣٤٢.

(٩٣) ينظر معجم قبائل العرب ٦٨٩/٢ .

(٩٤) ينظر معجم البلدان ٩٤/١ ـ ٩٩ .

(٩٥) وتسمى منطقتهما اليوم منطقة حائل، وسيأتي الحديث عنها بعد قليل . ويخطئ بعض من يعرض للهجات من معاصري اللغويين عندما يحددون موقع الجبلين بأنه في الحجاز أو في شماليه، ينظر مثلاً اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٢٧، أو يحتارون في تحديده بين نجد والحجاز، ينظر مثلاً لغة طَيِّئ وأثرها في العربية ٢٩؛ وذلك لعدم رجوعهم إلى المراجع الجغرافية الحديثة المختصة، واعتمادهم فقط على أقوال بعض البلدانيين القدماء ممن لم يعرفوا هذه الديار عن قرب .

(٩٦) ينظر جمهرة أنساب العرب ٣٩٨، ٤٠٤، ومعجم البلدان ٢٠٧/٢، ٤/ ١٧١، وسبائك الذهب ٢٤٧.

(٩٧) ينظر صفة جزيرة العرب ٥٨ ـ ٥٩، ومعجم ما استعجم ١/ ١٠٩، ٧٥٠/٣، ومعجم البلدان ٩٤/١.

(٩٨) ينظر موسوعة عشائر العراق ٢/ ٧٨، و معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٣٥٥/١، ٦٠٩/٢، وكنز الأنساب ١٦٧، ١٨٨ـ ١٨٩، ٢١١، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٥٩، ٦٦، ٩٥ ـ ٩٨.

بل إن أسماء بعض هذه المواضع يعتقد أنها منسوبة إلى بعضها ؛ كالنَّبْهانية التي يقال : إنها منسوبة إلى نَبْهان بن عمرو ، وهو أبو حَيّ من طَيِّئ[٩٩] ، لكني سأقصر الحديث هنا على القبائل المنتمية إلى طَيِّئ ولها دور في انتقال بعض المظاهر اللهجية اليمنية إلى اللهجة القَصِيْميّة ، وهي كما يلي :

أ) شَمَّر:

قبيلة كبيرة شهيرة ، تعد في العصر الحاضر أحد الفروع الكبيرة لقبيلة طَيِّئ[١٠٠] ، وهي الفرع الذي ظل حتى العصر الحديث يسكن الجبلين اللذين تقدم أنهما يعرفان قديماً بجَبَلَي طَيِّئ ، ولذا أصبحا يعرفان عند العرب المحدثين بجَبَلَي شَمَّر أو بجَبَل شَمَّر[١٠١] ، ولا تزال قبيلة شَمَّر تسكن منطقتهما وتختص بأكثرها إلى يوم الناس هذا ، وإن كانت فروع وأسر منها قد هاجرت في أوقات مختلفة من العصر الحديث وقبله واستقرت في مواطن أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، كالشام والعراق[١٠٢] .

---

(٩٩) وهي بلدة عامرة في غرب القَصِيْم، ينظر معجم بلاد القَصِيْم ٢٣٩٢/٦.

(١٠٠) ينظر معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٣٥٥/١، وكنز الأنساب ١٦٧، وعشائر العراق ١/ ١٢٧، وموسوعة عشائر العراق ٢/ ٢٦ ـ ٢٧، ومعجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ١٦٠/٥، ومنهاج الطلب ٦٦، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٢٨٣، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤١٩/١، وجاء فيه : " وكانت شمر في الأصل فرعاً صغيراً من طَيِّئ فأصبح يجمع كثيراً من الفروع من طَيِّئ ومن غيرها " .

(١٠١) على تثنية المضاف أو على إفراده، والإفراد أكثر استعمالاً، ينظر قلب جزيرة العرب ١٢، والبلاد العربية السعودية ١٨٦، وشبه جزيرة العرب (نجد) ٧٥، ومعجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ١٣٦/٥.

(١٠٢) ينظر معجم قبائل العرب ٢/ ٦٠٩، وموسوعة عشائر العراق ٢/ ٢٧، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤١٩/١ .

إن بلاد الجَبَلَين ــ وتسمى اليوم منطقة حائل[١٠٣] ـ هي المنطقة التي تحد منطقة القَصِيْم من جهة الشمال، وبين المنطقتين تاريخ طويل مشترك، وعلاقات متنوعة ضاربة بجذورها في أعماقه؛ سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، وإن كانت العلاقات السياسية قد مرت في العصر الحديث ــ قبل توحيد البلاد على يد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ــ بتقلبات سادها في الغالب العداء والتنافس السياسي، وإن تخللتها أيضاً فترات اتسمت بالود والتحالف[١٠٤].

(١٠٣) وينطقها عامة الناس اليوم : حايِل ـ بإبدال الهمزة ياء ـ وحائل في الأصل اسم لوادٍ من أودية جبلي طَيِّئ، وهو اليوم اسم لمدينة كبيرة من مدن شمال نجد في المملكة العربية السعودية، سميت منطقتها كلها باسمها، نشأت في موضع الوادي المذكور فسميت باسمه، وكانت تسمى في بدء أمرها قرية حائل، ثم حذف المضاف فصار اسمها مطابقاً لاسم الوادي، وهي اليوم عاصمة المنطقة، ونشأتها متأخرة بعد القرن الحادي عشر الهجري، وكانت عاصمة لإمارة آل رَشِيد، التي قامت عام ١٢٥١هـ، وانتهت عام ١٣٤٠هـ ،. ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – شمال المملكة ٣٧٩/١ ـ ٣٩٤، وإمارة آل رَشِيد ٤٩، ١٨٩.

(١٠٤) يبدو أن التنافس بدأ عندما غزا أمير بُرَيْدة وعموم القَصِيْم عدا عُنَيْزة حُجَيلان بن حَمَد (ت ١٢٣٤هـ) بلاد الجَبَلَين عام ١٢٠١هـ، ونشر فيها الدعوة السَّلفية، وذلك في عهد الدولة السعودية الأولى، ينظر روضة الأفكار والأفهام ٢/ ٨٦٥، وعنوان المجد ١/ ٢٦٠، ثم استمر هذا التنافس طوال فترة إمارة آل رَشيد في حائل، التي بدأت عام ١٢٥١هـ، و انتهت عام ١٣٤٠هـ، وكان من نتائجه معارك طاحنة بين أهل المنطفتين، مثل معركة بَقْعاء عام ١٢٥٧هـ، ومعركة المُلَيْداء عام ١٣٠٨هـ، وإن تخللت هذه المدة فترات محدودة من التحالف والود، ومن أشهرها التحالف الذي تم في حدود عام ١٢٩٣هـ، واستمر إلى حدود عام ١٣٠٦هـ، ينظر في هذه الأحداث عنوان المجد ٢/ ١٨٨، وتذكرة أولي النُّهَى والعِرفان ١/ ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٨٥، والأحوال السياسية في القَصِيْم في عهد الدولة السعودية الثانية ١٢٢، ٢٣٤ ـ ٢٧٠، وإمارة آل رَشِيد ١٢١.

كما أن بين المنطقتين هجرات سكانية متبادلة قديمة وحديثة، أملتها ظروف مختلفة؛ فكثير من الأسر المتحضرة المستوطنة في مدن القَصِيْم وبلداته وقراه تنتمي إلى قبيلة شَمَّر[١٠٥] التي تسكن بلاد الجَبَلَين.

ب) بنو لَأْم[١٠٦]:

قبيلة معروفة، تنتمي إلى طَيِّئ[١٠٧]، سكنوا بلاد الجبلين من نَجْد، كما سكنوا المدينة المنورة وما حولها[١٠٨]، ومن منازلهم في القرنين التاسع والعاشر الهجريين عالية

---

(١٠٥) ينظر جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤١٩/١، وجاء فيه : " وتحضر هذه القبيلة قديم في موطنها، كما انتشرت أسر منها في منطقة القَصِيْم وفي غيرها من مناطق نجد "، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة الشَّمَّرية في المصدر السابق ١/ ٢٩، ٣٨، ٤٢، ٤٧، ٥٧، ٩١، ٩٥، ٩٧، ١١٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩، ١٨٠، ٢٢٥، ٢٨٧، ٣١٠، ٣١١، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢، ٢/ ٤٦٨، ٥٠٨، ٥٥٥، ٥٨١، ٦٠٠,٦١١، ٦١٢، ٦١٤، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٤٦، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٧٤، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٤٣، ٧٦٦، ٧٧٢، ٧٧٣، ٨١٦، ٨١٧، ٨٥٥، ٨٥٩، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٩٤، ٩١٢، ٩١٣، وكنز الأنساب ١٧٨ ـ ١٧٩، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٦٧ ـ ٦٨، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٣٣، ٣٤، ٤٢، ٤٧، ٥٥، ٦٨، ٧٣، ٧٨، ٨٠، ٩٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧,١١١، ١١٥، ١١٦، ١٥٣، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ١٨، ٢٦، ٣١، ٤٠، ٤١، ٤٩، ٥٠، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٩٥، ١٤٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٥، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٩٨، ٣٢٣، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧٠، ٤٠٧، ٤١٤، ٤١٦، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٦ .

(١٠٦) ويقال أيضاً بتسهيل الهمزة إلى الألف : لام، وعلى هذا الوجه تنطقه العامة في نَجْد، والمصادر والمراجع تكتبه أحياناً بالألف، ينظر مثلاً نهاية الأرب ٣٩٦، ومعجم قبائل العرب ٣ / ١٠٠٧، وأحياناً بالهمزة، ينظر مثلاً جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٩٣/٢ .

(١٠٧) ينظر نهاية الأرب ٣٩٦، ومعجم قبائل العرب ٣ / ١٠٠٧، ومعجم قبائل المملكة العربية السعودية ٢/ ٦٠٩، وكنز الأنساب ٢١١، وموسوعة عشائر العراق ٢/ ١٩٦، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٥٩، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٩٣/٢ .

(١٠٨) ينظر نهاية الأرب ٣٩٦، ومعجم قبائل العرب ٣ / ١٠٠٧، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٩٨/٢.

نَجْد[١٠٩]، كما سكنوا أسافلها أيضاً[١١٠]، وفي القرن الحادي عشر الهجري نزحوا من نجد إلى العراق، حتى لم يبق فيه من باديتهم أحد[١١١]، لكن كثيراً من الأسر المتحضرة المنتمية إليهم ظلت تعيش في القرى والحواضر النجدية إلى اليوم[١١٢]، ومن هذه القرى والحواضر القرى والحواضر القَصِيْمية التي يعيش فيها اليوم أسر كثيرة تنتمي إلى بني لَأْم، وخاصة من فروعهم: آل فَضْل وآل كَثِيْر وآل مُغِيْرة[١١٣]، وإن لم تكن هذه الأسر بكثرة أخواتها الطائية المنتمية إلى قبيلة شَمَّر التي سبق الحديث عنها.

---

(١٠٩) ينظر كنز الأنساب ٢١١، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٩٣/٢ .

(١١٠) ينظر منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٥٩، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٩٣/٢ .

(١١١) ينظر معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٢/ ٦٠٩، كما ينظر عنوان المجد في تاريخ نجد ٢/ ٣٣٣، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ٥٣، وجاء فيهما في حوادث سنة ١٠٨٥هـ : أنه في هذه السنة انحدرت بوادي الفضول إلى جهة الشرق . والفُضُول ـ ويسمون آل فَضْل أيضاً ـ أحد فروع بني لَأْم، كما سيأتي .

(١١٢) ينظر جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٦٩٣/٢، ومعجم قبائل المملكة العربية السعودية ٢/ ٦٠٩، و منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٥٩ .

(١١٣) فَضْل و كَثِيْر ومُغِيْرة ينطقها الناس في نجد اليوم : فَضِل، كِثِيْر، مْغِيْرة، وينظر ما جاء عن هذه الفروع والأسر المنتمية إليها في القَصِيْم وغيره في كنز الأنساب ١٨٨ ـ ١٨٩، ٢١١، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٥٩، ٩٥ ـ ٩٨، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد٢/ ٦٤٦، ٦٨٥، ٧٨٧، وتنظر نماذج من الأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتمية إليها في المصدر الأخير ١/ ١٢٥، ١٧٥، ٣٨١ ـ ٣٨٢، ٣٩٨، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٥٧، ٢/ ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٣، ٥٨٩، ٦٢٩، ٦٤٦، ٦٨٥، ٦٩٣، ٧٥٩، ٥٧٢، ٥٨٠، ٥٨٩، ٦٥٨، ٧٤٩، ٧٥٩، ٧٦١، ٧٧٤، ٧٨٧، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٤٨،٩٠، ١١٦، ١٢٧، ١٣٦، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٢٩، ٤٢، ١٠٣، ١٦٣، ١٦٤ ، ٢٢٣، ٢٤٢، ٢٤٣، ٣٠٥، ٣٢١، ٣٤٧، ٣٩٤ .

لهذا وذاك فلا عجب أن تسهم قبيلة طَيِّئ اليَمَنية الأصل وسليلتيها قبيلة شَمَّر وبنو لَأْم في نقل المظاهر اللهجية اليَمَنية ـ ومنها المظاهر الدلالية التي هي موضوع بحثنا ـ إلى اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة(١١٤).

٣- قبيلة يام:

وهم بنو يام بن أَصْبَى بن دافع، بطن كبير من بطون قبيلة هَمْدان القبيلة اليَمَنية المعروفة(١١٥)، وموطن يام في الأصل في جنوب غرب جزيرة العرب، وتحديداً في بلاد نَجْران وما حولها(١١٦)، ولا تزال هذه القبيلة معروفة باسمها تسكن موطنها نَجْران إلى يوم الناس هذا، فاليامِيّ نسبة معروفة مشهورة اليوم في الجزيرة العربية عامة ومنطقة نَجْران خاصة، ولقبيلة يام فروع معروفة ليس هذا محل تفصيلها(١١٧)، لكنني سأقصر الحديث هنا على فرع واحد منها؛ لعلاقته

---

(١١٤) تحدثت عن آثار اللهجة الطائية في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة في بحث مستقل، عنوانه : (من مَظاهِر لَهْجة طَيِّئ في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة) نشرته هذه المجلة في عددها الثاني من المجلد السادس الصادر في رجب من عام ١٤٣٤هـ .

(١١٥) ينظر جمهرة النسب ٣٠٥/٢، وجمهرة أنساب العرب ٣٩٢ ـ ٣٩٤، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٩٧ ـ وقد حُرِّف أَصْبَى في طبعة هذا المصدر إلى أَصْفَى ـ ومعجم قبائل العرب ١٢٥٩/٣، ومعجم قبائل المملكة العربية السعودية ٧٩٥/٢ .

(١١٦) ينظر قلب جزيرة العرب ٢٠٣، ومعجم قبائل العرب ١٢٥٩/٣. ونَجْران اليوم إحدى مناطق المملكة العربية السعودية، وتقع في جنوب غرب المملكة على الحدود مع اليمن، وعاصمتها مدينة نَجْران .

(١١٧) ينظر معجم قبائل العرب ١٢٥٩/٣، ومعجم قبائل المملكة العربية السعودية ٧٩٥/٢، وكنز الأنساب ٢٢٨، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٣٤٩، وقلب جزيرة العرب ٢٠٤، و معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ٥/ ١٣٤.

بمنطقة القَصِيْم، وأرى أن له دوراً في انتقال بعض المظاهر اللهجية اليمنية إلى اللهجة القَصِيْميّة المعاصرة، وهذا الفرع هو:

ـ العُجْمان(١١٨):

يقال للواحد منهم عَجْمي، تُعَدّ من أشهر فروع قبيلة يام(١١٩)، هاجرت من موطنها نَجْران في أواخر القرن الثاني عشر الهجري واستقرت في شرقي الجزيرة العربية، فيما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وخاصة في محافظة الأَحْساء(١٢٠)، وإن كانوا في الشتاء يدخلون نَجْداً ويتوغلون فيها فيصلون إلى حدود القَصِيْم(١٢١)، و قد نالت هذه القبيلة شهرة واسعة؛ حتى إن اسم يام إذا أطلق في نَجْد في العهود الأخيرة لا ينصرف إلا إليها(١٢٢)، ولهذه القبيلة علاقة وطيدة بمنطقة القَصِيْم؛ ذلك أن من المعروف عند المهتمين أن عدداً كبيراً من الأسر المتحضرة في القَصِيْم، وخاصة في مدينة الرَّس ــ وهي المدينة الثالثة في القَصِيْم(١٢٣)ــ تنتمي إلى العُجْمان؛ فكثير من الأسر في هذه المدينة يعود نسبهم إلى أبي الحُصَيْن محمد بن علي

---

(١١٨) وينطقه أكثر العامة من أهل نَجْد بكسر العين .

(١١٩) ينظر معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٤٥٢/٢، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٥٢٢/٢، وكنز الأنساب ١٨٠، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٧٧، وقلب جزيرة العرب ١٨٢، كما ينظر ما جاء عنهم في معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء ١٣٦/٦.

(١٢٠) ينظر العُجْمان وزعيمهم راكان بن حثلين ٣٣، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٣٤٩.

(١٢١) ينظر قلب جزيرة العرب ١٨٠، ومعجم قبائل العرب ٧٥٨/٢ ـ ٧٥٩ .

(١٢٢) ينظر قلب جزيرة العرب ٢٠٣ ـ ٢٠٤، ومعجم قبائل العرب ١٢٥٩/٣، وقد حُرِّف اسم العُجمان في المرجع الأخير إلى الجمعان ! .

(١٢٣) سبق الحديث عن القَصِيْم ومدنه الرئيسة ... في التمهيد رقم أ.

بن حَدَجة العَجْمِي[١٢٤] الذي استقر هو وذريته في الرَّس قبل هجرة قبيلته العُجْمان من نَجْران إلى شرقي الجزيرة العربية، وذلك في حدود القرن العاشر الهجري[١٢٥].

٤- قبائل أخرى:

يوجد في القصيم أسر حضرية تنتمي إلى أصول قحطانية يمنية أخرى، ولكنها قليلة جداً إذا قيست بالأسر المنتمية إلى القبائل الثلاث الآنفة الذكر؛ مثل الأسر المنتمية إلى العَفالِق الذين يرجعون إلى قبيلة خَثْعَم، إحدى القبائل

---

(١٢٤) ينظر ما جاء عن أبي الحصين وذريته في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١٤٨/١، وكنز الأنساب ١٨١، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ٣٦٢/٦، ومعجم بلاد القَصِيْم ١٠٢٦/٣، والعُجْمان وزعيمهم راكان بن حثلين ٣٤ ـ ٣٥، وقد وقع في المصدر الأول فقط (حُدَيْجان) بدل (حَدَجة) و وقع في الثالث فقط (حَدْجان)، فلعل ما في أحدهما هو الأصل، و حَدَجة تمليح له اشتهر وذاع، والعامة كثيراً ما يتصرفون في الاسم لأغراض من أهمها التمليح . وينطق العامة في نَجْد (حُدَيْجان) و(حَدَجة) بإسكان الأول والتوصل إليه بهمزة وصل مكسورة وإمالة فتحة الدال نحو الكسرة في الاسم الأول وكسرها من الثاني، هكذا : حْدَيجان، حْدِجة، وبعض العامة ـ ومنهم أهل القَصِيْم ـ يميلون ما قبل تاء التأنيث نحو الكسرة .

وللاستزادة من الأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتمية إلى العُجْمان ينظر جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٩٨/١، ١٠٢، ١١٠، ١٣٠، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٩٥، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٦٧/٢، ٥٢٩، ٥٤٣ ، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٨٨، ٦٢٣، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٧٢، ٧٥٥، ٧٩٨، ٨٤٣، ٨٩٧، وكنز الأنساب ١٨٠ ـ ١٨٢، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٧٧ ـ ٧٩، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ٥٢٦/٢، ٤١٥/٥، ٩٥/٦، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٣٣، ٥٤، ٦٨، ٨٩، ١٠١، ١٠٦، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٨، ٢٣، ٤١، ٤٦، ٨١، ١٠٣، ١٦٨، ٢٠٥، ٢٦٥، ٢٨٦، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٥ ، ٣٨٤، ٣٨٩، ٥٩٥ .

(١٢٥) ينظر معجم بلاد القَصِيْم ١٠٢٦/٣، وبحث عن تاريخ الرس لعبد الله العقيل، منشور على الشبكة العنكبوتية.

القحطانية الكبيرة[١٢٦]، ومثل بني زَيْد المنتمين إلى قُضاعة القحطانية[١٢٧]، ومثل قبيلة حَرْب الخَوْلانية القُضاعية[١٢٨]، وإن كانت الأسر الحضرية القَصِيْميّة المنتمية

---

(١٢٦) وهم بنو خَثْعَم بن أَنْمار بن إراش بن عمرو بن غَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قَحْطان، ينظر ما جاء عنها في جمهرة النسب ٢/ ١٧٥، ١٨٦، وجمهرة أنساب العرب ٢٩٠، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٢٧، ينظر ما جاء عن فرعها العَفالِق في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٥٥١/٢ ـ ٥٥٣، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتسبة إليهم في المصدر السابق نفسه ٢٦/١، ٩٥، ١٢٢، ٢٤٦، ٣٢٦ ، ٣٣٥، ٣٥٨، ٣٦٢، ٤٤٢، ٥٤٨/٢ ٥٨٩، ٥٩٨،كما ينظر ما جاء عنهم في أيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٣٦٧، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتسبة إليهم في المصدر السابق نفسه٦٠، ١٠٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٠ ، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٩٩ ـ ١٠٢، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٤٧، ٤٩، ٥٩، ٧٧، ٧٨، ٨٩، ١٠٤، ١١٥، ١٣١، ١٣٤.

(١٢٧) تنسب إلى قُضاعة بن مالك بن عمرو مرة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر، وإن كان بعض النسابين يجعلها عدنانية، ينظر جمهرة النسب ٣٣٢/٢، وجمهرة أنساب العرب ٤٤٠، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٥٨، ومعجم قبائل العرب ٩٥٧/٣،كما يرى بعض النسابين أن بني زيد يرجعون إلى قبيلة عَبِيْدة، وهي قحطانية أيضاً، ينظر ما جاء عنهم في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٣١٤/١ ـ ٣١٦، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتسبة إليهم في المصدر نفسه ٢٢٣/١، ٢٥٩، ٢٩٠، ٣١٤، ٤١٩، ٤٩٥/٢، ٥١٨، ٦٠٥، ٦٠٦، ٨٣٠، ٩١٢،كما ينظر ما جاء عنهم في أيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٢٢٤، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتسبة إليهم في المصدر السابق نفسه ١٦، ٣٨، ١٧٨، ٢٢٤، ٢٣١، ٤٠١، وفي منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ١٠٣ ـ ١٠٨، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٤٨، ٤٩، ٦٧، ٧٧، ٩٣، ١٠١، ١٠٧، ١٢٠، ١٣٨ .

(١٢٨) الصحيح المشهور أن قبيلة حَرْب قحطانية خولانية تنسب إلى حَرْب بن سعد بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، وإن جاء في بعض كتب النَّسَب أنها عدنانية، ينظر نسب حرب ١٧ وما بعدها، وكنز الأنساب١٥١،، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ١٠١ ـ ١٠٢، وقد وصف الشيخ حمد الجاسر رحمه الله القول بنسبتهم إلى العدنانية بأنه لا يُعَوَّل عليه، ينظر كتابه جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١٢٩/١ـ ١٣٠. والقول بقحطانية هذه القبيلة لا يمنع من دخول بعض من ينتسبون إلى العدنانية فيها عن طريق الحلف .

إليها قليلة أيضاً[١٢٩] إذا قيست بالأسر المنتمية إلى العَفالِق وبني زيد، لكن حَرْباً تختلف عنهما في أن لها بادية كثيرة جداً سكنت بأخرة في مدن القَصِيْم وقراه، ولكن حدود هذا البحث لا تشملها؛ فهو مختص بلهجة الحاضرة، كما سبق توضيحه[١٣٠].

ثانياً: دراسة الألفاظ مرتبة على جذورها

بلل:

بِلّ و بَلال: اسمان يستعملان في اللهجة القَصِيْمِيّة بمعنى مُباح، ويقتصر استعمالهما ـ فيما أعلم ـ على قول مأثور يتداوله العامة؛ حيث يقولون عند إرادة المبالغة في التعبير عن حِلّ أمر من الأمور وإباحته: " حَلالٍ بَلال "، وبعضهم يقول: " حِلّ وْ بِلّ "، وإلى عهد قريب أدركته كان الأطفال منهم إذ سابق أحدهم أقرانه على الوصول إلى شيء يريد أن يستأثر به دونهم يقول عند وصوله إليه: " حِلِّي بِلِّي " أو: " حَلالِي بَلالِي "[١٣١]، لكن هذه العبارات اختفت الآن من على ألسنة الناشئة أو تكاد.

وقد روت مصادر اللغة عن العرب قولهم في إباحة الشيء: " هو لك حِلٌّ وبِلٌّ"، و ذكرت اختلاف اللغويين في معنى اللفظ الثاني؛ فقيل: معناه شِفاء، من قولهم: " بَلّ فُلانٌ من مَرَضِه و أَبَلّ "، إذا شُفِي، وقيل: هو لفظ جاء على سبيل

---

(١٢٩) ينظر جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١٣٠/١، وجاء فيه : "وتنتسب إليهم أسر قليلة من حضر نَجْد "، وتنظر أمثلة للأسر القَصِيْمِيّة المتحضرة المنتسبة إليهم في المصدر نفسه ٢٣٦/١، ٤٣٢، وكنز الأنساب ١٥٥، ومنهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ٥١ ـ ، ٥٣ ، والنبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة ٣٣، ٣٧، ٦٧، ٨٣، وأيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل ٢٠، ١٦٤، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٨٠، ٣٩٩.

(١٣٠) سبق أن ذكرت على وجه التحديد مرادي باللهجة القَصِيْمِيّة، عندما تحدثت عنها في التمهيد رقم ب .

(١٣١) تنظر بعض هذه الألفاظ في فصيح العامي في شمال نجد ١٢٧ .

الإتباع، ولا معنى له[١٣٢]، لكن مصادر لغوية عدة نصت على أن لفظ (بلّ) بمعنى مباح أو مباح مطلق بلغة حِمْيَر[١٣٣]، وروى بعضها عن الأصمعي (عبدالملك بن قُرَيْب ت ٢١٦هـ) أنه رجع عن القول بالإتباع لما عرف بمعنى اللفظ في هذه اللغة[١٣٤].

جحح:

الجِحّ: اسم ينطقه أهل القَصِيْم بكسر الجيم، وبعضهم يُشِمّ الكسر شيئاً من الضم اليسير، وهو فيها من أسماء الأجناس التي يُفَرَّق بينها وبين مفردها بالتاء، المفرد منه جِحَّـة ـ ينطقونه بإمالة فتحة ما قبل التاء نحو الكسرة[١٣٥] ـ ويطلق في هذه اللهجة وعموم اللهجات النجدية المعاصرة على البِطِّيْخ ذي القِشْر الأخضر واللُّبّ الأحمر[١٣٦].

الجَحّ: اسم يأتي في اللهجة القَصِيْمِيّة بمعنى السَّحْب، وهو فيها مصدر للفعل الماضي جَحّ، ومضارعه يجِحّ ـ ينطقونه بكسر الياء[١٣٧] ـ والأمر منه جِحّ، ولكنني لم

---

(١٣٢) ينظر اللسان (بلل) ٦٥/١١ .

(١٣٣) ينظر العين ٣١٩/٨، والجمهرة ١٠١/١، والتهذيب ٦٥/٩، والمحكم ٦٥/٢، واللسان (بلل) ٦٥/١١.

(١٣٤) ينظر اللسان (بلل) ٦٥/١١ .

(١٣٥) ينظر ما سبق عن هذه الإمالة في مقدمة هذا البحث، عند الحديث عن طريقتي في ضبط ألفاظ هذه اللهجة.

(١٣٦) ولهذا النوع من البطيخ في الأقطار العربية اليوم أسماء مختلفة بالإضافة إلى البطيخ؛ فهو في الحجاز الحَبْحَب، وفي العراق وبعض بلدان الخليج الرَّقِّي، وفي بلدان المغرب العربي الدَّلّاع .

(١٣٧) كسر حرف المضارعة لهجة معروفة فاشية في العرب، رواها اللغويون ونسبوها إلى قبائل عدة، مثل قيس وتميم وأسد وربيعة، تنظر نسبتها إلى كل هذه القبائل في اللسان (وقى) ٤٠٣/١٥ ـ ٤٠٤، وإلى بعضها في المحتسب ٣٣٠/١، و الصاحبي ٣٤، كما نسبت إلى بَهْراء، وسماها بعض اللغويين تَلْتَلَة بَهْراء، ينظر اللسان (تلتل) ٨٠/١١، بل إن بعض المصادر نسبتها إلى العرب كلهم سوى أهل الحجاز، ينظر كتاب سيبويه ١١٠/٤، والتصريح ١١٨/٢، كما ينظر اللهجات العربية في التراث ٣٩١/١.

أسمعه يستعمل بهذه الدلالة إلا في سَحْب خاص ؛ هو سَحْب الجَمْر من النار الموقدة للتدفئة أو الطبخ ؛ فإذا أوقدوا ناراً وصار حطبها أوبعضه جَمْراً ، وأرادوا استعمال ذلك الجَمْر لأمر من الأمور ، كتسخين الأباريق وما شابهها حول النار ، قالوا : جِحَّ الجَمِر ، أي اسحبه من النار ، وهذا الاستعمال يكاد يختفي الآن من لغتهم ، إذ لا ينطق به غالباً إلا كبارهم أو من له سماع وإدراك من ناشئتهم وشبابهم(١٣٨) ، كما أنه قد يكون معروفاً في بعض مدن القَصِيْم أكثر من غيرها(١٣٩) ، لكنه وإن بدت عليه أمارات الشيخوخة في هذه اللهجة لا يزال يتمتع بشيء من قوته في لهجات نجدية أخرى ؛ بدليل ظهوره في الشعر العامي للشباب من أهلها ، كقول الشاعر في وصف صنع القهوة العربية(١٤٠) :

لا سَحَنْتِهْ لَـقْـمِهْ داخِلْ مُـصَبِّهْ وْ جِحْ جَـمْـرٍ لَـلـدْلالْ وْ لَـلْـغَـواري

---

(١٣٨) وهو مما فات شيخنا محمد بن ناصر العبودي في كتابيه : معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، وكلمات قضت، على استقصائه فيهما .

(١٣٩) سمعت أنا هذا الاستعمال من الكبار عندنا في مدينة بريدة، وقد سألت بعض زملائنا من أهلها فعرفه بعضهم ولم يعرفه آخرون، وممن عرفه د . محمد المُرْشِد، كما عرفه وأفاد باستعماله في مدينة البُكَيْرِيّة زميلنا د. رشود السُّلَمي، وهو من أهلها، في حين أفادني زميلانا د . عبد العزيز الخُوَيْطِر و د . فريد الزامل السُّلَيْم ـ وهما من أهل مدينة عُنَيْزة ـ بأنهمالم يسمعاه من أهلها .

(١٤٠) هو مِرِيْر الحُبَيِّل العُتَيْبِي ـ كذا ينطقه العامة، وأصله : مَرِيْر الحُبَيْل العُتَيْبِي ـ من أهل عالية نجد، وقوله : لا سَحَنْتِهْ، معناه : إلى سَحَنْتِهْ، على حذف همزة إلى التي تستعمل في اللهجات النجدية المعاصرة بمعنى إذا، والمقصود إذا سَحَنْتِهْ، والسَّحْن عندهم هو المبالغة في دَقّ الشيء وطحنه وتنعيمه، وغالباً ما يكون ذلك بالنِّجِر ـ وهو اسم عند أهل نَجْد للهاوَن المصنوع من النحاس خاصة ـ والسَّحْن بهذه الدلالة فصيح، والضمير في سَحَنْتِهْ راجع إلى البُنّ، وقوله : لَـقْـمِهْ داخِلْ مُـصَبِّه : أي لَقِّمْه، والمقصود ضع البُنّ بعد سَحْنه في الدَّلَّة التي ستصب منها القهوة ـ و الدَّلَّة اسم خاص بإبريق القهوة ـ، واستعمال التَّلْقِيم هنا مجاز، و جِحْ جَمْر : أي اسحب من النار جَمْراً؛ لتضع عليه الدْلال ـ وهي جمع دَلَّة التي سبق بيان معناها ـ والغَواري : وهي جمع غُوْري، وهو اسم خاص بإبريق الشاي شائع في بعض اللهجات النجدية المعاصرة والخليجية والعراقية، و الدَّلَّة و الغُوْري لفظان دخيلان؛ يُعْتقد أن الأول من اللغة الفارسية، والثاني من اللغة الصينية، ينظر معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة ٢٦٨/١، ١٣٤/٢.

مُجِحْ: اسم ينطق في اللهجة القَصِيْمِيّة بسكون الميم والتوصل إلى النطق به بهمزة وصل مكسورة، وأصله: مُجِحّ، وهو وصف يطلقه أهل هذه اللهجة على الأنثى من الكلاب إذا كبر بطنها بسبب حملها ودُنُوّ وضعها، وهو متوائم في معناه العام مع الألفاظ السابقة؛ لأنهم إنما وصفوها بهذا الوصف لبروز بطنها من جانبيه، حتى كأنه سُحِب من ناحيتيه سحباً، وهو من الألفاظ التي ماتت أو تكاد تموت في لهجتهم، على فصاحته[١٤١] كما سيأتي.

والذي يظهر أن الاستعمالات السابقة موروثة عن اللهجات اليَمَنية؛ فقد جاء في مصادر اللغة: " جَحَّ الشَّيءَ يَجُحُّه جَحّاً: سَحَبه، يمانية، والجُحّ عندهم: كل شجر انبسط على وجه الأرض، كأنهم يريدون انْجَحّ على الأرض، أي انْسَحَب، والجُحّ: صغار البطيخ والحنظل، واحدته جُحّة... وأَجَحّت السَّبُعة والكَلْبة، فهي مُجِحّ: حَمَلَت فأَقْرَبَت وعَظُم بطنها "[١٤٢]، ولا يزال لفظ جَحّ بمعنى سَحَب مستعملاً في بعض اللهجات اليَمَنية، وهي لهجة منطقة يافع إلى يومنا هذا[١٤٣]، كما أن لفظ الجُحّ لا يزال اسما مستعملاً للبِطِّيْخ ذي القشر الأخضر واللب الأحمر في عامية أهل عُمان[١٤٤]، ومعروف أن عُمان من منازل القبائل اليَمَنية، وهو محاذ لليَمَن، وبعض مناطقه ـ كظِفار ـ من اليَمَن في عرف القدماء.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن المصادر ــ كما هو واضح ــ أطلقت دلالة الجَحّ على السَّحْب ولم تقيدها، في حين أن الذي أعرفه من اللهجة القَصِيْمِيّة هو

---

(١٤١) هذا اللفظ بدلالته هذه مما فات شيخنا محمد بن ناصر العبودي في كتبه: معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، وكلمات قضت، ومعجم الحيوان عند العامة على استقصائه فيها .

(١٤٢) ينظر اللسان (جحح) ٤١٩/٢، وتنظر نصوص مشابهة في الجمهرة ٨٦/١، وشمس العلوم ٢٨٠/١ .

(١٤٣) ينظر معجم لهجة سَرْو حِمْيَر ـ يافع ٧٢ .

(١٤٤) ينظر من فصيح العامية في عُمان ٣٦ .

استعمال اللفظ في سَحْب الجَمْر خاصة، ولم أسمعه في غيره؛ فكأن دلالته أصابها تطور من باب تخصيص العام.

كما أنبه أيضاً إلى قِدَم دخول بعض هذه الألفاظ إلى اللهجات النجدية؛ فقد ذكرت بعض المصادر أن " أهل نجد يسمون البِطِّيْخ الأصفر الرِّخْو جُحّاً، ويسمون البِطِّيْخ قبل نضجه الجُحّ"(١٤٥)، وعليه فإن دلالة لفظ الجُحّ اليوم أصابها تطور دلالي؛ فدلالة اللفظ عند أهل نجد في زماننا ـ ومنهم أهل القَصِيْم ـ مقتصرة على البِطِّيخ الأحمر دون الأصفر، وهم يطلقونه عليه مطلقاً قبل النضج وبعده.

جرن:

الجِرِيْن: اسم في اللهجة القَصِيْمِيّة وبعض اللهجات النجدية للموضع الذي توضع فيه غَلّة الحبوب الزراعية، كالقمح والشعير بعد حصادهما؛ جاء في أمثال العَوّام: " قال: يا نَجْدْ مَتَى تِسِيْلِيْن ؟، قالَتْ: إلى صارَ الزَّرْعْ بَالجِرِيْن "، يعني إذا وضع الفلاح غلته الزراعية من القمح أو الشعير بعد حصدها في الجِرِيْن(١٤٦)، ومن شواهده من شعرهم العامي قول الشاعر(١٤٧):

وُ زْرُوْعٍ تِحْصَدْ وُ تْكَدَّسْ شِفْها بَالجِرِيْنْ اَكْداسْ

---

(١٤٥) ينظر الجمهرة ٨٦/١ .

(١٤٦) ينظر المثل في الأمثال العامية في نجد ١٣١٣/٤، وهو فيه بدون كلمة " قال " التي في أوله، لكنني سمعته بها من كبار السن عندنا في بريدة مراراً . ونَجْد في هذا المثل هو الإقليم المعروف، تِسِيْلِين : أصله تَسِيْلِين، بمعنى يهطل عليك المطر الكثير، ويسمى عند أهل نَجْد السَّيْل؛ لأن الأرض تسيل منه، إلى : تستعمل في اللهجات النجدية المعاصرة بمعنى إذا، والزَّرْع : اسم يطلق فيها على نبات القمح والشعير خاصة، دون غيرهما من سائر النبات، والمثل يبين أن هطول الأمطار في نَجْد ـ والعادة فيها أنها شتوية ـ كثيراً ما يتأخر حتى موعد حصاد الزرع، ومن المعروف أن القمح والشعير يزرعان في نَجْد في الشتاء ويحصدان في الربيع .

(١٤٧) هو عبدالله بن سليمان بن حسن، من أهل عُنَيْزة (ت ١٤٠٨هـ)، ينظر : ديوانه ٢٨/١ .

و لفظ الجِرِيْن كان معروفاً بهذه الدلالة في اللهجة القَصِيْمِيّة إلى عهد قريب، ولكنه الآن مات واندثر، حتى لا يكاد يذكر، بل حتى لا يكاد يعرف عند الشباب والناشئة؛ بسبب التطور الكبير في المجال الزراعي، وتحول الناس فيه إلى نُظُم الزراعة الحديثة.

وقد ذكرت مصادر اللغة لفظ الجَرِيْن بدلالة الموضع الذي توضع فيه الغَلّة الزراعية من حبوب وتمر، وضبطته بفتح الجيم، وأشار بعضها ـ كما سيأتي ـ إلى أن الكسر فيه لهجة، كما ذكرت ألفاظاً أخرى ترادفه، وأشار بعضها إلى أن هذا الترادف ناجم عن اختلاف اللهجات؛ فذكرت من مرادفاته البَيْدَر، وأنه من لهجة أهل العراق(١٤٨)، وذكرت الأَنْدَر، وأنه من لهجة أهل الشام(١٤٩)، وبعضها جعلت اسمه عند أهل الشام الأَرْبَد(١٥٠)، وذكرت المِسْطَح، وأنه من لهجة أهل نَجْد(١٥١)، وبعضها جعلته لأهل اليَمَن(١٥٢)، وذكرت المِرْبَد، وأنه من لهجة أهل الحجاز(١٥٣)،

(١٤٨) ينظر التهذيب ١١٠/١٤، و اللسان (ربد) ١٧١/٣، و التاج (ربد) ٤٧/٨ .

(١٤٩) ينظر التهذيب ١١٠/١٤، والمحكم ٣٠٠/٩، و اللسان (ربد) ١٧١/٣، و التاج (ربد) ٤٧/٨، و(ندر) ١٠٥/١٤ .

(١٥٠) ينظر شمس العلوم ٢٠١/٢، ولم أعثر عليه إلا في هذا المصدر، فلعله محرف فيه عن الأَنْدَر أو المِرْبَد أو البَيْدَر، وكلها ألفاظ يمكن أن يتحرف بعضها عن بعض، وإن كنت أرجح تحريفه عن الأول؛ لأنه هو الذي نصت المصادر ـ كما سبق ـ على أنه لأهل الشام .

(١٥١) ينظر الصحاح (ربد) ٤٧٢/٢، واللسان (سطح) ٤٨٥/٢، لكن جاء في الجمهرة ٥٣١/١ : أن المَسْطَح بفتح الميم والكسر الموضع الذي يجفف فيه التمر ويبسط، وأن هذا اسمه عند أهل الحجاز ومن والاهم من أهل النخل من العرب .

(١٥٢) ينظر المحكم ١٧٦/٣، و التاج (سطح) ٢٧٥/٦ .

(١٥٣) ينظر التهذيب ١١٠/١٤، و اللسان (ربد) ١٧١/٣، و التاج (ربد) ٤٧/٨ .

وبعضها نسبته إلى أهل المدينة خاصة[١٥٤]، وذكرت الفَداء، وأنه من لهجة عبدالقيس[١٥٥]، وبعضها نسبته إلى أهل هَجَر[١٥٦]، ومعروف أن عبد القيس من أهلها.

أما الجَرِيْن، فقد اختلفت المصادر في نسبته بين أهل اليَمَن وأهل نَجْد وأهل الحجاز؛ فجاء في بعضها: " الجَرِيْن موضع البَيْدَر بلغة أهل اليَمَن، وعامتهم بكسر الجيم "[١٥٧]، و بعضها نسبته إلى أهل نَجْد والحجاز[١٥٨]، في حين خصته أخرى بأناس معينين من أهل الحجاز، فجاء فيها منسوباً إلى أهل نَجْد وأهل المدينة[١٥٩].

ومع صعوبة التحقق من نسبة لفظ الجَرِيْن، فإنه يغلب على الظن أن أصله من إحدى اللهجات السابقة، ثم انتقل إلى الأخريات، والأظهر عندي أن يكون أصله يمنياً، ثم انتقل مع القبائل اليَمَنية المهاجرة إلى وسط الجزيرة العربية، ويشهد لهذا أنه لا يزال مستعملاً في بعض اللهجات اليَمَنية المعاصرة[١٦٠]، وفي لهجات المنطقة الجنوبية للملكة العربية السعودية[١٦١]، وهي محاذية لليَمَن ومن منازل قبائله، واللفظ وإن

---

(١٥٤) ينظر الصحاح (ربد) ٤٧٢/٢، و اللسان (ربد) ١٧١/٣، و التاج (ربد) ٤٧/٨ .

(١٥٥) ينظر الجمهرة ٥٣١/١ .

(١٥٦) ينظر التهذيب ٣٦/١١، وفي بعض نسخ التهذيب ـ كما علق محققه ـ نسب إلى أهل البحرين، ومعروف أن هَجَر مما كان يعرف قديماً بالبحرين، وقد جاء اللفظ في التاج (جرن) ١٩٣/٣٤ منقولا عن التهذيب و منسوباً إلى أهل البحرين، لكنه حُرِّف إلى الغَداد !!.

(١٥٧) ينظر العين ١٠٤/٦، كما ينظر التهذيب ٣٦/١١، واللسان (سطح) ٤٨٥/٢، و التاج (جرن) ١٩٣/٣٤.

(١٥٨) ينظر اللسان (ربد) ١٧١/٣ .

(١٥٩) ينظر شمس العلوم ١ /٣١٠، كما ينظر الصحاح (ربد) ٤٧٢/٢، و اللسان (ربد) ١٧١/٣، و قد نسبه المصدران الأخيران إلى أهل نجد، أما أهل المدينة فنسبا إليهم المِرْبَد .

(١٦٠) ينظر لهجة حُبان ـ دراسة لغوية ٢٣٦، لكنه ينطق فيها الجَرِن، بحذف الياء .

(١٦١) ينظر اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية ٣٣، ومعجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير ١٢٠.

نُسِب إلى أهل نَجْد ـ كما سبق ـ فنَجْد من مساكن بعض القبائل اليَمَنية المهاجرة، كطَيِّئ، وخاصة بلاد الجبلين التي عرفت بهذه القبيلة ـ كما سبق عند الحديث عنها ـ في حين لا يُعْرَف أن قبيلة نَجْدية هاجرت إلى اليمن، ويعضد هذا أن هذا اللفظ ليس وحده المعروف في نَجْد بهذه الدلالة، بل نُسِب إلى أهل نَجْد لفظ آخر، هو المِسْطَح، كما يشهد ليمنيته أيضاً أنه وإن نسب إلى أهل الحجاز، فإن بعض المصادر خصته بأناس معينين منهم، هم أهل المدينة ـ وقد سبق بيان كل ذلك ـ ومعروف أن أهل المدينة ـ وهم الأَوْس والخَزْرِج ـ من مهاجرة اليَمَن.

وبالنظر إلى كل ما سبق فإنه يترجح لدي أن وجود هذا اللفظ في اللهجة القَصِيْمِيّة من آثار اللهجات اليَمَنية فيها، لاسيما وأن المصادر التي نسبته إلى أهل اليمن نَصَّت ـ كما سبق ـ على أن عامتهم ينطقونه بكسر الجيم، و قد سبق أن أهل القَصِيْم ينطقونه كذلك، ومما ينبغي التنبيه عليه أن تعبير المصادر بلفظ " عامتهم " يقصد به عمومهم، لا أن الكسر لهجة عامية؛ لأن لفظ جَرِيْن على وزن فَعِيْل، وكسر فاء هذه الصيغة لهجة عربية معروفة مروية عن العرب، تنسب في المصادر مطلقاً إلى أهل اليَمَن(١٦٢)، كما تنسب أيضاً إلى تَمِيْم، لكن بشرط كون الحرف الثاني من حروف الحلق، مثل: شِهِيد، بِعِير(١٦٣)، وفي اللهجة القَصِيْمِيّة اليوم تُكْسَر الفاء من هذه الصيغة إلا إن كانت حرفاً حلقياً غير همزة، فإنها تظل مفتوحة، فهي تكسر في مثل: جِرِيْن، بِعِيْر، بِصِيْر، جِدِيْد، شِعِيْر، فِرِيْق، كِبِيْر، إمِيْر، وتفتح في مثل: حَلِيْب، حَدِيْد، خَبِيْر، عَجِيْن، غَدِيْر، هَجِيْن، وفي بعض اللهجات النجدية الأخرى، وخاصة لهجات البادية تكسر الفاء من هذه الصيغة مطلقاً.

---

(١٦٢) ينظر العين ٣١٧/٧، ولغة طَيِّئ وأثرها في العربية ١٥٤ .

(١٦٣) ينظر كتاب سيبويه ١٠٧/٤ ـ ١٠٨، واللسان (بعر) ٤ /٧١، ولغة تَمِيْم ٢١٢.

خربش:

خِرْباش: اسم يرد في كلام العامة في القَصِيْم عندما يريدون التعبير عن الاختلاط والصَّخَب أو عدم الاستقرار والفوضى واختلال الأمن وحصول النَّقْص على الناس، يقولون: " إلى حَصَلْ خاشْ خِرْباش "، وبعضهم يعطف اللفظين بالواو فيقول: " إلى حَصَلْ خاشْ وْ خِرْباش "، وبعضهم يعطف بأو فيقول: "إلى حَصَلْ خاش أَوْ خِرْباش"، وكلها تراكيب يقصد منها التعبير عن المعاني السابقة، وهي مستعملة في اللهجة القَصِيْمِيّة وبعض اللهجات النجدية الأخرى(١٦٤)، ولا تزال سارية حتى على ألسن بعض الشباب؛ يدل على هذا انتشارها فيما يكتبونه بلهجاتهم على صفحات الإنترنت، وحسبك أن تضع هذا التركيب بين علامتي تنصيص في أحد محركات البحث لترى أنه لا يزال حياً تتفوه به الألسنة وتكتبه الأقلام، ومن شواهده من قديم شعر العامة من غير أهل القَصِيْم قول الشاعر(١٦٥):

لا صار باطْرافَ العَرَبْ خاشْ خِرْباشْ و الكِلْ يَنْخَى عِزْوِتِهْ ثُمْ نِدَبْها

(١٦٤) ينظر فصيح العامي في شمال نجد ٢٢٨، وقد اقتصر على لفظ خِرْباش فقط .

(١٦٥) هو هاني بن عِبْدي الدَّوامي العَنَزِي (ينطقونه : العْنِزي، يترجح أن وفاته في أوائل القرن الرابع عشر الهجري)، والبيت من قصيدة له منشورة في منتديات قبيلة السبعة من عنزة على شبكة الإنترنت، وقوله: لا صار، أي إلى صار، على حذف همزة إلى التي تستعمل في اللهجات النجدية المعاصرة بمعنى إذا، يَنْخَى: يستحث نَخْوتهم، عِزْوِتِه : عُزْوة الرَّجُل أهله ومن يلوذ بهم ويناصرونه؛ من قبيلة أو عشيرة أو أسرة، نِدَبْها : الأصل نَدَبها، والمقصود حثها .

ومن شواهده من حديث شعرهم قول الشاعر[١٦٦] :

عُــوْقَ البَوارِجْ لا حَصَلْ خاشْ خِرْباشْ وْ مْزَوَدة بَاحْدَثْ رَدارٍ وْ شاشهْ

فالخِرْباش عندهم اسم للفوضى والاضطراب والصَّخَب، وهو غير مسموع في كلامهم ــ فيما أعلم ــ إلا في التركيب السابق.

وجذر (خربش) أهملته بعض المعجمات العربية مطلقاً، كالصحاح، لكن أخرى أثبتته ونسبت لفظ خِرْباش إلى أهل اليَمَن؛ جاء فيها: " وَقَعَ القَومُ في خِرْباش، أي في اختلاط وصَخَب، لغة يمانية "[١٦٧].

أما لفظ (خاش) في القول السابق فقد يكون فِعلاً ماضياً؛ وهو فعل مستعمل في اللهجة القَصِيْمِيّة بمعنى حَفَر أو نَقَص من الأسفل، يقولون: " خاشْ الما الجْدارْ، والجْدارْ مِنْخاش "، يريدون: نَحَتَ الماءُ الجِدارَ وأضعفه من أسفله حتى سقط أو كاد[١٦٨]، وهو بهذه الدلالة يكاد ينقرض من كلامهم. كما لا يبعد عندي أن يكون أصله اسماً؛ فهو (خَوْش) مصدر من الفعل السابق، ثم تصرفوا فيه بقلب واوه ألفاً؛ ليتناسق مع اللفظ الآخر خِرْباش، أو يكون أصله اسم فاعل (خايش)، ثم تصرفوا فيه فحذفوا ياءه للسبب

---

(١٦٦) هو سَعَد بن هَتْلان العَجْمِي (توفي قبل عدة سنوات) والبيت من قصيدة له منشورة في موقع مجالس العجمان الرسمي، وفي منتديات الهندسة على شبكة الإنترنت، يصف فيها إحدى البَوارج الأمريكية الضخمة، وقوله : عَوْقْ، هو مصدر الفعل عاق، أصله بفتح العين، لكن العامة ينطقونه بإمالة الفتح نحو الضم، واستعماله هنا بمعنى اسم الفاعل عائق، والمقصود أن هذه البارجة تَصْرِف وتمنع البَوارِج - وهي السفن الحربية الضخمة - عن أداء مهماتها، لا حَصَل : أي إلى حصل، على حذف همزة إلى التي تستعمل في اللهجات النجدية المعاصرة بمعنى إذا، مْزَوَدة بَاحْدَث : مُزَوَّدة بأحْدَث ...، وتنطق : بَحْدَث؛ حتى يستقيم وزن البيت .

(١٦٧) ينظر الجمهرة ١١١٦/٢، والمخصص ١٤٠/١٢، والعبارة للأول .

(١٦٨) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ١٢/٤، وكلمات قضت ٢١٧/١.

نفسه، ومما يرجح كونه اسماً إسناده إلى الفعل حصل في القول السابق، وكذلك عطف لفظ خِرْباش ـ وهو اسم ـ عليه في استعمال بعض العامة، كما تقدم.

ولفظ (خاش) بالدلالة السابقة له أصل فصيح واضح؛ جاء في مصادر اللغة: خُشْتُ منه، أي أَخَذْتُ منه، والخَوْش: الأخذ[١٦٩]، والتَّخْوِيْش التَّنْقِيص، وتَخَوَّشَ الشيءَ: نَقَصَه[١٧٠]، وتَخَوَّش بَدَنُ الرَّجُل: هُزِل بعد سِمَن، وخَوَّشَه حَقَّه: نَقَصَه[١٧١].

خنز:

الخْناز والخَنْز: اسمان ينطق أهل القَصِيْم أولهما بإسكان الخاء، فإذا لم يدخلوا عليه (ال) توصلوا إلى النطق بالساكن بهمزة وصل مكسورة، ويطلقونهما على الرَّجُل الرديء الخبيث الطبع الذي لا خير فيه، وقد يصفون بهما من يجمع بين ضعف الدِّين وإلحاق الأذى بالناس[١٧٢]، وهما من الألفاظ التي بدأت تقل في كلامهم، حتى إنهما لا يكادان يسمعان من الناشئة والشباب.

والذي يعنينا هنا هو الاسم الأول؛ حيث جاء في بعض المصادر اللغوية: أن الخُنّاز الوَزَغ، لغة يمانية[١٧٣]، كما جاء فيها: أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قَضَى قَضاء فاعترض عليه بعض الحَرُورِيّة[١٧٤]، فقال له: اسكت يا خُنّاز، والخُنّاز الوَزَغة، وهي التي يقال لها: سامٌّ أَبْرَص[١٧٥].

---

(١٦٩) ينظر المحكم ٣٧٦/٤، والتاج(خوش) ١٠٣/١٧ .

(١٧٠) ينظر التهذيب ٤٦٤/٧، والتاج(خوش) ١٠٣/١٧.

(١٧١) ينظر اللسان (خوش) ٣٠٠/٦، والتاج(خوش) ١٠٣/١٧.

(١٧٢) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٢٤٤/٤، وكلمات قضت ٢٥٧/١.

(١٧٣) ينظر الجمهرة ٥٩٦/١ .

(١٧٤) الحَرُورِيّة هم الخوارج؛ سُمُّوا بذلك نسبة إلى قرية حَرُوْرَاءِ ـ في العراق قريبة من الكوفة ـ اجتمعوا فيها حين خرجوا على عليّ رضي الله عنه.

(١٧٥) ينظر اللسان (خنز) ٣٤٧/٥ .

والعامة اليوم وإن كانوا ينطقون هذا اللفظ مخفف النون، كما أنهم ـ فيما أعلم ـ لم يسموا به الوَزَغ، فلا يبعد عندي أن إطلاقهم له على الرَّجُل الرديء الخبيث الطبع الضعيف الدين الذي يُلْحِق الأذى بالناس منقول عن هذا؛ ومما يؤيده أن الوَزَغ حشرة خبيثة مستقبحة عندهم، يعتقدون أنه سامّ إذا ولغ في طعام أو شراب سَمّه فلحق بمتناوله الأذى، كما أنه أيضاً من الحشرات التي حث الإسلام على قتلها[١٧٦]، فاكتسب بهذا عندهم خبثاً على خبث.

كما لا يبعد أن يكون العامة اشتقوه من قولهم: أَخْنَز اللَّحَمْ[١٧٧] أو التَّمُرْ[١٧٨] يِخْنِز ـ ينطقونه بكسر الياء[١٧٩] ـ وهو مُخْنِز[١٨٠]، إذا فسد وتغير طعمه ورائحته[١٨١]، وهو استعمال فصيح؛ جاء في مصادر اللغة: خَنِزَ اللَّحْمُ والتَّمْرُ: فسد وأنتن، و خَنازِ ـ بالبناء على الكسر ـ اسم للمرأة المنتنة[١٨٢].

---

(١٧٦) ينظر صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ١١٧/٤ ـ ١١٨ الأحاديث رقم: ٣٣٠٦، ٣٣٠٧، ٣٣٠٨، وكتاب الأنبياء ١٣٦/٤ الحديث رقم: ٣٣٥٩، وصحيح مسلم كتاب السلام ٤/ ١٧٥٧ الأحاديث رقم: ١٤٢ ـ ١٤٧.

(١٧٧) كذا ينطقونه بفتح الحاء، وهو نطق فصيح؛ لأن فتح العين من الاسم الثلاثي الذي على وزن (فَعْل) وثانيه حرف حلقي، مثل: بَحْر، نَهْر، دَهْر، شَعْر لهجة عربية معروفة منسوبة إلى إلى بني عُقَيل، وقد اختلف في قياسيته، فجعله الكوفيون مقيساً، وقصره البصريون على المسموع، ينظر معاني القرآن وإعرابه ٤١١/٣ ، والمحتسب ٨٤/١ ـ٨٥، ١٦٧.

(١٧٨) كذا ينطقونه بضم الميم حال الوقف فقط؛ تخلصاً من التقاء الساكنين: تَمُر، لكنه عندما يوصل بما بعده تسكن ميمه على الأصل.

(١٧٩) ينظر ما سبق عن كسر حرف المضارعة عند الحديث عن لفظ يِجِحّ من مادة (جحح).

(١٨٠) كذا ينطقونه بإشمام الكسر الضم، وهو اسم فاعل من أَخْنَز، والأصل فيه: مُخْنِز.

(١٨١) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٢٤٣/٤، ومن غريب الألفاظ المستعمل في قلب جزيرة العرب ٩٨.

(١٨٢) ينظر اللسان (خنز) ٣٤٦/٥ ـ ٣٤٧.

خوا:

الخَوِيّ: اسم يستعمل بكثرة في اللهجة القَصِيْمِيّة وغيرها من اللهجات النجدية، وله فيها ثلاث دلالات؛ أولاها: استعماله بمعنى الصَّدِيق المصافي الثابت الوِدّ، وهذه الدلالة هي أشهرها وأكثرها دوراناً، والثانية: استعماله بمعنى رفيق السفر، والثالثة: استعماله بمعنى مرافق الأمير الذي يخدمه ويأتمر بأمره، وكان قبل وقت غير بعيد يؤدي دور الشُّرْطِيّ في تنفيذ أوامر الأمير، وبعض أهل القَصِيْم يسمونه خادم الأمير، ومن شواهد شعر العامة في القَصِيْم على استعمال اللفظ بدلالة الصَّدِيق قول الشاعر يخاطب صديقاً له(١٨٣):

إيْضا وْ نِرْخِصْ لِكْ حِمِيْعَ الحْطامِ لا خَـــيْر بَاللِّيْ ما يْساعِدْ خَوِيُّهْ

ومن الشواهد على استعمالهم له بدلالة رفيق السفر قول الشاعر(١٨٤):

---

(١٨٣) هو فهد بن عبدالرحمن الشَّرِيْدة ـ والعامة يكسرون الشين ـ من أهل بُرَيْدة (ت عام ١٣٥٢هـ)، ينظر : معجم أسر بريدة ١١/ ١٦٥، وقوله : إيْضا ... الحْطام ... بَاللِّيْ ... خَوِيّه، أي : أيضاً ... الحُطام ... بِالذي ... صَدِيقه .

(١٨٤) هو محمد بن منصور بن رَيِّس التَمِيمي، من أهل الرَّس (كان حياً عام ١٢٨٠هـ)، ينظر : من شيم العرب ٤/ ٢٥٠، وشعراء من الرَّس ٣٢، وفي المصدر الأخير أنه عاش في القرن الثاني عشر، وسماه : محمد بن منصور بن رَيِّس الضِّلْعان، وقوله : نَصِلْبُه، أصله : نَصْلِبُه بَالْمِصالِيب، أي نربطه عليها، والمِصالِيب : أصله بفتح الميم جمع مِصْلاب، وهي عندهم اسم لعِصِي رَحْل البَعِير ـ ويسمون الرَّحْل الشْداد، وهي أربعة عِصِي متقاطعة، ذْرُوب : أصلها : دُرُوْب، وهي الطُّرُق، العَزاري : المَشاقّ، والبيت من قصيدة مشهورة عند العامة، ولها قصة توضح معناه، مفادها أن الشاعر كان في قافلة عائدة من الحج، فأصيب أحد أفرادها بمرض قد يتأخر بُرؤه ـ قيل : إنه الجُدَري ـ ولا يتمكن معه من ركوب الراحلة ومواصلة الرحلة، فاقترح رئيس القافلة أن يُرْبَط المريض على الرَّحْل؛ حتى لا يسقط، فلم يستسغ الشاعر هذا الإجراء الذي فيه كُلْفة ومشقة عظيمة على المريض، فاقترح أن يتخلف مع المريض في موضعه ليقوم بشأنه، وتتابع القافلة سيرها، ويقال : إنه لبث معه ثلاثة أشهر حتى شُفِي ثم عادا معاً .

خَوِيِّنا ما نَصلِبُهْ بَالْمِصالِيبْ وْ لا يشْتِكِيْ مِنّا دْرُوْبَ العَزارِيْ

وقد اشتهر هذا اللفظ عندهم وكثر استعماله مفرداً وجمعاً، واشتقوا منه أفعالاً ومصدراً؛ يقولون في الماضي والمضارع: خاواوْه[١٨٥] يْخاوِيْه، وفي الأمر: خاوُهْ، والمصدر منه خُوَّة، ويجمعونه على: خْوَيا، كما أن استعماله ـ كما تقدم ـ ليس مقتصراً على اللهجة القَصِيْمِيّة، بل هو معروف في عموم اللهجات النجدية المعاصرة وبعض لهجات الجزيرة العربية[١٨٦]، شائع في شعر العامة في عموم نَجْد، ومن ذلك قول شاعر من أهل شمال نَجْد[١٨٧]:

احْشِمْ خَوِيَّكْ عَنْ دْرُوْبْ الرِّزالَةْ تَرَى الخَوِيْ عِنْدْ الاَجاوِيْدْ لُهْ حالْ

و اللفظ في البيت وإن كان صالحاً للتفسير بدلالة رفيق السفر وبدلالة الصَّديق، إلا أن الشاعر قصد به الصَّديق، كما هو واضح من تتبع القصيدة[١٨٨].

والدلالات الثلاث غير مذكورة في مصادر اللغة، لكنها وخاصة الأولى لها أصل فصيح منسوب إلى طَيِّئ؛ فقد ذكر اللغويون أن الطائيين يستعملون لفظ الخَوِيّ

---

(١٨٥) كذا يُنْطَق هذا الفعل الماضي المتصل بضمير الغائب في اللهجة القَصِيْمِيّة، في حين يُنْطَق في أكثر اللهجات النَّجْدية بدون الواو الأخيرة، هكذا : خاواه .

(١٨٦) ينظر قاموس الأريج من كلام أهل الجزيرة العربية والخليج ١٨٤.

(١٨٧) هو خَلَف أبو زْوَيِّد .كذا ينطقونه، وأصله : زُوَيِّد . السِّنْجاري الشَّمَّري، من أهل حائل في شمال نجد (ت عام ١٣٦١هـ)، والبيت من قصيدة معروفة له يوصي بها ابنه، تنظر في من شعراء الجبل العاميين ٢/ ٤٨، والأزهار النادية ١٧٠/٣، وقوله : احْشِم، أي أَكْرِم، خَوِيّك : صديقك، دْرُوْب: أصلها : دُرُوْب، وهي الطُّرُق، الرّزالة : البخل أو اللؤم عموماً، الاَجاوِيْد : أصله الأَجاوِيْد، يحذفون همزته وينقلون حركتها إلى اللام فينطقونه هكذا : الجَاوِيْد، وهم الأجواد، حال : قَدْر .

(١٨٨) وهي قصيدة مشهورة عند العامة يوصي بها الشاعر ابنه .

بمعنى الثابت[١٨٩]، والذي يظهر لي أن الدلالة الأولى ـ وهي استعماله بمعنى الصَّدِيق المصافي الثابت الوِدّ ـ تطور دلالي لهذا المعنى، من باب تخصيص العام، أما الثانية ـ وهي استعماله بمعنى رفيق السفر ـ وكذلك الثالثة ــ وهي استعماله بمعنى مرافق الأمير الذي يخدمه ويأتمر بأمره ــ فهما استعمالان مجازيان؛ فالثانية على اعتبار أن رفيق السفر يفترض فيه أن يكون بمثابة الصَّدِيق المصافي، أو أنهم سموه بهذا تفاؤلاً بكونه كذلك، والثالثة فراراً من لفظ الخادم، وقد تقدم أن بعض أهل القَصِيْم يسمونه خادم الأمير.

دحج:

الدَّحْج: في اللهجة القَصِيْمِيّة اسم للضَّرْب القوي بالكَفّ مجتمعاً أو بشيء غليظ غيره، كالعصا والحجر وما أشبههما، وهو مصدر للفعل الماضي دَحَج، والمضارع منه يَدْحَج، والمرة الواحدة منه دَحْجَة[١٩٠]، يقولون: دْحَجُهْ يَدْحَجُهْ دَحْج، هَذِيْ دَحْجَـةٍ قَـوِيَّـة، هذا دَحْجٍ قَـوِيّ، يريدون: دَحَجَه يَدْحَجُه دَحْجاً، هذه دَحْجَة قَـوِيَة...، وهو لفظ معروف بهذه الدلالة أيضاً في بعض اللهجات النجدية وغيرها[١٩١].

وجذر (دحج) أهملته بعض معجمات اللغة كالصحاح، وما تحت يدي من المصادر اللغوية التي أوردته لم تذكر اللفظ بهذه الدلالة تحديداً، بل بدلالة مقاربة جداً، كما أنها نسبت استعماله إلى أهل اليَمَن، جاء فيها: الدَّحْج: لغة يمانية، دَحَجَه

---

(١٨٩) ينظر المحكم والمحيط الأعظم ٣١٧/٥، و اللسان (خوا) ١٤ / ٢٤٧، والتاج (خوا) ٣٨ / ١٣، وجاء في الأخير بلفظ (الخَوَى)، ولا يبعد أنه تحريف .

(١٩٠) ينظر ما سبق عن هذه الإمالة في مقدمة هذا البحث، عند الحديث عن طريقتي في ضبط ألفاظ هذه اللهجة.

(١٩١) ينظر من غريب الألفاظ المستعمل في قلب جزيرة العرب ٩٨، وقاموس الأريج من كلام أهل الجزيرة العربية والخليج ١٨٩.

يَدْحَجُه دَحْجاً، إذا عَرَكَه كما يُعْرَك الأَدِيم[١٩٢]، والدَّحْج الجِماع، يقال: دَحَج الرَّجُلُ، إذا جامع[١٩٣]. ويظهر أن استعمال العامة جاء نتيجة لتطور دلالي؛ بسبب نقل الألفاظ لتشابه المعاني والعلاقة التي بينها، أو أن استعمالهم كان معروفاً ولم يُدَوَّن، ويشهد لاستعمالهم ورود الدَّحْج بمعنى الجِماع؛ الذي من لوازمه الدَّفْع وضرب جسم بآخر.

دفر:

الدَّفِر: ينطق في اللهجة القَصِيْمِيّة بكسر الفاء حال الوقف فقط؛ تخلصاً من التقاء الساكنين، لكنه عندما يوصل بما بعده تسكن فاؤه على الأصل، كما سيأتي، وهو فيها مصدر بمعنى الدَّفْع القوي، وفعله الماضي دِفَر ـ ينطقونه بإمالة فتحة الدال نحو الكسرة ـ ومضارعه يَدْفُِر، والمرة الواحدة منه دَفْـِرَة، يقولون: فْلانْ دِفَرْ فْلانْ يَدِفْرُهْ دَفِرْ، يقصدون: فُلانٌ دَفَرَ فُلاناً يَدْفُرُه دَفْراً، أي دَفَعَه يَدْفَعُه دَفْعاً، ومثله: دِفَرْ فْلانْ البابْ دَفْـِرَة قَـوِيَّة، أي دَفَعَه دَفْعة قَوية، كما يقولون: الناسْ زِحامْ وُ مْدافَرْ، يقصدون: زِحامٌ ومُدافَرة، أي مزدحمون يَدْفَعُ بَعْضُهم بَعْضاً، وهو استعمال معروف في هذه اللهجة، كما أنه موجود في أسماء أهلها؛ فمن الأسر الكريمة المعروفة المشهورة عندنا في بُرَيْدة أسرة الـمْـدَيْفِر، أي آل مُدَيْفِر[١٩٤]، ومْـدَيْفِر لقب لجدهم ـ واسمه عبدالله ـ لأنه قيل له: أنت ما تَقْوَى على رفع الحِمِل ـ أي لا تستطيع رفع الحِمْل ـ

---

(١٩٢) ينظر الجمهرة ٥٩٦/١، والمحكم ٦٣/٣، واللسان (دحج) ٢٦٥/٢،، والتاج (دحج)٣١٤/٥، وقد جاء في هذه المصادر أن اللفظ يقال بالدال والذال، وفيها عدا الأول أن الذال أعلى .

(١٩٣) ينظر التهذيب ١٢٤/٤، واللسان (دحج) ٢٦٥/٢،، والتاج (دحج)٣١٤/٥ .

(١٩٤) كثير من أهل نَجْد اليوم ـ ومنهم أهل القَصِيْم ـ يستعملون (ال) ويصلونها بما بعدها في الكتابة بدل (آل) التي لا توصل بما بعدها، وينطقون مُدَيْفِر : مْدَيْفِر، بإسكان أوله وإمالة فتحة ثانيه نحو الكسرة .

على الدابة ـ وكان قصيراً ـ فقال: أَدِفْرُهْ وارْفَـعُه، يقصد: أَدْفُرُه و أَرْفَعُه، أي أَدْفَعُه وأَرْفَعُه[١٩٥].

واستعمال هذا اللفظ وما يشتق منه بهذه الدلالة وبدلالات مقاربة غير مقصور على هذه اللهجة، فهو معروف أيضاً في لهجات عربية معاصرة أخرى في الجزيرة العربية[١٩٦]، بل وفي خارجها أيضاً[١٩٧].

وقد جاء بدلالته السابقة في مصادر اللغة منسوباً إلى اليَمَن، جاء فيها: " دَفَرْتُ الرَّجُلَ عَنِّي، إذا دَفَعْتُه، لغة يمانية "[١٩٨]، كما جاء فيها في معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾[١٩٩] : " يُدْفَرون في أقفيتهم دَفْراً، أي دَفْعاً "[٢٠٠].

ولعل مما يرجح يمنية هذا اللفظ وجوده بهذه الدلالة وبدلالات مقاربة إلى يوم الناس هذا في لهجات اليمن[٢٠١] ولهجات مناطق جنوب المملكة العربية

---

(١٩٥) ينظر معجم أسر بريدة ٣٠٩/١٩ ـ ٣١٠، وهي أسرة يعود نسبها إلى قبيلة ثَمَّر سليلة طَيِّئ اليَمَنية، ينظر جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٧٤٣/٢ .

(١٩٦) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٤٢٤/٤، ومن غريب الألفاظ المستعمل في قلب جزيرة العرب ١٠٨، و فصيح العامي في شمال نجد ٢٨٤، وقاموس الأريج من كلام أهل الجزيرة العربية والخليج ١٩٤، و معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير ١٧٤، ومعجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان ٦٠، و المعجم اليَمَني في اللغة والتراث ٢٩٩، و معجم لهجة سَرْو حِمْيَر ـ يافع ١٢١، ومن فصيح العامية في عُمان ٧٨، و إزاحة الأغيان عن لغة أهل عُمان ٥٤، ومعجم ألفاظ لهجة الإمارات ١٧٠.

(١٩٧) ينظر قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية ٣٦٠/١، والقاموس الوجيز في العامية العراقية ٧١، وموسوعة حلب المقارنة ٥٧/٤ .

(١٩٨) هذا نص الجمهرة ٦٣٤/٢، و ينظر المحكم ٣٠١/٩، والمخصص ١١٢/٦ واللسان (دفر) ٢٨٩/٤، والتاج (دفر) ١٦٣/١١ .

(١٩٩) الطور : ١٣ .

(٢٠٠) هذا نص اللسان (دفر) ٢٨٩/٤، والتاج (دفر) ١٦٣/١١، و ينظر التهذيب ١٠٢/١٤ .

(٢٠١) ينظر المعجم اليَمَني في اللغة والتراث ٢٩٩، و معجم لهجة سَرْو حِمْيَر ـ يافع ١٢١،

السعودية[٢٠٢]، وهي محاذية لليَمَن ومن منازل قبائله، وفي لهجة عُمان[٢٠٣]، وهو كذلك محاذٍ لليَمَن ومن منازل قبائله أيضاً، وبعض مناطقه ـ كظِفار ـ من اليَمَن في عرف القدماء، وفي لهجة الإمارات العربية[٢٠٤]، وهي من عُمان في عرف القدماء.

ذيخ:

الذِّيْخ: اسم أكثر ما يطلقه العامة في القَصِيْم على الذَّكَر من الكلاب، لكنهم قد يطلقونه على الذِّئب[٢٠٥]، وقد يستعملونه استعمالاً مجازياً فيصفون به الرجل الرديء الفعل السيئ السمعة، وهو لفظ وارد في أمثالهم العامية، كقولهم عندما يبالغون في وصف مُلُوحة ماء البئر: " يَهَمْرَ الذِّيْخ "، يقصدون الكَلْب أو الذِّئب[٢٠٦]، وقولهم في التعبير عن الشيء الذي لا أمل في استعادته: " يا مِنْ عَيَّنَ الزِّبْدة عَلَى شارِبْ

---

(٢٠٢) ينظر معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير ١٧٤، ومعجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان ٦٠ .

(٢٠٣) ينظر من فصيح العامية في عُمان ٧٨، وإزاحة الأغيان عن لغة أهل عُمان ٥٤ .

(٢٠٤) ينظر معجم ألفاظ لهجة الإمارات ١٧٠ .

(٢٠٥) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٧٦/٥، وإطلاق الذِّيْخ على الكلب عند العامة أكثر من إطلاقه على الذِّئب، ولكن حدثني شيخنا وزميلنا في الكلية د . عبد العزيز الخويطر ـ من أهل عُنَيْزة ـ أنه سمع العامة فيها يسمون به الذِّئب .

(٢٠٦) لم يذكره الشيخ محمد العبودي في كتابه (الأمثال العامية في نَجْد)، لكنني سمعته من كبار العامة في القَصِيْم ـ ومنهم جدي سليمان (ت عام ١٤١٤هـ) رحمه الله ـ مراراً، وقولهم : يْهَمْر، أي يَهْمُر، ومعناه يُطْلِق بطنه، ففي لهجتهم : انْهَمَرَ يَنْهَمِر، أي استطلق بطنه كحال من شرب دواء مُسْهِلاً، ولهذا الاستعمال أصل فصيح؛ فهو تطور دلالي عن الانهمار وهو الانصباب، ومنه انهمار المطر، وإنما خص العامة الذِّيْخ بهذا لكثرة وجوده في الفلوات التي لا ماء فيها، فإذا وجد الماء شرب منه وأكثر ولوكان مِلْحاً، فيؤدي به ذلك إلى استطلاق بطنه .

الذِّيْخ"[٢٠٧]، وهو كذلك وارد في شعرهم العامي، ومنه قول الشاعر يصف رجلاً رديئاً جباناً[٢٠٨]:

حِـتَّـيْشْ يا ذِيْخٍ هَرَبْ حَزَّةَ الضِّيْقْ أَقْفَى وْ قالَ العُمُرْ أَبْدَى بِـدِيَّـةْ

ويجمعونه على ذْيَـخَـة، أصله ذِيَخَة، وقد يشتقون منه، ولكن ذلك قليل، ومن شواهده من شعرهم العامي قول الشاعر في وصف قاضٍ لم يعجبه كلامه[٢٠٩]:

جَلَسْ عَلَى الكِرْسِيْ وْ دَلَّى يْذايخْ خَرْبَطْ خَرابِيْطٍ بْلَيَّا مَـجالِ

وإطلاق الذِّيْخ على ذكر الكلاب معروف في اللهجات النجدية المعاصرة وغيرها[٢١٠]، ويشيع استعماله بكثرة عند هواة الصيد بالكلاب؛ ويكفي لمعرفة هذا

---

(٢٠٧) لم يذكره الشيخ محمد العبودي في كتابه (الأمثال العامية في نَجْد)، لكنه ذكره في كتابه معجم الحيوان عند العامة ٣٨٥/١، والمثل يضرب للشيء الذي لا أمل في استعادته؛ لأن الكَلب محب للَّبَن فلا يمكن استرجاع قطعة الزُّبد الصغيرة إذا وقعت على شاربه، وقولهم : يا مِنْ عَيَّن، جملة أكثر ما تستعمل عند العامة في نِشْدان الضالة، ومعناها : يا مَنْ رَأَى ... .

(٢٠٨) لم أعثر على اسمه، وأورده الشيخ محمد العبودي في معجم الحيوان عند العامة ٣٨٥/١، وقال : إنه لرجل من أهل عُنَيْزة . وقوله : حِتَّيْش : هو لفظ منحوت من عبارة : (حتى أيّ شيء)، ومعناه المراد : حتى لو حدث أيّ شيء فماذا سيكون ؟!، أو حتى لو كان الأمر كذلك فأي شيء يكون ؟!، حَزّة : وقت أو ساعة، أَقْفَى : أدبر، أي وَلّى مدبراً، العُمُر : أَبْدَى بِدِيَّة : لا يُقَدّم عليه شيء، أو هو أول ما يُهْتَمّ به .

(٢٠٩) القائل هو عبد الله بن صالح الجُدَيْعِي (ينطقونه : الجْدَيْعِي، معاصر من أهل بريدة)، ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٧٦/٥ ـ ٧٧، وقوله : دَلَّى، فعل يستعمل عند العامة استعمال أفعال الشروع، ومعناه هنا بدأ أو شَرَع، يْذايخْ : أصله يُذايِخ، على وزن يُفاعِل، والمعنى ينُابِح، من النُّباح، أو يُعاوِي من العُواء، والمقصود أنه شرع في كلام غير مقبول أو مستهجن، خَرْبَط : تكلم بكلام لا أصل له ولا قبول،خَرابِيْط: حكايات لا أصل لها، مفردها خِرْبُطّة، بْلَيَّا : تركيب ينطقونه بهذه الصيغة، وأصله: بِلا أَيّ، والمعنى : تكلم بكلام بلا أيّ أصل، أي لا أصل له ولا مجال .

(٢١٠) ينظر فصيح العامي في شمال نجد ٣١٥، ومعجم مفردات ولهجات قحطان ٣٤، وغريب لغة قبيلة شَمَّر ٨٩.

وضع اللفظ في أحد محركات البحث في الشبكة العنكبوتية ليرى الباحث اتساع استعماله بين الشباب الذين يمارسون هذه الهواية.

ولفظ الذِّيْخ لفظ فصيح، له في معجمات اللغة عدة دلالات(٢١١)، يعنينا منها هنا دلالته على أنواع مختلفة من الحيوان، ويظهر أن هذا الاختلاف، وخاصة الاختلاف في دلالته على الحيوان من آثار تعدد لهجات العرب؛ فقد جاء في المعجمات: " الذِّيْخ: الذكر من الضِّباع الكثير الشَّعر، والجمع أَذْياخ و ذُيُوخ وذِيَخة"(٢١٢)، وجاء: "الذِّيْخ، بالكسر: الذِّئب الجريء، بلسان خَوْلان... والـمَذْيَخة، كمَسْبَعة: الذِّئاب، بلسان خَوْلان، وهم قبيلة باليَمَن "(٢١٣)، وجاء: "الذِّيْخ: الفرس الحِصان"(٢١٤).

ومن هنا يظهر أن إطلاق لفظ الذِّيْخ على الذِّئب في اللهجة القَصيْمِيّة، أو تطوره دلالياً فيها ـ بسبب نقل الألفاظ لتشابه المعاني والعلاقة التي بينها ـ ليدل على الكَلْب أثر من آثار اللهجات اليَمَنية فيها، ولعل مما يرجح يمنية هذا اللفظ وجوده بهذه الدلالة إلى يوم الناس هذا في لهجات قبائل نجدية معاصرة ذات أصول يمنية، مثل قبيلتي شَمَّر وقَحْطان(٢١٥)، لكن الغريب أن إطلاقه على الكَلْب مع شهرته في

---

(٢١١) ينظر مثلاً المحيط في اللغة ٣٩٩/٤، واللسان (ذيخ) ٣ / ١٦، والتاج (ذيخ) ٧/ ١٤٣.

(٢١٢) ينظر اللسان (ذيخ) ٣ / ١٦، والتاج (ذيخ) ٧/ ١٤٣.

(٢١٣) ينظر التاج (ذيخ) ٧/ ١٤٣، كما ينظر التكملة (ذيخ) ١٤٢/٢ . وخَوْلان : قبيلة يمنية كبيرة؛ تنسب إلى خَوْلان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ، ينظر جمهرة أنساب العرب ٤١٨.

(٢١٤) ينظر التاج (ذيخ) ٧/ ١٤٣.

(٢١٥) ينظر غريب لغة قبيلة شَمَّر ٨٩، ومعجم مفردات ولهجات قحطان ٣٤ .

اللهجات النجدية المعاصرة ـ كما تقدم ـ لا وجود له في مصادر اللغة، ولا يبعد عندي أنه كان معروفاً ولم يُدَوَّن.

رمخ:

الرْمَخ: اسم ينطقه أهل القَصِيْم بإسكان الراء وتفخيم الميم، فإذا لم يدخلوا عليه (ال) توصلوا إلى النطق بالساكن بهمزة وصل مكسورة، وهو من أسماء الأجناس التي يُفَرَّق بينها وبين مفردها بالتاء، المفرد منه في لهجتهم رْمَخَِة، ويطلقونه على ثمر النَّخْل إذا سقط وهو أخضر قبل اكتمال نموه وصلاحه، ويكون ذلك عادة بسبب آفة تعترضه يَلِيْن معها قوامه[٢١٦]، يقولون: رَمَّخْ البِسِرْ يْرَمِّخْ، وُهُوْ مْرَمِّخ ـ ينطقون كل هذه الألفاظ بتفخيم الميم ـ وكانوا قديماً قبل الرخاء الذي مَنّ الله به عليهم يأكلونه، بل كانوا عندما يَقِلّ الطعام عندهم يعمدون إلى البُسْر ـ وهو أخضر في قِنيانه[٢١٧]لم يسقط ولم يكتمل نموه ـ فيأخذونه ويضعونه في مكان دافئ، في كيس وما أشبهه حتى يصير رُمَخاً، ثم يأكلونه. واللفظ بهذه الدلالة معروف أيضاً في لهجة شمال نجد[٢١٨]، ومعروف في لهجات أخرى في الجزيرة العربية بدلالة مقاربة، هي فساد التمر[٢١٩].

---

(٢١٦) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٥/ ٣٢٨، ومعجم النخلة في المأثور الشعبي ١٢٨ .

(٢١٧) يقال لأعذاق النخل : قِنوان وقِنيان، جمع قِنا ـ بفتح القاف والكسر ـ ينظر اللسان (قنا) ١٥/ ٢٠٤، والجمع بالواو أكثر، وبه جاء القرآن؛ قال تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾، الأنعام ٩٩، ولكني اخترت الثاني؛ لأنه المعروف في اللهجة القَصِيْمِيّة التي هي محل حديثنا، ومفرده فيها بفتح القاف .

(٢١٨) ينظر فصيح العامي في شمال نجد ٣٦٤ .

(٢١٩) ينظر قاموس الأريج من كلام أهل الجزيرة العربية والخليج ٢١٥ .

وبالرجوع إلى مصادر العربية نجدها تذكر لهذا الشيء بالإضافة إلى الرّمَخ عدة أسماء، هي: الجَدال والخَلال والسَّدَى والسَّداء والسَّراء والسَّياب والسُّيَّاب، وتنسبها إلى بيئات لهجية عربية مختلفة[٢٢٠]، وتنسب الرّمَخ إلى طَيِّئ، جاء في اللسان: "والرُّمَخ: البَلَح، واحدته رِمَخة، لغة طائية، ومنه أَرْمَخ النَّخْل، وهو ما سقط من البُسْر أخضر فنَضِج "[٢٢١]، كما تنسبه إلى أهل اليَمَن[٢٢٢]ـ وهذا غير مستغرب؛ فطَيِّئ من أهل اليَمَن في الأصل[٢٢٣] ـ وعلى هذا جاء قول عباس بن التَّيْحان الطائي[٢٢٤]:

تَحْتَ أَفانِيْنِ وَدِيٍّ مُرْمِخ

والمصادر مختلفة في ضبط راء لفظ الرّمخ وميمه؛ فقد روته مصادر بضم الراء وكسرها مع فتح الميم[٢٢٥]، وروته أخرى بضم الراء وكسرها مع سكون الميم[٢٢٦]،

---

(٢٢٠) ينظر مجالس ثعلب ٤٨٣/٢، و الجمهرة ١/ ٥٩٢، و التهذيب ٧/ ٣٨٦، واللسان (رمخ) ٣/ ١٩، و التاج (رمخ) ٧/ ١٤٧.

(٢٢١) ينظر اللسان (رمخ) ٣/ ١٩، كما ينظر مجالس ثعلب ٤٨٣/٢، و الجمهرة ١/ ٥٩٢، و التهذيب ٧/ ٣٨٦، والتاج (رمخ) ٧/ ١٤٧.

(٢٢٢) ينظر الجمهرة ١/ ٥٩٢، هامش الصفحة.

(٢٢٣) سبق الحديث عنها في التمهيد لهذا البحث .

(٢٢٤) كذا جاءت نسبته في التكملة ١٤٥/٢، ونسب في التهذيب ٧/ ٣٨٦ لبعض الطائيين، وفي اللسان (رمخ) ٣/ ١٩ قدّم له بقوله: " قال الطائي "، وعباس بن التَّيحان الخَشْرمي البَولاني الطائي، ورد اسمه دون ترجمة في كتاب معجم الشعراء للمرزباني ١٣٨ ـ ١٣٩، ونسب إليه في هذا الكتاب أربعة أبيات ليس منها هذا الشاهد، وإن كانت على وزنه وقافيته، كما ورد اسمه في كتاب شعر طَيِّئ وأخبارها ٧٥٩/٢، ضمن مجاهيل الطائيين، ونسب إليه في هذا الكتاب ستة أبيات، منها الأربعة السابقة، وليس منها هذا الشاهد، أيضاً، وعليه فهو مستدرك على الكتابين . والوَدِيّ في البيت هو النخل الصغار.

(٢٢٥) ينظر اللسان (رمخ) ٣/ ١٩.

(٢٢٦) ينظر التاج (رمخ) ٧/ ١٤٧.

واقتصرت بعض المصادر على ضم الراء فقط مع سكون الميم(٢٢٧)، كما اقتصرت أخرى على كسر الراء فقط مع فتح الميم(٢٢٨).

ريغ:

الرَّيْغا(٢٢٩): اسم ينطق في اللهجة القَصيْمِيّة مقصوراً بإمالة فتحة الراء نحو الكسرة، وجمعه فيها رَياغِي، ويظهر لي أنه في الأصل ممدود: رَيْغاء، ثم قصروه، على عادة العامة في قصر الممدود، مثل صَحْراء وحَمْراء، التي ينطقونها: صَحْرا وحَمْرا، إذ لا وجود للممدود في كلامهم مطلقاً. ويطلق هذا اللفظ في هذه اللهجة على الأرض الطينية التي تفتت قشرتها فصار لذراتها الناعمة غبار يثور لأدنى ريح أو تحريك، وفي أمثال العامة: " خلاّه بَالِرَّيْغا "، أي تركه في هذا المكان السيئ، يضربونه للرَّجل يهمل آخر أو لا يهتم به، وهو على سبيل المجاز(٢٣٠). ويشتق منه في هذه اللهجة لفظ المَراغَة، وهو في الأصل اسم للمكان المتصف بالصفة السابقة وتعتاده الدَّواب لتَتَمَرَّغ فيه، وإن كانوا قد يطلقونه على كل مكان بهذه الصفة وإن لم يكن مُتَمَرَّغاً للدَّواب، يقولون: تَمَرَّغ البِعيْر يْتِمَرَّغ، وامتَرَغ يَمْتِـرِغ، ومن شواهد الصيغة الأولى من شعرهم العامي قول الشاعر(٢٣١):

---

(٢٢٧) ينظر الجمهرة ١/ ٥٩٢ .

(٢٢٨) ينظر التهذيب ٧/ ٣٨٦.

(٢٢٩) كتبته هكذا بالألف القائمة، ولم أكتبه بالألف التي على صورة الياء (الريغى)، كما هو المعروف في القاعدة الإملائية اليوم تنبيهاً على أن أصله المد، كما سيأتي .

(٢٣٠) ينظر معجم وجه الأرض وما يتعلق به في المأثورات الشعبية ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢٣١) هو عبدالرحمن بن إبراهيم الدَّوْسَري (ينطقون الدَّوْسَرِي بإمالة فتحة الدال نحو الضمة، من أهل بُرَيْدة، ت عام ١٤١٧هـ)، ينظر معجم أسر بريدة ٣٥٤/٦. وقوله : قام، هو من أفعال الشروع في هذه اللهجة، فالمعنى شَرَع أو بدأ ، حَطْو : اسم يستعمل في هذه اللهجة بمعنى الواحد أو الواحدة، وهو لا يستعمل بهذا المعنى مطلقاً، بل عند إرادة التمثيل فقط، كقولهم : فُلانْ مِثِلْ حَطْوَ الجَمَل، وفُلانَة مِثِلْ حَطْوَ الناقَة، أي : مثل الواحد من الجمال، ومثل الواحدة من النُّوْق، مُجِيْعات : جائعات .

قامْ يْتَمَرَّغ مِثِلْ خَطْوَ الحْمارة حْمارةٍ شافَتْ سْباعٍ مْجيْعاتْ

ومن شواهد الثانية قول الشاعر(٢٣٢):

تَلْقاهْ دايمْ يَمْتَرِغْ بَالمْراحِ مِتْحَيْرٍ ما لُهْ مَعْ الناسْ مِعْبارْ

ولم أجد اللفظ بهذه الصيغة في مصادر اللغة التي تحت يدي، لكن جاء فيها لفظ الرِّياغ، الذي فُسِّر فيها بالتُّراب، وقيل: التُّراب المُدَقَّق، وقيل: الرَّهَج ـ وهو الغُبار ـ والتُّراب(٢٣٣)، كما جاء فيها: أن الموضع الذي تَتَمَرَّغ فيه الدَّواب قد يكون سُمِّي مَراغاً من الرِّياغ، وهو الغُبار(٢٣٤)، ولذا لا يبعد عندي أن يكون لفظ الرِّياغ جمعاً للفظ رَيْغاء، فتكون المعجمات حفظت لنا الجمع ولم تحفظ المفرد، واللغويون يُقِرُّون بأنه لم يأتنا من كلام العرب إلا أقله(٢٣٥)، ولعل مما يرجح هذا أن وزن فِعال مسموع ـ وإن لم يَطَّرِد ـ في جمع بعض ما جاء على وزن فَعْلاء، كقولهم: عَجْفاء وعِجاف، وبَطْحاء وبِطاح(٢٣٦)، أما جمعه عند العامة، أعني رَياغِي، فهو قياسي وإن لم تذكره المصادر؛ لأن مما يجمع على فَعالِي قياساً ما كان على وزن فَعْلاء

---

(٢٣٢) هو سَلامة بن عبدالله الخُضَيْر (ينطقونه : الخْضَيِّر، من أهل بُرَيْدة، ت عام ١٤٢٣هـ)، ينظر معجم أسر بريدة ٢٩٤/٥. وقوله : بَالمْراح، أصله : بِالمَراح، والمقصود به هنا مكان المبيت، ما لُهْ مَعْ الناسْ مِعْبار : ليس له من العقل ما يتعايش به مع الناس، والبيت في وصف رجل وتشبيهه بالدَّوابّ .

(٢٣٣) ينظر اللسان (ريغ) ٤٣١/٨، والتاج (ريغ) ٢٦٠/٢٢ .

(٢٣٤) ينظر التهذيب ١٨٧/٨، و اللسان (ريغ) ٤٣١/٨، وعلى هذا فالميم حرف زائد، لكن يشكل عليه أن مادة (مرغ) فيها المعنى نفسه، يقال : مَرَّغه في التراب تَمْريغاً، إذا ألزقه به، والاسم المَراغة، ينظر اللسان (مرغ) ٤٥٠/٨، وعليه فهو حرف أصلي .

(٢٣٥) ومنهم أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) أحد جُمّاع اللغة الأوائل، وكان يقول : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير "، ينظر الخصائص ٣٨٦/١، والاقتراح ١٧٠.

(٢٣٦) ينظر التبيان في تصريف الأسماء ١٦٠ .

اسماً، كصَحْراء وصَحارِي[٢٣٧]. وقد نُسِب لفظ " الرِّياغ " في بعض المصادر إلى أهل اليَمَن، قال ابن سِيْده (علي بن إسماعيل ت ٤٥٨ه) في المخصص: " ابن دُرَيْد: الرِّياغ: التُّراب، تَرَوَّغَ الدابةُ مثل تَمَرَّغَ، يمانية "[٢٣٨]، لكن بالرجوع إلى الجمهرة لابن دُرَيْد (محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ) التي يظهر أن النص السابق منقول عنها نجد أن الفعل " تَرَوَّغ " فقط هو المنسوب فيها إلى أهل اليَمَن؛ فعبارتها: " تَرَوَّغَ الدابةُ، إذا تَمَرَّغَ في التراب، لغة يمانية "[٢٣٩]، ثم جاء فيها بعد ذلك: " الرِّياغ: التُّراب "[٢٤٠]، فلعل صاحب المخصص نقل عن نسخة أخرى من الجمهرة غير النسخ التي اعتمد عليها ناشروا النسخة التي بين أيدينا، أو أنه إنما أراد نسبة الفعل فقط إلى أهل اليَمَن، وعبارته محتملة لهذا، كما لا يبعد أن يكون واهماً في نقله؛ ويرجح الاحتمالين الأخيرين وخاصة أولهما أنه جاء في معجمه الآخر المحكم والمحيط الأعظم تحت جذر(ريغ): " الرِّياغ: التُّراب "[٢٤١]، ثم جاء فيه تحت جذر (روغ): " تُرَوَّغُ الدابةُ في التُّراب: تُمَرَّغ، يمانية "[٢٤٢]، والعامة في القَصِيْم لا يستعملون الفعل تَرَوَّغَ، بل الفعل تَمَرَّغَ.

---

(٢٣٧) ينظر التبيان في تصريف الأسماء ١٦٦ .

(٢٣٨) ينظر المخصص ١١٦/١٢، وما يأتي من تعليق على نص الجمهرة .

(٢٣٩) ينظر الجمهرة ٧٨٣/٢، وقد نقل الزُّبَيْدي عبارة الجمهرة، ثم قال : " والصواب : تَرَوَّغَتْ الدابةُ ... "، ينظر التاج (ريغ) ٢٦٠/٢٢، وقال محقق الجمهرة : لعل ابن دريد ذهب إلى معنى الحيوان فذَكَّر .

(٢٤٠) ينظر الجمهرة ٧٨٣/٢ .

(٢٤١) ينظر المحكم ١٤/٦ .

(٢٤٢) ينظر المحكم ٥٧/٦ .

خاتمة

أختم هذا البحث بالتأكيد على ما يلي:

١ -هذا البحث هو دراسة لغوية مقارنة أثبتت أن بعض المظاهر اللهجية الدلالية التي رواها اللغويون العرب القدماء منسوبة إلى اليَمَن أو إلى إحدى قبائله، لا تزال حَيّة مستعملة في لهجة عربية نَجْدية حديثة، هي اللهجة القَصِيْمية، وقد حاولت الدراسة بالإضافة إلى هذا أن تتلمس الطريق الذي سلكته تلك المظاهر في انتقالها.

٢ -هذا البحث وأمثاله يدعم ما قررته الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة في العصر الحديث، من اتصال قوي بين اللهجات العربية الحديثة والقديمة، وأن ملامح هذا الاتصال أكثر ظهوراً ونقاء وأصالة في لهجات عرب الجزيرة العربية، خاصة وسطها، أعني بلاد نَجْد التي تشغل منطقة القَصِيْم التي تنسب إليها اللهجة القَصِيْمية مساحة شاسعة من وسطها؛ حيث إن منطقة نَجْد ظلت قروناً طويلة ـ قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها اليوم ـ معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجات أهلها؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي، لا نراه في اللهجات العربية المعاصرة الأخرى.

٣ -أنه بعد الطفرة الاقتصادية والحضارية التي شهدتها المملكة العربية السعودية، وبعد وسائل التواصل الحديثة التي قَرَّبت بين شعوب الأرض، تسارعت بشكل كبير التغيرات اللهجية لسكان مناطقها ـ ومنهم أهل القَصِيم ـ بسبب ظروف كثيرة أشرت إلى أهمها في التمهيد، ولذا يرى دارس لهجات هذه المناطق بوناً واضحاً بين لهجة الكبار من أهلها ولهجة ناشئتهم، فكثير من المظاهر الأصيلة التي تضرب بجذورها إلى عصور الفصاحة بدأت بالانقراض، وقد عرضت في ثنايا هذا البحث

أطرافاً من ذلك، ولذا فإنني أهيب بالدارسين وخاصة من أهلها إلى سرعة تدوينها ودراستها والإفادة منها في الحفاظ على كيان لغتنا العربية الفصحى.

٤ -أؤكد على رؤية ثبت لي صوابها ـ أشرت إليها في مقدمة هذ البحث ـ مضمونها أن دراسة اللهجات العامية الحديثة ـ وإن توجس منها بعض الغيورين خيفة ـ فيها خدمة للعربية وللمتحدثين بها؛ فخدمتها للعربية تكمن في تأصيل مظاهر كثيرة من تلك اللهجات تحسب على العامية وهي فصيحة صريحة، وخدمتها للمتكلمين تكمن في إثراء قواميسهم اللغوية الذهنية بالألفاظ والأساليب والعبارات والصور النطقية الفصيحة، فكثير من العلماء والمثقفين وسائر المتكلمين الذين يراعون الفصاحة في كلامهم الرَّسمي يعانون في أثناء هذا الكلام من قلة محفوظهم من الألفاظ والأساليب اللغوية التي يطمئنون إلى فصاحتها، فتنتابهم حالات من التردد والتباطؤ في التعبير عن المعاني المختلفة، مع أن أذهانهم تعج بألفاظ وأساليب وعبارات كثيرة وصور نطقية اعتادوا عليها تناسب هذه المعاني، يتركونها ويترفعون عنها؛ يحسبونها عامية، وهي فصيحة معروفة.

مصادر البحث ومراجعه

[١] الأحوال السياسية في القَصِيْم في عهد الدولة السعودية الثانية: د. محمد ابن عبدالله السلمان، المطابع الوطنية بعُنَيْزة، ط (١)، ١٤٠٧هـ.

[٢] إزاحة الأغيان عن لغة أهل عُمان ـ نماذج من الدارجة العُمانية في قاموس العربية الفصيح: سعيد بن حمد الحارثي، ط (١)، ١٤١١هـ، ولم تذكر عليه معلومات الناشر.

[٣] الأزهار النادية من أشعار البادية رقم ٦ : يحتوي على ديوان محمد بن عبدالله القاضي، مكتبة المعارف بالطائف.

[٤] الاشتقاق: ابن دريد، ت/ عبد السلام هارون، دار الجيل ببيروت، ط (١)، ١٤١١هـ.

[٥] أطلس القرآن الكريم: د. شوقي أبو خليل، دار الفكر بدمشق، ط (٢)، ١٤٢٣هـ.

[٦] الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ببيروت، ط (٦)، ١٩٨٤م.

[٧] الاقتراح في أصول النحو وجدله: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت/ د. محمود فجال، مطبعة الثغر، ط (١)، ١٤٠٩هـ.

[٨] ألفاظ اللهجة الكويتية في كتاب لسان العرب: د. يعقوب يوسف الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ، ط (٢)، ٢٠٠٤م.

[٩] إمارة آل رَشِيد في حائل: محمد الزعارير، بيسان للنشر والتوزيع، ط (١) ١٩٩٧م.

[١٠] الأماكن: الحازمي، ت/ الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ١٤١٥هـ.

[١١] الأمثال العامية في نجد: الشيخ محمد العبودي، دار اليمامة بالرياض، ط (١) ١٣٩٩هـ.

[١٢] أيسر الدلائل لبعض أنساب أسر القصيم وحائل: عبد الله الطويان، ط (١)، ١٤٢١هـ(لم تذكر عليها معلومات الناشر، وكتب عليها: غير مخصص للبيع).

[١٣] بحوث ومقالات في اللغة: د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٣هـ.

[١٤] البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، دار المعرف ببيروت.

[١٥] البلاد العربية السعودية: فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، ط (٢)، ١٣٨٨هـ.

[١٦] تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي، اعتنى به ووضع حواشيه د. عبدالمنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١) ١٤٢٧هـ.

[١٧] تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١٤٠٨هـ.

[١٨] تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد: إبراهيم بن عيسى، مطبوعات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

[١٩] تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك.

[٢٠] تأثر العربية باللغات اليَمَنية القديمة: د. هاشم الطعان، بغداد ١٩٦٨م.

[٢١] التبيان في تصريف الأسماء: أحمد كحيل، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٤٠٢هـ.

[٢٢] تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان: الشيخ إبراهيم بن عبيد، مؤسسة النور بالرياض، ط (١).

[٢٣] تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

[٢٤] التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية: الحسن بن محمد الصاغاني، ت/عبد العليم الطحاوي وآخرين، القاهرة ١٩٧٠م.

[٢٥] تهذيب اللغة: الأزهري: ت/ عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف، ١٣٨٤هـ.

[٢٦] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، دار الفكر ببيروت.

[٢٧] جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ط (٢)، ١٤٠٩هـ.

[٢٨] جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١)، ١٤٠٣هـ.

[٢٩] جمهرة اللغة: ابن دريد، ت/ د. رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، ط (١)، ١٩٨٧م.

[٣٠] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، ت/ عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، ط (٢)، ١٩٧٩م.

[٣١] الخصائص: ابن جني، ت/ محمد علي النجار، عالم الكتب ببيروت.

[٣٢] دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين ببيروت، ١٩٨٣م.

[٣٣] ديوان أبي دؤاد الإيادي: ت / د. أحمد السامرائي، أنوار محمود الصالحي، دار العصماء بدمشق، ط (١) ١٤٣١هـ.

[٣٤] ديوان ثابت قطنه العَتْكي = شعر ثابت قطنه العَتْكي.

[٣٥] ديوان زهير بن أبي سلمى = شرح شعر زهير بن أبي سلمى.

[٣٦] ديوان عبد العزيز الهاشل: مطبوع طبعة غير رسمية يتداولها المهتمون.

[٣٧] ديوان عبدالله بن حسن، شركة الطباعة السعودية بالرياض، ١٤٠٣هـ.

[٣٨] ديوان عبد المحسن الصالح: مطابع الرياض بالرياض، ط (١)، ١٤٠١هـ.

[٣٩] ديوان لبيد بن ربيعة بشرح الطوسي: ت / حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ببيروت، ط (١) ١٤١٤هـ.

[٤٠] ديوان محمد العبد الله العُـوْني: جمعه عبد الله الحاتم، ط (١) ١٤٠٤هـ.

[٤١] رواية اللغة: د. عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف بالقاهرة.

[٤٢] روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام: حسين بن غنام، اعتنى بإخراجه سليمان الخراشي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣١هـ.

[٤٣] سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: محمد البغدادي، بيروت، ١٩٨٦م.

[٤٤] الشاعر محمد العُـوْني: إبراهيم المسلم، ، الدار الثقافية بالقاهرة، ١٤٢٢هـ.

[٤٥] شاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي: ت / عبدالعزيز القاضي، ط (١)، ١٤٢٩هـ.

[٤٦] شبه جزيرة العرب (نجد): محمود شاكر، المكتب الإسلامي ببيروت، ط (١) ١٣٩٦هـ.

[٤٧] شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، دار الفكر ببيروت.

[٤٨] شرح شعر زهير بن أبي سلمى: أحمد بن يحيى ثعلب، ت/ د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ببيروت، ط(١)، ١٤٠٢هـ.

[٤٩] شعر ثابت قطنه العَتْكي: جمع وتحقيق / ماجد أحمد السامرائي، نشرته وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، عام ١٣٨٨هـ.

[٥٠] شعراء عُنَيْزة الشعبيون: عبد الرحمن العقيل و سليمان الهطلاني، المطابع الوطنية للأوفست بعُنَيْزة، ط (١) ١٤١٤هـ.

[٥١] شعراء من الرَّس: فهد بن منيع الرَّشيد، ط (٥) ١٤١٢هـ.

[٥٢] شعر طَيِّئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام: د. وفاء السنديوني، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، ط (١) ١٤٠٣هـ.

[٥٣] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نَشْوان الحميري، ت/ عبد الله الجرافي، عالم الكتب ببيروت.

[٥٤] الصاحبي: ابن فارس: ت/ السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة.

[٥٥] الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ببيروت، ط (٣)، ١٤٠٤هـ.

[٥٦] صفة جزيرة العرب: الهمداني، ت/ محمد الأكوع، دار اليمامة بالرياض، ١٣٩٤هـ.

[٥٧] العامية الفصيحة في لهجة أهل الأحساء: محمد بن إبراهيم آل ملحم، نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدَّمّام، ط (١)، ١٤٢٨هـ.

[٥٨] العُجْمان وزعيمهم راكان بن حثلين: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، ذات السلاسل للطباعة والنشر بالكويت، ط (٢) ١٤١٦هـ.

[٥٩] عشائر العراق: عباس العزاوي، مكتبة الصفا بلندن، ط (٢) ١٤١٦هـ.

[٦٠] العُقَيْلات: إبراهيم المُسَلَّم، دار الأصالة بالرياض، ط (١) ١٤٠٥هـ.

[٦١] علماء نجد خلال ثمانية قرون: الشيخ عبدالله البسام، ط (١)، لم تذكر عليها معلومات الناشر.

[٦٢] عنوان المجد في تاريخ نجد: ابن بشر، ت/ عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ط (٤)، ١٤٠٢هـ.

[٦٣] العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/ د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

[٦٤] غريب لغة قبيلة شَمَّر حائل وما حولها: هزاع الشمري، مطبعة سفير بالرياض، ١٤٢٧هـ.

[٦٥] فصيح العامي في شمال نجد: عبدالرحمن السويداء، دار السويداء بالرياض، ١٤٠٧هـ.

[٦٦] فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر بالقاهرة.
[٦٧] فقه اللغة العربية: د. كاصد الزيدي، مطبوعات جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ.
[٦٨] في أصول النحو: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٧ هـ.
[٦٩] في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.
[٧٠] قاموس الأريج من كلام أهل الجزيرة العربية والخليج: خليفة الإسماعيل، مكتبة الكفاح، ط (١) ١٤٢١هـ.
[٧١] القاموس الإسلامي: أحمد عطية اللّه، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ١٣٨٣هـ.
[٧٢] قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية: روكس العزيزي، مطبوعات وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠٠٤م.
[٧٣] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرَّسالة ببيروت، ١٤٠٧هـ.
[٧٤] القاموس الوجيز في العامية العراقية: محمد شراد حساني، دار الحمراء ببيروت ٢٠٠٧م.
[٧٥] قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل: المحبي، ت/ د. عثمان الصيني، مكتبة التوبة بالرياض، ط (١)، ١٤١٥ هـ.
[٧٦] قلب جزيرة العرب: فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٤٣٠هـ.
[٧٧] الكتاب: سيبويه، ت/ عبد السلام هارون، عالم الكتب ببيروت، ١٤٠٣هـ.
[٧٨] كلمات قضت: الشيخ محمد العبودي، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٢٣هـ.
[٧٩] كنز الأنساب: حمد الحقيل، مطابع الجاسر بالرياض، ط (١٢)، ١٤١٣هـ.
[٨٠] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر ببيروت.

[٨١] لغة تَميْم دراسة تاريخية وصفية: د. ضاحي عبدالباقي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٥هـ.

[٨٢] لغة طَيِّئ وأثرها في العربية: د. عبدالفتاح محمد، دار العصماء بدمشق، ط (١) ١٤٢٩هـ.

[٨٣] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر: د. عيد محمد الطيب، مصر ١٤١٥هـ.

[٨٤] اللهجات العربية الغربية القديمة: المستشرق تشيم رابين، ترجمه د. عبدالرحمن أيوب، جامعة الكويت، عام ١٩٨٦م.

[٨٥] اللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي: الدار العربية للكتاب بليبيا، ١٩٨٣م.

[٨٦] اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٩٥م.

[٨٧] اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية: محمد بن سهيل آل سهيل، مطابع الجزيرة بالرياض، ط (١)، ١٤٢٦هـ.

[٨٨] لهجة خُبان ــ دراسة لغوية: محمد ضيف الله الشامري، وزارة الثقافة والسياحة بصنعاء، ١٤٢٥هـ.

[٨٩] مجالس ثعلب: أحمد بن يحيى ثعلب، ت/ عبد السلام هارون، دار المعارف بالقاهرة، ط (٣).

[٩٠] مجمع الأمثال: الميداني، مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٨٥م.

[٩١] المجموعة البهية من الأشعار النبطية: جمع وترتيب عبد المحسن بن عثمان أبا بطين، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، ط (٣)، ١٣٩٨هـ.

[٩٢] المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني: ت/ د. عبدالحليم النجار وآخرين، دار سزكين للطباعة، ط (١)، ١٤٠٦ هـ.

[٩٣] المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، ت/ د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١) ١٤٢١هـ.

[٩٤] المخصص: ابن سيده، دار الكتب العلمية ببيروت.

[٩٥] المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، المكتبة العصرية ببيروت، ١٩٨٦م.

[٩٦] مسائل من تاريخ الجزيرة العربية: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، دار الأصالة بالرياض، ط (١) ١٤١٣هـ.

[٩٧] معاني القرآن: الفراء، ت/ أحمد نجاتي ومحمد النجار، دار السرور ببيروت.

[٩٨] معاني القرآن وإعرابه: الزَّجَّاج، ت/ د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ببيروت، ط (١)، ١٤٠١ هـ.

[٩٩] معجم أسر بُرَيْدة: الشيخ محمد العبودي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣١هـ.

[١٠٠] معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة: الشيخ محمد العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ط (١)، ١٤٣٠هـ.

[١٠١] معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية: د. عبدالمنعم عبدالعال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (٢).

[١٠٢] معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها: مجموعة من الباحثين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط (١)، ٢٠٠٨م.

[١٠٣] معجم ألفاظ المرض والصحة في المأثور الشعبي: الشيخ محمد العبودي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣٦هـ.

[١٠٤] معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر: سعد بن جنيدل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط (١)، ١٤١١هـ.

[١٠٥] معجم بلاد القَصيْم: الشيخ محمد العبودي: مطابع الفرزدق بالرياض، ١٤١٠هـ.

[١٠٦] معجم البلدان: ياقوت الحموي، ت/ فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١)، ١٤١٠ هـ.

[١٠٧] معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء: مجموعة من الباحثين الغربيين، ترجمة د. عبدالله الوليعي، دارة الملك عبد العزيز بالرياض، ١٤٣٥ه.

[١٠٨] معجم التراث (بيت السكن): سعد بن جنيدل، دارة الملك عبد العزيز بالرياض، ١٤٢٧ه.

[١٠٩] المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ عالية نجد: سعد بن جنيدل، دار اليمامة بالرياض، ١٣٩٨هـ.

[١١٠] المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ المنطقة الشرقية: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ط (١)، ١٣٩٩هـ.

[١١١] المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ المنطقة الشمالية: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض.

[١١٢] معجم الحيوان عند العامة: الشيخ محمد العبودي، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ١٤٣٢هـ.

[١١٣] معجم الشعراء: المرزباني: ت/ د. فاروق سليم، دار صادر ببيروت، ط (١) ١٤٢٥هـ.

[١١٤] معجم الصوتيات: د. رشيد العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالعراق، ط (١) ١٤٢٨هـ.

[١١٥] معجم الطعام والشراب في المأثور الشعبي: الشيخ محمد العبودي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣٦هـ.

[١١٦] معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير: د. عبد الله بن سالم القحطاني، ط (١) ١٤١٤هـ، ولم تذكر عليها معلومات الناشر.

[١١٧] معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر كحالة، مؤسسة الرَّسالة ببيروت، ط (٥)، ١٤٠٥هـ.

[١١٨] معجم قبائل المملكة العربية السعودية: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ط (١) ١٤٠٠هـ.

[١١٩] معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة: الشيخ محمد العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ط (١)، ١٤٢٦هـ.

[١٢٠] معجم لهجة سَرْو حِمْيَر ـ يافع وشذرات من تراثها: د. علي صالح الخلاقي، مركز عبادي بصنعاء (١)، ١٤٣٣هـ.

[١٢١] معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان: محمد العقيلي، تهامة للنشر بجدة، ط (١)، ١٤٠٣هـ.

[١٢٢] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: البكري، ت/ مصطفى السقا، عالم الكتب ببيروت، ط (٣)، ١٤٠٣ هـ.

[١٢٣] معجم معالم الحجاز: عاتق البلادي، دار مكة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

[١٢٤] معجم مفردات ولهجات قحطان: علي القحطاني، مطابع دار الشرق، ط (١)، ١٤٢١هـ.

[١٢٥] معجم النباتات والزراعة: محمد آل ياسين، دار مكتبة الهلال ببيروت، ط(٢)، ٢٠٠٠م.

[١٢٦] معجم النخلة في المأثور الشعبي: الشيخ محمد العبودي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣١هـ.

[١٢٧] معجم وجه الأرض وما يتعلق به في المأثورات الشعبية: الشيخ محمد العبودي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣٥هـ.

[١٢٨] المعجم الوسيط: مجموعة من الأساتذة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

[١٢٩] معجم اليمامة: عبد اللَّه بن خميس، مطابع الفرزدق بالرياض، ١٤٠٠هـ.

[١٣٠] المعجم اليَمَني في اللغة والتراث: مطهر الأرياني، المطبعة العلمية بدمشق، ١٤١٧هـ.

[١٣١] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي، دار العلم للملايين ببيروت، ط (١)، ١٩٦٨م.

[١٣٢] مقاييس اللغة: ابن فارس، ت/ عبد السلام هارون، دار الجيل ببيروت، ١٤١١هـ.

[١٣٣] المنتخب من غريب كلام العرب: كراع النمل، ت/ د. محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط (١)، ١٤٠٩هـ.

[١٣٤] من شعراء بُرَيْدة: سليمان النقيدان، مطابع المنار ببريدة، ١٤٠٩هـ.

[١٣٥] من شعراء الجبل العاميين: عبدالرحمن السويداء، دار السويداء بالرياض، ١٤٠٨هـ.

[١٣٦] من شيم العرب: فهد المارك، (ط) ١٩٦٣م.
[١٣٧] من العامية الفصيحة في اللهجة الكويتية: خالد سالم محمد، مكتبة ومركز فهد بن محمد الدبوس للتراث الأدبي بالكويت، ط (١) ٢٠١٢م.
[١٣٨] من غريب الألفاظ المستعمل في قلب جزيرة العرب: د. عبد العزيز الفيصل، مطابع الفرزدق بالرياض، ط (١)، ١٤٠٧هـ.
[١٣٩] من فصيح العامية في عُمان: عبدالله بن سعيد الحجري، مكتبة الجيل الواعد بمسقط، ط (١)، ١٤٢٧هـ.
[١٤٠] منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب: محمد بن عثمان القاضي، المطابع الوطنية بعُنَيْزة، ط (٢)، ١٤٠٨هـ.
[١٤١] موسوعة حلب المقارنة: خير الدين الأسدي، جامعة حلب، ١٤٠٨هـ.
[١٤٢] الموسوعة العربية الميسرة: دار الجيل بلبنان، ١٤١٦هـ.
[١٤٣] موسوعة عشائر العراق: عبدعون الروضان، الأهلية للنشر بالأردن٢٠٠٨م.
[١٤٤] النبات: أبو حنيفة الدينوري، ت/ برنهارد لفين، يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤م.
[١٤٥] النباتات البرية في المملكة العربية السعودية: عائش الحارثي، مؤسسة الجريسي للتوزيع بالرياض، ١٤١٨هـ.
[١٤٦] النبات والشجر: الأصمعي: ضمن مجموع بعنوان: (البلغة في شذور اللغة)، نشره د. أوغست هفنر ببيروت، عام ١٩١٤م.
[١٤٧] النبذة الوجيزة في أنساب أسر عنيزة: علي الصيخان، مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ.
[١٤٨] نجديون وراء الحدود (العُقَيْلات): عبد العزيز إبراهيم، دار الساقي، ١٩٩١م.

[١٤٩] نسب حَرْب: عاتق بن غيث البلادي، دار مكة بمكة المكرمة، ١٤٠٤هـ.
[١٥٠] النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ت/ علي الضباع، دار الكتاب العربي ببيروت.
[١٥١] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: القلقشندي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١)، ١٤٠٥هـ.
[١٥٢] النوادر في اللغة: أبو زيد الأنصاري، ت/ د. محمد أحمد، دار الشروق ببيروت، ١٤٠١هـ.

Aspects from Ancient Yamani Dialects in the Contemporary Qassim Dialect: A Study for Different Sementic that Begins with Ba, Ra and Other Letters Between them

Dr. Khalid bin Mohammed bin Suleiman Aljumah
Professor Associate philology participating in the Faculty of Arabic Language
Social Studies
Qassim university

Abstract. This paper is a contrastive Linguistic study. It aims to indicate that a number of dialectal semantic aspects, which have been raised by the Early Arab Linguists attributed to Yemen or to one of its tribes, are still exist in the one of Contemporary Arabic Najdi dialect, namely the Qassim Dialect. Moreover, the current study attempts to trace the transition route taken by those aspects.

This paper adds increasing evidence, reached by contemporary historical and contrastive linguistic studies, to the strong contacting link between the ancient and old Arabic dialects, especially in Arabian Peninsula dialects, and more specifically, in the middle of Arabian Peninsula where the Qassim Dialect is located. Such a location has made this dialect largely isolated from outside influences, which is reflected positively on the dialects of its people. And as a result, the Qassim Dialect has clearly retained its originality in which we do not find in other contemporary Arabic dialects.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٥٩٣-٦٤٤، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

اللون في شعر ابن عبد ربه الأندلسي ودلالته الموضوعية والفنية

د. سالم بن عبيد عبدالمحسن القرارعة
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم
المملكة العربية السعودية
٢٠١٤م- ١٤٣٥هـ

ملخص البحث. يعد اللون عنصرًا مهمًا من عناصر التعبير الفني، يمد القصيدة بطاقة تعبيرية مميزة، يوظفه الشاعر لتوجيه أفكاره وتعميق رؤاه الفنية؛ لما يحمل من دلالات جمالية وأساليب متنوعة، ذات أبعاد فنية في تشكيل الصورة.

كما يعد مكونًا أساسيًا من عناصر النص التي تعمل على توليد العديد من الدلالات التي ترسم صورًا لونية مميزة للجمال، نابضة بالحياة، ذات قدرة هائلة من التأثير والنفاذ في ذهن المتلقي.

وقد تم إلقاء الضوء في هذا البحث على دراسة جماليات الألوان في شعر ابن عبد ربه، دراسة دلالية أسلوبية تعتمد الوقوف على بعض الظواهر اللونية في ديوانه، في محاولة للكشف عن قيمتها الفنية، ودلالاتها الجمالية التي عبر من خلالها الشاعر عن صور وانفعالات تخللت مسيرته الحياتية.

المقدمة

من رحمة المولى بنا سبحانه أن لَوَّن حياتنا بألوان متعددة ؛ بل عمل على بثها في الطبيعة والإنسان والحياة ؛ لما تضفيه من بهجة وحيوية أحيانًا ، وما تتركه في نفوسنا ومشاعرنا من أثر ، فلو سيطر علينا في حياتنا لون واحد لسادها الملل والسأم والكآبة والضجر.

أما عن دور اللون في الصورة الشعرية ، فهو أحد أهم عناصر تشكيلها ، بكونه أجمل ما في الطبيعة ، و لما يحوي من دلالات فنية ونفسية ورمزية. ولكل نوع من أنواعه معنى ؛ له من التأثير النفسي والوظيفي ما ليس لغيره ، خاصة فيما يتطلب الجانب النفسي للإنسان ؛ إذ يعبر من خلاله عن آرائه ومشاعره وانفعالاته ، سواء أكان ذلك في الأغراض الحسية أو المعنوية. مرة يريح ويهدئ ، وأخرى يثير ويزعج ، وفق ما يحدده السياق الشعري. فهو لا يدخل في ثنايا النص الشعري على مستوى التركيب فقط ، بل يتجاوزه ويتعداه إلى المستوى الدلالي المقصود أيضًا .

وقد تعامل الشعراء منذ القدم مع اللون تعامل الرسام الخبير بالألوان ودلالاتها ؛ وفق ذوق رفيع ؛ متجاوزين بذلك حدود حاسة السمع إلى البصر والشم أحيانًا.

من هذا المنطلق تم اختيار هذه الدراسة بعنوان (اللون في شعر ابن عبد ربه [١] ودلالته الموضوعية والفنية) والتي كشفت عن حضور طاغ للألوان في شعره ، أبانت عما لها من أبعاد جمالية وأخرى دلالية في تكوينه ، كما كشفت عن مدى قدرة الشاعر

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، ولد ونشأ ومات في قرطبة (٢٤٦-٣٢٨ هـ)، امتاز بسعة الاطلاع في العلم والرواية والشعر، أعظم أعماله كتابه (العقد الفريد)، الذي كان بمثابة موسوعة ثقافية تبين أحوال الحضارة الإسلامية في عصره.بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، دار الكاتب العربي، ١٤٨.

على توظيفها في تشكيل الصورة الشعرية وبنائها، وحددت وعي الشاعر بالطاقات الكامنة فيها، ومن ثم قدرته على بناء القصيدة فنيًا، وجماليًا.

اعتمدت الدراسة على مرتكزات أبرزها، خصوصية اللون، والغرض الذي تحقق من إيراده في السياق الشعري.

أما منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي المقرون بتحليل العديد من النصوص الشعرية المختارة من ديوان الشاعر، التي تناولت الألفاظ اللونية ومترادفاتها المتعددة، وعملت على إبرازها، وتحليلها، واستنباط دلالاتها.

الدراسات التي تناولت اللون في الشعر العربي بشكل عام، فكان منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الألوان ودلالتها في شعر ابن زيدون وابن خفاجة، دراسة موازنة(ماجستير)، هبة عامر، الجامعة العراقية(الإسلامية سابقًا)، ٢٠١٢.

٢ - اللون في الشعر الأندلسي، عبير الكوسا، (ماجستير) جامعة البعث، ٢٠٠٧.

٣ - لونيات ابن خفاجة الأندلسي، زهراء زارع وآخرون.

٤ - الصورة اللونية في شعر ابن سهل الأندلسي، د. أناهيد عبد الأمير.

٥ - جماليات اللون في القصيدة المعاصرة، د. محمد حافظ ذياب.

٦ - جماليات اللون في شعر كشاجم، د. أسامة الشوربجي.

٧ - الطبيعة الأندلسية وأثرها في استثمار اللون الشعري، (ماجستير)، لؤي صيهود فواز، جامعة ديالى.

٨ - اللون بين فلسفة الفن والشعر، د. حافظ المغربي.

٩ - صورة اللون في الشعر الأندلسي، دراسة دلالية وفنية، د. حافظ المغربي، ٢٠٠٠م.

أما الكتب التي تناولت هذا الجانب، فمنها:

١ - اللون في الشعر الأندلسي، د. صالح ويس.

٢ - اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، د. أحمد مقبل المنصوري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، ٢٠٠٠م.

٣ - اللون ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسي - من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي - د. علي إسماعيل السامرائي، دار غيداء للنشر، عمان، ط١، ٢٠١١م.

هيكل الدراسة: تم بناؤه على خمسة مباحث تسبقها مقدمة، وتتبعها خاتمة.

المقدمة

المبحث الأول: اللون الأبيض في شعر ابن عبد ربه.

المبحث الثاني: اللون الأسود في شعر ابن عبد ربه.

المبحث الثالث: اللون الأحمر في شعر ابن عبد ربه.

المبحث الرابع: اللون الأخضر في شعر ابن عبد ربه.

المبحث الخامس: اللون والزينة في شعر ابن عبد ربه.

الخاتمة: حوت أهم ما توصلت إليه الدراسة من: نتائج، وتوصيات، تليها الهوامش متضمنة المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها.

المبحث الأول: اللون الأبيض في شعر ابن عبد ربه

من أكثر الألوان حضورًا في الشعر العربي بعامة، وفي ديوان الشاعر بخاصة، لما يتميز به عن بقية الألوان في العديد من المميزات، سواء في وظائفه الدلالية، أو الرمزية، أو الطبيعية، وغالبًا ما يقترن بهيئة الرجل، وجمال المرأة، وحدة السيوف، ومعاني الخير، كما يحظى لدى العربي بصفة معنوية أكثر من كونها حسية محددة؛ فالعرب "لا تقول: (رجل أبيض) من بياض اللون، وإنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب"(٢). كما يغلب عليه الدلالة على الجمال والحسن والإشراق والبهاء، وخاصة إذا كان الحديث فيه عن المرأة، "وربما يكون مرجع ذلك لما يحويه من خواص الإبهار، وجذب الأنظار، فضلًا عما يضفيه من دلائل الطهر والنقاء، والعراقة والأصالة، فهذه الأمور مجتمعة قد هيأت له طبيعة نورانية، تناسب المرأة، خاصة إذا كانت محبوبة معشوقة"(٣).

ويمثل اللون الأبيض الأوصاف الإيجابية والخصائص المحمودة التي تُشعِرُ النفس بالراحة، وهو يقابل السواد في الألوان من حيث الدلالة. وغالبًا ما يرتبط بسلوكيات الإنسان كونه "يعتبر من الألوان الباردة التي تُشعر بالهدوء"(٤).

لقد كان لهذا اللون حضور مميز، ذو دلالات متعددة في شعر الشاعر، منها: الإشراق، والوضاءة، والحسن، فهو يصور بياض لون محبوبته، ويبديه أكثر فتنة على رونق محياها، وتفاصيل جسدها الحسية التي تعكس إحساس الشاعر في عاطفة مشبوبة، تجعل حال من حظي بها كحال من يرفل في نعيم الجنة، بقوله(٥):

---

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ،دار صادر، بيروت، م٧، ١٢

(٣) شاعرية الألوان عند امرئ القيس ،محمد عبد المطلب، مجلة فصول ، المجلد ٥ ، العدد٢، ٦١،١٩٨٥

(٤) الإضاءة المسرحية ، شكري عبد الوهاب، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٥م

(٥) ديوان ابن عبد ربه، جمع وتحقيق وشرح د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٢٣،٩٧٩.

بَيْضَـــاءُ مضـــمومةٌ مُقرطَقـــةٌ[٦] تنقـــدُ عـــن نَـــَـــهدِها قَرطِقُهـــا

كأنمـــــاَ باتَ نَاعِمًـــا جَـــذِلًا في جَنـــةِ الخـــلدِ مـــن يُعانِقُهـــا

وهي ترنو بعيني غزال، وتتستر بالحجال والزينة، وتبدو كالشمس إشراقًا، ويجمع الشاعر بين ألوان متعددة في تصوير محبوبته، فهو يختار لها ألوان الوضاءة والجمال والحسن (بيضاء، ناعمة، جذلة) يصفها في صورة متكاملة متناغمة، بياض ممزوج ببشرة ناعمة وضيئة، مع وجه مشرق مضيء يشع نورًا، تحفه ملابس زاهية. أما إذا جاء اللون الأبيض في سياق وصف الطبيعة، فيأتي للدلالة على الجمال والبهاء والحسن كذلك؛ لما لهذا اللون من أثر في النفس البشرية، من شعور بالسعادة والفرح والهدوء والراحة والبهجة؛ فالرياض مطلوبة لدى الشاعر خاصة في البكور، نجده يتجول بين سوسنها وبنفسجها، ثم يبدأ برسم صور لتلك الرياض، وقد اكتست بياضًا ممزوجًا بالكافور الأسود، تخالطه الخيوط الذهبية التي استمدتها من شعاع الشمس، صورة اشتملت بياضًا ممزوجًا بسواد وحمرة مذهبة " فالبياض بحد ذاته لا يشكل جمالًا إذا لم ترافقه أشياء أخر" [٧]. فهو عندما استخدم اللون للحديقة، أراد من خلاله الدخول إلى باب آخر من وصف مظاهر الطبيعة، إلى الوصف المادي المجرد لجسد المحبوبة، "فيتراسل اللون بين المحبوبة الجميلة إلى الطبيعة الجميلة أيضًا، فيقرن الشاعر ما بين ما في الطبيعة من ألوان ورائحة جميلة، وما يتجلى من مواطن جمال"[٨].

(٦) المقرطقة: لابسة القرطق، وهو ضرب من الملابس، ديوان ابن عبد ربه ،١٢٣.

(٧) جماليات اللون في مخيلة بشار بن برد الشعرية، د.عدنان عبيدات، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد٨٠، ج٢، ٣٣٥.

(٨) اللون في شعر نزار قباني ، ياسين عبدالله نصيف ، رسالة ماجستير ، جامعة الكويت ،٢٠٠٣، ٤١.

فاستخدامه للألفاظ الدالة على اللون الأبيض، التي لم يرد ذكرها لذاتها، بل لنفاستها، ولمناسبتها الموصوف، في قوله [٩]:

بَاكِـــر الـــروضَ في رِياضِ السُّـــرورِ بـــينَ نَظـــمِ الربيـــعِ والمنثـــورِ
في رِياضٍ مِـــن البنفســـجِ يَحكـــي أثـــرَ العـــضِ في بيـــاضِ الصـــدورِ
وتـــرى السوسَـــنَ المِـــنعمِ يَحكـــي ذَهبًـــا نابتًـــا علـــى كـــافورِ

فقد استخدم في ألفاظه ومفرداته هذه؛ ما يدل على اللون الأبيض المقرون بغيره من ألوان، من غير أن يصرح به، (المنثور، المنعم، المذهب، بياض الصدور، نابتًا)، جميعها أوصاف ومترادفات دالة على اللون الأبيض، لم يقصدها لذاتها؛ بل لنفاستها، ولمناسبتها وملائمتها للموصوف.

أما إذا ما عبر اللون الأبيض عن السيوف؛ فإنما يعبر عن سطوتها وحدتها وصلابتها، وشجاعة ممدوحه " وقد وصِفَ السيف بالبياض لرقة نصله، ولمعانه عند انعكاسه على الضوء"[١٠].

فسيوف ممدوحه بيض، مرتوية من دماء أعدائه، لكثرة ما قتلت، في قوله[١١]:

فقُتِلـــــوا مقتلـــــةَ الفنـــــاءِ فـــارتوتِ البـــيضُ مـــن الـــدماءِ

كما خلط الشاعر اللون الأبيض مع ألوان أخرى متعددة في بعض أشعاره؛ لإضافة دلالات أخرى تظهر من خلال السياقات الشعرية الواردة فيها.

---

(٩) الديوان ،٨٦.

(١٠) اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات نموذجًا، أمل عبد القادر ، رسالة ماجستير مخطوطة ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسين٢٠٠٨م ،٨٩.

(١١) الديوان، ٢٠٠

فزاوج بين الأبيض والأصفر؛ ليعطي دلالات عديدة محببة إلى النفس؛ ترسم صورة لحسناء ترفل في النعيم، ويزين لونها الأبيض صفرة تبديها كطلعة الشمس بهاء، حيث يقول[١٢]:

أومـــتْ إليـــكَ جفونُهـــا بـــوداعِ خَـــودٌ بـــدتْ لـــكَ مـــن وراءِ قِنـــاعِ
بيضـــاءُ أنماهـــا النعـــيمُ بصـــفرةٍ فكأنهـــا شمـــسٌ بغـــيرِ شُـــعاعِ

فهي بيضاء تميل إلى الصفرة كالشمس بدون شعاع، علما بأن الصفرة غير محببة -أحيانًا - في النساء، على الرغم من أنها لون مقدس عند بعض الشعوب، لكنه هنا أضفى دلالة اجتماعية، حيث أخذت من الشمس لونها، وهي تطلع من غير شعاع. ولم يقف الشاعر عند إيراده للونٍ واحدٍ في البيت الثاني، حيث أثقله بالألوان، التي غطته تغطية شبه كاملة، جعلت له السيطرة (بيضاء، شمس، شعاع، صفرة) ألوان مؤتلفة متناسقة موحية بالبياض المشرب بالصفرة والشروق والبهاء.

كما نجده في لوحة أخرى من لوحاته وصوره، وقد جمع بين العلاقات الجزئية المتوافقة في تشكيل الصورة، لإعطائها القيمة التعبيرية الكاملة، حيث شكل صوره الشعرية وفقًا لحركة اللون الأبيض الممزوج بالعديد من الألوان المتوافقة؛ وذلك لإعطاء الصورة القيمة التعبيرية الكاملة، حيث شكل وفقًا لحركة اللون الأبيض الممزوج بالعديد من الألوان المتوافقة مع الجواهر واللآلي، كفصوص الياقوت الأسود. صورة نادرة معبرة للمحبوبة، تتوافق مع رغباته وميوله، وفي هذا دليل على " شغف الأندلسيين باستخدام المظاهر اللونية الخفيفة في أجراسها، المتقاربة في درجاتها اللونية"[١٣]، بقوله [١٤]:

---

(١٢) الديوان ،١٠٨

(١٣) اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، أحمد مقبل محمد، رسالة ماجستير ،كلية الآداب ، جامعة المستنصرية ،٢٠٠٨م ،٨٩.

(١٤) الديوان ،٦٩

سِـــداوتُها مـــع ناصـــعِ اللـــونِ أبـــيضٍ ولُمتهـــا مـــن فـــاقعِ اللـــونِ أصـــــفَرا
تُلاحـــظ لحظًـــا مـــن عيـــونٍ كأنـــــها فصـــوصٌ مـــن اليـــاقوتِ كُللـــن جَـــوهرا

ومن خلال وصفه لسلتي عنب أهديتا له، جمع الشاعر في ثنائية بين البياض والسواد في تشكيل مبناه ومعناه؛ على نحو تناغمي محبب؛ يتخذ من الضدية طريقًا لإكمال الصورة، وإيحاءات عن المرأة؛ فسرها في عجز البيت الأول، حيث يقول[١٥]:

أهـــديتُ بيضًـــا وسُـــودًا في تلونِهـــا كأنهـــا مِـــنْ بنـــاتِ الـــرومِ والحـــبشِ
عـذراءُ تُؤكـلُ أحيـانًا وتُشـربُ أحيـانًا فتعصِـــم مـــن جـــوعٍ ومـــن عطـــشِ

كما ورد التضاد اللوني عند وصفه لقصر الخليفة، حيث جمع فيه بين كل من الزهرة البيضاء ودلالتها (الصبح، الزهر)، والسواد الذي دل عليه الليل، مع قليل من اللون الأحمر، ما أعطى صورة معبرة لافتة للانتباه، بقوله [١٦]:

أَلِمَا على قصرِ الخليفةِ فانظُرا إلى مُنيةٍ زهراءَ شِيدتْ لأزهرا
مُزوقةٍ تستودعُ النجمَ سِرَها فتحسبُهُ يُصْغِي إليها لتُخبرا
هي الزهرةُ البيضاءُ في الأرضِ ألبستْ لها الزهرةُ الحمراءُ في الجو مِغفرا[١٧]
بناءٌ إذا ما الليلُ حلَّ قِناعَهُ بدا الصبحُ من أعرافِهِ الشُّم مُسفرا

ولبيان جمال العيون توسل الشاعر بالثنائية الضدية بين اللونين، الأبيض، والأسود، ففي اجتماعهما مثار جمالي، فمحبوبته حوراء كالظبية، حينما يقول [١٨]:

---

(١٥) الديوان ،٩٦

(١٦) الديوان ،٦٨

(١٧) المغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ،أو حلق يتقنع به المتسلح. الديوان ،٦٨

(١٨) الديوان ، ٨١

حَــوراء داعبَهــا الهــوى في حُــورِ حكمــتْ لواحِظُهــا علــى المقــدورِ

كما نراه في لوحة أخرى من لوحاته يورد اللون الأبيض بصفته (الأبلج)، وهو الأبيض بياضًا حسنًا، وقد ركبه مع لون آخر، أنتجا لونًا مميزًا لافتًا، فجاءت لوحته متضمنة مفردات: (الأبلج الواضح، البدر، الإشراق) وكلها ألفاظ دالة على اللون الأبيض، مع أن اللون الأسود الذي يشير له بالظلام والدجى، جمَل هذا التمازج بين الألوان بصورة واضحة مميزة، تناسب المقام الذي قيلت فيه، عندما يمدح الأمير عبد الله، بقوله [١٩]:

الحــــقُ أبلــــجُ واضــــحُ المِنهــــاجِ والبــدرُ يُشــرِقُ في الظــلامِ الــدَّاجي

ولم ينس الشاعر أن يصف خد المرأة الأبيض التي هي عنده صاحبة الغرة المشربة بالحمرة، مع ما يرافقها من زينة، حيث بدت كورد الرياض المترعة بالجمال والحسن، حيث جمعت الصورة في إطارها أصنافًا من (الرياض، والورود الموشاة بالزخرفة —والتحجيل - وحمرة الخد، والوشي)، "ولكي يزيد من تقنيات هذه الصورة؛ لتكون أكثر بروزًا من ناحية اللون ودلالاته، أردفها بتشبيه مثله (غرة) وهو تمثيل دلالته اللونية واضحة وتجسيمه بارز عند العربي الذي يألف هذه الصورة في الخيل، مما جعل إدراك هذا التشبيه لا يحتاج إلى قابليات فنية متقدمة في التلقي، إذ نرى اللون متجسدًا بتشبيه قرين يجعله يسيرًا بالإحساس والشعور، ويبعده عن المجازية التي هي من متطلبات الشعر الراقي، أو المتقدم "[٢٠]، لكن لفظة (أغر) التي صرفها للورد مجازيًا جعلت من الصورة أكثر تعبيرًا وإشراقًا في تغيير المألوف من الخيل إلى الورد.

---

(١٩) الديوان ،٣٩

(٢٠) اللون ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ،د.علي إسماعيل السامرائي ، دار غيداء للنشر، عمان، ط١٨٤، ٢٠١١، ١

فجاءت صورة (ورد أغر)من مقتضيات بناء الصورة؛ التي تداخلت فيها الألوان _الحمرة والربيع المشرق _المتمثل بوروده الموشاة بألوان زهر الأندلس، بقوله [٢١]:

رياحينُ أهديها لِريحانةِ المجدِ جَنتهْا يدُ التحجيلِ من حُمرةِ الخدِ
وورْدٌ به حَييتُ غُرةِ ماجدٍ شمائلهُ أذكى نسيمًا من الوردِ
ووشيُ ربيعٍ مُشرقِ اللونِ ناضرٍ يلوحُ عليه ثوبُ وشيٍ من الحمدِ

ومثلها (مهراق) التي تعني الصحيفة البيضاء التي يكتب فيها، كلمة رديفة للون الأبيض ومن مدلولاته، في قوله وهو يصف القلم الذي يجري بمداده على الصفحة، وكأنه يصف ذلك القلم الذي يخط به درره ولآلئه الخالدة من عقد وغيره، بقوله[٢٢]:

يا كاتبًا نقشتْ أنامـلُ كفـهِ سحرَ البيانِ بلا لسانٍ يَنطقُ
إلا صقيل المتنِ ملموم القُوى حُدتْ لهازِمُهُ [٢٣] وشُق المفرِقُ
يجري بِريقةِ أريه أو شَرْبِهِ يبكي ويضحكُ من سراه المهرقُ

ولما كانت الألوان من أدوات الزخرفة والتعبير الفني، وبما تحويه من إيحاءات دالة على طبيعة الحياة، فقد تعدت لفظة (الشيب) إلى تلك الدلالات الإيحائية التي تجاوزت صنعة الشعر، دلالة تقدم السن، ونذير الرحيل، في قوله [٢٤]:

إن الذينَ اشتروا دُنيا بآخرةٍ وشقوةً بنعيمٍ ساءَ ما تجَرُوا
يا مَنْ تلهى وشيبُ الرأسِ يندبُهُ ماذا الذي بعد شيبِ الرأسِ تنتظرُ؟

وتأتي ازدواجية اللونين (الأبيض والأسود) عند الحديث عن نفسه، وما وصل إليه من حكمة ورجحان عقل وسداد رأي؛ عند تصويره لنفسه، وقد غطى

(٢١) الديوان ،٤٩

(٢٢) الديوان ، ١١٩-١٢٠

(٢٣) اللهازم: ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين. الديوان ،١١٩

(٢٤) الديوان ،٧١

الشيب عارضيه، وفارق زمن الطيش واللهو، وجلى نور الصباح عتمة البطش، ما يرفعه إلى مقام أصحاب النهى والحكمة، موظفًا اللون لحمل عبء تجسيد المعنويات وتلوينها، الأمر الذي يغني الصورة، ويمنحها أبعادًا دلالية جمالية، بقوله [٢٥]:

بَـدا وضَـحُ المشيبِ على عِـذاري ... وهـلْ ليـلٌ يكـونُ بِـلا نهـارِ
وألبسَـني النُهـى ثـوبًا جديـدًا ... وجَـردني مـن الثـوبِ المعـارِ
شـربتُ سـوادَ ذا ببيـاضِ هـذا ... فَبُـدلتُ العمامـةَ بالخِمـارِ
ومـا بِعـتُ الهـوى بيعًـا بِشـرطٍ ... ولا اسـتثنيتُ فيـهِ بالخِيَـارِ

ولما كان الشاعر يلتقط صورًا أخرى متعددة؛ ليعبر بها عن دافع معين يريده، فقد تجاوز الإحساس المادي الحي إلى الأثر النفسي، وتحولت دلالات اللون الأبيض عنده إلى شيء مزعج، خاصة حينما يتعلق بشعر الرأس. هذا التحول يوحي بدلالات أفول زمن الشباب، وميلاد زمن المشيب؛ الذي يمهد للنهاية، لكن في تخضيب هذا الشعر بالخضاب؛ ما يبعث في النفس الرضى، ويعكس عليها الطمأنينة والبهجة؛ من خلال الظهور بمظهر، ولازم من لوازم الشباب، والبعد به عن مظاهر الشيخوخة.

فخضاب الشاعر دلالة على تعلقه بمرحلة الشباب؛ والتشبه بها، والظهور بمظهرها "وبين اللون الأسود والأبيض، ولون الخضاب (الحناء: الأحمر بصفرة) تكمن دلالات السعادة والحزن والصراع"[٢٦]. حيث يقول [٢٧]:

أصـمَمَ في الغَوايـةِ أمْ أنَابا ... وشـيبُ الـرأسِ قـد خلـسَ الشَـبابا
إذا نصـلَ الخضـابُ بكـى عليـهِ ... ويضـحكُ كلمـا وصلَالخضَـابا
كـأن حمامـةً بيضـاءَ ظلـتْ ... تُقابـلُ في مفارِقِـهِ غُـرابا

(٢٥) الديوان، ٧٨-٧٩

(٢٦) اللون في شعر ابن المعتز، دلالات ووظائف، د.يحيى خاطر، ط١، ١٩٩٥، ٥٩

(٢٧) الديوان، ٢٤-٢٥

ومن قدرة الشاعر على توظيف اللون وتسخير المفارقة اللغوية بأرقى صورها، عندما يتحول دور اللون إلى نذير مقلق مزعج، يبعث دلالات نفسية واضحة موحية بإحساس رحيل مرحلة الشباب وتقدم السن، ومولدة إحساسًا خاصًا في سياق النص؛ ذا إرهاصات عميقة، يعكسها على تجليات النص المتشكل من خلال صور خفية؛ تُنبي بولادة العديد من الأشياء التي تفتح مغاليق النص، وتعكس خصوصية في عالم الشاعر، فلكل لون أثر على حياة الإنسان، منها المفرح المهدئ، ومنها المحزن المشوش المقلق. حيث جمع بين المتضادات - أول الشباب نور، وأرذل العمر السواد - ألوان عملت على إيجاد صراع نفسي؛ خاصة بعد رؤيته للتغيير الذي حصل لشعره؛ ما عمل على إيجاد هزة نفسية انعكست، في قوله [٢٨]:

نُجومٌ في المَفَارقِ ما تغورُ ولا يجري بها فَلكٌ يَدورُ
كأن سوادَ لِمتهِ ظلامٌ أغارَ من المشيبِ عليه نورُ
ألا إن القتيرَ وعيدُ صِدقٍ لنا لو كان يزجُرنا القتيرُ
نذيرُ الموتِ أرسَلهُ إليـــنا فكذبْنا بما جاءَ النذيرُ

وارتبط البياض بالحزن والحداد لدى الشعراء، يعبر به الشاعر عن أحاسيسه الداخلية وخلجاته النفسية، فعندما يراه ابن عبدربه وقد لاح بعارضيه، واكتسى به رأسه؛ يبدو عليه الفزع والخوف من هذا النذير غير المرحب به، المشعر بتقدم السن، وأنه الفارق بين زمانين مر بهما، وكلاهما يمثله لونه، ولكل لون دلالاته النفسية وإيحاءاته الدلالية. "فالبياض هنا يقتل الأمنيات التي يسعى الشاعر إلى تحقيقها؛ إذ البياض وهو الشيب، يكون دالًا على العجز، وعلى الخوف من الموت، وهكذا تموت

(٢٨) الديوان ،٧٦

الأمنيات والأحلام "[٢٩].رابطًا بين الزمن واللون؛ ما شكل جمالية رائعة في النص؛ توحي بقدرة الشاعر على ترجمة ما في نفسه من أحاسيس، واعترافه بتغير حاله بعد رؤية الشيب؛ التي ترسم التعقل وتوحي بالوقار،

حيث يقول [٣٠]:

شبابي كيفَ صرتَ إلى نفاذِ وبدلْتَ البياضَ من السوادِ

ويلاحظ أن الشاعر ابن عبدربه في صوره اللونية يعتمد اللون الأبيض ومرادفاته ودرجاته التي استخدمها في صوره، ووظفتها حواسه، وعملت على خلق قدرات إيحائية للتعبير عن العديد من إحساساته العاطفية منها والوجدانية، وكان للون الأبيض الأثر البالغ المتميز في نقل الشعور بهذه الأشكال والألوان إلى المتلقي مباشرة.

(٢٩) اللون ودلالاته في الشعر الأردني نموذجًا ، ظاهر محمد هزاع الزواهرة، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ،ط١،٢٠٠٨م،٧٧

(٣٠) الديوان، ٥٥

المبحث الثاني: اللون الأسود في شعر ابن عبد ربه

من الألوان المهيمنة على حياة البشر اللون الأسود ؛ يرمز في الغالب إلى الخوف من المجهول، باعتباره من الألوان السلبية الدالة على العدمية والفناء لدى كثير من الشعوب.

وغالبًا ما يُستخدم للظلام واليأس والفناء، والضعف والإثم والكفر، فقد ورد هو ومشتقاته في القرآن الكريم سبع مرات في ست سور [٣١] بدلالات متعددة، منها: العصيان والتكذيب والكفر والردة. فسواد الوجه يرمز إلى سواد الروح وتلوثها، إذا وصف به الرجل ؛ فقولك _ذو أكباد سود _دلالة على شدة عداوتهم وبغضهم، لكنه في المقابل يكاد يخرج من هذا الإطار لمعنى الحكمة والوقار والعظمة. واللون الأسود شعار الفرح عند المغاربة والأندلسيين، ولقد وضع اللغويون له درجات: "الأسود، الأسحم، الجون، الفاحم، الحالك، الغريب، وغيرها "[٣٢].

ولقد تكرر في شعر ابن عبد ربه بمعان متعددة، مختلفة الدلالات وفق السياقات المتعددة[٣٣]، التي اشتملت عليه، ومن أبرزها: وروده على أنه يُرمز للحزن والألم والحسرة في تشكيل الصورة. فكان لتناول الشاعر له بمثل هذه الهيئة على اعتبار " أنه جزء من خبرات الإنسان الإدراكية والطبيعية للعالم المرئي، واللون لا يؤثر في قدرة الإنسان على التميز فقط، بل إنه يغير المزاج والأحاسيس، ويؤثر في الخبرات الجمالية، وفي الأحكام التفضيلية بشكل يكاد يفوق أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر، أو أي حاسة أخرى"[٣٤].

---

(٣١) فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد الثعالبي ، إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠١م،١١٨

(٣٢) البقرة ١٧٨، ال عمران ١٠٦، النحل ٥٨، فاطر ٢٧، الزمر ٦٠، الزخرف ١٧

(٣٣) انظر الديوان ،١٦٩، ٨٣، ٨٠، ٧١، ٣٦

(٣٤) جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم ،د.ابتسام الصقار، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،٢٠١٠، ٦٨

فلقد كان له الأثر العميق في بناء الصورة، عندما ورد في مدح المقبرة التي ضمت قبر ابنه، ولم يجد لونًا معبرًا ذا دلالة نفسية موحية غيره، فالمقادير على العادة ينظر لها بأنها سود مخيفة، لكنها عندما ضمت هذا الغير، تحولت إلى الضد –بيضاء - وكما هي الضمائر. فقد غير مدلول بعضها وفقًا لرأيه ونظرته وتجربته، بحيث أصبح البيت مبنيًا على اللون، واعتبر اللون محورًا أساسيًا فيه مبنً ومعنى، مشكلًا وحدة مستقلة في القصيدة؛ لأن الألوان " لا تتمتع بقيم ودلالات ثابتة وعلى نحو مطلق، إذ يظل بإمكان الشاعر تغيير مدلولات الألوان وفقا لتجاربه الخاصة، خاصة وأنه لا يتحدث بلغة وضعية الدلالة" [٣٥]. حيث يقول [٣٦]:

سودُ المقابِرِ أصبحتْ بيضًا بِهِ وغدتْ لهُ بيضُ الضمائرِ سُودا

والملاحظ أن الشاعر في أغلب شواهده التي أورد فيها اللون الأسود، أوجد معه اللون الأبيض؛ للعمل على خلق لوحة تشكيلية فريدة، وصورة شعرية مميزة، علاوة على ما تثيره الثنائية بين اللونين من إحساس عميق في نفس المتلقي، وما تضفيه من تقوية لمعنى الأسود على حساب الأبيض، وجعل الأبيض لونًا ثنائيًا داعمًا لإيضاح صورة السواد في الذهن، كقوله[٣٧] في وصف شيب شعر الرأس:

سوادُ المرءِ تُنفِدهُ اللـيالي وإنْ كانتْ تصيرُ إلى نَفَادِ
فأسودُهُ يَصِيرُ إلى بَيَاضٍ وأبيضُهُ يعــودُ إلى سَوادِ

لقد جاءت ألوان الشاعر (الأبيض والأسود) متعانقة؛ وفق بناء مترابط جعل منها صورًا ذات دلالات قوية وأساسية، خاصة عندما وقعت في آخر البيت

(٣٥) مستويات البيان الشعري عند محمد إبراهيم أبي سنة ، دراسة في بلاغة النص ، د. شكري الطوانسي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨، ٥٥٧

(٣٦) الديوان ،٥٨

(٣٧) الديوان، ٥٧

(سواد)؛ لتستقر في ذاكرة السامع، وتحفز لديه العديد من المدركات الحسية المرتبطة بالألوان، وتعطي بذلك صورا شعرية مؤثرة.

وقوله[٣٨]:

والبيضُ في إثْرِهِمْ والسُمْرُ والقتلُ ماضٍ فيهمُ والأسرُ

فسيوف ممدوحه بيض ورماحه سمر، رغم التضاد بين اللونين، إلا أنهما شكلا مرتكزًا أساسيًا في بناء البيت الشعري، لا يستقيم بدونهما. حيث ربط بين الأدوات – السيف والرمح - والألوان في البيت، بل في الشطر الأول منه؛ وهي تحمل من الدلالات الرمزية، ما جعلها تتعدى الألوان إلى قرائها.

كما أورد الشاعر معنى من معاني اللون الأسود من غير أن يُعرِّجَ على ذكر السواد، وإنما أشار إليه بإحدى مدلولاته، وهو يصف خيل ممدوحه بـ(الدهم)، علاوة على ما تميزت به الخيل من جمال الشكل، وجمال الجسم. فهي: ضامرة البطن، متحفزة للجري، لا يمنعها إلا ما يُلجمها ويقيدها، فخيول ممدوحه دهم، "والدهم عند العرب: الخيل السود. والعرب تقول: ملوك الخيل دهمها"[٣٩].

كما أنه وصفها بالصفرة التي تلمع كالصباح، فلقد كان للون عنده بُعْدٌ آخر إضافة إلى البعد الجمالي، بُعْدٌ إيحائي، والآخر النفسي، يبعثهما في نفس السامع "من خلال تأكيده اللون الأسود في الصورة؛ بدلالاته الغالبة على البأس، والشدة، والخوف من المجهول، ولكنه في هذه الصورة إنما يحاكي الطبع العربي في

---

(٣٨) الديوان ،١٩٥

(٣٩) الأصمعيات ، أبو سعيد عبد الملك الأصمعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هرون، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ،١٩٧٦م،٣٦

اختيار لون الحصان، وأثره في السبق والمعارك، وغالبًا ما كانت تُفضَّل الألوان المظلمة صفة لها"[٤٠].

وكانت العرب معنية بجيادها، والإكثار من أوصافها وبيان ألوانها، وقد "كانت تختار لون الخيول التي تركبها وَفْقًا للظروف التي يعيشونها، فللحرب نوعٌ من الخيول خاصٌّ، وألوانٌ محددة، وللنزهة والصيد نوعٌ آخر ذو ألوان مغايرة؛ فألوان خيل المعركة غالبًا ما يختارها الشخص لتناسب الحروب، فيغلب عليها الأدهم والأسود والأشهب"[٤١]؛ لتظهر مخيفة تتوافق مع الإيحاءات اللونية التي اقترنت بأجواء المعارك المرعبة.

حيث نلحظ التناغم، وقد تجاوب من خلال التجاذب ما بين الدهم والظلام من جهة، وصفر الصاج من أخرى، تجاوبًا يسهم بالدفع بالموسيقى الخارجية إلى أقصى غايتها النغمية الإيقاعية المتدفقة، كمثل قوله [٤٢]:

مِنْ كُلِ لاحقةِ الأياطلِ[٤٣] شُـــدَّفٍ رحبِ الصـــــــدورِ أمينةِ الأثباجِ
وتَرى الحديدَ فتقشعرَ جُـــلُودُها خوفَ الطعانِ غــَداةَ كــل نهاجِ[٤٤]
دُهم كأسدِفةِ الظلامِ، وبعضُـــها صفرُ المناظرِ كاصفرارِ العـــــاجِ
من كلِ سامي الأخدَعينِ كأنما نيطَتْ شكـــائِمهُ بجذعِ الســــــاجِ[٤٥]

(٤٠) الصورة اللونية في الشعر الأندلسي ، د. صالح ويس ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط١ ،٢٠١٣، ١٠٩

(٤١) فقه اللغة وسر العربية،، ط٢٠٠٠٢م،٨٠

(٤٢) الديوان ، ٤٠

(٤٣) الأياطل: ج الأيطل: الخاصرة، الشدف في الخيل والإبل، إمالة الرأس من النشاط، وفرس أشدف: عظم الشخص، الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر

(٤٤) نهج الدابة: سار عليها حتى انبهرت

(٤٥) الأخدعان مثنى الأخدع: أحد عرقين خفيين في جانب العنق

وهي بلق مشهورة أي: ما كان فيها سواد وبياض، في قوله [٤٦]:

وإذا جِيادُ الخيلِ ماطَلها المـدى وتقطعتْ من شأوِها المبهورِ
خلوا عِناني في الرِهانِ ومسَحُوا مِني بِغُرةِ أبـْلقٍ مَشْـــهورِ

وقد أورد من معاني اللون الأسود ودلالاته ما يصبغ عليه صفة(الفحم)، في تصويره للمدينة التي غزاها ممدوحه، وتركها فحمة محروقة، حيث قرن المدينة بالفحم رمزًا وتكثيفًا للون الأسود ودلالاته، وقوة تعبيره في النفس، علاوة على ما يعكسه من إحساس بالهزيمة من جهة، واعتزازاً بالنصر من جهة أخرى.

فاللون هنا ليس مقصودًا لذاته في كلمة (فحم)، وإنما لدلالة قوة الممدوح وشجاعته وعظم انتصاره، فهو بهذه الصورة يكاد يكون قد حقق الصورة الشعرية المشحونة بالمعاني الحاضرة في ذهنه، من خلال انتزاعه لصفة من صفات السواد، بقوله[٤٧]:

وزَعزعـــتْ كتائبُ السُلـــطانِ لكلِ ما فيها مـــن البُنيانِ
فكانَ من أولِ حصنٍ زعزعُوا ومَنْ بهِ من العدو وأوقَعُوا
مدينةٌ مـــــعروفة بِؤُخْشَمَهُ فغادرُها فَحْمـَـــةً مُسَخَمَةْ

كما عمد الشاعر إلى الربط بين الألوان الفاتحة والأخرى الزاهية في العديد من لوحاته الشعرية؛ ما أعطاها تنوعا، وأكسبها غنى، وهي تبدو متناقضة مع بعضها مرة، وترد في سياق الخوف مرة، وأخرى في الفرح والبهجة. فهو في إحدى صوره لم يصرح هنا بالألوان مباشرة؛ بل استخدم إحدى مرادفاتها (حندس، أغر) للتدليل على السواد والبياض؛ يقودنا إلى دلالة ابتعاده عن البعد الاستدلالي السردي القصصي في النص وربطه بالأسود؛ دلالة على شدة الفتنة، وبعد أثرها. فليالي الفتنة التي مرت بالناس (حنادس) مظلمة حزينة شديدة السواد؛ من شدة ما هيمن عليها من

(٤٦) الديوان، ٨٢

(٤٧) الديوان ١٩٤-١٩٥

فساد وفتن وظلم وكفر، وفي المقابل يرسم الشاعر صورة ممدوحه نابضة بالحياة ودالة على الجمال، فجاءت صورة ممدوحه صاحب البأس والشدة الأغر مبيد الكفر، ومرجع الأمن بصور وألوان أخذت دلالاتها من السياق الشعري، وليس من المعجم اللغوي. فالصورة "لا تأخذ دلالتها من المعجم اللغوي المألوف، بل هي إشارة في معجم الشاعر، تأخذ دلالتها من السياق المشحون بشعور الشاعر وعواطفه"(٤٨)، حيث يقول(٤٩):

أقولُ في أيامِ خير النـاسِ ومن تَحَلى بالندى والباسِ
ومن أبادَ الكفرَ والنِـــفاقا وشردَ الفِتـــــنةَ والِشـــــقاقـا
ونحنُ حنادسٌ كالليـــــلِ وفتنةٍ مثلِ غُثاءِ الســـيلِ
حتى تَولى عابِدُ الرحمـنِ ذاكَ الأغرُ من بني مروانِ

كما أن ليل محبوبته دامس مظلم، حيث طلعت تلك الشمس فيه مختالة واثقة. فهو باختياره لهذين اللونين (دامس، حنادس)، وكلها مترادفات دالة على الألوان (الأسود، الأبيض)، وتعمل على تغيير المزاج لدى الشاعر، فمن جوف الليل الدامس خرجت شمسه فلو لم يكن خروجها في غير هذا الوقت؛ لما كانت إشراقاتها مميزة. فالتضاد بين اللونين هو ما أخرج الصورة في هذا الإطار، وهو الذي عمل على تغيير المزاج والإحساس في الجمال؛ المعتمد على حاسة الإبصار؛ بل عمل على ما هو أعمق من ذلك، كونه قيمة جمالية تشكيلية في " صور فيها خصب وإرهاص بولادة الأشياء والحنو عليها والوعد بها " (٥٠).

---

(٤٨) الصورة في شعر لطفي جعفر، عبد الكريم أسعد قحطان، دار الثقافة، الشارقة، ٢٠٠١م،٨.

(٤٩) الديوان ،١٨١

(٥٠) الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة ، دريد يحيى الخواجة ،دار الفكر ،حمص، ط ،١٩٩١م، ٨٠

صور تعدت الصورة البصرية إلى الإدراك الحسي الذهني، حاملة رموزًا وإشارات لها دلالات محددة في ذهن الشاعر. حيث يقول [٥١]:

طَلعتْ لهُ والليلُ دامِسْ شمسٌ تَجلتْ في حَنادِسْ
تَخْتالُ في لِيْنِ المَـجا سِدِ بينَ حارسةٍ وحَـارسْ

ويعود ابن عبد ربه إلى توظيف اللون في شعر الغزل والتشبيب، من خلال إبرازه لمكامن حسن المرأة؛ عن طريق توظيف الجانب اللوني في أوصافها في مجالي الحسن والحركة، فلا تكاد تذكر عنده إلا وكان للون حضوره، وكان محورًا أساسيًا في تشكيل صورته، فمحبوبته حسنة الوجه ذات عيون شديدة السواد والسعة (دعجة)، مع ما يلازم ذلك من: خفة في الحركة، وعذوبة في الصوت وما يخالط ذلك من دلال وغنج، لوحة جمعت لونًا وصوتًا وحركة تمثلت بهيئة (دعج– غنج – حسن) جاءت جميعها منسجمة على الرغم من تنوعها الظاهر في ألفاظها الموزعة بين الأبيات. فأخذت لفظة (الدعج) في المقطع إيقاعًا متناغمًا، وبعدًا دلاليًا يظهر من خلال الربط والتركيب، تمثل من خلال ربط لون العيون بالحركة والصوت، بحيث سارت جميعا بخطوط متوازية يكمل بعضها بعضا، مع احتفاظ كل منها بخصوصيته، ما سد ثغرة إيقاعية، من العسير أن يسد مسدها لديه لون آخر في مثل هذا الموطن، حيث يقول[٥٢]:

يا مليحـــــــةَ الدَعَجِ هل لديكِ من فرَجِ ؟
أم تـــــرُاكِ قاتلـــتي بالـــــدَلالِ والغَنَجِ ؟
مَنْ لِحُسْنِ وجهكِ مِنْ سُوءِ فعلكِ السَمِجِ ؟

(٥١) الديوان ،٩٣

(٥٢) الديوان٣٩-٤٠

ولاشك أن للرمح الذي هو أحد وسائل البطولة والشجاعة في المعارك قيمة في بناء الصورة، وهو ما عمد إليه الشاعر ووصفه بالأسمر، في إشارة إلى إحدى مترادفات اللون الأسود، والتأكيد عليه وترديده في العديد من المواطن في الديوان، وفق سياقات مفعمة بالإشادة ببطولة الممدوح لا يأتي من فراغ، بل لما تحمله في طياتها من نوازع نفسية وإيحاءات روحية تجدها عند إيراده لكلمة (السمر)، ما يشفي الغليل في تأجيج فاعلية البطولة وتفخيمها، وهو تفخيم للممدوح في حد ذاته، من خلال وصفه للرماح التي تحيل نهار عدوه إلى ظلمة؛ من كثرتها وشدة لمعان سوادها، وطراوتها وتثنيتها بأيدي جنود ممدوحه، وربما يرجع ذلك إلى لون الحديد، الذي يستخدم في صناعتها، كما يستشف من هذا الاختيار للون الرماح، مع ما يوافق هذا اللون من مآل ومصير أسود لعدو ممدوحه، دلالة قاتمة سوداء في نهاية المعركة، تلك الدلالات والإيحاءات قد تجاوزت صفة الرمح إلى مصير المعركة وما آلت إليها.

ولعل مفردة (السمر) برسمها ولونها قد غطت مساحة إيحائية بأكثر من الرمح الأسمر نفسه. فلون الرمح الأسمر لم يأتِ هنا لذاته، بل لما له من ارتباط ذهني في لاوعي الشاعر، وما يضفيه على الموقف البطولي، بقوله [٥٣]:

سموتَ لهُ سموَ النقـــــعِ فيهِ ... بكلِ مُذلقٍ سَلِـــــبِ السِنانِ
وكل مُشطبِ المتنينِ صـَـافٍ ... كلونِ المِلحِ مُنصلتٍ يَماني
كأنَّ نهارَهُ ظلمـــــاءُ لـــــيلٍ ... كواكبُهُ مـــــن السُمرِ اللدانِ

(٥٣) الديوان، ١٦٩

وقوله [٥٤]:

والبيضُ فى أثرِهم والسُمـــــرُ والقتلُ ماضٍ فيهمُ والأســـــرُ

فعبر باللون الأبيض عن السيف للدلالة على حدته وصلابته ورقة نصله ولمعانه وشجاعة ممدوحه، فتعانق اللونان الأبيض والأسمر محددان مصير المعركة؛ وقد أديا دورًا مهمًا وأساسيًا فى المعركة هو: القتل، والدلالة هنا تكاد تنصرف إلى الممدوح، وما أعده لهذه الأدوات من صقل وتجهيز وإعداد.

كما نجده قد أولع بهذه الصورة، من خلال الجمع بين المتضادات، فنراه يجمع في البيت الواحد بين أكثر من مترادفة للون الواحد، فجمع بين أبلج وواضح وبدر من جهة، والظلام والدجى من جهة أخرى، حيث جاءت هذه الدلالات متوافقة مع الصور الذهنية والنفسية، ومنسجمة مع مفردات البيت، فأبلج لون يناسب الحق، جاء به للتأكيد على وضوح واستقامة الحق أصلًا، فضلا عن رمزيتها التي تتعدى اللفظ، أردفه بالبدر وكأن لفظة ودلالة أبلج لم تسعفه كثيرًا للتغلب على الظلام الداجي، فاستعان بمترادفة أكبر وأوسع وأعمق دلالة وارتباطًا، فأتى بالبدر؛ رمز الصفاء والنقاء والأبهة والإشراق. فهو رمز الضياء والنور اللذان لا يمكن تجليهما إلا بمقابلة الظلام الداجي، فهو إذن " يمنح اللون الثانوي فضاءات ذات قيم فنية وجمالية لا يمكن الحصول عليها من الألوان المباشرة، فهي ترتفع باللون إلى أعلى طاقة تعبيرية ممكنة؛ لأنها تملك القيمة اللونية الحاسمة؛ فهي توجه الوجهة اللونية التي يشاؤها المتلقي؛ بما ينسجم وطبيعة الصورة"[٥٥]، بقوله[٥٦]:

---

(٥٤) الديوان ،١٩٥

(٥٥) اللون في شعر نزار قباني ، ٥٩

(٥٦) الديوان، ٣٩-٤١

الحقُّ أبلجُ واضِحُ المِـــنْهاجِ والبدرُ يُشرقُ في الظَّلامِ الدَّاجي
فإذا سألتهمُ مواليَ مـــَنْ هُمُ قالوا: مواليَ كـــُـــلَّ ليلٍ دَاجِ
ركبَ الفِرارَ بِعُصبةٍ قد جرَّبوا غِبَّ السُّرى وعواقـــبَ الإدلاجِ

لقد وُفِّقْ الشاعر في اختياره لمرادف اللون الأسود بكلمة (حلك) والحالك: إحدى مترادفات اللون الأسود، "يقال أسود حلك الغراب، وهو سواده، وأسود حالك وحائك "[٥٧].

فالمفردة هنا تعطى دلالة وصول سواد الليل إلى مرحلة قصوى؛ لا يزيلها إلا تباشير الصباح ونوره.

إن تكراره لمرادفات الألوان (جلى وجهه النور، وحلك) ومزجها وفق شاعرية لونية في الأبيات، حيث تكررت وتداخلت بأجواء الليل المظلم، الذي تداخل فيه النور، والظلام؛ ما شكل صورًا متتابعة: ظلام حالك – نهار جلي – ونور ساطع، وقد يتعدى ذلك التصوير إلى نفسية الشاعر، وما سيقوله في ممدوحه بعد ما قيل فيه من ذم وتحقير، بقوله[٥٨]:

ليسَ يَخفى فَضْلُ ذي الفضْـ ـــلِ بـــزُورٍ وبإفْكِ
والذي برَّز في الفضـــْـــ ـــلِ غنيٌّ عن مُزَكِّي
رُبَّـــما غُـــمَّ هِلالُ الْـــ ـفطْـرِ في لـــيلةِ شَكِّ
ثم جـــَـــلَّى وجـــهَهُ النو رُ فـجلَّى كـــلَّـحَـلـكِ

ولعل التركيز على اللون الأسود من خلال كلمة (حلك)؛ يأتي بسبب الأثر النفسي للون الأسود؛ وما يحدثه من أجواء الحسد والغيرة والبغض؛ الذي أحس به

(٥٧) معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، د. زينا الخويسكي، (دط)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م ،٤٣.
(٥٨) الديوان ، ١٢٩

الشاعر، فوظفه في أدائه اللوني، واستحضره لما له من أثر عميق في النفس الإنسانية خاصة، وعلى المجتمع بصورة عامة، فضلًا عما يحدثه من كوابيس وغم؛ إذ هو "كابوس لوني يرمز إلى عدم وجود اللون، كما أن الظلام يرمز إلى عدم وجود النور"(٥٩).

وقد أخذ اللون الأسود دلالات سلبية عميقة، تمثلت في الذم والتحقير والامتهان والازدراء لأحد الأمراء ممن خاب أمله لديه، ورفض طلبه وتجاهله، بقوله (٦٠):

حاشا لِمثلِكَ أن يـــــفُكَّ أسيرا أو أنْ يكونَ من الزَّمانِ مُجيرا
لَبِستْ قَوافِي الشِّعرِ فيكَ مَدارِعًا سُودًا وصُكَّتْ أوجُهًا وصــدُورا
هلا عطفْتَ برحمةٍ لما دَعَــتْ وَيلًا عليكَ مدائحي وثُـــبورا

لقد وظف الشاعر اللون الأسود هنا ليحمل عبء تجسيد المعنويات وتلوينها، الأمر الذي أغنى الصورة ومنحها أبعادًا جماليةً ودلاليةً لا محدودة، فأسقط على الأمير اللون الأسود وعلى قوافي الشعر فيه لونًا أسودَ قاتمًا كذلك، مستثمرًا ما يحمله هذا اللون من بعد دلالي إيحائي قاس، لا يمكن لأحد تأويله إلاَّ عبر هذه الدلالة، لون يحمل في طياته كل معاني الشر والقبح والسوء. يسقطه عليه انتقاما لنفسه، وتشفيا لغله؛ من خلال هذا اللون القاسي المعبر، والبعد الدلالي المقصود الذي انعكس من خلال قوله هذا؛ فالشاعر لا يستطيع أن يخرج من ذاته، بل لا بد له من أن ينقله إلى

(٥٩) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، د. ساسين عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ،١٩٨٢م،٣٠.

(٦٠) الديوان ،٨٠.

المتلقي " إن الشعر وليد ملكة الخيال هو الذي يشعر فيه القارئ، بأن عاطفة الشاعر وإرادته متغلغلتان في العمل الفني كله ومسيطرتان عليه "[٦١].

ومن جماليات الصورة عند ابن عبد ربه أيضًا ربط اللون أحيانًا ببعض الحواس، وخاصة الرائحة، وحاسة الشم، وهو يصف محبوبته، وهو مهموم حينًا ومستمتع حينًا آخر؛ في رحلة حياته، وانعكاسات ذلك عليه، فهو يذكر (الشمس، والأقمار والمسك والوجوه والدنانير و أطراف الأكف) ما حقق المعادل النفسي الذي رنت له نفسه، ومالت إليه روحه، بقوله [٦٢]:

شمسٌ تجلتْ تحــتَ ثوبِ ظُــلَمْ سقيمةُ الـــطَّرفِ بـــغيرِ سَقَمْ
ضاقَتْ عليَّ الأرضُ مُذْ صَرمَتْ حَبلي فما فيـــها مـــكانُ قَدَمْ!
شمسٌ وأقمارٌ يطـــوفُ بـــها طوفَ النصارى حول بيتِ صَنم
النشرُ مِسْكٌ والوجـــــوهُ دَنا نيرٌ وأطرافُ الأكـــفِّ عنـــمْ [٦٣]

شمس لبست ثوبًا (أسودَ، مظلمًا، قاتمًا) لقد ربط هذا اللون بالوضاءة،والجمال والحسن، والعطر؛ بالرغم من ارتباطه بالظلام والليل وحجب الحقيقة وانعدام الرؤية.

إلا أن وروده بهذا السياق قد أضفى عليه دلالات أخرى، غطت مساحات جماليه لدى محبوبته، مصورا حسنها وجمالها أمام نور الشمس الوضيء، مع ما رافقه من رائحة مسك، وجمال صورة، واكتمال خلق. فجاء بدلالة جمالية مخالفة للدلالة العامة له.

---

(٦١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،د.محمد زكي العشماوي ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ،٢٠٠٩، ٧٠.

(٦٢) الديوان ، ١٦١_١٦٢.

(٦٣) البيت للمرقش ، المفضليات، المفضل الضبي، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ٢٣٨، ٢٠١٠

نخلص إلى أن دلالة اللون الأسود ومرادفاته تختلف باختلاف مواقعه وسياقاته في النص، فمرة تكون دلالات سلبية، وأخرى إيجابية مرتبطة بالمسمى، والوظيفة التي استخدم فيها، والتي غالبًا ما تعكس الحالة النفسية للشاعر دون غيرها، وهي تعبر عما يجول في نفس الشاعر وجوانحه من أحاسيس ومشاعر، أو هموم، أو خوف، أو ألم.

المبحث الثالث: اللون الأحمر في شعر ابن عبد ربه

يعد اللون الأحمر من أولى الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة، "فهو من الألوان الرئيسة الساخنة المستمدة من وهج الشمس، واشتعال النار، والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية "[٦٤]، كما يعد من ألوان البهجة والحزن كذلك، ويرمز• إلى العنف مرة؛ وإلى المرح أخرى، ويرتبط بالدم ارتباطاً وثيقاً، كما يرمز إلى الحياة والبهجة، وإلى القوة، والشباب، والحركة، والحب والتفاؤل.

استخدمه ابن عبد ربه نتيجة وعيه الجمالي والمعرفي لدوره في أصل الوجود والواقع، لذلك تنوعت ألفاظه ومرادفاته في شعره، صراحةً أحياناً وضمنياً أخرى؛ كالإشارة له بالدم أو النار، ولقد راوح في استخدامه لهذا اللون ومرادفاته للعديد من الدلالات الإيجابية أو السلبية. فمرة يورده بمدلول علامة النصر على الأعداء، وما رافقها من سفك لدماء عدو ممدوحه، ومرة بمدلول الحزن والألم إذا ما تحدث عن نفسه، وأخرى في وصف الخدود والورود " فاللون الأحمر إذاً موضع تقاطع حاد بين الحب والحرب؛ وهما

(٦٤) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م، ٢٠١

موضعان كثيران يناسبهما عنصر الإثارة الكامن فيه، وقد لاحظ (ول ديو رانت) الظاهرة ذاتها في تلافيف الثقافات الأخرى، وانتهى إلى أن اللون الأحمر أعز الألوان في لعبة الحب والحرب"[٦٥]. ولما كان لكل كلمة في البيت من نغم ودلالة محددة، فمفردة اللون لدى ابن عبد ربه شغلت حيزاً صوتياً، وآخرَ دلاليًا لا يمكن تجاوزه وهو من الأهمية بمكان "وما دامت اللفظة اللغوية ذات الطبيعة الصوتية هي الوسيلة التي تحمل تلك الشحْنةَ اللونية البصرية في مضمونها، فإن ثمة تداخلا يحصل بالضرورة بين إيقاع الكلمة الصوتي الشكلي المهمل وإيقاع مضمونها الدلالي الداخلي المقصود " [٦٦]، حيث يقول[٦٧] :

أبيتُ تحتَ سماءِ اللّهوِ مُعْتَنقًا شمسَ الظهيرةِ في ثوبٍ من الغَسقِ
بَيضاءَ يحمرُّ خَدُها إذا خَجِلتْ كما جرى ذهبٌ في صفحَتَيْ وَرَقِ

لقد ظهرت ألوانه من خلال رسمه لمشاهد حسية مزج معها صوراً حية من: مناظر مألوفة يتداخل فيها اللون والعطر والنور والوضاءة والجمال، مؤسسًا من هذه المحاور بيئة لغوية متكاملة، جاءت كلوحة حية نقلها إلى وعي المتلقي الذي أدركها متجسدة ومليئة بالأحاسيس والمشاعر المشوبة بالانفعالات والزخرفة، من خلال اختياره الكلمات (أبيت، معتنقاً، خجلت، يحمر خدها، جرى ذهب في...) وما بينها من توازن؛ خلق امتزاجا مع الحواس المدركة لعملية الخلق والبناء الفني للأبيات في

(٦٥) في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، أحمد محمود خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٢، ١٩٩٤
(٦٦) السكون والمتحرك، دراسة في البنية والأسلوب، علوي الهاشمي، ج١، منشورات اتحاد وكتاب وأدباء الإمارات، ١٩٩٢، ٤١١
(٦٧) الديوان، ١١٧

وصفه لساعات لهوه مع محبوبته. فمجيئه بلفظ (يحمر) إحدى مترادفات اللون الأحمر، له صدى صوتي، ورنين مميز عند اللفظ، يزيده ألقًا تشديد حرف الراء، الذي يقوي الإحساس بالجمال، ويعزز انفعال الشاعر إزاء صورة الخد؛ وهو يتدرج نحو الحمرة عند الخجل." إن جنوح الشاعر إلى صيغة (يحمر) والتي تستوقفنا بجرسها النغمي يميل إلى كثافة جمالية يقف الشاعر عندها، تحت تأثير سحري، على نحو من التمعن؛ أدى إلى اصطناع صيغة مشددة، تمنح التمهل وتفضي إلى التمتع بجمال الحمرة؛ بمعنى أن التوقف الصوتي عند النطق ب(يحمر) يعني وقوفاً نفسيًا وشعوريًا أمام جمال ساحر يتوقد ويلمع في العينين، ويأتي منسجماً مع رغبة الشاعر النفسية المتلذذة بجمال لا تقوى على مغادرته العين ولا اللسان " [٦٨]، وقوله [٦٩]:

يا هِلالًا قد تجلَّى ... في ثيابٍ مِنْ حَريرْ
وأميرًا بِهَواهُ ... قاهرًا كلَّ أميرْ
ما لِخَدَّيْكَ اسْتَعارا ... حُمرَةَ الوردِ النَّضيرْ؟

وقوله [٧٠]:

ومُعَذَّرٍ نَقش الجمالُ بمسكهِ ... خدّا لهُ بِدمِ القُلوبُ مُضَرَّجا
لـمَّا تَيقَّنَ أنَّ سيف جُفُونه ... من نَرجسٍ جعل النَّجادَ بَنفسجا!

(٦٨) اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، ٢٦٢
(٦٩) الديوان، ٨٥
(٧٠) الديوان، ٣٨

وقوله [٧١]:

يا رياحينُ أُهديها لِريحانةِ المجدِ جَنتها يدُ التخجيلِ من حُمرة الخدِّ

وَوَرْدٌ بـــــه حَيّيـــتَ غُرَّةَ ماجِدٍ شمائلهُ أذكى نسيمًا مـــــن الوَردِ

تعطي الصورة التي رسمها الشاعر ابن عبد ربه في أبياته هذه تسجيلا حسيا، من خلال إدراك نفسي وتصوير تخيلي؛ لما يراه في المحبوبة، بحيث يجمع مشاهد نفسية متفاعلة متلاحمة مع مدركات حسية؛ للعمل على خلق صوره الشعرية. فهو يستثير أكثر من حاسة؛ فحاسة البصر؛ من خلال نور وإشراق الهلال المتجلي بثوب الحرير الموشى الذي تلبسه أميرته (المحبوبة) صاحبة الخد الذي استعار تلك الحمرة من الورد إلى الورد. ويعمل على إثارة حاسة الشم كذلك؛ وفق الرؤية الخاصة للشاعر، الذي عمل على الربط بينها وبين جمال الصورة التي لا يكتفي فيهاعند رسمه لأشكاله وألوانه بالمحسوسة فقط، وإنما يعمد لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى أخرى. وبذلك تتحقق الدلالة المرادة من هذا التشكيل. فتتداخل الحواس عند تشكيل الصور الموحية (النقش، التحجيل، الغرة، ثياب الحرير) مع (الوضاءة، النضارة، مضرجا، رائحة النرجس، الرياحين، ذكاء النسيم) التي تتعانق فيها هذه الحواس لتشكيل صورة موحية محببة فريدة، فالصورة البصرية المبنية على الطاقة المرئية -لحمرة الخد في لونها -استقطبت صورة حية أخرى عطرية (نسيماً من الورد)، فعندما يتعانق الهلال المتجلي مع ثياب الحرير على أميرة مختالة، ذات خد أسيل مشرب بحمرة الورد النضير، تخرج الصورة مستثيرة لحاسة

(٧١) الديوان، ٤٩

البصر من خلال هذه المشاهد التي جسدها، وعمل على تشخيصها في هذه الصور الشعرية، التي عبرت عن عمق تفاعله وإحساسه الذي وظف من خلاله جمال الطبيعة توظيفاً لجأ إليه الشاعر؛ لإبراز المعنى والعمل على زيادة وضوحه وتجليه في الأذهان، وفق صور متعددة، فمرة يربط الخد بحمرة الورد، وأخرى بدم القلوب، وثالثة بالأيدي المحجلة. كل ذلك ليمنح كل صورة من صوره بعداً محدداً؛ يزينه في ذهن السامع.

فجاء اللون الوردي الأحمر للخد أصيلا في تركيب الصورة التصويرية؛ القائمة على أحاسيس متعددة مختلفة لها تأثير محسوس، ومدرك لدى السامع.

هذه الصورة اللونية للخد قائمة على التشبيه، وهي حاضرة أصلاً في مخيلة الشاعر التي تتطابق مع واقعه المعاش في بيئة جميلة غناء؛ هي بيئة الأندلس، بعد أن أطلق لخياله العنان في تحريك صوره، وتفجير طاقاته، وفق أسلوب صريح، وإبداع موفق " وما دامت الحواس والقلب ومدركاتهما هي الرافد الأساس للصورة الفنية، فإن علينا أن نتوقع حضور اللون في عملية الأداء الفني؛ ليؤدي مهمة المفردة الحسية حيثما يكون لها مدلولها التأثيري"[٧٢].

وقوله[٧٣]:

سُيوفٌ يقيلُ الموتُ تحت ظُباتِها ... لها في الكُلى طُعمٌ وبين الكلى شُربُ

إذا اصطفَّت الراياتُ حُمرًا متونُها ... ذوائبُها تهفُو فيهفُو لـــــها القلـــبُ

---

(٧٢) الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى، محمود الجادر، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ع٨٧، ١٩٩٠، ٢

(٧٣) الديوان، ٢٠

ولم تنطِقِ الأبطالُ إلا بِفـــــعلها فألسُنُها عُجـــــمٌ وأفعالُها عـــرَبُ
إذا ما التقوا في مأزقٍ وتعـــانَقُوا فلُقْيَاهمُ طَـــــعنٌ وتعنيقُهُمْ ضـــــربُ

فرايـات ممدوحـه (حمـراء)، وهـو تكثيـف للحمـرة المتأتيـة مـن صـبغة (يحمـر) يميـل إلى تكثيـف بطـولي يـوحي بكثـرة الرايـات الجـاهزة لخـوض المعركـة، فحققـت لفظـة (حمـر) نغمـة أخـرى مـن مفـردات اللـون الأحمـر في سـياق يريـد بـه الشـاعر إبـراز جانـب قـوة ممدوحـه وإمكاناتـه القتاليـة العاليـة، وقدرتـه علـى سـفك دمـاء عـدوه المـرتبط بلـون الـدم " إن الألـوان ربمـا تتـواءم كمـا تتـواءَم الأنغـام بسـبب تنسيقها المبهج " (٧٤).

وربمـا كـان تركيـزه علـى اللـون الأحمـر؛ لمـا ارتـبط بـه مـن إيحـاءات عنيفـة تدل على الموت الذي يعبر عنه الدم.

وقوله(٧٥):

ومُقرَبةٌ يشقرُّ في النَّقعِ كَمـــتُها وتَخضرُّ حينًا كلَّما بلَّـــها الرَّشحُ
تراهُنَّ في نضحِ الدِّماءِ كأنَّـــما كساها عقيقًا أحمرًا ذلكَ الـنَّضحُ
تطيرُ بلا ريشٍ إلى كلِّ صيحةٍ وتسبحُ في البرِّ الذي ما بهِ سَبْحُ

فهـو يصـف خيـل ممدوحـه؛ وقـد كسـاها الرشـح الـذي تحـول مـن لـون معـروف محـدد إلى اللـون الأحمـر، كأنمـا كسـيت عقيقًـا أحمـر. فكلمـة (كسـاها) لهـا مـن الـدلالات اللونيـة مـا يعمـل علـى تحقيـق العديـد ممـا يقصـد إليـه الشـاعر، فقـد كونـت نغمـا صـوتيا و دلاليـا، وآخـر جماليـا لا يخفـى، فخيـل ممدوحـه قـد بللـها الرشـح (العـرق) وبـدل أن يكـون رشـحا عاديـا كـان رشـحا ملونـا كلـون العقيـق الأحمـر؛ مـن كثـرة القتـل في المعركـة، حيـث أفـاد الشـاعر مـن هـذا التنـاغم

(٧٤) اللغة واللون، ١٣٦

(٧٥) الديوان، ٤٣_٤٤

الصوتي الذي حققته الألوان التي اختارها للوحته ما ناسب جو المعركة، كما كان لاستعمالها استعمالا نغميًّا موفقًّا، مستفيدًا من مرونة هذه الألوان وقدرتها على التعبير، بناء ساعد في تحقيق نَغْمٍ ذي جرس بديع وفق صيغة محددة، أشاع في البيت إيقاعا داخليًا كان اللون فيه سر هذا التشكيل النغمي المنسجم.

إن ارتباط اللون الأحمر بالقتل والبطش، إنما يشير إلى أكثر من دلالة، فمواطن القتال والحرب توصف بمثل هذا اللون أولًا، كما يوصف به الممدوح كذلك تعبيرًا عن شدة بأسه وقوته وبطشه؛ فالمعركة ألوانها الدم الأحمر، والرايات حمراء والسيوف تلمع من شدة الطعن، والرماح قانية من الطعن، وجميعها مرتبطة بالموت والقتل، وإذا ما ذكرت تبادر إلى الذهن هذا اللون.فعن طريقه اكتملت الصورة الجمالية للمعركة، كما اكتملت الأبيات في مبناها ومعناها، حيث هيمنت عليها (الدماء، الرايات الحمر، والعقيق الأحمر) وبدت مسيطرة سيطرة طاغية على النص، وفق بناء لوني مميز أظهر العنصر الدرامي في بناء النص من خلال قوة المعركة وشراستها. فقد حرص على وضع مسحة لونية في ثنايا صوره التي توحي بالحدث وعظمته، سابغاً على الشعر اللوني أبعاده الرمزية والإيحائية التي يستحضر من خلاله الفعل التأثيري لها في المعركة، فلو تم تجريد هذه اللوحة من هذا اللون لفقدت دلالاتها الإيحائية المنشودة، ولبدت لوحة صامتة جامدة لا حياة فيها.

وأما عند وصفه للخمر باللون الوردي وهو " لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء، يطلق على الأحمر إلى صفرة من الدواب"(٧٦).

فهو لا يخرج عن وصف قديم مستعمل، كونه يعتبر من أجمل الألوان في وصفها، هذا اللون الذي حرص الشاعر على إيراده؛ فهو لون يعمل على إثارة وتأجيج الرغبة العارمة في الشرب إضافة إلى أنه يمثل النار والانفعال والقوة والدم، فهو بإيراده لهذا اللون إنما يهدف إلى تعميق الشعور بالرغبة في شربها من خلال تشبيهها بالورد في أيدي الغلمان المرد، حيث يقول(٧٧):

وَرْدِيَّةٌ يحملها شادنٌ ... في مُشْرَبِ الحُمْرَةِ وَرْدِيّ

كأنَّهُ والكأسُ في كَفِّهِ ... بَدْرُ دُجَىً يسْعى بِدُرِّيّ

فقد شبه الشاعر الخمرة بالورد، ولونه المائل للحمرة، حيث استفاد من هذا التشبيه بصورة مباشرة بجعل لون الخمرة اللون الأحمر، وهو لون من يحملها، ما عكس جمال حاملها، فهو كالبدر عند حمله تلك الكأس، حيث يساوي في اللون بين الكأس وحاملها، مستفيدا من التشبيه الذي أطلقه على الغلام وما في يده، فهي وردية في يد بدر، جميلة بيد جميل. فدلالة الصورة الجمالية التي رسمها للخمرة؛ بأنها وردية، ودلالة الورد هنا دلالة الصورة الوادعة والزينة والجمال والتأنق، ودلالة البدر التي أطلقها على الغلام دلالة على النقاء والصفاء، لازم بينهما ملازمة قائمة لا تفترق؛ فالحمرة جمال للوردة والوضاءة والإشراق في جمال حاملها علاقة تلازم مبعثها الجمال بين الطرفين، مبرزاً قدرة التصوير في هذه

(٧٦) معجم الألوان، فرنسي عربي، عبد العزيز بن عبدالله (دط)، الرباط، ٦٦، ١٩٦٩

(٧٧) الديوان، ١٧٧

اللوحة من خلال تأكيده لهذا المعنى، فجاء تشبيهه أولًا حسيًا ثم استعاريًا، وذا دلالة معنوية تمثلت فيما تعكسه على حاملها. لقد استوحى دلالات هذا اللون من الواقع المعيش لمجالس الشراب، مع توليده لدلالات جديدة عند ربطه بين الحمرة ووجه حاملها، علاقة لونية مشتركة بين الاثنين، فكأن الخمرة تعتصر من وجنتيه للدلالة على شدة احمرارها وجمال وجه ساقِيهَا ومن شدة ولع الشاعر بالزخرفة والتوشية والتوشيح والزينة والتلوين والرغبة في تشكيل صوره اللونية، ورسم ذلك بالكلمات، فقد استطاع رسم لوحات فنية تشي بافتتانه بالألوان، من تلك الصور ما أضفاه على حديقة من حدائق الأندلس وروضة من رياضها، استطاع من خلالها إبراز جمال الطبيعة، وإظهار قيمها الجمالية بصورة مكثفة، من خلال استخدامه للألوان ومزجها وقيمها ودلالاتها، حين يقول[٧٨]:

وما روضةٌ بالحَزْنِ حاك لها النَّدى ... بُرودًا من الموشِيِّ حُمرَ الشَّقائقِ
يُقيمُ الدُّجى أعناقَها ويُميلها ... شعاعُ الضُّحى المستنُّ في كلِّ شَارقِ
إذا ضاحكَتْها الشمسُ تبكي بأعْيُنٍ ... مُكَلَّلةِ الأجفانِ صُفْرِ الحَمالقِ
حَكتْ أرضُها لونَ السماءِ، وزانها ... نجومٌ كأمثالِ النُّجومِ الخوافقِ
بأطَبَّ نشرًا من خلائِقِهِ التي ... لها خفضتْ في الحسنِ زُهْرُ الخلائقِ

فالشاعر في نقله لهذا المشهد من هذه البيئة فنان يمسك بريشته؛ وقد استحضر كل ما يحتاج إليه من ألوان بهيجة، يستعملها بطريقة منسجمة، يكون موضوعها رسولًا بين وجدان المتلقي والشاعر؛ عمد إلى توظيفه مرة منفرداً، وأخرى ضمن صور

(٧٨) الديوان، ١١٥

متداخلة الألوان؛ ترتبط بحياة الزهر. فالحمرة للشقائق، والدجى لليل، والشعاع للضحى، والزرقة للسماء، والتلألُؤ للنجوم، والزهر للحسن، يخيم على ذلك طيب منتشر فواح. حيث امتازت القطعة بالتكثيف اللوني في صورتها، من خلال تحديد أركانها التي تطغى عليها الألوان الساطعة، وموحيات انتشرت بين ثناياها. فهو في انتقال متتابع من لون إلى آخر، ما يعطي قيمًا جمالية وفق دلالات التحول اللوني، تعمل على ربط أجزاء الصورة والموضوع، ولعل المتابع لهذه الصور التي سيطرت على حواسه يدرك ولع الشاعر بالطبيعة، بالإضافة إلى" الاستعداد النفسي لدى الشاعر وشخصيته المحبة للجمال، ومن المعروف أن الإحساس يتوقف على مدى الاستعداد الشخصي للتأثر بالمؤثرات المحيطة "(٧٩).

على الرغم من إفراده لكل لون على حدة، إلا أنه قصد من ذلك إظهار الشبه عند اجتماع هذه الألوان مع بعضها، وتصوير الهيئة المستحدثة منها الحاصلة عن امتزاجها، فلو جردنا النص من اللون لفقدت الصورة دلالاتها الإيحائية المرجوة. فجمع بين الأحمر والأسود المتمثل في الدجى، والذهبي المتمثل في شعاع الشمس وقت الشروق مع اللون الأصفر، حيث يبرز التلاحم والانسجام بينهما على الرغم من التضاد بينها الذي يؤدي إلى التوازن كون كلا من المتضادين يحاول استمالة الآخر في إظهار القيمة الحقيقية للمعان والإشعاع الذي يحدث من الضوء، وكما بين لون السماء ولمعان النجوم ليلا، وما بينهما من انسجام بفعل قربهما من بعضهما في دائرة الألوان.

(٧٩) فنيات التصوير في شعر الصنوبري، دار المعارف، ط٦٩، ٢٠٠٠، ١،

فالروضة وقد عمها الندى وتوشحت بالوشي الأحمر والدجى يلوي أعناقها، وشعاع الضحى المتلألئ، يملأ أرجاء المكان، وأشعة الشمس تضاحكها، وتظهر باكية حزينة بأعين مكللة الأجفان صفر، وقد أخذت أرضها لون السماء بزرقته، وانتشرت في المكان رائحة الطيب، فكلها استعارات شكلها الشاعر من الطبيعة ليستعين بها في وصف روضته، وفي استعماله للضحى والشمس والسماء والنجوم ما يعكس قيمة الألوان الدالة على الإشراق والبهاء والحسن، فلم يكد يدع جزئية من جزئيات الصورة إلا وقد وصفها، فعند إيراده اللون الأحمر، والأسود في رسم صوره، وتكراره لهما بهيئاتهما المتعددة إنما يثبت تكرارا حيويا يمد اللوحة الشعرية بدلالات وإيحاءات لا غنى عنها. فهو يصف شقائقها باللون الأحمر و يبين أثر الطبيعة في تحولاته من دجى إلى شروق وفق خيال مبدع، فالدجى والشعاع يعملان على تمايل أعناق الأزهار ولي أعناقها، والشمس تضاحكها بألسنة أشعتها، لكنها تبكي بمقل صفراء ذابلة، ذلك اللون المقترن بلون الذهب، لدلالة الندرة و النفاسة، فصفرة الزهور هنا صفرة غير زائلة لكونها صفرة الذهب التي تدل على الخلود حيث " تستدعي دلالة معبرة عن الفرح والكمال، وإشعار بتجدد الحياة مرة أخرى بعد موتها " (٨٠).

وليس على الضعف والحزن والخوف. كما أن لون السماء الأزرق يعكس الثقة والبراءة والنضارة والشباب، ويوحي بالهدوء والاعتدال والصفاء، وهي دلالة إيحائية معبرة. ساعد في ذلك ما في نفسه من حب للجمال أولًا، وبيئة أندلسية غناء بجوها وأزهارها ومياهها وأطيارها. ولعله في

(٨٠) الرموز في الفن، فيليب سيرنج، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للنشر، ٢٢٧، ١٩٩٢

رصده لجمال اللون وإيمانه بدوره بإجلاء الصورة ومدها بإيحاءات إبداعية تنفذ إلى النفس وتعبر عن مكنوناتها، قد انطلق من لون الأزهار والطبيعة فكانت الطريق ليربطها بأشجانه وما يعتري خلجات نفسه؛ ليعبر من خلالها عن تلك الأشجان.

ولتراسل الحواس قدرة إيحائية عظيمة في التعبير عن الإحساس العاطفي من جهة والوجداني من جهة أخرى " فتعطي المسموعات ألواناً، وتصير المشمومات أنغامًا وتصبح المرئيات عاطرة وذلك أن اللغة في أصلها رموز اصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة والأصوات والألوان والعطور تنبعث من جمال وجداني واحد؛ فنقل صفاتها بعضها إلى بعض يساعد على نقل الأثر النفسي كما هو، أو قريب مما هو، وبذا تكتمل أداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الدقيقة ".[٨١].

المبحث الرابع: اللونُ الأخضرُ في شعرِ ابنِ عبدِ رَبّه

يعد من الألوان الرئيسة في دائرة الألوان، المريحة للنفس، وقد اقترن بالطبيعة الخضراء، وتأتي أهميته من خلال ارتباطه غالبًا بالقداسة والطهر، وبالتفاؤل والخير والعطف والبهجة والخصب والنماء والأمل والسلام، كما يعتبر لون الحياة والحركة والسرور، يعمل على تهدئة النفس. وسنقف على لوحتين حظي بهما هذا اللون لدى الشاعر "من خلال تعانق وتشابك وترتيب حروف و أصوات كلمة (الأخضر)، ولاسيما صوتي "الخاء"و"الضاد" المتعالقين زخمًا شعريًا وكثافة إيقاعية يندر وجودها في

(٨١) النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٣٩٥، ١٩٩٦

تلاحم صوتين آخرين، متناسبة في ذلك مع عمق المستوى الدلالي للون في درجاته المختلفة في النص" [٨٢].

يقول [٨٣] في ممدوحه:

هَنِيئًا إمامَ المسلمينَ عَـــطيّةً حباكَ بها ربٌّ لهُ الحمدُ والشُّكرُ

فيا مَنْ كَساهُ اللهُ تاجَ خِــلافَةٍ ومَنْ جودهُ قَطرٌ إذا أعْدِمَ القَطرُ

ومَنْ كاد يَنْدَى الخَيْزرانُ بكفِّهِ ويَنْبُتُ في أطرافِهِ الورَقُ الخُضرُ

حيث يعمل الشاعر من خلال تحريكه للطبيعة الصامتة، مضفيًا عليها وحدات لونية صريحة، وغير صريحة أحيانًا، ويضفي عليها صورًا من ضياء ونور؛ ممزوجة بألوان الطبيعة الزاهية التي ترسم مشهدًا بصريًا، مع خلطها بمشهد بصري يشع بريقًا ونضارة، ويُسهم في جعل المشهد حيًا على الرغم من سكونه.

فالشاعر يماثل بين صورتين، الأولى في صدر البيت الأخير (ومن كاد يندي)، حيث الخيزران يندى بكف ممدوحه، والثانية في العجز منه؛ تصور الورق الأخضر (ينبت في أطراف يده).

ومن أجل تحسين الصورة، وجعلها أكثر تعبيرًا عن اللون ودلالته، أردفها بتشبيه اعتمد اللون الأخضر، الذي أعطى دلالة لونية واضحة، وفق معها الشاعر في الجمع بين الندى والخضرة، وهما مرتكزان أساسيان لاخضرار النبات إذا ما تعهده القطر.

---

(٨٢) جماليات القصيدة العربية الحديثة، محمد صابر عيد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٥، ١١٣.

(٨٣) الديوان، ٦٧

فجاءت صوره عفوية غير متكلفة، وهي صور ارتقت بالممدوح، ورفعت من شأنه، وعززت من مكانته، وجاء اللون الأخضر معياراً لما وصل إليه كف ممدوحه من كرم وسخاء وعطاء.

كما بدا التعانق واضحًا بين كل من (كسا، وندى، وينبت)، وكلها مفردات توحي بالعطاء والنماء والزيادة والبهجة. وهي من عطايا ومنح ممدوحه التي تعكس ألوانًا ومشاهد مثيرة بعدما اختلطت ألوانها وتمازجت؛ مما زاد المشهد البصري بريقاً وروعة ونضارة، فجاء هذا اللون في المشهد لافتًا، وبدا تأثيره واضحًا، من خلال إبرازه للأثر النفسي الذي اختزنته ذاكرة الشاعر، ونثرته إبداعًا في وصف الممدوح.

لقد وقع الشاعر تحت تأثير سحر الألوان التي يمثلها (القطر، والندى، والخضرة) والذي أسهم في منح الكناية معنى إضافيًا للمعنى الذي تفيده الكناية هنا؛ مما أعطى بعدًا إيحائيًا؛ لما يمثله اللون من رمزية وإيحاء؛ يعملان على تصوير كرم الممدوح، وسعة يده، وكثرة بذله، وعما تفيض به كفه من خير وعطاء، تجعل له مكانة سامية عالية قد لا تدرك.

لقد كان الشاعر موفقًا في اختياره لقافية الراء لهذه المقطوعة، قافية جمعت أصداء نفسه مع أصداء الإيقاع الوزني. فقافية الراء من أكثر القوافي استجلاء للألوان ودلالاتها. فأشهر الألوان في التركيب الشعري (أحمر، أصفر، أخضر، أسمر....)، ما منحها تطريزًا لونيًا بديعًا؛ مع ما تحويه من نغم وإيقاع وجمال حافل بالصور اللونية.

كما كان لربط الشاعر بين الخصب المتمثل في نضارة الأيك واخضرارها، وبين الجفاف والعدمية والفناء والزوال؛ الذي تمثله الدنيا، رابطاً ذا دلالات إيحائية عديدة، كما في قوله[٨٤] :

ألا إنَّما الدُّنيا نضارةُ أيـــكةٍ إذا اخضرّ منها جانِبٌ جفَّ جانبُ

هيَ الدارُ والآمالُ إلا فَجائِعٌ عليـــها ولا واللذَّاتُ إلا مصـــائبُ

لقد ربط الشاعر هنا اللون الأخضر بنضارة الأيك ليشير إلى أكثر من دلالة وإيحاء. فهو لون الأمل والحياة والطبيعة الباعث على الطمأنينة والسكون؛ علاوة على الراحة والانسجام، كما أنه رمز الحياة والتجدد والخصب، فجاء البيت الأول قائمًا على المقارنة بين تجليات اللون من جهة، ومستجيبًا لمسار الصورة القائمة على الكناية من جهة أخرى، كما أن الصورة اللونية المكونة تحمل في ثناياها آفاقًا فنية تثري المشهد الصوري، وفق مستويات جمالية متحولة من جهة ثالثة، فهو لم يصرح بالمكنى عنه، إلا أن القرينة التي وردت في التعبير الشعري تدل على الكنائية، وفق قرائن وموحيات واضحة، تداخلت فيها كنايات لونية عديدة، جعلت من مضمون الأبيات طبيعة متجسدة للمشهد الذي أراده الشاعر.

وقد ركز الشاعر على اللون تركيزًا واضحًا، شأن الشعراء عند وصفهم للرياض ورغد العيش ولم تخرج إيحاءاته هذه عن كونها تعكس الدلالة النفسية لذات الشاعر، ونظرته للحياة، وتنقل هذه الإيحاءات والمشاعر إلى المتلقي.

لقد جاور الشاعر بين اللون الأخضر هنا؛ وألوان النبات الجاف المتهالك، على الرغم مما بينهما من تباين، حيث كان التأثير بينهما واضح بعدًا وقربًا، فلا يظهر جمال اللون الأخضر إلا بمجاورة النبات الجاف، هذه المجاورة هي التي

(٨٤) الديوان ،٢١

عملت على إبراز جمال الصورة وإظهارها جلية واضحة منسجماً مع إطار الصورة من خلال تصوير حال الدنيا وتقلباتها بين رخاء ونعيم من جهة، وشدة وزوال من جهة أخرى.

فحال الدنيا متقلب متغير من نضارة وهناء إلى بؤس وحرمان وفناء؛ تم تجسيمها وتشخيصها من خلال اللون الذي شكل به الشاعر الصورة. ففي وصفه للدنيا وتغيرها يصف نفسه وتغير حاله ومشاعره وأحاسيسه المتضادة والمنسجمة أحيانًا، ليعبر بها عن نفس مضطربة قلقلة، مازجًا بينها وبين الحواس المدركة لعملية التشكيل في بناء المقطوعة؛ للعمل على تشكيل لوحة مزخرفة ذات أبعاد ودلالات نفسية متصارعة لم يستطع كتمانها، أو السكوت عنها وفق ألوان أقرب إلى المحسوس في النظر، وأكثر تميزاً في الدلالة، وجاء هذا الوصف وفق صياغة جمالية أسهمت في تركيز المعنى وتكثيفه لدى المتلقي " فكلما اشتد إحساس الإنسان بالزمن اشتد إحساسه بالموت وتجربة الحب تجربة تعيش بلا شك في إطار زمني يشكل الزمان عنصرًا أساسيًا فيها " (٨٥).

ولعل انتماء الشاعر لبيئة أندلسية غناء بحدائقها وأنهارها وأطيارها وخضرة طبيعتها "جعله شديد الحساسية في التعامل مع الألوان ليعطي هذا الفضاء ما تستريح إليه نفسه وتتوجه إليه أحلامه"(٨٦).

ويرمز اللون الأخضر في شعر الشاعر للحياة، ويعطي الجانب الإيجابي منها، و"يسهم في إبراز دلالة عمق الحياة وسعتها في الحدث الشعري، يتجاوز الدلالة الوصفية العامة له؛ ليتحول إلى حياة كاملة مفعمة بالأمل دافقة بالعطاء ومساحة بقدرة

---

(٨٥) تاريخ الشعر العربي في آخر القرن الثاني الهجري ، نجيب محمد البهبيتي ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ،١٩٦٧م،١٦٧

(٨٦) الألوان وتشكيل الصورة البورترية ، فريال الحداد ، صفحة الجزيرة الثقافية ، العدد٢٧٤,١٤٣٠,٢.

كبيرة على استشراف المستقبل، إن إيقاع هذا اللون هنا هو إيقاع الحياة بكامل حركتها وديناميتها" (٨٧).

المبحث الخامس: اللون والزينة في شعر ابن عبد ربه

الحديث عن الجمال يقود الذهن إلى الزينة، والزينة جمال، والجمال عنصر جوهري في بناء الكون، تسعى إليه النفس الإنسانية وتعشقه، وتنطلق منه إلى السمو والعلو والرفعة، يُسْهِم في توضيح الصورة وإبراز الفكرة، وتعميق المعنى " إن وظيفة اللون الجمالية والتزيينية؛ عملت على توضيح الصورة، وإبراز الفكرة، وتعميق المعنى، وبلاغة التعبير، والتأثير والتشويق، أو التنفير، وفي الترغيب والترهيب، وهي بذلك توقظ القلب، وتنبه الحواس، وتثير الشهية للتذوق؛ بما ترسمه من تنميق وتنسيق وتصوير وتدرج في الظلال والايحاءات، حتى تتحقق عوالم فريدة ومتكاملة في البلاغة والإعجاز، ومنها تؤخذ العبر "(٨٨).

فعندما تتداخل الحواس وتتراسل فيما بينها تنتج عنها صورا شعرية ذات أبعاد وآفاق متعددة وجديدة؛ تعمل على فتح مجالات رحبة أمام الخيال وإبداعاته وانطلاقه؛ ما يعمل على توفير الطاقات التعبيرية التي يكون للون فيها الأثر البالغ المتميز " إن الحواس تتبادل فيما بينها مواقع الشم، والبصر، والسمع، واللمس، والذوق، فيصبح المرئي مسموعاً والمسموع مرئيًا، أو ملحوظاً؛ بمعنى أن إحدى الحواس تتداخل في مجال حاسة أخرى "(٨٩).

---

(٨٧) دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي ، رسول بلاوي، مجلة إضاءات، السنة الثانية ، العدد ٨، ٢٠١٢م،٨.

(٨٨) ظاهرة اللون في القرآن الكريم ، محمد قرانيا، موقع التراث العربي ،٩٤.

(٨٩) اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف ،٢٥٦

فربيع ابن عبد ربه ربيع مميز بوروده وأزهاره وعطره، يحرك في النفس الأحاسيس والانفعالات التي تضفي عليها من البهجة مالا يوصف، فهو يباكر جنته التي كسى الحياء نوارها، وأحداق أزاهيرها المتلألِئة ضياءً ونورًا؛ كالدنانير اللامعة بيد الصيرفي، والرياح تعبث بها ناشرة مسكًا ذكيًا يملأ المكان، تعمل على مد الحياة بالبهجة والألق؛ "فالشاعر الأندلسي أدرك الجمال، فحيثما أدار عينيه يرى في الرياض جمالًا، وفي أشجارها جمالًا، ولذا نرى اتساع أفق بصره، وكيف أن نفسه تسكن لمثل هذه القيم التي تربط بينه وبين جمالها، حتى كَونا ماهية واحدة لهذا الكيان الجمالي"(٩٠).

فقد استلهم من مدينة الزهراء المشتملة على قصر الخليفة المتربع على رياضها وخضرتها ونوارها من: سوسن وبهار؛ ذات الألوان الخلابة الساحرة، شكل منها صوراً لونية ذات دلالات حسية في تزيين المكان، وأخرى نفسية يرمي لها الشاعر "إذ إن اللون يعد عنصرًا مهمًا في تشكيل هيئتها، بما يمتلكه من قدرة تصويرية فائقة، ترتفع بالنص إلى مستوى الاستجابة بين الشاعر والمتلقي، من ناحية التأثر والتأثير"(٩١).

حيث جعل من لوحته هذه مقدمة لقصيدته مستعيضًا عن المقدمات الغزلية أو الطللية التي درج عليها الشعراء القدامى، مستخدماً أدواته البلاغية في التشبيه، من خلال جمعه بين صورتين مختلفتين استوحاهما من الطبيعة بين: السوسن المتلألئ حُسْنًا، ذي العيون اللاحظة من جهة، وبين الملاء المزعفر المحاط بفصوص الياقوت المكلل بالجواهر المعطر بروائح المسك والعنبر من جهة أخرى،

---

(٩٠) القيم الجمالية في الشعر الأندلسي، د. آزاد محمد كريم الباجلاني، دار غيداء للنشر والتوزيع، ١، الأردن، ط١، ٢٠١٤، ١٢٤.

(٩١) اللون ودلالاته الموضوعية والفنية، ٨٥

منتجاً من هذا التداخل بين حاستي النظر والشم المتمثلة (في اللون والعطر)مشهدًا أثيرًا محببًا، جاء من خلال التعانق والربط بينهما، تمثله الألوان من جهة، وأدوات الزينة من عطر وجواهر من جهة أخرى، فلوحاته التي تعامل معها؛ كانت تبدي تعامله في رقة تعامل العاشق مع معشوقته، فجاء باللين والنعومة المنسجمة مع روعة القوة والحنان، من خلال الممازجة بين هذه الحواس، التي غدت بؤرة إيحائية مركزية مشتركة مع روابط جمالية أخرى، فكانت هذه العلاقة علاقة الجميل بالأجمل، ما أعطى مساحات لونه نموًا وتمددًا وانسكابًا في ثنايا القصيدة كلها، فهو "يسكب انفعالاته الحارة المتوقدة قبل أن يبردها العقل، لكن حركيته اللونية تكون أيضًا تابعة للموضوع المعالج "[٩٢].

حيث يقول [٩٣]:

ألِمَّا على قصرِ الخليفةِ فانظُـــرا	إلى مُنيةٍ زهراءَ شِيدتْ لأزهـــــرا
مزوَّقةٍ تستودعُ النجمَ ســـــرَّها	فتحسبُهُ يُصغـــي إلـــيها لتُخبرا
ترى السَّوسنَ المنآدَ بين رياضِها	تلألأ حُســـــنًا في بهارٍتَدنَّـــرا
توشَّحْنَ من هذا اليمانيّ مثلمـــا	تأزَّرنَ من ذاكَ الملاء المزعفـــرا
بموشِيَّةٍ يُهدي إليها نَسِيمُـــــها	على مفرقِ الأرواحِ مِسْكًا وعنـبرا
تُلاحظُ لحظًا من عُيُونٍ كأنَّهـا	فُصوصٌ من الياقوتِ كُللن جَوهرا

نرى أنه في إبداعه التصويري هذا قد ظهر أكثر رقةً وابتكارًا حين يسرح به الخيال بإغراب وإطراف، من خلال سوقه لصوره البديعية التي طبعها بطابع الفن والجمال عند تشبيهه لهذا القصر، وقد طاول النجم، وأحاطت به الأزهار بألوانها المتعددة من كل جانب، حتى جعل من النجم، وقد خر مأسورًا صاغيًا واجمًا

(٩٢) مدخل إلى الألوان في الشعر ، جهاد عقيل ، منتديات ستار تايمز ، ٦/١٠ / ٢٠١٢م

(٩٣) الديوان ، ٦٨

يستوضح خبرها، ويعمل على كشف سرها، والنسيم يهديه أطيب عطره(مسك وعنبر) مع تمازج بين اللونين الأبيض والأصفر ليشكلا لونًا فريدًا(مزعفرًا). فهو بصوره هذه يعمل على تحريك الطبيعة الصامتة التي تهيج المشاعر والأحاسيس لدى المتلقي ؛ بعد أن تحركت في نفس الشاعر من خلال إضفاء وحدات لونية، وصور عطرية ساهمت في جعل المشهد حيًا على الرغم من سكونه وجموده.

كما أنه بمزجه بين عناصر الطبيعة من: ورد، وزهر، ومروج وعناصر الجمال الأخرى ؛ التي تحملها العطور الزكية، قد زين مشهده البصري مع ما يعطر أنفاسه من شذاها وروائحها المنبعثة عند تهادي الريح ؛ باعثة نسيماً عليلًا معطرًا يأخذ بالألباب، ويسحر العقول، مع ما تحويه من ألوان براقة لامعة ؛ كالدنانير المتجسدة في الذهب المحمر، الموحية بالصفاء والنقاء والبراءة.

لقد كان الشاعر في صوره هذه أكثر حرصًا على اختيار مفردات الجمال التي ترضي الحواس، وتراعي التناسب الشكلي بين المشبه والمشبه به، حيث الريح، وهي تعبث بالغصون المنبعثة منها رائحة المسك والعنبر؛ بوجوه الدنانير إشراقًا ووضاءةً، فقد جاء هذا التداخل موفقًا حيث أن " التداخل في التركيب له شأن عظيم، ومكان من الفضيلة مرموق ؛ لأن الصورة مع هذا المزج تتداخل وتتركب وتأتلف ائتلاف الشكلين يصيران إلى شكل ثالث"[٩٤].

بقوله [٩٥] :

وَجنَّةٌ كالربيعِ جادَ عليـــها ... مِنْ حياءٍ لا من حَيًا وسْميُّ

ووُجوهٌ قلَّبتُها كالدَّنانيـــــ ... ـــرِ، ومِثلي لمثلِها صَـيرَفِيُّ

---

(٩٤) الأعمال الكاملة ، نزار قباني، ط٢، ج٩، ١٩٩٨م،٣٠٤

(٩٥) الديوان، ١٧٨

تَتَهادى الرِّياحُ منها نَسيمًا شابَهُ عَنبرٌ و مِســـــكٌ ذكيٌّ

لقد بلغ ابن عبد ربه أقصى درجات الدقة في الوصف، عند نقله لألوان صوره، فهو عند وصفه لممدوحه الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن في أول غزواته، من أن الدنيا قد تزينت، ولبست أبهى حللها الموشاة بالوشي والديباج؛ ويجعل هذا التصوير ينعكس على وجه الممدوح المشرق الوضيء، صاحب الأفعال والأمجاد والبطولات، "وقد يكون المديح مرتبطًا بالطبيعة، ومن ثم باللون؛ لأن الشاعر يستبدل المقدمة التقليدية بمقدمات وصف الطبيعة ووصف الرياض وما شاكلها، ومن الطبيعي أن تحوي هذه المقدمات على الألوان المبهجة، ومن ثم يكون المزج بين أوصاف الطبيعة ومناقب الممدوحين"(٩٦).

كما أن لصورة الدراهم والدنانير ومدلولاتها المرئية إضافة تعطي الأبيات قيمًا جمالية مستحقة من الإضاءة وبعث النور، فضلًا عن الصورة فيهما، وقد تحولت من الواقع الطبيعي إلى الواقع المادي الذي عرفه المتلقي وتعامل به. "ولقد استطاع الشعراء أن ينقلوا لنا الربيع بألوانه وأصباغه المبثوثة في رياضه؛ لكأن الربيع طراز يكسو الرياض ملاءة غير ملحمة، أو رداء غير منسوج "(٩٧).

ولما كان العديد من شعراء الأندلس قد قرنوا بين الطبيعة، وصفات الممدوح لإضفاء صفات جمالها على أولئك الممدوحين؛ "فالتصوير اللوني، والاحتفاء بالتشكيل اللوني في شعر الأندلسيين مزج بين صفات الطبيعة، وصفات الممدوح، وقد كان أرحب خيالًا لديهم، فكان الشاعر يربط بين ألوان الطبيعة وشعر الممدوح"(٩٨).

---

(٩٦) ملامح الشعر الأندلسي ، د. عمر دقاق، دار الشرق العربي، ط١، ٢١٥، ٢٠٠٦

(٩٧) اللون في الشعر الأندلسي ، ١٣٢

(٩٨) اللون ودلالاته الموضوعية والفنية ،٣٢.

حيث يقول في ممدوحه [٩٩]:

قد أوضَحَ اللهُ للإسلامِ مِنهاجَا والنَّاسُ قد دَخَلُوا في الدِّين أفواجَا
وقد تزينتِ الدُّنيا لِســـاكِنها كأنَّمـــا أُلْبِسَتْ وَشْيًا ودِيباجـــا

وقوله [١٠٠]:

يـــا هِلالًا قـــــد تجلَّى في ثيابٍ مِنْ حَريرْ
وأمـــــــــيرًا بِهَـــواهُ قاهرًا كلَّ أمـــــيرْ
ما لِـــــخَدَّيْكَ استـــعارَا حُمرَةَ الوردِ النَّضيرْ؟
ورُسُـــومُ الـوَصْـلِ قَدْ أَلْـ ـبَسْتَهَا ثَوْبَ دُثُورْ
مُقفِـــــراتٌ دارِســـــاتٌ مثلُ آياتِ الزَّبُـــورْ"

لقد أفاد الشاعر من العديد من البنى والتراكيب التي تشي بالوضاءة والنضارة والنور والأَلَق، والألوان والنعومة وموحياتها (الهلال، الحرير، حمرة الخد، النضارة) هذه البنى اللونية مكملات تؤطر اللوحة التي أبرزت صورة الممدوح على هذا النحو، وعلى الرغم من كونها مكملات مادية، " إلا أنها جسدت الجانب الآخر حين أظهر الوصف الذي خص به الممدوح ؛ من خلال التعبيرات المجازية "[١٠١].

فتصويره لممدوحه على أنه هلال متجل بأثواب الحرير الموشاة المطرزة الناعمة، لا يريد به الصفة الحقيقية للهلال بقدر ما يريد ما يرمز إليه من دلالات عميقة متأصلة راسية، فهو علاوة على وضاءته وجماله، قاهر لعدوه ومناوئيه. ولعل منحه للممدوح صفة إشراق الوجه من خلال (الحمرة) الموحية بالجمال، علاوة على ما تعززه من الإشادة بفضائله وسمو مكانته، وعراقة نسبه الذي يستمده من أصوله العميقة، مع ما

(٩٩) الديوان ، ٣٥.
(١٠٠) الديوان ، ٨٥.
(١٠١) اللون ودلالاته الموضوعية والفنية ، ٣٨.

يسبغه عليه من قداسة ورقه. كل هذه الأشياء مجتمعة يعززها بروز عناصر الزينة من: (زعفران، ومسك، وعنبر، وكافور، وعقيق، وجواهر، وحلل موشاة)، وهي التي حشدها الشاعر في العديد من لوحاته؛ وجاءت مكملة للصورة التي جسدها في سياق المدح حيث شكلت المادة الرئيسية للزينة والتجميل و "أسهمت بدور لا يخفى في منح الكرم صفة لونية متلألئة مستمدة من وسائل الزينة الثمينة، مما يشير إلى الحد الذي وصل إليه زمن الممدوح وعهده من ترف ونعيم ورخاء. إن هذه الألوان من جهة أخرى عمقت سعادة الزمان وسعادة أهله في ظل الممدوح...استعمالًا يقوم على الإشارة والإيحاء؛ لما يحويه هذا اللون من إيحاءات تتساوى وتتلاءم مع سياق المدح في تجسيد قيم المدح الكبرى من: أصالة العرق والنسب والطهر والنقاء والبطولة والكرم والنصر"(١٠٢).

لقد كانت الصورة الحسية في لوحات ابن عبد ربه من: لون، ورائحة، واسعة الحضور، ما أضفى قيماً جمالية على نصه الشعري، مع طغيان حاسة الشم أحيانًا، خاصة عند ربطه للمتشابهات مع الصورة، التي بدت عنصرًا أصيلًا، بل وأساسيًا في بناء النص الشعري، ما أضفى عليه طابع الإيحاء المسيطر على نفس المتلقي، فهو بعمله هذا قد عمل على "خلق تشكيلة نغمية، لاستثارة الوجدان، الذي يزيل عن الصورة حسيتها وجمودها، لقد ارتفعت الصورة التشبيهية إلى مصاف وجدان الشاعر التي لمحت الأشياء، فهدمت أسوار المدركات الحسية، ثم بنت بناء متميزًا، بعد أن ألفت بين الأشياء، وارتفعت بمخيلة الشاعر إلى مصدر داخلي نفسي أعمق من الحواس " (١٠٣).

---

(١٠٢) اللون في الشعر الأندلسي ، ٨٦.

(١٠٣) أنماط الصورة والدلالة الفنية في الشعر العربي الحديث في اليمن ، د. خالد علي حسن الغزالي ،مجلة دمشق ، م٢٧ ، العددان الأول والثاني ، ٢٠١١م.

هذا التوظيف لألوان الطبيعة: من أزهار وورود ومروج، ألقى بظلاله على الصورة الشعرية فجاءت محملة بشذاها وعطرها وأنفاسها، الأمر الذي عمل على شد المتلقي واستمالته، سواء أكان وهو يمعن نظره فيها، أَم يستنشق من عبير شذاها، وأريج أزهارها. هذه المشاهد جميعها تعمل على إعطاء الأمل والتجدد والهدوء لدى النفس البشرية، "لما لها من الخواص المسكنة المهدئة للجهاز العصبي، فهو لون الربيع والتجدد والأمل "[١٠٤].

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة اللون عند ابن عبد ربه الأندلسي نخلص إلى مجموعة من النتائج التي كشفت عنها الدراسة، منها:

أولاً: لمس الباحث أن الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي كان مُلِماً بالتراث العربي، والتراث الثقافي بشكل عام؛ ؛ وبخاصة في مجال التصوير اللوني، واستخدامه له؛ لتحقيق ما يصبو إليه من أغراض.

ثانيًا: يصرح الشاعر بذكر الألوان مباشرة، وأحيانًا يشير إليها ببعض دلالاتها؛ في لغة رمزية تحمل العديد من الإيحاءات والدلالات المختلفة، حتى إن اللون يحمل أكثر من دلالة.

ثالثًا: تعامل الشاعر مع ألوانه بمعرفة ووعي؛ من خلال توظيفها بدلالات متعددة، وأسلوب واضح تغلب عليه السهولة، والعفوية، بعيدًا عن التعقيد، أو الغموض.

---

(١٠٤) اللون في الشعر قبل الإسلام –قراءة فسيولوجية –، د. إبراهيم محمد علي ، جروس برس ، طرابلس ،ط١ ، ٢٠١٤م ،٢١٢

رابعًا: استخدم الشاعر أغلب الألوان في شعره، مع غلبة للون الأبيض، يليه الأسود. مشكلان مرتكزًا مهيمنًا على بقية الألوان التي نص عليها صراحة، أو رمز إليها بدلالاتها المتعددة.

خامسًا: حرص الشاعر في تجربته على الجمع بين العديد من الألوان، وبخاصة المتقابلة منها، كتقابل الأبيض بالأسود، والأخضر بدلالات اليبس والجفاف.

سادسًا: كشفت الدراسة عن أثر السياق الشعري في اختيار اللون؛ فالأبيض غالبًا ما يرتبط بالمدح والبطولة، والأسود بالحزن والخراب، والأخضر للطبيعة والجمال، والأحمر للمعارك والدماء، ولم يكن للون أثر واضح في الهجاء لديه.

سابعًا: امتلك الشاعر خيالا وشاعرية؛ أدرك من خلاله أهمية اللون وإيحاءاته، فعمل على ذكره مفردًا أحيانًا، وأحيانًا أخرى ربطه بالصوت، أو بأدوات الزينة.

ثامنًا: عمل الشاعر على استثمار الألوان وتوظيف خصائصها ومميزاتها في صوره الشعرية، من خلال وضع كل لون في المكان الذي يناسبه، فجاءت صوره، تعبيرًا راقيًا يحقق المتعة الفنية والجمالية، هذا ما كان من جَهْدٍ، و على الله التُكْلانُ والقبولُ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

The Color in ibn abd Rabbo's Collection of Poets and its Semantict Objective and Artistic

Dr. Salim Obeid Abdul-MohsinAl-Gararaa
Assistant Professor
College of Arabic Language and Social Studies
Qassim University
Kingdom of Saudi Arabia
2014

Abstract. Color is considered as a main element of Artistic Expression, color provides poem with the Expressive power to direct his thoughts, and to deepen his Artistic vision, this is because Color holds Aesthetic Connotation and Variety Methods help in the Image formation.

The color considered to be basic of the Text elements that work to produce many Aesthetic meanings which form Distinctive Vibrant Photos of color of beauty has high-capacity to influence in the recipient mind.

In this research- study on the Aesthetic of colors in Ibn AbdRabbo' spoets, has been highlighted,it is a Tag Stylistic study aim to identify some phenomena of color in his color in his collection of poets, in an attempt to reveal the artistic value and aesthetic significance, through which the poet described the emotion situations, passed on his life.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٦٤٥-٦٧٢، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

بنية المعجم الشعري عند محمد الثبيتي: الرؤية والدلالة

د. سهيل عبد اللطيف الفتياني
أستاذ مساعد في الأدب والنقد الحديث
كلية الآداب والفنون – قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة حائل– المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. يتناول هذا البحث بنية المعجم الشعري في شعر محمد الثبيتي، ضمن ثلاثة مستويات، أولها: المكان وثانيها: الزمن وثالثها: اللغة، بغية استخلاص رؤيته للواقع بتحولاته وتناقضاته.

ويركز البحث على المكان ممثلا بثنائية الصحراء والمدينة. وتتضح رؤية الشاعر السلبية للمكان، بشقيه؛ بسبب افتقاده إلى القدرة على التكيف معه، ما أوقعه في الاغتراب الوجودي.

و يقف البحث على ثنائية الزمن ممثلة بالماضي والحاضر، ونجد أن تجربة الشاعر تنتمي إلى الحاضر بقدر ما تظل مشدودة للماضي. وتتمحور هذه الثنائية حول تكريس رؤية الاغتراب.

ويتناول البحث ثنائية اللغة عند الثبيتي، حيث تتوزع بين اللغة التراثية واللغة الحداثية، ونرصد لديه محاولات جادة لتجديد معجمه اللغوي من خلال شحن المفردات التقليدية بدلالات جديدة، كما نلمح توظيفه لمعجم شعري حديث يعكس الطبيعة الحداثية لتجربته.

تمهيد

تمثل اللغة المادة الأساسية المشكلة للإبداع الأدبي، فهي " الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير. هي أول ما يصادفنا، وهي النافذة التي من خلالها نطلّ"[١]، كما أنها وسيلة الشاعر للتعبير عن المعنى الوجودي الذي تختزله الكلمة.

ومن أبرز ما حققته الحداثة الشعرية تحديث المعجم الشعري، وذلك من خلال تجاوز اللغة التقليدية في ميلها الواضح إلى التقريرية والوضوح إلى لغة شعرية تعتمد الإيحاء والتكثيف الجمالي والدلالي. وقد عمدت الكتابة الشعرية الحديثة إلى تحرير اللغة من مناخها الفني التقليدي بإدخالها في مناخ جديد[٢]، الأمر الذي جعلها تتصف بإيحائها ورمزيتها، ومنحها تعددية الدلالة والتأويل.

وقد تحقق ذلك من خلال إعادة النظر في المعجم الشعري و الكلمة بوجه خاص، باعتبارها قوام الخلق الشعري، إذ تجسد هوية الإبداع الشعري وخصوصيته. لذا، تهدف قراءة المعجم الشعري إلى الكشف عن طبيعة لغة الشاعر وخصوصيته، فهو يحدد هويته الإبداعية، "فإذا ما وجدنا نصا بين أيدينا ولم نستطع تحديد هويته بادئ الأمر، فإن مرشدنا إلى تلك الهوية هو المعجم الشعري"[٣]. وتنطوي بنية المعجم الشعري على جانبين: أحدهما ذاتي، إذ إن لكل شاعر طريقته الخاصة في استخدام المفردة، لذا ينبغي التعرف على كيفية استخدامه لها[٤]. وآخر موضوعي يتشكل من

---

(١) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت.

(٢) أدونيس، زمن الشعر، ط٦، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥، ص٦١.

(٣) مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت،١٩٨٥، ص٥٨.

(٤) وادي، طه، جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٥.=

خلال ثقافة الشاعر وبيئته وطبيعة تجربته، وتتضح في توظيفه للتناص، والرمز، والأسطورة وغيرها من تقنيات الكتابة. وتظهر موهبة الشاعر ومقدرته الفنية في التوفيق بين كلا الجانبين.

ثمة علاقة وطيدة بين المعجم الشعري والرؤية الشعرية، إذ يمثل المرآة التي تنعكس فيها رؤية الواقع، انطلاقا من أنّ الشعر، في جوهره، رؤية تتأسس باللغة. لذا، تكمن أهمية المعجم الشعري في الكشف عن رؤية الشاعر ووعيه التجدد للواقع بتناقضاته وإشكالاته، على اعتبار أن الشعر يحاول اختزال تجربة وجودية بفعل اللغة الجمالية ذات الدلالة المجازية المتجددة. "(٥).

في ضوء ذلك، نحاول مقاربة بنية المعجم الشعري عند الثبيتي، ورصد دلالاته، والوقوف على رؤيته الشعرية، من خلال تتبع أبرز عناصره: المكان، والزمان، واللغة.

أولا: بنية المكان: ثنائية الصحراء / المدينة

يعدّ المكان أحد العناصر الأساسية التي تشكل الهوية الإنسانية، ولذا وعى الإنسان أهمية الارتباط به والتكيف معه، فهو مغروس فيه ومتمكن في أعماقه. في ضوء ذلك، شكل المكان عنصرا محوريا في الإبداع الأدبي، والشعري بخاصة، فهو " الفضاء الأمثل الذي تنهل منه عملية الإبداع عبر التجاذب بينه وبين الذات"(٦)

يلحظ المتأمل في تجربة الثبيتي انشدادها للمكان. ونجده يتجاوز في استدعائه للمكان المظهر الجغرافي المجرد إلى التعبير عن شاعريته وجمالياته من خلال تشكيل

=نشير هنا إلى التداخل بين دراسة المعجم والدراسة الأسلوبية، حيث إن المعجم يعد أحد عناصر الأسلوبية التي تعنى، في جانب من جوانبها، بالوقوف على (اختيار) المعجم على خصائصه الأسلوبية. من هذا المنطلق سنشهد، في هذه الدراسة، أحيانا، مثل هذا التداخل.

(٥) الغيثي، شتيوي، قلق الشعر والإنسان، تجربة الثبيتي نموذجا، علامات، مج ١٩، ج٧٣، ص٥٩١

(٦) عفاف، قادة، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٢٧٩.

المكان الرمزي المتخيل الذي ينزاح عن مرجعيته الأصلية وتكمن وظيفة المكان لديه في الإيحاء بالحالة النفسية والاجتماعية للذات في ارتباطها به. وهو ما يسمح لقراءته على أكثر من وجه مغاير، ويمنح المتلقي مساحة للتأويل.

وتطغى ثنائية (المدينة ـ الصحراء) بشكل لافت على قصائده، لتشكل أحد العناصر المحورية في معجمه الشعري. ونعثر على حقلين دلاليين يضم كل منهما جملة من المفردات والرموز التي تنضوي تحت هذه الثنائية.

وتكشف هذه الثنائية، في بنيتها العميقة، عن طبيعة رؤية الشاعر للواقع والمكان بوجه خاص، فهي تتمحور حول اغتراب الذات وعدم قدرتها على مواجهة سطوة الواقع، على الرغم من أن الشاعر لا يطيل الوقوف على طبيعة بواعثه الثقافية والاجتماعية وآليات تجاوزه، بقدر ما يجلّي تأثيره المباشر في خلله الوجودي والنفسي، ويظل هذا الأمر من المسكوت عنه الذي يمكن أن نستشفه وإن لم ينص عليه الشاعر بصراحة. ونمثل على هذه الثنائية في النموذج التالي:

رأى بلدا من ضباب
وصحراء طاعنة في السراب
رأى زمنا أحمرا
ورأى مدنا مزق الطلق أحشاءها
وتقيح تحت أظافرها الماء(٧)

يتوحد المكان، بثنائيته، في تكريس حالة الاغتراب النفسي والوجودي لدى الشاعر؛ وتقوم علاقته به على القطيعة الروحية والوجودية. وإذا كان من الطبيعي أن

(٧) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، النادي الأدبي بحائل، السعودية، ٢٠٠٩.

يكون المكان دالا على هوية الشاعر وانتمائه، فإننا نشهد هنا حالة مضادة، إذ نجده يؤكد على تهافته واستلابه.

ثمة إدانة مزدوجة هنا للمكان بصحرائه ومدنه نابع من غياب القيم الروحية عن المدينة المعاصرة والصحراء على السواء، في إشارة واضحة إلى شيوع الاغتراب في الواقع المعاصر برمته وتعرض الإنسان إلى الاستلاب.

ويمكن اعتبار المكان، في النص بحسب التقسيم السردي، من نمط المكان "المعادي أو المتوحش[٨] الذي يثير الإحساس بالضيق والعداء و يسود فيه الاغتراب. يتضح ذلك على المستوى المعجمي من خلال تكرار الفعل (رأى) الذي يمثل المحور الدلالي في النص، فهو يشير إلى معاينة الشاعر،عن كثب، للمكان بكل تفاصيله وتحولاته، وينفذ إلى أعماقه، بغية اكتناه تناقضاته وتمزقه، حيث يعاين صحراء موغلة في الوهم (طاعنة في السراب) ومدنا ممزقة روحيا ووجوديا (مزق الطلق أحشاءها/ وتقيح تحت أظافرها الماء). ويكشف المقطع الأخير، بما يتضمنه من معجم شعري معزز بصور موغلة في حدتها وبشاعتها، عن إدانة مضاعفة للمدينة ؛ نتيجة الاغتراب الزائد الذي ألحقته بالشاعر.

تعد المدينة عنصرا مكانيا أساسيا في تجربة الثبيتي بوصفه أحد العناصر الإبداعية في التجربة الشعرية الحديثة، فهي " تجسد رؤية الشاعر الكلية للعالم، ويحيل، بما يكتنزه من أبعاد نفسية وثقافية وأيدولوجية إلى مختلف الأمكنة والقضايا الأخرى"[٩].

---

(٨) حول أنماط المكان ينظر: النصير، ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، دراسة نقدية، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٩٥.

(٩) رماني، إبراهيم، المدينة في الشعر العربي المعاصر، الجزائر نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص٨.

والواقع أن صورة المدينة السلبية عند الثبيتي لا تختلف عن صورتها في الشعر العربي[١٠]، ونمثل على هذه الصورة في قصيدة (الأوقات):

وأفقتُ من تعب القُرى

فإذا المدينة شارع قفر ونافذة تُطل على السماء

وأفقتُ من سغَب المدينة

فإذا الهوى حجَر على باب النساء[١١].

تحضر المدينة، هنا بفضائها المكاني ممثلا بشوارعها وبيوتها وسمائها، بما تتسم به من خواء وضيق. وتنم الاختيارات المعجمية عن رؤية الشاعر السلبية للمكان[١٢]. وتعبّر عما تنطوي عليه من (قفر) و(سغب). وتوحي كلتا اللفظتين، بدلالتهما المجازية بالخواء الروحي والإحساس بالاغتراب الذي يستحوذ على الشاعر.

ثمة صراع وجودي حاد نستشفه لدى الشاعر؛ بسبب عدم مقدرته على التصالح مع المكان. ونلحظ نظير هذا الصراع في الشعر العربي الحديث إذ " وجد الشاعر في رؤيته الجديدة للمدينة أنه يستطيع أن يتعاطف معها بمقدار خنقه عليها "[١٣]. بيد أننا لا نجد لدى الثبيتي ملامح لهذا التعاطف؛ لذا ظلت رؤيته للمكان متصلة بخيط شعوري موحد، وتصطبغ بموقف يطغى عليه الإحساس بالاغتراب. وتتجلى هذه الرؤية على نحو أوضح في قصيدة (تعارف):

---

(١٠) ينظر: المرجع السابق

(١١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٤٥.

(١٢) الملاحظ عدم ورود أسماء المدن في شعر الثبيتي.

(١٣) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦، ص٣٤٣.

غرفةٌ باردَةْ
غرفةٌ بابها!؟
لا أظنُّ لها أيَّ بابٍ
وأرجاؤها حاقدَةْ
غبشٌ يتهادَى على قدمينِ
وصمتٌ يقوم على قَدَمٍ واحدَةْ
لا نوافذ
لا موقد
لا سرير
ولا لوحة في الجدار ولا مائدَةْ(١٤)

تمثل (الغرفة) هنا مكانا رمزيا متخيلا للعالم الذي يتسم، في نظر الشاعر، بالخواء والوحدة. ويتم توظيف تقنية اللوحة بصورة تقترب من التسجيل الواقعي. ويؤثث الشاعر معجمه المكاني بما ينسجم مع رؤيته الشعرية الطافحة بالعزلة والاغتراب، حيث يرسم صورة غرفة معزولة عن العالم، وتندرج من نمط المكان " المغلق"، فتبدو بلا باب أو نافذة.

تجسد الصورة المشهدية أو (المشهدية السيميائية)، كما يسميها الفيفي(١٥)، في النص السابق، جفاء المدينة والفقر الروحي الذي يشكو منه الإنسان المعاصر جرّاء تعقيدها وماديتها. ويوظف الشاعر (المعادل الموضوعي) لتجسيد هذا الإحساس الناجم عن علاقته السلبية بالمكان. من جانب آخر يشي المعجم الشعري من خلال هيمنة

(١٤) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٣٥.

(١٥) الفيفي، عبد الله، الثبيتي ذلك الصوت الحداثي الأصل، مجلة الطائف، نادي الطائف الأدبي، ع٦، إبريل، ٢٠١١. ص١٣٠.

أسلوب النفي بهذا الشعور الطاغي عليه. كما أن الاتكاء على تقنية الكتابة البصرية وتوزيع الجمل الشعرية العمودي على الصفحة يوحي لنا بعمق إحساس الشاعر بالوحدة والتشتت.

وتتجلى صورة المدينة وأثرها السلبي على الذات الشاعرة في قصيدة (شهرزاد والرحيل في أعماق الحلم):

تناثرت بين المدينة والبحر
والشاطئ القزحي
الذي أقلعت منه أشرعة
السندباد
وجاءت مراكبك المخملية
حالمة كمياه الخليج
وصاخبة كصهيل الجياد
تحيلين ليل المدينة
أسئلة وهموما
ورتلا من العاشقين
وأرصفة للرحيل
ونهرا من الفرح المر(١٦)

تبدو هنا صورة المدينة بتناقضاتها ومفارقاتها؛ لذا فإن الشاعر لا يعثر فيها على غير الهموم والقلق، والإحساس الدائم بالاغتراب، حيث تتزاحم لديه الأسئلة التي

(١٦) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص،١٤٢.

لا يجد لها إجابة. ويستدعي شخصية السندباد بوصفه معادلا رمزيا للذات الشاعرة التي تعاني الاغتراب، ويتماهي معها بالإحساس بأزمة وجودية جارفة.

يوظف الشاعر، في المقطع السابق، لغة شعرية حديثة تتناغم مع رؤيته للمدينة، فعلى الرغم مما تتسم به المدينة من ملامح جمالية تجسدها الصور: (الشاطئ القزحي)، و(المراكب المخملية)، فإنها لم تستطع انتشال الشاعر من غربته، حيث تزاحمت عليه الأسئلة والهموم والمرارة والإحساس الدائم بالارتحال والانفصال عن الواقع.

وتتيح اختيارات الشاعر المعجمية والأسلوبية من خلال صيغة (النكرة): أسئلة، وهموما، ورتلا، وأرصفة، ونهرا، معاينة ما أحدثته المدينة من أثر سلبي كبير في الشاعر. كما أن مفردة (تناثرت) ترمز إلى التفسخ الوجودي والنفسي الذي يستحوذ عليه، ما يشعره بالانفصال الوجودي عنها، وهو ما يعبر عنه هيمنة مفردات معجم الرحيل: (البحر، أقلعت، أشرعة، المراكب، أرصفة).

تحيل القصيدة ذاتها إلى لحظة أخرى تتعلق بقدوم الأنثى (شهرزاد) التي يعد الشاعر قدومها تذكيرا بالتاريخ وتقلباته، حيث (دماء القبيلة) و(سقط اللوى)، ويؤمل أن تغير حكاياتها لتحكي حكايات جميلة.

ويمثل حضور الأنثى هنا لحظة إيجابية مفعمة بالفرح تنتشل الشاعر من إحساسه بالسلبي، وتفتح نوافذ الذاكرة على الأساطير:

يا أنت

يا كروان الشاطئ

يا وهج الحلم العبقري

غدا

يتوشح ليلك بالياسمين[١٧]

على مستوى آخر، نلحظ حضور الصحراء المكثف في تجربة الثبيتي، حيث تشكل حقلا دلاليا مركزيا غنيا بالدلالات والرموز، ينطوي من جهته على حقول دلالية متنوعة تجسد الطبيعة الصحراوية من أبرزها:

- حقل التراب: الرمل، الحجر، الطين، الكثبان، الجبل

- حقل النبات: الشجر، النخيل، الشيح، المزارع، الجذور، السنابل، العرار.

- حقل الماء: النهر، البحر، المطر، الغمام، الظمأ، السفينة، أشرعة، الخليج، الموج

- حقل الحيوان: الخيل، الإبل، الجراد، الطير، النمل، الذباب.

تظهر الصحراء بصورتها السلبية عند الثبيتي، وإن كنا نجده، في غير موضع[١٨]. لقد كان من المفترض أن نجد الصحراء لديه من النمط الأليف الحامل لسيرة الماضي، ولا سيما أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على مجتمع المدينة تركت أثرها النفسي السلبي على الفرد. على أننا نعثر لديه على صورة سلبية لها. وبذلك يتضافر المكان، بثنائيته، لتكريس رؤية سلبية للذات تعكس حمّى القلق الوجودي الذي يستحوذ عليها. و تتجلى هذه الصورة في النموذجين التاليين:

أيا كاهن الحي

هل في كتابك من نبأ القوم إذ عطلوا

---

(١٧) المرجع السابق، ص١٤٥.

(١٨) كما في قصيدة (صفحة من أوراق بدوي) ص٢٠٣. ومنها:

هذا بعيري على الأبواب منتصب لم تعش عينيه أضواء المطارات

وتلك في هاجس الصحراء أغنيتي تهدهد العشق في مرعي شويهاتي

البيد، واتبعوا نجمة الصبح
مروا خفافا على الرمل
ينتعلون الدجى
أسفروا عن وجوه من الآل(١٩)

\- - - - - -

يا ضاربا في الليل
يا مستغرقا في لجة الصحراء
هل غرقت ظلالك في السماء(٢٠).

تتجلى في هذين المقطعين صورة الصحراء كما تعكسها مرآة الشاعر ورؤيته للوجود، حيث يهيمن الحقل الدلالي المتمثل في: البيد، الرمل، الليل، النجمة، الآل، الظلال. فهو يحاول في رحلته سفره الدائم في فضاءاتها، البحث عن وجوده الذاتي وكينونته، ولكنه لا يعثر إلا على (الآل) و (الظلال) بما يحملانه من إحساس بالخواء و القلق الوجودي العميق يظل مهيمنا على الشاعر.

على المستوى المعجمي والأسلوبي يطغى ضمير الجماعة الغائب على المقطع الأول، فيما يهيمن الضمير المفرد الغائب على المقطع الثاني، فهي تجسد الإحساس بالغياب وهيمنة الاغتراب على الصعيد الفردي والجماعي، ما يدلل على أن تجربة الشاعر تجربة اتصال واندماج بالجماعة، على الرغم مما يستبطنه من استلاب.

---

(١٩) الثبيتي، محمد الأعمال الكاملة، ص٩٩.

(٢٠) المرجع السابق، ص١١٤.

ثانيا: بنية الزمن، ثنائية الماضي/ الحاضر

يمثل الزمن أحد عناصر الوجود الإنساني، والإطار الذي تتحرك فيه الذات بحثا عن وجودها، " فإذا كان الكائن البشري موجودا في الزمن بطريقة خاصة جدا بحيث يمكن فك لغز ما هو الزمن انطلاقا منه، فيجب، عندئذ، أن يحدَد هذا الكائن هنا وفقا للسمات الأساسية لكينونته"(٢١).

ومن هنا، فإن الوعي بالزمن هو ما يجعل الإنسان يعاني من المشاعر القلقة، ويضعه في مجال سلبي يمنع عنه حقه في الامتلاء الوجودي، ويدفعه إلى الإحساس بالفراغ وعدم الاكتمال(٢٢)

يمثل الزمن مكونا أساسيا من مكونات الإبداع الأدبي والشعري على وجه الخصوص. وتتسم البنية الزمنية في النص الأدبي، بالتعدد والتنوع والانفتاح، ويميل النقاد عادة إلى حصرها في ثنائيات تبسيطية لغاية الدراسة(٢٣).

نجد معجم الزمن حاضرا بوضوح لدى الثبيتي، وترد لفظة الزمن بشكل لافت في عدد وافر من قصائده(٢٤). والملاحظ أنها تتخذ في، أحيان كثيرة، دلالة سلبية، تبعا لذلك يغدو: (الزمن المتحجر)(٢٥)، و (الزمن الأحمر)(٢٦)، و (الزمان الرديء)(٢٧).

---

(٢١) هيدجر، مارتن، مفهوم الزمن، ترجمة: مركز الإنماء القومي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع٤، ١٩٨٨، ص٥٩.

(٢٢) نقلا عن: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠، ص١١٠.

(٢٣) كان الشكلانيون الروس أول من اهتدى إلى الثنائيات، وتبعهم كثير من البنيويين.
ينظر: الأطرش، رابح، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، مارس، ٢٠٠٦، ص١٧

(٢٤) من هذه القصائد: المغني، والفرس، والبابلي، والبشير، والأجنة.

(٢٥) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٩١.

(٢٦) المرجع السابق، ص٩٢.

(٢٧) المرجع السابق، ص١٢٣.

ويتخذ الزمن لديه طبيعة ثنائية، إذ نعثر على حقلين دلاليين: حقل الصباح ويضم: الضحى، والنهار، والضوء، والصيف، وحقل الليل ويندرج فيه: المساء، والدجى، والغلس، والشتاء.

تتوزع تجربته بين الماضي المشحون بالذاكرة والمعيش، والحاضر بلحظته الراهنة. ويهيمن الزمن الحاضر على جملة من القصائد، ومنها قصيدة (أيا دار عبلة عمت صباحا):

غريق بليل الهزائم سيفي
ورمحي جريح
ومهري على شاطئ الزمن العربي
يلوك العنان
أعانق في جسدي شبحا
مثخنا بالجراح
ومرثيّة للكميّ الذي ضاع من يده
الصولجان
وفي كلّ يوم
أموت على الطرقات
ويفترس الجدري ملامح عشقي
ويمسخ لوني
كأنّ حصاني لم يعزف الموت
لحنًا فريدا
وحربا عَوان.(٢٨)

---

(٢٨) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص١٧٧.

يوظف الشاعر هنا (القناع التاريخي) ممثلا بشخصية (عنترة)[٢٩] للتعبير عن عالمه الداخلي والكشف عن مواقفه وهواجسه وتأملاته، وتكشف هذه الشخصية عن مفارقة درامية، إذ تبدو على نحو غير مألوف، فهي شخصية قلقة، مهزومة، كما يظهر لنا من خلال صوتها الخاص.

وقد أسهم المستوى اللغوي، بامتياز، في التعبير عن رؤية الشاعر للواقع: إذ توحي هيمنة الجمل الاسمية، بدلالتها على الثبات، بسيرورة هيمنة الاغتراب عليه. كما جسدت الأفعال المضارعة: (يلوك، أعانق أموت، يفترس، يمسخ، يعزف) بدلاتها الزمنية، هذه الرؤية. وتحمل هذه الأفعال دلالة سلبية تشي باغتراب الذات وانفصالها عن واقعها.

ويهيمن الزمن الماضي، من جهة ثانية، على عدد من القصائد وخصوصا تلك التي تعتمد البنية الحكائية[٣٠]، كما في قصيدة (البابلي):

مسّه الضر هذا البعيد القريب المسجّى
بأجنحة الطير
شاخت على ساعديه الطحالب
والنمل يأكل أجفانه
والذباب

---

(٢٩) يمثّل التراث أحد أهم المنابع الكبرى التي يستمد منها الشاعر تجربته. ويحضر التراث لديه على ثلاثة مستويات: استيحاء الرموز والشخصيات التاريخية والأسطورية، وتوظيف الوقائع والأحداث التاريخية، واستحضار المعجم التراثي. ويمكننا تفسير حضور التراث المكثف في ضوء طبيعة وعيه الفني والجمالي، وموقفه الأيدولوجي والفكري من الماضي، بوصفه جزءا من تكوينه الفكري والثقافي، انطلاقا من حقيقة ثابتة لدى الشاعر العربي تتمثل، كما ترى خالدة سعيد، في النزوع إلى الماضي، والحنين إلى زمن غائب٢٩.

(٣٠) من هذه القصائد: القرين، وليلة الحلم وتفاصيل العنقاء، والبابلي، وشهرزاد والرحيل في أعماق الحلم.

مات ثم أناب.[٣١]

يبتكر الشاعر شخصية (البابلي)، وهي شخصية أسطورية تمثل كائنا أسطوريا يستحضر التاريخ في دورته الأزلية. و يمثل رمز الموت والبعث المتجدد [٣٢]. ويمثل هذا المقطع محور القصيدة، ويتكرر كلازمة على مدار القصيدة. تهيمن بنية الزمن الماضي على القصيدة هيمنة تامة من خلال الأفعال الماضية التي تتمحور في دلالتها حول اغتراب الذات عن وجودها وواقعها. ويمكننا أن نرصد في القصيدة حشدا من هذه الأفعال: مسّه الضر، شاخت، مات، غادر، انسحقت ركبتاه، تأوه، تنامى بداخله الموت، غادر، يعاني الصداع، فرّ، هوى، انشطر. وتحمل هذه الأفعال، في جملتها، دلالات الاغتراب والغياب.

على أن الطاغي على أكثر قصائد الثبيتي المراوحة بين ماض تمثله ذاكرة مسترجعة، وحاضر تقوده الرغبة في تجاوز إحباطات الذات وسقوطها في الاستلاب، كما هو الحال في قصيدة (ليلة الحلم وتفاصيل العنقاء)[٣٣]، حيث تتراوح بين الماضي والحاضر، وتنحو في بنائها المعماري منحى هندسيا يهيمن فيه الماضي على المقطع الأول، فيما يهيمن الحاضر على المقطع الثاني، وتتكرر هذه الحالة في المقطعين اللاحقين. ونشهد نظير ذلك في قصيدة (تغريبة القوافل والمطر). يقول الشاعر في مطلعها:

أدر مهجة الصبح
يُدير الكؤوس
وزدنا من الشاذليّة حتى تفيء السحابة

---

(٣١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٨١.

(٣٢) الشنطي، محمد، الشاعر محمد الثبيتي وعتبات النص، الموقع الإلكتروني للشاعر، ٢٠١٤.

(٣٣) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص١٨٥.

أدر مهجة الصبح
واسفح على قلل القوم قهوتك المرّة
المستطابة
أدر مهجة الصبح ممزوجة باللّظى
وقلِّب مواجعنا فوق جمر الغضا
ثم هات الربابة.(٣٤)

يتمحور النص حول الحاضر بوصفه الإطار الزمني الذي يجسد العلاقة بالمكان (الوطن). وهو ما يتمثل، على المستوى المعجمي والأسلوبي، في هيمنة الفعل المضارع (يدير، تفيء) وفعل الأمر (أدر، صبّ، ، زدنا، اسفح، قلِب، هات)، بدلالتهما على اللحظة الراهنة.

وتشير كثافة أفعال الأمر عن رغبة الذات الملحة في امتلاك فردوسها المفقود الذي يتوارى عنها. فهي تبحث عن (وطن) غير محدد الهوية كما تشير صيغة التنكير. وحيث إنها لا تستطيع الوصول إليه فإنها تكتفي باستحضاره المتخيل (صب لنا وطنا في الكؤوس).

تمثل جملة (أدر مهجة الصبح) مرتكزا للنص. وينطوي الفعل (أدر) على معنى التحول والصيرورة، ويشي بحاجة الذات الملحة لتحقيق وجودها من خلال الارتباط بالمكان. ويشكل (الصبح) هنا زمن التحول ونقطة انطلاق الذات للبحث عن وجودها.

والملاحظ أن الإحساس بالاغتراب يتسلل إلى جنبات النص، نتيجة إحساس الذات بغياب المكان، يتضح ذلك في المعجم اللغوي ممثلا في (المُرة، اللظى، مواجعنا).

---

(٣٤) المرجع السابق، ص٩٧.

وما تلبث الذاكرة، أن تنفتح على الماضي، لتستعيد تفاصيله، لعلها تجد فيها ما يعوضها عن إحساسها السلبي بالحاضر:

أيا كاهن الحي:

أسرت بنا العيس وانطفأت لغة المدلجين

بوادي الغضا

كم جلدنا متون الربى

واجتمعنا على الماء

ثم انقسمنا على الماء.(٣٥)

تستحضر الذاكرة هنا رحلة الاغتراب من خلال معجم شعري تهيمن عليه الأفعال الماضية: أسرت، انطفأت، جلدنا، اجتمعنا، انقسمنا، مكرسة حالة الاغتراب التي تعانيها الذات. وتجد الذات سلوتها في الاستنجاد ب(الكاهن) الذي يختزن تفاصيل الماضي:

أيا كاهن الحي:

هل في كتابك من نبأ القوم إذ عطلوا

البيد واتبعوا نجمة الصبح

مروا خفافا على الرمل

ينتعلون الوجى

أسفروا عن وجوه من الآل

واكتحلوا بالدجى؟(٣٦)

---

(٣٥) المرجع السابق، ص٩٩.

(٣٦) المرجع السابق، ص٩٩.

يكشف المعجم الشعري عن هيمنة الماضي على الشاعر. يتضح ذلك في كثافة الأفعال الماضية. ويعبر التحول من ضمير المتكلمين في مطلع القصيدة إلى ضمير الغائبين في المقطع السابق: (عطلوا، اتبعوا، مرّوا، ينتعلون، أسفروا) عن هيمنة الاغتراب على الجماعة في الماضي والحاضر على السواء. وقد أسهم تكثيف الأفعال والصور في إشاعة فضاء شعري دافق بالحركة والإحساس السلبي بالزمن.

تستعيد الذات، هنا، سيرة (القوم) في تغريبتهم بحثا عن ملاذ، ولكن دون جدوى، فقد آلت بهم إلى السراب (الآل). ونجدها ترتد صوب الحاضر، بعدما أرهقتها الرحلة في الذاكرة، لعلها تجد ملاذها في (كاهن الحي) الذي يتراءى لها المخلصَ والمنقذ للذات الجماعية من عذاباتها واغترابها، فهو العارف بتفاصيل سيرتها ورحلتها الأبدية، و الرائي القادر على استشراف مساراتها وتحولاتها، القادر على بعث الحلم:

يا كاهن الحي:
طال النوى
كلما هلّ نجم ثنينا رقاب المطيّ
لتقرأ يا كاهن الحي
فرتل علينا هزيعا من الليل والوطن المنتظر.(٣٧)

وهكذا يغدو الزمن لدى الشاعر سيرورة للاغتراب والبحث عن وجود الذات الفردية والجماعية. فهو يتحرك حركة دائرية مغلقة تبدأ بحاضر مستلب، وترتد إلى ماض يحاكيه، ثم تدور دورتها لتعود، مرة أخرى، إلى الحاضر، بوصفه زمن الخطاب الشعري الذي تتمحور حوله التجربة؛ بغية بحث الذات عن كينونتها ووجودها.

---

(٣٧) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص١٠٦.

ثالثا: بنية اللغة، ثنائية التراثي / الحديث

تشكل اللغة الركيزة الأساسية في التجربة الشعرية بوصفها التمثيل الجمالي لوعي الشاعر الفني ورؤيته للوجود.

وقد تنبه الدارسون إلى عناية الثبيتي باللغة، وإلى خصوصية الجانب اللغوي في تجربته وحداثته[٣٨]، وذهبوا إلى أنه يؤسس للغة شعرية جديدة تقوم على الانعتاق من أسر الدلالة القاموسية والمعجمية، ويحلق باللغة في أفق مجازي شفاف يعانق الرمز، من خلال شحنها بدلالات صوفية وتراثية ووجودية، الأمر الذي أسهم في اتساع معجمه اللغوي وثرائه.

يستدعي الحديث عن المعجم الشعري لدى الثبيتي مقاربة مساره وتحولاته، فقد اصطبغت تجربته في مستهلها بطابع كلاسيكي تقليدي. لكنها لم تلبث أن تحولت إلى الرومانسية، لتشهد، مع نضج تجربته، تحولا واضحا صوب تأسيس معجم شعري حديث عبر النزوع نحو لغة الواقع واليومي.

يتضح المعجم التقليدي في قصيدة (الرحيل إلى شواطئ الأحلام) [٣٩] من مجموعته الأولى (عاشقة الزمن الوردي). وهي تحمل القصيدة سمات كلاسيكية، يتضح ذلك في المعجم التراثي: (جوادي، الرحيل، الحادي، و لفح). وما نلبث أن نشهد، في مرحلة لاحقة لدى الشاعر، بروز نزعة رومانسية اصطبغ معجمه بمفردات ذات طابع رومانسي، كما نجد في قصيدة (إيقاعات على زمن العشق) [٤٠]. وتتجلى

---

(٣٨) من هؤلاء الدارسين: الفيفي، عبد الله، الثبيتي ذلك الصوت الحداثي الأصل، مجلة الطائف، نادي الطائف الأدبي، ع٦، إبريل، ٢٠١١، ص١٢٦.الغيثي، شتيوي، قلق الشعر والإنسان، تجربة الثبيتي نموذجا، علامات، مج ١٩، ج٧٣، ص٥٩١ الشنطي، محمد، التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، مج ٢، النادي الأدبي بحائل، ٢٠٠٣، ص٦٠٠. الواد، حسين، أجنة الثبيتي في تضاريسه،علامات، مج ١٣، ع ٥٢، ربيع الآخر، ١٤٢٥ هـ، ص١٩١.

(٣٩) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٢٢٥.

(٤٠) المرجع السابق، ص٢٢٧.

فيها رؤية حالمة، مسيّجة بمعجم رومانسي. تكشف عنه المفردات: الربيع، العطر، الليل، ، مع محاولة الشاعر الواضحة إلى خلق علاقات جديدة بين المفردات، تكشف عن نزوعه المبكر نحو تأسيس لغته التصويرية الخاصة.(٤١)

والناظر في المعجم الشعري للشاعر يلحظ بأنه يتسم بالثنائية. وتتضح ثنائية في عناوين قصائده، حيث يظهر معجم تراثي كما في: تحية لسيد البيد، وموقف الرمال موقف الجناس، والأعراب، والطير، والظمأ، و وضاح، والصعلوك، والفرس، وأيا دار عبلة عمت صباحا، وأقول: الرمال ورأس النعامة، وديار سلمى، يقابله معجم حديث: المغني، والأجنة، وإيقاعات، واختناق.

ويمكن تفسير شيوع هذه الثنائية استنادا إلى طبيعة رؤيته الشعرية للواقع والعالم فبالرغم من جنوحه الواضح نحو تأسيس معجمه اللغوي الحديث، فقد ظل مشدودا إلى المعجم القديم. ونشهد لديه محاولة لتحديث هذا المعجم من خلال شحنه بدلالات جديدة، ونقله من الدلالة القاموسية إلى لغة موحية لها خصوصيتها وفرادتها، ووضعه في سياق شعري حديث. ومن النماذج التي تجلي هذه الثنائية قصيدة (الأعراب):

ليتهم حين أدلجوا
وتنادَوا إلى ساحتي
أوقدوا نارهم تحت نافذتي
واستراحوا
---

(٤١) الملاحظ أن المعجم القديم قد بدأ بالانحسار كلّما مضينا قدماً في تجربة الشبيتي؛ بسبب ابتعاده عن تأثير المرحلة التّقليدية ونضج تجربته الشعرية، وقد حاول تأسيس شعرية مغايرة من خلال الإفلات من رواسب الرومانسية، وإن ظلت أصداؤها حاضرة في بعض الأحيان

ليتهم حينما أدلجوا في غياهب ظنّي
بلّوا حناجرهم بنشيد السُرى
واستبانوا صباحي
إذ يستبان الصباحُ.(٤٢)

يحضر المعجم التراثي: (أدلجوا، غياهب، السُّرى) إلى جانب المعجم الحديث: (ساحتي، نافذتي، الصباح). ويقيم الشاعر حوارا بين الماضي والحاضر، انطلاقا من طبيعة رؤيته الشعرية التي تقوم. ونجده يعمد إلى وضع النسق التراثي في سياق شعري حديث، وشحنه بدلالات متجددة تجسد رؤية حديثة، كما نجد في (غياهب ظني) و(نشيد السرى) حيث تتخذ طابعا استعاريا تظهر فيه خصوصية التجربة الشعرية.

على أننا نجده، في بعض الأحيان، يبالغ في الاتكاء على اللغة التراثية بدون أن يضفي عليها ملامح شعرية كما في قصيدة (موقف الرمال موقف الجناس) (٤٣)، حيث تهيمن عليها بنية الجناس (: المدى - المدائن، قفر - فقر، الجنى - الجنائن، صبر - صبر، شطر - سطر). ويظل السؤال هنا مشروعا حول القيمة الفنية لتوظيف مثل هذه المحسنات البديعية التي شاعت في العصور الأدبية المتأخرة.(٤٤).

تتجلى ملامح الحداثة في معجم الثبيتي الشعري في انحيازه إلى لغة الحياة اليومية بمفرداتها البسيطة التي يفهمها عامة الناس(٤٥)، فنجده يذهب إلى أن الشعر تعبير عن

---

(٤٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٣٣.

(٤٣) المرجع السابق، ١٧.

(٤٤) ومثل هذا التوظيف نجده في قصيدة (الظمأ). ينظر: الديوان، ص٤٩

(٤٥) يبدو أن الثبيتي تأثر، كغيره من الشعراء العرب، بدعوة (ت. س. إيليوت) إلى اعتماد لغة الواقع في الشعر.

التجربة الإنسانية بمفهومها الواسع، ويرى ضرورة هبوط الشعر من عليائه وأوهامه إلى الواقع، لينبثق من العيادات والفنادق والمقاهي [٤٦]. وتتضح هذه الملامح في قصيدة (موقف الرمال، موقف الجناس):

أصادق الشوارع
والرمل والمزارع
أصادق النخيل
أصادق المدينة
والبحر والسفينة
والشاطئ الجميل[٤٧].

يبدو الواقع المعيش هنا مرجعية الشاعر، فهو يتغنى باليومي والمنسي، ويعانق هموم الواقع، ويعلن عن رغبته في مصادقة أشيائه[٤٨]. ويجسد المعجم الشعري هذه الرؤية من خلال جنوحها إلى الواقع. ويمزج الشاعر بين المعجم التراثي: (الرمل، والمزارع، والبحر، والسفينة، والحجارة)، بمعجم حديث: (الشوارع، والمدينة، والعزف).[٤٩] وإمعانا في الواقعية، نجده يميل إلى سرد التفاصيل اليومية بلغة بسيطة لا تثقل كاهلها الاستعارات والمجازات والمحسنات البديعية.

وفي القصيدة ذاتها نعثر على نماذج تؤكد محاولة الشاعر الالتحام بالواقع المعيش، وجنوحها صوب لغة الحياة اليومية بعفويتها وبساطتها وتدفقها:

---

(٤٦) العباس، محمد، احتشاد السيرة الشعرية في قصيدة الشاعر محمد الثبيتي بين استوائين، علامات، مج١٩، ع٧٣، ٢٠١١، ص١٥٢.

(٤٧) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص١٤.

(٤٨) الفيفي، عبد الله، ذلك الصوت الحداثي الأصيل، ص١٢٩

(٤٩) الشمري، نوف، الصورة الفنية في شعر محمد الثبيتي، رسالة ماجستير، جامعة حائل، ٢٠١٣، ص١٢٦.

يا بدرها

وهدى البصيرة

يا فخرها

وهوى السريرة

يا مهرها

وحمى العشيرة

يا شعرها

ومدى الضفيرة[٥٠]

يحيل فالمعجم الشعري هنا إلى لغة الحياة اليومية ببساطتها وعفويتها، كما أنه وثيق الصلة بلغة الشعر الشعبي كما في: يا بدرها، يا فخرها، يا مهرها، يا شعرها. علاوة على ذلك لعب الجانب الإيقاعي، ممثلا في قصر السطور الشعرية والروي الساكن، دورا مهما في تبسيط الخطاب الشعري واقترابه من المتلقي.

وتقترب قصيدة (الصعلوك)[٥١] من لغة الواقع، حيث تُبرز الطابع الإنساني البسيط للإنسان، يقول الشاعر:

يفيق من الجوع ظهرا

ويبتاع شيئا من الخبز والتمر والماء

والعنب الرازقيّ الذي جاء مقتحما

---

(٥٠) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٢٦.

(٥١) لا بد من الإشارة هنا إلى حداثة تجربة الثبيتي التي تتجلى في محاولته لتجاوز الغنائية التقليدية، والإفادة من الأدوات والتقنيات الحديثة، مستفيدا من فكرة (المعادل الموضوعي) عند إيليوت، حيث يلجأ إلى التعبير عن انفعالاته ورؤيته من خلال المواقف والأحداث، كما نلحظ إفادته من التقنيات السردية كالقناع والمونولوج الدرامي وخصوصا في قصائده الطويلة.

موسمه

يفيق من الشّعر ظهرا

يتوسد إثفيّة وحذاء

يطوّح أقدامه في الهواء[٥٢]

يسلط المقطع الضوء على نموذج إنساني (الصعلوك) الذي يمثل المعادل الرمزي للشاعر، ويعبر بسردية مفعمة بالبساطة تتناغم مع بساطته، وترصد تحركه اليومي، من خلال ضمير الغائب والأفعال المضارعة: (يفيق، يبتاع، يتوسّد، يطوّح)، في دلالتها على استمرارية الإحساس الدائم باللاجدوى. ويسهم تكتيف الجمل الشعرية بما تتضمنه من حركية الأفعال في سرعة إيقاع الأحداث التي تمارسها الشخصية، بيد أنها حركية لا تفضي إلى التحول الإيجابي، فهي تعمل على إشاعة زمن سلبي يتسم بالعبثية والغياب. ونلحظ بأن المعجم اللغوي طافح بمفردات الحياة اليومية: الخبز، التمر، الماء، إثفية[٥٣]، حذاء. وتشير هذه المفردات إلى بساطة الشخصية وهامشيتها واغترابها عن واقعها.

نحس ونحن نتابع تجربة الثبيتي هيمنة هاجس تحديث المعجم الشعري على وعيه الجمالي. يتبين ذلك في محاولته الاقتراب من لغة الواقع والاتكاء على اللغة الشعبية كما يظهر في: (حيّوه ٠٠حيّوه)[٥٤]، وفي (هيه يا عنقاء)[٥٥]، فهي تحيل إلى اللغة الشعبية المتداولة.

---

(٥٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٧٢.

(٥٣) الإثفية: الحجر الذي توضع عليه القدر، وجمعها أثافي

(٥٤) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص٢١١.

(٥٥) المرجع السابق، ص١٩١.

وتصل التجربة ذروتها في تماسها باللغة اليومية في توظيفها للأغنية الشعبية كما في قوله:

كريم يا نوٍ بروقه تلالا

نوٍ ورا نوٍ وبروق ورا برق

قالوا: كما مبسم " هيا" قلت: لا لا

بين البروق وبين مبسم " هيا " فرق(٥٦).

يعمد الشاعر هنا إلى استحضار الأغنية الشعبية المتداولة في سعيه المتواصل لتبسيط خطابه الشعري والاقتراب به من الواقع؛ لإحساسه ببساطتها واقترابها من لغة الحياة اليومية، و سهولة نقلها إلى المتلقي، وعمق تأثيرها فيه.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

[١] الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، النادي الأدبي بحائل، ٢٠٠٩.

ثانيا: المراجع

[٢] أدونيس، زمن الشعر، ط٦، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥.

[٣] إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.

[٤] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠.

[٥] البازعي، سعد، ثقافة الصحراء، دراسات في أدب الجزيرة العربية المعاصر، مطبعة العبيكان، ١٩٩١.

---

(٥٦) المرجع السابق، ص١٧٦.

[٦] خير بك، كمال، حركة الحداثة في الشعر المعاصر، تر: أصدقاء المؤلف، ١٩٨٦.

[٧] رماني، إبراهيم، المدينة في الشعر العربي المعاصر، الجزائر نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

[٨] سعيد، خالدة، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.

[٩] الشنطي، محمد، التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، مج ٢، النادي الأدبي بحائل، ٢٠٠٣.

[١٠] عصفور، جابر، رؤى العالم، عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١.

[١١] عفاف، قادة، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

[١٢] مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥.

[١٣] النصير، ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، دراسة نقدية، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٥.

[١٤] هيدجر، مارتن، مفهوم الزمن، ترجمة: مركز الإنماء القومي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع٤، ١٩٨٨.

[١٥] وادي، طه، جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٠.

ثالثا: الدوريات

[١٦] الأطرش، رابح، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، مارس، ٢٠٠٦، ص١٧.

[١٧] العباس، محمد، احتشاد السيرة الشعرية في قصيدة الشاعر محمد الثبيتي بين استوائين، علامات، مج١٩، ع٧٣، ٢٠١١.

[١٨] الغيثي، شتيوي، قلق الشعر والإنسان، تجربة الثبيتي نموذجا، علامات، مج ١٩، ج٧٣، ٢٠١١.

[١٩] الفيفي، عبد الله، الثبيتي ذلك الصوت الحداثي الأصل، مجلة الطائف، نادي الطائف الأدبي، ع٦، إبريل، ٢٠١١.

[٢٠] القرشي، عالي، الطاقة والتشكيل في تجربة الثبيتي الشعرية، مجلة الطائف، ع٦، إبريل، ٢٠١١.

[٢١] الواد، حسين، أجنة الثبيتي في تضاريسه، علامات، مج ١٣، ع ٥٢، ربيع الآخر، ١٤٢٥.

رابعا: الرسائل الجامعية

[٢٢] الشمري، نوف، الصورة الفنية في شعر محمد الثبيتي، رسالة ماجستير، جامعة حائل، ٢٠١٣.

خامسا: الشبكة الإلكترونية

[٢٣] الشنطي، محمد، الشاعر محمد الثبيتي وعتبات النص، الموقع الإلكتروني للشاعر، ٢٠١٤.

Mohammad Althobaity And The Structure Of Poetic Dictionary: Vision and meaning

Dr. Suhiel Abdullateef Alfetiany
Assistant professor of modern literature and criticism
Faculty of Arts - Arabic Language and Literature Department
Hail- Saudi Arabia University

Abstract. This research deals with the poetic structure in Mohammad Althobaity's poetry including three different levels: place, time, and language. The purpose is to detect his vision about reality and its changes and contradictions.

Much concentration was given to place exemplified by the duality of desert and city. Since the poet was not able to adapt himself to such a place, his vision was negative and thus had a feeling of loneliness or dislocation.

The research also deals with the duality of time: the past and present. The poet's experience belongs to the present but doesn't ignore the past and still emphasizes the concept of loneliness and dislocation.

Duality of language, according to the poet, is distributed between the inherited language and the modern one. Some real attempts are made to renew his dictionary through reinforcing old or traditional terms/words with new meanings. We can also notice his usage of a poetic dictionary that reflects modernization and the nature of his new experience.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٣-٦٩٥، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

أشكال الولاء عند العرب قبل الإِسلام

د. فاطمة بنت علي باخشوين
أستاذ التاريخ القديم المشارك – جامعة الاميرة نورة
كلية الآداب- قسم التاريخ

ملخص البحث. كان المجتمع العربي في مرحلة الجاهلية القريبة من ظهور الإسلام مجتمعًا قبليًّا يتكيَّف مع طبيعة البيئة المحيطة به، ومن ذلك تجمعهم في وحدات اجتماعية تربطها رابطة الدم والقربى، عرفت كل منها باسم "القبيلة".

وهناك عدد من الروابط، تربط أفراد القبيلة بعضهم ببعض، وبين القبيلة وغيرها من القبائل، وهذا الترابط هو ما يعبّر عنه في البحث باسم "الولاء"، وهو شعور التماسك والتضامن.

وعلى هذا النحو يعد الولاء مصدر القوة السياسية والعسكرية والاجتماعية التي تربط أفراد القبيلة بعضهم ببعض.

وهذا البحث يتناول أشكال الولاء عند العرب قبل الإسلام، وهي عدة منها: القرابة، والتحالف، والجوار، والاستلحاق، والرقّ، والعتق، والنقلة.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على هذه الأشكال، لمعرفة الروابط التي أدت إلى تماسك المجتمع العربي قبل الإسلام. لاسيما في غياب كثير من الدراسات التي أهملت الاهتمام بتاريخ العرب قبيل الإسلام.

مقدمة

لم تكن بلاد العرب قبل ظهور الإسلام دولة بالمفهوم الذي نفهمه الآن ؛ فإن الدولة من حيث هي نظام منفصل عن الجماعة ومستقل عنها في وظيفته، ومن حيث إن لهذا النظام سلطانًا يخضع له الناس، لم يكن موجودًا في بلاد العرب، وإنما كانت الدولة عندهم هي الجماعة في جملتها، ولم تكن هيئة لها نظامها الخاص، ولا كانت لها أرض محددة، فليس هناك موظفون يديرون شؤون الجماعة بالمعنى الذي نعرفه في الدولة، بل كان هناك كيان اجتماعي طبيعي بالغ درجة النماء عرف باسم "القبيلة"[(١)]، والقبيلة: هي الوحدة السياسية عند العرب، وهي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد، وينحدرون من أب واحد. والحقيقة أن الذي يجمع أفراد تلك الجماعة فيما يسمى القبيلة إنما هو الشعور بذلك الانتماء[(٢)]، وكذلك الحال في المدن، فلم تكن المدينة هي الوحدة السياسية كما هي الحال عند اليونان، بل كانت القبيلة هي هذه الوحدة، مثل قريش في مكة، وثقيف في الطائف. وقد جرى عرف العرب على الانتساب إلى القبائل لا إلى المدن، بل لم يعرف الانتساب إلى المدن إلا في القرن الثاني للهجرة[(٣)].

---

(١) الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ط٢ (دار الفكر العربي، ١٩٨٥م)، ص ٣٤.

(٢) "النظام القبلي عند العرب في الجاهلية والإسلام" Sobe3. Comhttp://www.، ص ١.

(٣) السامرائي، عبدالحميد حسين، "بعض مظاهر التنظيم القبلي في صدر الإسلام" مجلة سر من رأى، مجلد ٥، عدد ١٤، السنة الخامسة، ٢٠٠٩م، ص ١-٥. فيما يخص دولة المدينة عند اليونان: أنشأ اليونان "دولة المدينة" فجمعت بين الثقافة والحرية في مجتمع صغير، وفرضت الولاء على كل شخص يقطنها، سواء أكان فلاحًا أم تاجرًا أم كاهنًا، وكان المواطنون فيها قليلي العدد، ولكنهم كانوا يحسون بأنفسهم متقاربين ومتساوين، وكانت غيرتهم وعاطفتهم نحو مدينتهم عارمة، واتحدوا لرفعة مدينتهم والدفاع عنها، بهذا الخصوص انظر: Jones, A.H.M,, Athenian Democracy (Oxford, 1957) p. 50-70 ؛ وكذا بكري، حسن صبحي، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥)، ص ٤١-٤٧.

كان النظام القبلي منتشرًا قبل الإسلام في البوادي والحواضر، دون أن يكون بينها فوارق واضحة ومميزة. فأساليب العيش متقاربة، كما كانت حياة العرب تقوم على أساس التجمع القبلي، وتتسم بطابع الصراع، ولا تعترف إلا بالقوة.

وكان يرأس القبيلةَ رجلٌ، يقال له شيخ القبيلة، يفوق الآخرين في بعض الميزات، منها الشجاعة، والجود، والغيرة، وسعة الزرق، وسداد الرأي، وكمال التجربة مع كبر السنّ، ومن الواجب أن يكون شيخ القبيلة من صريح نسبها

إذ أن المجتمع القبلي انقسم إلى طبقات اجتماعية ثلاث، هي:

١ - طبقة الأحرار وأبناء القبيلة الصرحاء: وهم الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب المشترك.

٢ - طبقة الموالي: وهم من انضموا إلى القبيلة من العرب الأحرار من غير أبنائها.

٣ - طبقة العبيد: وهم الذين جلبوا عن طريق الشراء أو من الأسر في الحروب(٤).

كما يجب أن يكون شيخ القبيلة من أقوى بطونها، وأعلاها ذكرًا وشرفًا، وأكثرها عددًا، حتى يكون له من الانتصار بعصبيته والاعتزاز بهم ما يُمكّنه من فرض طاعته على القبيلة، واحترامها لرأيه، ويساعد شيخَ القبيلة مجلسُها الذي يجمع أصحاب الرأي فيها من أصحاب الكفاية والفضائل الذاتية من علية القبيلة وأكبرهم سنًّا(٥). وكان للقبيلة أعراف وتقاليد نافذة، لها قوة القانون في عصرنا، يشرف على

(٤) النظام القبلي عند العرب، ص ٤-٥.

(٥) الشريف، ص ٣٦-٣٧.

تنفيذها شيخ القبيلة، وبه تتحقق وحدة القبيلة، وعليه عبء إدارة شؤونها في السلم والحرب.

ويتميّز النظام الاجتماعي العربي القبلي بأهمية تاريخية، ومن العسير على أي باحث في التاريخ العربي قبل الإسلام أن يصل إلى حقائق جازمة، ما لم يفهم جيدًا ويستوعب تركيبة المجتمع العربي وتطوره عبر العصور، بما في ذلك أشكال الولاء عند العرب قبل الإسلام.

الولاء في اللغة: المُلْك، والقُرب، والقرابة، والنصرة، والمحبة، والطاعة، والإخلاص[٦].

وتدور معاني الولاء في اللغة حول خمسة معانٍ أساسية، هي: السيادة، والقرابة، أو العصبية والنصرة، أو التأييد والصحبة، أو المعاشرة والمحبة.

ويبدو أن أول استخدام لكلمة (ولاء) كان للتعبير عن صلة القرابة أو صلة الرحم، يدل على ذلك ما أنشده أحدهم في أقاربه:

مهلا بنو عمنا! مهلاً موالينا! لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا[٧]

وقد وردت كلمة "ولاء" في القرآن الكريم أيضًا للدلالة على معنى القرابة، قال تعالى: (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ

---

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، (بيروت، دار صادر، د.ت)، مجلد ١٥، ص ٤٠٦-٤١٤؛ استخدم بعض الباحثين لفظ العصبية القبلية للتعبير عن الولاء، حيث ورد عن ابن خلدون قوله: " العصبية هي النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم تهلكة ". ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)، مقدمة ابن خلدون، (بيروت، دار العودة، ١٩٨١م)، ص ٥٦.

(٧) ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين (وآخرون)، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، ١٩٥٢م)، ج٢، ص ٣٢٨.

فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)[٨]، وقوله سبحانه وتعالى: (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا)[٩].

والمجتمع العربي قبل الإسلام مجتمع قبليٌّ في البوادي والحواضر، تحكمه أعراف قبلية متنوعة، تضمن للقبيلة بقاءها، وقد شاع بينهم الولاء على أشكال تناسب الجماعة التي ينتسب إليها أحدهم.

ومن أشكال الولاء قبل الإسلام:

١- ولاء القربى:

وهذا الشكل هو الذي ارتبط به معنى الولاء في القرآن الكريم[١٠]، وقد كان الولاء للقبيلة هو أساس النظام الاجتماعي، وكان شعاره: "انصر أخاك ظالماً أو مظلومًا"، والدعوة إلى نصرة ابن القبيلة دون اعتبار لكونه غير محق، فكل فرد يتغنى بانتمائه إليها، بدءاً من والده وإخوته، وانتهاء برهطه وعشيرته[١١].

ولذلك كان التفاخر بمآثر الآباء والأجداد وبالسيادة أمرًا شائعًا، حتى انطلقوا إلى المقابر للتفاخر بكثرة عددهم[١٢].

قال أحدهم:

إني أمرؤ من عصبة مشهورة حشـــــد لهم مجد أشم تليد

---

(٨) النساء ٣٣.

(٩) مريم ٥ .

(١٠) الآيات سالفة الذكر، وكذا: البقرة: ٢٨٢؛ النساء: ٨٩؛ الإسراء:٣٣؛ النحل: ٤٩؛ الأحزاب: ٦.

(١١) قيل إن أول من قال هذه العبارة هو جندب بن العنبر بن عمور بن تميم، حين مر به سعد بن زيد بن مناة، وهو أسير، فقال له جندب:

يا أيها المرء الكريم المشكوم انصر أخاك ظالماً أو مظلوما

موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية، www.dorar.net، ص ١.

(١٢) التكاثر: ١.

ألفوا أباهم سيدًا وأعانهـــــــــم كرم وأعمام لهم وجدود[١٣]

كما كان أبناء القبائل يسعون جهدهم لحفظ أسماء آبائهم وأجدادهم، ويستحضرون مفاخر القبيلة ومناقبها، يستحثون الهمم ويزيدون الولاء حدةً وقوةً. وكان ولاؤهم على طبقات تناسب الجماعة التي ينتسب إليها أحدهم، فهو في قبيلته يوالي أسرته على سائر الأسر، والبطن الذي هو منها على سائر البطون، ويوالي القبائل التي يجمعها مع قبيلته أبٌ واحدٌ قريبٌ على القبائل التي يجمعها مع قبيلته أبٌ بعيدٌ.

وكان على القبيلة أن تتحمّل مجتمعة عواقب أي جناية يجنيها أحد أفرادها أو يُجنى عليه أو عليها، ولذلك قالوا في أمثالهم: "في الجريرة تشترك العشيرة"، فإذا قُتل أحد أشخاصها فعليها تقع تبعة قتل القاتل، باعتبار أن الدمَ لا يغسله إلا الدمُ، كما يقع عليها عبء دفع الدية إذا عجز أحد أفرادها القاتلين أو أهله عن دفعها[١٤].

ومن مظاهر الولاء للقربى كذلك أن على العربي القديم أن يسير في ركب القبيلة، ولو كان يراهم على غير هدى، حفاظًا على وحدة كلمتهم، يصوّر ذلك دريد بن الصمّة في قوله:

وهل أنا إلا من غُزَيَّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غُزيَّةُ أرْشُدِ[١٥]

---

(١٣) الجريسي، خالد عبدالرحمن، العصبية القبلية، مركز دراسات العصبية القبلية، www.asabia.com، ص٤.

(١٤) الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (بيروت، دار القلم، د.ت)، ص ٢٩٠-٢٩٣.

(١٥) غُزَيَّة: هي رهط دريد بن الصمة. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، حققه ثروت عكاشة، ط٤، (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ص ٨٦. ودريد بن الصمة هو سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، غزا نحو (١٠٠) غزوة، أدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل يوم حنين على الشرك. الألوسي، السيد محمود شكري، بلوغ الأرب في أحوال العرب، تصحيح محمد بهجة الأثري، ط١، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣١٤هـ)، ج ٢، ص ١٣٤-١٣٧.

لقد كان ضيق أسباب الحياة في الصحراء سببًا في تمسك أبناء القبيلة الواحدة بهذا الولاء، الذي أمّنهم من الظروف الصعبة المحيطة بهم.

فعلى الرغم من الدور الأساسي الذي تؤديه العوامل الاقتصادية والاجتماعية في حفظ كيان القبيلة، يبقى للقبيلة العربية مكانتها الخاصة التي تمتاز بها بعض القبائل عن بعض، وتحدد لها قوتها الذاتية التي تساعدها على الصمود.

٢- ولاء الحلف:

الحَلْف(بالفتح) في اللغة: القَسَم، ورجل حلاف: كثير الحَلف. والحِلف (بالكسر): العهد يكون بين القوم، وقد حالفه أي عاهده، وأصل الحِلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، وحالف فلانًا أي لازمه. وفي

كلمة الحلف شيء من الدلالة على الشعائر والأيمان والمعاني الدينية، ولذلك قيل للحَلف اليمين ؛ لأن من عادتهم عند عقد الحِلف بسط أيمانهم إذا حلفوا وتعاقدوا وتبايعوا(١٦).

وقد كان الحِلف أكثر أشكال الولاء شيوعًا عند العرب قبل الإسلام. والأصل في الحلف أن يكون بين قبائل أو عشائر غير مرتبطة فيما بينها برباط النسب، أو أي رباط تتفاوت وثائقه، وقد عقدت الأحلاف لأغراض معينة، كأن تسعى قبيلة لعقد حِلف مع قبيلة أخرى لمساعدتها في صد غزو سيقع عليها، أو لمساعدتها في غزو قبيلة أخرى، أو الوقوف على الحياد تجاه الغزو، أو مساعدة قبيلة قبيلةً أخرى للأخذ بثأر من قبيلة لها عندها ثأر.

ومثل هذه الأحلاف تعمَّر طويلاً، وقد ينتهي أجلها بانتهاء الغاية التي من أجلها عقد الحِلف(١٧).

---

(١٦) ابن منظور، مجلد ٩، ص ٥٣-٥٦.

لقد أخذت بعض القبائل الصغيرة تسعى إلى التحالف مع القبائل الكبيرة القوية، نتيجة للحروب وتهديدات الغزو المستمر، وبغية اتقاء شرّها، أو لمعاونتها ضد الخطر الخارجي من أجل المحافظة على وجودها.

وخير مثال للقبائل التي اقتضت مصالحها التكتل والتحالف بينها هو الحلف الذي سمي بحلف تنوخ، فقد اجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا وتعاقدوا على التناصر، فصاروا يدًا واحدة، وجمعهم اسم (تنوخ)[١٨].

ولم يكن من الواجب على كل أحياء القبيلة الاشتراك في الحلف الذي تعقده غالبية أحياء تلك القبيلة ؛ فقد اعتزلت (بنو حنيفة) الحلف الذي عقدته (بكر)، لأنها كانت من أهل المدر، وكان الحلف لأهل الوبر[١٩].

---

(١٧) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م)، ج٤، ص ٣٧٢.

يشير المؤرخون إلى أن ممالك جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام في كثير من المراحل كان أول من صنع التحالف القبلي، حيث كان لذلك دور مهم في تكوين الدولة أو سقوطها، مثل مملكة سبأ وذو ريدان. بهذا الخصوص انظر: بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م)، ص ٨٤-٩٠.

(١٨) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، (دار الفكر، ١٣٩٩/ ١٩٧٩م)، ج٢، ص ٢٧. وتنوخ: (بفتح التاء وضم النون)، اسم لعدة قبائل عدنانية وقحطانية اجتمعوا قديمًا في البحرين، وتحالفوا على التناصر والتآزر، وأقاموا هناك فسموا تنوخًا، والتنوخ الإقامة. الطبري، ج٢، ص ٢٧-٢٨.

(١٩) علي، ج٤ ص ٣٧٧. بنو حنيفة: قبيلة بني بكر بن وائل، قطنت إقليم اليمامة في الجزيرة العربية، وتنتمي إلى ربيعة إحدى أكبر القبائل العربية، كان أغلب أفراد القبيلة من المزارعين المستقرين الذين يعيشون عند وادي حنيفة. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م)، ص ٤٣٠.

ويُعقد الحلف بحضور كبار الشيوخ وأصحاب الرأي من الأطراف المتحالفة، ويكون في الأغلب في الأشهر الحرم، ويخصونه بالعشر الأوائل من ذي الحجة، لذا كانوا يتواعدون لهذا قبل العشر[٢٠].

وكثيرًا ما يسبق عقدَ الحلف مفاوضاتٌ وتمهيداتٌ ومناقشاتٌ، ويرافقه بعض المراسم والطقوس، كالقَسم ولَعق الدم أو زواج الرؤساء[٢١].

وكان الحلف يُعقد في الأسواق العامة، أما في مكة فكان يُعقد حول الكعبة، أو في دار الندوة، أو في بيت أحد شيوخ القبائل[٢٢].

أما طريقة عقد الحلف فقد تحدث عنه المؤرخ اليوناني (هرودوت، Herodot) (القرن الخامس قبل الميلاد) عندما قال: "عندما يرغب رجلان في تبادل المواثيق عن قبيلتيهما يقف شخص ثالث بينهما ويحدث في تجويف كفيهما جرحاً بحجر مسنون قرب الإبهام، ثم يلطخ بالدم سبع حجرات موضوعة بينهما، وأثناء عمل هذا ترفع الدعوات إلى الآلهة، وعندما ينتهي من الطقوس فإن الذي أعطى ميثاقَه يقدم الغريب لأصدقائه"[٢٣].

وهكذا فإن هرودوت يتحدث عن عقد الأحلاف بين العرب أو بين العرب وغيرهم من الأمم ويذكر توثيقه بالدم. وأما أهل الأخبار فقالوا في عقد الحلف: "إن أهل الجاهلية إذا أرادوا أن يعقدوا حلفًا أوقدوا نارًا وعقدوا حلفهم عندها، ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد، ويحلّ العقد، وكانوا يطرحون فيها

---

(٢٠) ابن سعد، محمد بن سعد (كاتب الواقدي) (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، (ليون، ١٣٢٥هـ)، ج ١، ص ٥١، ٧٧.

(٢١) الشاهين، محمد عمر، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، (عمان، دار الفكر، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ص ٧٩.

(٢٢) ابن سعيد، ج١، ص ٥١.

(٢٣) Herodot, Historiae, Tr.A.D.Godley, (London, LCL, 1981) III: 7-8

الملح والكبريت، فإذا استشاطت قالوا للحالف: هذه النار تهددك؛ يخيفونه بها حتى يحافظ على العهد والوعد". ولذلك عرفت هذه النار بنار التحالف، وهي نار يقسم المتخاصمون عليها، وذكر أنهم لا يعقدون حلفًا إلا عليها، وكانوا يرددون عبارات مألوفة كقولهم: "الدمَ الدمَ، الهدمَ الهدمَ، لا يزيد طلوع الشمس إلا رَشَدًا وطول الليالي إلا مَدًّا"(٢٤).

ثم يغمس الأطراف المتحالفون أيديهم في إناء يحوي دمًا، مثل حلف "لَعَقَة الدم"، حيث يغمس كل فريق يده في جفنة ملأى بالدم، ثم يَلْعَق كلّ رجل ما عَلِق بيده، أو في إناء يحوي طيبًا، مثل حلف "المطيبين"، أو رُبًّا وهو عصارة بعض الثمار، مثل حلف "الرباب"، أو ماء زمزم مثل حلف "الفضول"(٢٥). وكان من طقوس قريش عند عقد الأحلاف أن يأخذ الحليفُ حليفَه إلى الكعبة، وبعد إجراء المراسم يطوفان حول الأصنام لإشهادها على ذلك، ثم يشهدان كلَّ من يكون حاضرًا عند الكعبة على الحلف، وفي الأحلاف المهمة كان القرشيون يكتبون ما اتفقوا وتعاهدوا عليه في صحيفة يشهد عليها رؤساؤهم وسادتهم من الطرفين، ثم يعلقون الصحيفة في جوف الكعبة(٢٦).

ولما كانت مراسم الأحلاف من المراسم المهمة ومن الأحداث الخطيرة، فقد اقترنت بتقديم الطعام للمتحالفين، فيجلس المتحالفون على مائدة واحدة، مثل ما فعل عبدالله بن جدعان من تقديم الطعام للمتحالفين يوم عقد حلف الفضول(٢٧).

---

(٢٤) ابن سعد، ج١، ص ٨٢.

(٢٥) سيأتي تفصيل ذلك لاحقًا في أمثلة الأحلاف عند العرب.

(٢٦) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم،ط٥(بيروت، دار الكتب العامية، ١٩٨٩م) ج٢، ص٣٥٥ ، علي، ج٤، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٢٧) ابن سعد، ج١، ص.٢٠٨

وكان يترتب على عقد التحالف بين القبيلتين نشوء التزامات متبادلة تضمن حسن العلاقة، لذلك يستطيع أبناء القبيلة المتحالفة المرورَ بمواطن هذه القبائل بأمان غير خائفين، وقد تمرّ قوافلهم أيضًا بأمان، ولا يجبى إلا ما اتُفِق عليه، وجرت عليه عادات المتحالفين، وعلى أبناء هذه القبائل حماية من يجتاز بأرضهم، وتقديم المساعدة له، ودفع الأذى عنه، وعليه أن يتعصب للحلف تعصبَه للقبيلة[٢٨].

وعلى الرغم من مميزات إقامة الأحلاف، لاسيما للقبائل الصغيرة والضعيفة، إلا أن العرب كانت تنظر إلى القبائل التي لا تعقد الأحلاف نظرة احترام وتقدير أكثر من غيرها، وكان تسمي تلك القبائل بجمرات العرب تمييزًا لها عن غيرها من جهة، ولأنها حافظت على دمها وشجاعتها من جهة أخرى[٢٩].

ومن أمثلة الأحلاف التي عقدت عند العرب قبل الإسلام:

أ) حلف المطيبين: عقد هذا الحلف في مكة، بين بني أسد بن عبدالعزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة وبني الحارث بن فهر بن مالك وبني عبد مناف، للمطالبة بإعادة توزيع المرافق الاقتصادية في مكة بين جميع بطونها، وقد أتى بنو عبد مناف بوعاء فيه طيب ووضعوه عند الكعبة، فتحالفوا وتعاقدوا ثم غمسوا أيديهم في وعاء الطيب، فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا على الحرب، إذا تداعوا للصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجامة واللواء والندوة

---

(٢٨) العطار، رضا، " تاريخ العرب قبل الإسلام " Arabic/Ridha%20AL-Attar5-4،ص ١٦.

(٢٩) هذه القبائل التي أطلق عليها ذلك ما بين ٢٠-٢٦ قبيلة، ومنها: عبس، وضبة، ونمير، وإذا حالفت تطفئ فيقال طفئت. بهذا الخصوص انظر: حسين، مهدي، " دراسة في ألقاب بعض القبائل العربية" P://www.altarikh-Alarabi, ma، ص ١-٢١.

لبني عبدالدار، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وما زالوا على ذلك حتى ظهور الإسلام[٣٠].

ب) حلف لَعَقَة الدم أو حلف الأحلاف: عقد في مكة بين طائفة من بطون قريش، هم: بنو عبدالدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي، وجاؤوا بوعاء مملوء دمَ بقرة وأدخلوا أيديهم فيه، ثم لَعَقُوا ما بأيديهم فسمّوا بلعقة الدم، وتحالفوا على أن يكون أمرهم واحدًا من التناصر والتآزر[٣١].

ج) حلف الرِّباب: عقد بين قبائل تميم وعكل وضبة، وسموا الرِّباب لأنهم غمسوا أيديهم في الرُّب حين تعاهدوا وتعاقدوا في التناصر، ولعلهم اختاروا الرُّب لأنه أحمر كالدم[٣٢].

د) حلف الفضول: عقد في مكة في دار عبدالله بن جدعان، بين طائفة من بطون قريش، هي: بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبدالعزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة، وسببه أن رجلاً من اليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها رجل من بني سهم ولم يعطه الثمن فقام في الحجر قائلاً:

يالعَصيّ لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر

فقام العباس وأبوسفيان حتى ردّا عليه مظلمته، واجتمعت بطون قريش وتعاهدوا على ألا يجدوا في مكة مظلومًا من أهلها أو من غيرهم من يَفِدُ إليها إلا قاموا

---

(٣٠) ابن هشام، أبو محمد عبدالملك، سيرة النبي صلى الله وسلم، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (الرياض، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)، ج١، ص ١٤٢-١٤٤.

(٣١) ابن منظور، مجلد ١٠، ص ٣٣٠.

(٣٢) ابن منظور، ج١، ص ٤٠٣؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار النفائس، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ١٦٥.

معه وكانوا على ظلمه حتى ترد عنه مظلمته، ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه وغمسوا أيديهم فيه[٣٣].

وعليه يمكن القول إن أهم الأحلاف التي عقدت كانت في مكة وبين بطون قريش، وكان يحقّ للعشيرة أو القبيلة الاشتراك في أكثر من حلف، فقد اشترك بنو عبدالدار في حلف المطيبين وحلف لعقة الدم.

٣- ولاء الجوار:

الجوار في اللغة: الماء الكثير، وجاوره منعه، والمجاورة الاعتكاف، والمجاورة في المقام[٣٤].

ولفظ الجوار يطلق على معانٍ عدة، منها ما يتعلق بالحصول على الحماية والمحافظة على النفس والأهل والمال، والجوار في الأصل هو المجاورة في المقام، وعند ذلك يعني ولاء الجوار المناصرة والمحالفة للجار. والإجارة من أن يظلمه أحد أو يقع عليه عدوان، ويكون بين فرد وفرد آخر من قبيلة أخرى، أو بين فرد وجماعة. وتكون الرابطة آنذاك رابطة ولاء جوار[٣٥].

---

(٣٣) امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحلف حين قال: "لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت". ابن هشام، ج١، ص ١٤٤-١٤٥.
وعبدالله بن جدعان هو عبدالله بن جدعان التيمي القرشي الكناني، أحد سادات قريش، وكان معروفًا بالكرم والجود، وهو ابن عم أبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مات ولم يدرك الإسلام. الألوسي، ج١، ص ٨٧-٩٠.

(٣٤) ابن منظور، مجلد ٤، ص ١٥٣-١٥٦.

(٣٥) المقداد، محمود، الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ص ٢٠-٢٥؛ أرناؤوط، عبداللطيف، "الموالي ونظام الولاء من الجاهلية حتى أواخر العصر الأموي"، التراث العربي، ع٣٩- ٤٠، (شوال- محرم ١٤١٠ – ١٤١١هـ / أبريل – يوليو ١٩٩٠م)، ص ٢٢٩-٢٣٠.

وترى الباحثة أن ولاء الحلف يكون بين قبيلتين وأكثر، أما الجوار فيكون بين شخص وآخر، أو بينه وبين قبيلة من القبائل، وقد وردت لفظة "جوار" في القرآن الكريم، قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ")[٣٦]، وقال أيضًا: (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[٣٧].

وكيفية الجوار هو أن يلجأ الفرد الضعيف إلى من يلوذ به خوفًا من العدوان عليه، فيطلب الجوار (اللجوء)؛ وذلك إما لإصابته دمًا أو خوفًا من أمر يهدده. ويذكر ابن الكلبي أن والد حذيفة بن اليمان كان قد أصاب دمًا في الجاهلية، فهرب إلى يثرب وجاور بني عبد الأشهل[٣٨].

وقد تَخْلَعُ القبيلةُ أحدَ أفرادها فيلحق بقبيلة أخرى، ويستجير بأحد رجالها فيجيره، ومن أمثلة ذلك أن البراض بن قيس بن رافع أحد بني ضمرة بن بكر كان سِكِّيرًا فاسقًا فخلعه قومه وتبرؤوا منه، فأتى مكة، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه، فأحسن حرب جواره، وأكثر الشرب في مكة حتى همّ حرب أن يخلعه، فقال لحرب: إنه لم يبقَ أحد ممن يعرفني إلا خلعني، وإنك إن خلعتني لم ينظر

(٣٦) التوبة: ٦.

(٣٧) المؤمنون: ٨٨.

(٣٨) ابن قتيبة، ص ٢٦٣. وحذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حسل بن جابر، ويكنى أبا عبدالله، وكان حسل يلقب: اليمان، لأنه حالف اليمانية، وهو من بني عبس، أسلم مبكرًا، ومات بالكوفة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه سنة ٣٦٠هـ. ابن قتيبة، ص ٢٦٣-٢٦٤.

إليّ أحد بعدك، فدعني على حلفك، وأنا خارج عنك، فتركه وخرج ولحق بالحيرة(٣٩).

وكان ولاء الجوار يتم أمام الناس علنًا، وقد ذكر ابن سعد مثالاً على ذلك عندما أجار المطعمُ بن عدي النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد عودته من الطائف، إذ جاء إلى المسجد الحرام هو وأبناؤه بسلاحهم، ثم نادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا فلا يهجُه أحدٌ منكم(٤٠).

وكما يكون إعلان الجوار علانيةً، فإن إنهاءه يكون علانيةً أيضًا؛ فقد قال أحدهم لمجيره: "انطلق إلى المسجد واردُدْ عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية"(٤١).

ولا يُردُّ المُستجير عادةً، لأن ردَّ الدخلاء ليس من المروءة، ولذا تدافع القبيلة عن المستجيرين بها باعتبارهم أفرادًا منهم، وتَرِثُهم إن لم يكن لهم وارث، وتعينهم في دفع دية القتل غير العمد، كما تطالب بديتهم إن قُتِلوا. ومكانة المُجار في القبيلة دون مكانة ابن القبيلة الصريح، فكانت دية المُجار إذا قُتل نصف دية ابن القبيلة، ومن ثم فإنه لا يَطمع أن تكون له زعامة؛ لأنه لا يوازي في المكانة والشرف أبناءها الصرحاء،

---

(٣٩) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، (القاهرة، مؤسسة الجمال، د.ت)، ج١٩، ص ٧٥؛ الحوفي، ص ٢٨٥.

حرب بن أمية هو حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، والد أبي سفيان وأم جميل امرأة أبي لهب، وكان سيد قبيلة كنانة. ابن قتيبة، ص ٧٣.

(٤٠) ابن سعد، ج١، ص ١٤٢

المطعم بن عدي من بني عبد مناف، والد الصحابي جبير بن مطعم، وهو سيد بني نوفل بن عبد مناف، عاش زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي ولم يعتنق الإسلام، وكان أحد الستة الذين نقضوا صحيفة مقاطعة بني هاشم. ابن سعد، ج١، ص ٢١٠-٢١٢.

(٤١) ابن هشام، ج٢، ص٩.

أما عدا ذلك فإنه يتمتع بالحقوق كافة[٤٢]. ولم يكن من حق المرأة والعبد أن يجيرا أحدًا من الناس لضعفهما عن القيام بالإجارة[٤٣].

إن ولاء الجوار يختلف عن ولاء الحلف، في أن الأخير عادة ما يكون بين قبيلتين أو أكثر، أما الجوار فيكون للفرد، ولذلك يمكن أن نطلق عليه (حلف الأفراد)، كما أن ولاء الجوار يكون مؤقتًا، في حين يكون ولاء الحلف أكثر استمرارًا، وهذا اللون من الولاء كان مآله إلى الاندماج أكثر من ولاء الحلف، والفارق بينهما أن ولاء الحلف يقوم على فكرة الدفاع وحدها، أم الجوار فحين يحتاج المستجير إلى الجوار[٤٤].

٤- ولاء الاستلحاق:

لَحِق في اللغة: الإدراك، لَحِق الشيءَ وألحقه: أدركه، ولحِقته وألحقته بمعنًى، كتَبِعْتُه وأتْبَعْته، والمُلحَق: الدَّعِيّ المُلصَق، واستلْحقه أي ادّعاه[٤٥].

وولاء الاستلْحاق هو أن يكون للقبيلة عبد من العرب أو من غير العرب، فيزوّجوه امرأةً من نسائهم، فيصبح بعد مدة معروف النسب فيهم، وقد يكون لرجل عربي جوارٍ غير عربيات فيلدن له، فربما ألحق أولاد تلك الجواري بنسبه، وقد يلحق أحدُهم بنسبه ولدًا له ولد سفاحًا[٤٦]، ويصبح هذا المُلحَق مواليًا لمن ألحِق به.

---

(٤٢) السامرائي، ص١١-١٢.

(٤٣) أرناؤوط، ص ٢٣٠.

(٤٤) الشاهين، ص ٨٢.

(٤٥) ابن منظور، مجلد ١٠، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٤٦) النظام القبلي، ص ٤.

٥- ولاء الرق:

الرقّ في اللغة (بالكسر): المِلك، ورَقَّ: صار في رِقٍّ، والرقيق اسم جمع، ومنه أرقّاء، والرقيق المملوك ما بقي عليه درهم، واسترقَّ المملوكَ، أدخله في الرقّ، وهو نقيض أعتقه(٤٧).

وقد كانت مصادر الرق كثيرة، منها: الغزو، والتجارة، فبالغزو تسبى النساء والأولاد فيتخذون للتسري أو للزواج أو للخدمة، إذا لم يُفتَدوا، أو يباعون في الأسواق حتى يضيع أثرهم في التنقل، وقد يُقتَل الأسرى إذا عجز أهلهم عن افتدائهم، أو عزّ إطعامهم، وكانت تجارة الرقيق معروفة في أسواق العرب، وكانت الحروب بين فارس والروم كذلك

تزود أسواق العرب بالرقيق الذي مصدره الأسرى من الطرفين، فيصدّرون إلى المناطق الأخرى، ومنها بلاد العرب. وأما الرقيق الأسود فكان يتسرب إلى الجزيرة العربية من مصر واليمن، وقد ساعد غزو الأحباش للجزيرة العربية

في وقوع أسرى من الأحباش بأيدي العرب، وحوّلوا إلى رقيق(٤٨).

وكان ولاء الرقّ هو الرابطة التي تشدّ العبد إلى سيده، فولاء الرقّ يتخذ معنى المناصرة، وقد عرفت مكة بكثرة الرقيق فيها، وكانت نسبة الرقيق العربي إلى الرقيق غير العربي ضئيلة جدًّا، بسبب غيرة العربي على أهله أو خوف الغزاة من عواقب السبي، وكان الرقيق الأجنبي يوالي سيده، لكنه ينتمي إلى دينه ومعتقده المؤمن به(٤٩).

---

(٤٧) ابن منظور، مجلد ١، ص ١٢١- ١٢٥.

(٤٨) طقوس، ص ١٧٢-١٧٣.

(٤٩) أرناؤوط، ص ٢٣١.

٦- ولاء العتاقة (العتق):

وهي رابطة تشدّ العبد بعد عتقه إلى مالكه الذي مَنَّ عليه بهذا العتق، وهو لون من ألوان العرفان بالفضل للمالك الذي وهب العبدَ حريتَه، ويقال له مولى النعمة؛ لأن سيده أنعم عليه بالعتق، وينتسب المُعتَق إلى سيده، ويلحَق بنسبه(٥٠)، ولكن هذه الحرية كانت مقيدة مشروطة، فالعبد العتيق يظل يدين لسيده، ويتمتع بدرجة وسطى بين العبودية والحرية، وهذه الطبقة تعد أرفع طبقةً من الجوار في نظر القبيلة التي يدينون لها بولاء العتق، لأنه لا يحقّ لهم هجر القبيلة أو التخلي عنها، إلا إذا أعتق سائبة، وفي غير هذه الحالة فإن من حق السيد أن يرث عتيقه إذا لم يكن له وارث من أهله، وعلى العتيق أن يحافظ على القبيلة ومكانتها، ويدافع عنها كأحد أبنائها(٥١).

وقد عرف العرب عتق الرقيق على نطاق ضيق، وغالبًا ما كان العبد يُعتَق مكافأةً له على خدمة جليلة أسداها لسيده. ومن أنواع العتق التي عرفها العرب قبل الإسلام عتق التدبير، وهو أن يُعتَقَ العبدُ بعد موت سيده، فيكون ولاؤه لورثته، وعتق المكاتبة وهو عتق مقابل مال يدفعه العبد على دفعات محددة إلى أجل معلوم، فإذا استوفاه المالك أعتِق العبد ونال حريته(٥٢).

ومن الواضح أن ولاء العتق هذا يرجع إلى أن العبد بعد العتق يصبح وحيدًا، لا ولاء ولا عصبية له؛ مما يعرضه للبؤس والخطر، ولا ينقذه إلا إقامة ولاء العتق، ليكون بمنأى من الأسر أو العبودية مرة أخرى.

---

(٥٠) الشاهين، ص ٨٣.

(٥١) أرناؤوط، ص ٢٣١.

(٥٢) المقداد، ص ٤٠.

٧- ولاء النقلة:

قد ينقل رجل نسبه من قبيلة إلى أخرى، فقد كان ذلك جائزاً، وإن كان نادراً[٥٣] وربما كان ذلك للخلعاء من قبائلهم، لاسيما مع اعتزاز العربي بقبيلته وانتمائه إليها، ولم تجد الباحثة في كتب التاريخ ما يمكن أن يدلل على ذلك.

مما سبق يمكن القول:

١ - أن مجتمع العرب قبل الإسلام كان مجتمعًا معتزًّا بنسبه، فخورًا بعروبته، ولذلك عمل جاهدًا على المحافظة على هذا النسب والانتماء بشتى الروابط.

٢ - تعدّ رابطة النسب أو القربى من أشد الروابط التي ارتكز عليها الولاء عند العرب.

٣ - كان مجتمع العرب قبل الإسلام يقوم على الغزو والأخذ بالثأر، ولذلك اتجهت القبائل الضعيفة إلى التحالف والاحتماء بالقبائل القوية.

٤ - لم يقتصر التحالف على القبائل، بل وجد تحالف بين الأفراد، وهو ما عرف بالجوار.

٥ - يعد ولاء العبد لسيده من أشكال الولاء عند العرب قبل الإسلام، وهذا الولاء قد يستمرّ إلى ما بعد العتق.

---

(٥٣) النظام القبلي، ص ٤.

المصادر والمراجع العربية

أولاً: المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم

[١] أرناؤوط، عبداللطيف، "الموالي ونظام الولاء من الجاهلية حتى أواخر العصر الأموي"، *التراث العربي*، ع ٣٩ -٤٠ (شوال – محرم ١٤١٠ – ١٤١١هـ) (أبريل – يوليو ١٩٩٠م)، ص ٢٢٦ -٢٣٦.

[٢] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، *الأغاني*، ج١٩، (القاهرة، مؤسسة الجمال، د.ت).

[٣] الألوسي، السيد محمود شكري، *بلوغ الأرب في أحوال العرب*، تصحيح: محمد بهجة الأثري، ط١، ٣ أجزاء، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣١٤هـ).

[٤] بافقيه، محمد عبدالقادر، *تاريخ اليمن القديم*، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م).

[٥] بكري، حسن صبحي، *الإغريق والرومان والشرق الإغريقي والروماني*، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

[٦] الجريسي، خالد عبدالرحمن، "العصبية القبلية"، *مركز دراسات العصبية القبلية www.asabia.com*، ص ١ -٢٥.

[٧] ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: عبدالوهاب هارون، ط٣، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م).

[٨] حسين، مهدي، "دراسة في ألقاب بعض القبائل العربية" *P://www.attarikh,Alarabi.ma*، ص ١ -٢١.

[٩] الحوفي، أحمد محمد، *الحياة العربية من الشعر الجاهلي*، (بيروت، دار القلم، د.ت).

[١٠] ابن خلدون، عبدالرحمن بن حمد (ت٨٠٨هـ)، *مقدمة ابن خلدون*، (بيروت، دار العودة، ١٩٨١م).

[١١] السامرائي، عبدالحميد حسين، "بعض مظاهر التنظيم القبلي في صدر الإسلام"، *مجلة سر من رأى*، مجلد٥، عدد١٤، (السنة الخامسة، ٢٠٠٩م)، ص١ -٢٣.

[١٢] ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ)، ج٤، ١ *طبقات ابن سعد*، ج٢ (ليدن، ١٣٢٥هـ).

[١٣] الشاهين، محمد عمر، *تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام*، (عمان، دار الفكر، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

[١٤] الشريف، أحمد إبراهيم، *مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول*، ط٢، (دار الفكر العربي، ١٩٨٥م).

[١٥] ابن عبدربه، أحمد بن محمد، *العقد الفريد*، تحقيق: أحمد أمين (وآخرون)، ج٢، (القاهرة، مطعبة لجنة التأليف للترجمة والنشر، ١٩٥٢م).

[١٦] العطار، رضا، *"تاريخ العرب قبل الإسلام"*

Attar-٢٠%Arabic/Ridha٥-٤، ص١ -٢٥.

[١٧] علي، جواد، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج٤، (بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م).

[١٨] الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، *تاريخ الأمم والملوك*، ج٢، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

[١٩] طقوش، محمد سهيل، *تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت، دار النفائس، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

[٢٠] ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، *المعارف*، حققه: ثروت عكاشة، ط٤، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).

[٢١] المقداد، محمود، *الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي*، (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

[٢٢] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت٧٧٤هـ) *البداية والنهاية*، تحقيق أحمد أبو ملحم، ط ٥، ج٢، (بيروت، دار الكتب العالمية، ١٩٨٩هـ).

[٢٣] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، *لسان العرب*، إعداد: يوسف خياط ونديم مرعشلي، ١٥مجلدًا، (بيروت، دار صادر، د.ت).

[٢٤] موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية: *www.dorar.net*

[٢٥] النظام القبلي عند العرب في الجاهلية والإسلام: *http://www.sobe3.com*، ص١ -٣٣.

ثانيًا: المصادر والمراجع الاجنبية

[٢٦] Herodot, *Historiae*, Tr.A.D. Godeley, Book III (London, LCL, 1981).

[٢٧] Jones, A.H.M., *Alhenian Democracy*, (Oxford, 1957).

Forms of loyalty among the Arabs before Islam

Dr. Fatamah Ali Bakhashwin
Associate Professor of Ancient History
Princess Nourah Bint Abdulrahman University – College of Arts - Department of History

Abstract. In the pre-Islamic era (Jahiliyyah) shortly before advent of Islam, the Arab society was a tribal one which was adapting with the nature of the surrounding environment. For example, they gathered in social units which are linked by the bond of blood and kinship. Each social unit was called "tribe".

There are a number of bonds linking the tribe individuals to each other and linking one tribe to other tribes. This interconnection is expressed in this research under the name of "loyalty" which means the feeling of cohesion and solidarity.

In this way, loyalty is considered the source of political, military, and social power which links the individuals of the tribe to each other.

This research deals with the patterns of loyalty in Arabs before Islam. These patterns are various such as: kinship, alliance, neighborhood, adoption, slavery, emancipation.

The research aims at focusing the light on these patterns to know the bonds which led to the cohesion of the Arab society before Islam especially in the absence of many studies that ignored Arab history before Islam.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٦٩٧-٧٦١، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

بعض القيم الإنسانية في قوانين الملك حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) (دراسة تحليلية)

د. شيخه عبيد دابس الحربي
استاذ مساعد – قسم التاريخ
كلية العلوم والاداب – جامعة القصيم

ملخص البحث. اكتسى البحث طابعا هادفا يراد به الوصول إلى مجموعة من القيم الإنسانية التي ارتبطت بحياة الإنسان ونزعته الفطرية؛ حيث كان له تقييم ثابت وواضح لبعض الصفات السيئة كالكذب؛ والغش؛ والسرقة؛ وغيرها، وقد رفضها بفطرته السليمة موضحاً ارتباط صلاح أفعاله بصلاح أخلاقه. لذا نهج المصلحون ومشرعو العراق القديم بإصدار منظومة من القوانين والشرائع منها (أورنمو، لبت عشتار، أشنونا حمورابي) لغرس معاني الخير والشر، ولحفظ كرامة الإنسان وأمنه.

ولأهمية ذلك الموضوع فقد رغبت بالكتابة حوله بمنهجية علمية تحليلية، يراعى فيها أهمية القيم الإنسانية في حياة الإنسان من خلال قانون حمورابي، لما له أثر في تنظيم وتعزيز السلوك البشري، للارتقاء بالمجتمع إلى الإنسانية والمدنية.

ولذا فقد اعتبر قانون حمورابي أهم مرجع قانوني قديم جمع فيه كافة القوانين والأعراف السومرية والاكادية، وطورها بما يتلاءم مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأبرز فيه مقومات الحياة المدنية القائمة على إحقاق العدل، وإنصاف المظلوم، ومعاقبة الظالم، وقيادة شعبه للاستقرار والأمن، وقد تنوع العدل من خلال متطلبات الحياة منها (القانوني، والأسري، والاقتصادي).

ومن أهم تلك القيم: العفة التي هي حفظ النفس عن الرذيلة، واقتصار العلاقة الزوجية على حدود الشرع، كما شدد على أن تكون تلك العلاقة قائمه على الثقة والاحترام، وللحد من الزنا فقد تنوعت العلاقات ما بين (محرمة، وشاذة، واضطرارية).

الصدق والنزاهة: تجلت بوضوح في قانون حمورابي في كافة المجالات والتعاملات الحياتية، وقد برزت في مجالات منها (القضاء، والطب، والجيش).

المقدمة

لقد أوجد لنا مشرعو العراق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ثروة هائلة من القوانين والإصلاحات؛ كإصلاحات أوركاجينا، قانون أورنمو، قانون لبت عشتار، قانون حمورابي، التي لها دور كبير في إصلاح النفوس وتقييمها للوصول إلى مجتمع مدني متحضر[١].

القيم في الفكر العراقي القديم

كانت بلاد العراق القديم من أفضل مناطق العالم القديم من حيث خصوبتها ومشروعات الري الضخمة، فهي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، فهي تتمتع بموقع استراتيجي وتجاري مهم. مما أثر على حياة ساكنيه بظهور أولى القرى الزراعية وبداية التجمعات البشرية بأكثر من عشرة آلاف سنة[٢]. (شكل ١).

لذا فهو يعد من أولى حضارات الشرق الأدنى القديم اهتماماً بحقوق الإنسان وتنشئة قواعد السلوك في كافة المجالات؛ حيث فرضت الآلهة عليه السلوك الحسن والأخلاق الفاضلة، فكان لزاماً إطاعة الآلهة التي خلقته[٣]. وهذه كانت الفكرة الأساسية التي سادت في العراق القديم وأجزاء من العالم القديم[٤].

---

(١) نشأت كمال، مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة، شبكة الألوكة، ٢٠١١م/١٤٣٣هـ، ص٤٦.

(٢) عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين، ط١، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٤م، ص١٥.

(٣) فلاح البياتي، قيس الجنابي، روافد حقوق الإنسان في تاريخ العراق القديم، مجلة كلية التربية الأساسية، ع١١، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بغداد، ٢٠١٣م، ص٤-٥.

(٤) أسامة عدنان يحيى، الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، دار الصداقة للنشر، فلسطين، ٢٠٠٩م، ص٨.

كما يؤكد ذلك اتصال البشرية بالوحي الإلهي منذ أول يوم عاش فيه الإنسان على هذه الأرض، كما قال تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(٥). وبعد هذا التوجيه الرباني أصبح الإنسان مستخلفاً في الأرض، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم" رواه مسلم(٦).

وهكذا كان للإنسان آنذاك تقييم ثابت وواضح من بعض الصفات كالكذب، والغش، وغيرها، التي رفضها بفطرته السليمة وضميره اليقظ، فانطلق الضمير الأخلاقي من ثنائية الخير والشر اللذين يكونان الأساس التي تتفرع عنه القيم المؤسسة لنشأة الأخلاق مع نشوء البشرية(٧).

وقد لعبت التشريعات والقوانين القديمة آنذاك دوراً في إيقاظ الشعور الأخلاقي لدى المجتمعات القديمة التي لم تعانِ من أزمة أخلاقية؛ حيث سعت إلى إحداث تغييرات اجتماعية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفق منظور قيم وضعتها تلك الشرائع والقوانين الإلهية(٨).

---

(٥) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٦) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٨، دار طيبة، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٨/٤١٠. محمد أحمد عبد الغني، العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٦٧-٦٨

(٧) كوثر عباس الربيعي، العلم والأخلاق جدل الثورة العلمية والمستقبل، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١١م، ص٣.

(٨) أحمد لفتة القصير، المضامين الاجتماعية لإصلاحات الحاكم السومري أورو-إنيمكينا (٢٣٦٥-٢٣٥٧ق.م)، كلية الآداب، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية، مج١٠، ع١-٢، بغداد،

ولهذا يعدُّ الإنسان العراقي القديم أقدم مشرعي العدالة والقيم في الحضارات القديمة؛ حيث وضع تصوراته عن الأخلاق في صميم نظريته للآلهة والكون والإنسان(٩).

ويقول صوموئيل كريمر: إن الآلهة تفضل ما هو أخلاقي وصالح على الفساد والخروج على مبادئ الأخلاق، ونجد جميع الآلهة العظام تقريباً قد مجدوا في التراتيل السومرية بصفتها محبة للخير والعدل والصدق والاستقامة. وهكذا بذل العراقيون القدماء جهداً واضحاً للارتقاء والتقدم بالإنسان من صفاته البدائية الأولى إلى صفاته الإنسانية من أجل أن يكون الإنسان مخلوقاً حضارياً مؤهلاً للبناء والتقدم بشكل مميز(١٠).

كما لم تكن التعاليم الأخلاقية قائمة بحد ذاتها في الحياة الروحية للسومريين والبابليين، فقد كانت معتقدات الناس الأخلاقية في ظل الظروف السائدة متشابكة ومترابطة بالمعتقدات الدينية والتشريعية والكونية والاجتماعية(١١).

٢٠٠٧، ص٢٥٣؛ سيدي الحمليلي، السياسة الجنائية بين الاعتبارات التقليدية للتجريم والبحث العلمي في مادة الجريمة، رسالة دكتوراه، مكتبة الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق، جامعة أبو بكر بلقايد، قلمان، الجزائر، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٤.

(٩) حسين نور الأعرجي، مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق القديم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية التربية، جامعة واسط، ع٣-٤، مج٧، بغداد، ٢٠٠٨م، ص١٩٧؛ نضال ذاكر عذاب، فلسفة العدالة في الفكر الرافديني القديم، مجلة آداب المستنصرية، قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ع٥٣، بغداد، ٢٠١٠م، ص١٣.

(١٠) للمزيد انظر: فان ريت لو، أبحاث ما قبل التاريخ والعلوم الإنسانية، مجلة سومر، ج١، مج٧، بغداد، ١٩٥١م، ص١٢.

(١١) كلشوف، الحياة الروحية في بابل، ترجمة عدنان عاكف، ط١، منشورات دار المدى، سوريا، ١٩٩٥م، ص٦٠.

ولذا ظهرت المدونات العراقية[١٢] التي عبرت بصورة حقيقية وصادقة عن الحياة السياسية والاجتماعية، ومنها مدونة الملك حمورابي التي سعت إلى تحقيق الرفاهية للشعب وتوفير العدالة؛ لأن حكم الملك مقروناً بتقديم متطلبات الحياة السعيدة لشعبه، وسيكون مغضوباً عليه إن ظلم أو تجاوز حقوق الآخرين[١٣].

ومما لا مراء فيه أن لتلك القوانين والشرائع دوراً فعالاً ومؤثراً في تثبيت الأعراف الاجتماعية التي تسير بموجبها المجتمعات الإنسانية في توحيد التنظيم الاجتماعي وتغلغل روح النظام والقانون. فقد كان لها تأثيرٌ واضحٌ في أخلاقيات المدينة البابلية[١٤].

تؤكد القوانين العراقية القديمة أولى الخطوات والمحاولات الإنسانية في المسيرة التاريخية الطويلة عبر العصور للوصول إلى تنظيم مجتمع متحضر قبل أكثر من أربعة آلاف عام، تمثل ذلك في مدينة نينوى العراقية التي وصفها الله بالإيمان[١٥]، قال تعالى:

---

(١٢) المقصود بهذه المدونات هي القوانين العراقية القديمة التي اكتشفت في وادي الرافدين وارتبطت بأسماء ملوك أو مدن عراقية، ومنها: أ) مدونة أورنمو [٢١١١-٢١٠٣ق.م] ملك أورنمو مؤسس سلاله أور الثالثة. ب) مدونة اشنونا تاريخها غير معروف على وجه الدقة؛ إلا أنه يمكن القول أنها سبقت ظهور شريعة حمورابي بنصف قرن. ج) مدونة لبت عشتار [١٩٣٤-١٩٢٤ق.م]. د) مدونة حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م). منذر الفاضل، تاريخ القانون، ط٢، أربيل، ٢٠٠٥م، ص٧٧؛
Barton 2009, p.406, Barton, ascintist of semitic languages at the university of Pennsylvania form, 1922 to 1931.

(١٣) ياسين محمد حسين، حقوق الإنسان والديمقراطية، كلية العلوم، جامعة بغداد، بغداد، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص١٨.

(١٤) ممدوح عبد العزيز رفاعي، العدالة الاجتماعية في الفكر الإنساني، كلية التجارة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١١م، ص٤.

(١٥) علي البدري، الجذور التاريخية للياقة والتصرف الاجتماعي القيّم في المجتمع العراقي، دراسات تاريخية، كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة، ع٦، البصرة، ٢٠٠٩م، ص٧-٨.

{فَلَوْلا كَانَت قَرْيَةٌ آمَنَت فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إلا قَومَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفنَا عَنهُم عَذَابَ الخِزيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَمَتَّعنَاهُم إلى حِينٍ}(١٦).

المحور الأول

(١) قانون حمورابي :

كانت بلاد ما بين النهرين بحسب الوثائق التاريخية احتضنت البدايات الحقيقة للتشريع والقانون والتي تكونت فيها أولى التجمعات البشرية المكونة للأشكال الأولى للدولة، وإن ازدهار القوانين فيها أملته عدة متطلبات ومنها تطوير الفكر الذي كان السمة المميزة للأفراد في تلك المرحلة(١٧). مما أدى إلى تطور القوانين والشرائع، ولذا عدَّ قانون حمورابي من أشهر الشرائع القانونية القديمة في العراق القديم، وأول مجموعة كاملة من النصوص المدونة والأسلم من الشرائع في هيئتها عند اكتشافها، والأكمل والأشمل في تصديها للظواهر الاجتماعية، كما احتوت على نواحٍ مختلفة من مناحي الحياة الإنسانية، وأعطت قيمة للتشريع للحفاظ على سلامة وأمن المجتمع(١٨) (شكل٢).

ويعتبر قانون حمورابي أهم مرجع قانوني، فقد سجل حمورابي هذه القوانين على مسلة كبيرة من حجر الديورانت الأسود طولها ٢٢٥كم وقطرها ٦٠سم، وهي أسطوانية الشكل وقد وجدت في مدينة سوسة عاصمة عيلام أثناء حفريات البعثة الفرنسية [١٩٠١ -١٩٠٢م] وموجود الآن في متحف اللوفر الفرنسي (شكل٤).

---

(١٦) سورة يونس، الآية ٩٨.

(١٧) خياطي مختار، دور القضاء الجنائي الدولي في حماية حقوق الإنسان، رسالة ماجستير، قسم القانون الدولي العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١١م، ص١٣.

(١٨) سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ج١٠، بيسان، بغداد، ١٩٩٨م، ص٢٢.

كما عثر معها على عدة قطع يبدو أنها كانت جزءاً من نسخة ثانية أو أكثر من المسلة، وإن وجود هذه الكسر المختلفة يثبت أنه كان هناك أكثر من مسلة تحمل نص الشريعة، وأنها بقيت في المدن البابلية الرئيسية، وإن عملية النهب التي نفذت من قبل الملك العيلامي شتروك ناخونتي ربما تهدف إلى سحب رموز القانون والنظام من بلاد العراق القديم لتتركها فريسة للفوضى وفقدان العدالة. وقد رتبت مواد شريعة حمورابي في أربعة وأربعين حقلاً وكتبت باللغة البابلية وبالخط المسماري[١٩]. (شكل٥).

فقد سبق فلسفة العدل لدى اليونان بأكثر من ألف ومئتا عام[٢٠]. وأبرز حمورابي في قانونه مقومات رقي الحياة المدنية[٢١]. وجمع فيه كافة القوانين والأعراف السومرية والأكادية وطورها بما يتلاءم مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المستجدة في عصره[٢٢].

لذا فهو أقدم قانون وضعي أخلاقي ؛ كما يمثل أول مفهوم لكلمة مدينة يحكمها قانون تكتسب به صفة الفضيلة والقيم وضعه الملك الشهير حمورابي أشهر ملوك بابل، ومؤسس سلالة بابل الأولى ١٨٩٤ -١٥٩٥ق.م، إذ استطاع توحيد أجزاء العراق القديم وتقوية إداراته ومؤسساته وتوطيد أركان الحكم معتمداً على سياسية

(١٩) محمود الأمين، شريعة حمورابي، ترجمة سهيل قاشا، ط١، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٧م، ص٩؛ نائل حنون، شريعة حمورابي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣م، ص١٣-١٤؛ حسين فاخر علي، حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق في الدساتير العراقية، رسالة ماجستير، كلية القانون والسياسية، الأكاديمية العربية، الدنمارك، ص١٣، ٢٠١١م.

(٢٠) حسين الأعرجي، المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٢١) أحلام سعد الله الطالبي، ارتكاب المحارم في قانون حمورابي، دراسة مقارنة، مجلة التربية والتعليم، قسم الحضارات القديمة، كلية الآثار، جامعة الموصل، مج١٧، الموصل، ٢٠١٠م، ص١٦.

(٢٢) برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، الفارابي، بغداد، ١٩٨٩م، ص٣٩٩.

التحالفات والمعاهدات الثنائية ساعده على نهضة بابل وإرساء إمبراطورية مترامية الأطراف، ونتيجة لقيام إمبراطورية كبرى انضوت تحت لوائها مدن ودويلات كانت واقعة تحت سيطرة السومرين والأكاديين والساميين والأشوريين لتحقق من خلالها الوحدة السياسية(٢٣).

وبالرغم من تلك الوحدة السياسية إلا أنه لم يفتخر الملك حمورابي بقدر افتخاره بأعماله العمرانية والإنسانية التي قام بها لصالح شعبه، فكان عليه أن يظهر بصفة [ملك بابل العظيم الصالح مانح الخير والخصب، والحاكم المؤمن الذي أعاد للطقوس الدينية بهاءها، وأنعم على شعبه بالخيرات، وساس أعداءه بالرحمة والشفقة](٢٤).

ومن أجل ذلك تطلب الأمر تشريع قانون خاص لمملكة بابل الموحدة؛ لأن حمورابي تمكن من أن يضم تحت لوائه قوميات ومعتقدات كثيرة دفعته إلى إيجاد نظام حكم واضح لا غموض فيه ولا تفرقة دينية أو قومية، من خلال إصداره تشريعاته التي امتازت بحياديتها ووضوحها؛ فشملت جميع احتياجات المجتمع لكسب الشعب وإبعاد الفرقة والفتنة(٢٥).

---

(٢٣) جمال مولود ذبيان، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ٢٠٠١م، ص١١٨؛ شيرزاد أحمد عبدالرحمن، التطور التاريخي لحقوق الإنسان، مجلة كلية التربية الأساسية، مج١٨، ع٧٦، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٢م، ص٢٦٠-٢٦١.

(٢٤) سعيدي سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (٢٠٥-٣٣٢ق.م)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، قسم الآثار والتاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسطنطية، ٢٠٠٩/٢٠١٠م، ص٢٩.

(٢٥) فوزي رشيد، القوانين العراقية القديمة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٨٥م، ص٨٦.

واستطاع إصدار مدونته الشهيرة ؛ التي لم يكتف بتجميع التقاليد والأعراف التي كانت سائدة في عهده ، وإنما قام بدور المصلح الاجتماعي إلى جانب دوره كمشرِّع قانوني ، وتصدى لوضع حلول جديدة تتفق مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية في عصره واحترام المصالح الاجتماعية ، وقام بتنظيم بعض القواعد العرفية في المسائل التي كان العرف غامضاً بشأنها[٢٦].

واستهل مسلته الشهيرة بنظرية التفويض الإلهي متضمنة الدوافع والمعطيات التي استوجبت تشريع القانون[٢٧] بقوله : [أنا حمورابي ، ملك القانون ، وإياي وهبني إله الشمش[٢٨] القوانين] (شكل٣).

كما ذكر أنه مرسل من الإله مردوخ[٢٩] بقوله : [أنا حمورابي الأمير التقي الذي يخشى آلهته لأوطد العدل في البلاد ، ولأقضي على الخبث والشر لكي لا يستعبد

(٢٦) وتم العثور على نسخ مختلفة من أجزاء شريعة حمورابي على ألواح طين، وهي موجودة في متحف اللوفر. وأيضاً فإن متحف الشرق القديم في اسطنبول لديه جزء من شريعة حمورابي على ألواح طين ويعود تاريخها إلى ١٧٥٠ق.م. عاقلي فضيلة، الحماية القانونية للحق في حرمة الحياة الخاصة، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الإخوة منتوري، قسطنطينة، ٢٠١١-٢٠١٢م، ص٤؛
Fant, clyde E. and mitchel reddish (2008), wm.b. Eerdmans publishing Co., pg62.

(٢٧) جمال مولود ذيبان، المرجع السابق ، ص١٢٢.

(٢٨) عني حمورابي في فترة حكمه بالإله شمش، وعمل على بناء علاقة وطيدة وطيبة معه لإرضاء كل مطالبه، فكان يقدم نفسه في المخطوطات كخادم في حماية الإله شمش إله الشمس والحق، ويعتقد أن شمش كان الإله الشخصي لحمورابي، الإله الذي يتوجه إليه بشكل خاص، إذ تنطلق من كتفي حمورابي حزم أشعة الشمس التي هي بمثابة القوة والسلطة لتنشر العدالة والقضاء بالحق. للمزيد انظر: كمال فواز، وأحمد سلمان، الشمس في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٤م، ص١٢-٢١.

القوي الضعيف، ولكي يعلو العدل كالشمس فوق الرؤوس السود، حمورابي الذي يجعل الخير فيضاً بكثرة، المنقذ لشعبه من البؤس الذي ساعد على إظهار الحق، أنا حمورابي وضعت القانون والعدالة بلسان البلاد لتحقيق الخير للناس... حمورابي السيد الذي هو أشبه الأب الحقيقي للشعب الذي يضمن النجاح للشعب إلى الأبد[٣٠].

وهكذا فقد أكد حمورابي على فكرته في مقدمته وهو إحقاق العدل، وإنقاذ شعبه من الظلم والبؤس، وقيادته للخير والاستقرار لتحقيق الغاية الأسمى ألا وهي توطيد العدل في البلاد، والقضاء على الخبث والشر ونصرة الضعيف، وتعميم الخير على الناس معطياً بذلك صورة في غاية الروعة والحكمة والموضوعية في سرد مبررات تشريعه وفلسفته التي قل نظيرها فيما يتلاءم مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد آنذاك[٣١]. كما وضح أهم الوسائل الأساسية لتطبيق هذا الهدف التي تتمثل في التهديد بفرض جزاء قاس على الذين يستغلون غيرهم من الضعفاء[٣٢].

---

(٢٩) إله بابل، وقد كان إله الإمبراطورية البابلية في عهد حمورابي، وله نفس وظائف انليل (وانكي) سيد الأرض والحياة المعدنية، وكان يعبد في أزيدوا. مجموعة من المؤلفين، جوانب من حضارة العراق القديم، بغداد، ١٩٨٣م، ص١٧.

(٣٠) حسين سيد نور الأعرجي، مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق القديم، ص٢٠٣؛ قحطان حسين ظاهر الحسيني، التطور التاريخي لفكرة حقوق الإنسان، قسم علوم القرآن، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، بغداد، ٢٠١٣م، ص١؛ علي كسار الغزالي، القوانين والإصلاحات التشريعية السابقة لقانون وشريعة حمورابي وتأثيراتها على حضارة بلاد وادي الرافدين، مجلة جامعة كربلاء، قسم التاريخ، كلية التربية، مج٥، ع٢، جامعة كربلاء، كربلاء، ٢٠٠٧م، ص٤٢.

(٣١) جمال مولود ذبيان، المرجع السابق ، ص١٢٣.

(٣٢) ديفيد جونستون، مختصر تاريخ العدالة، ترجمة مصطفى ناصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٧٨م، ص٢٩.

وأهم ما تميز به القانون هي المثلية[٣٣]، أي مبدأ العين بالعين، والسن بالسن، والأخذ بالثأر[٣٤]. كما اتصف بالقسوة في معاملة المجرمين والأرقاء والمدنيين[٣٥].

(٢) المواد الواردة في قانون حمورابي:

تضمن قانون حمورابي ٢٨٢ مادة تخص القوانين الحياتية، المدنية، والتجارية، ويمكن توزيعها على خمسة أبواب رئيسية منها:

التقاضي وأصول المحاكمات تشمل من (١ -٥)، الأموال والمعاملات الدولية تقع في ١٢٠ مادة (٦ -١٢٦)، قوانين الأحوال الشخصية تشمل (١٢٧ -٢١٤)، الأجور تشمل (٢١٥ -٢٧٧)، العبيد تشمل (٢٧٨ -٢٨٢)[٣٦].

أولاً: العدالة والقضاء

يمثل العدل أعلى مراتب السلوك الإنساني وأقدمها على الإطلاق فهو يعبر عن رغبة أصيلة لدى الإنسان القديم في إحقاق الحق ورد الظلم، ولهذا ساهمت التشريعات العراقية القديمة وبالأخص تشريعات الملك حمورابي إلى حد كبير في تطبيق العدل، ووضع حد للظلم الذي يتعرض له الضعفاء من الأقوياء. فالملك في الحضارة

---

(٣٣) هاني السباعي، دراسة في الفقه الجنائي المقارن، ط١، مركز المقريزي للدراسات التاريخية، لندن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٦.

(٣٤) محمد حسين يونس، تغير المفاهيم السائدة للأخلاق، دراسات في أبحاث التاريخ والتراث واللغات، الحوار المتمدن، ع٣٨٩١، ٢٠١٢م، ص١.

(٣٥) إلا أنه اعترف بأن الناس غير متساوين في أقدارهم أمام القانون، وأن العقوبة تختلف طبقاً للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد الذي وقع منه الجرم. محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٢٤٥. وهذا جانب من الجوانب السلبية لقانون حمورابي، وما يعاب عليه اعترافه بالتفاوت في الحقوق والعقوبات بين الطبقات.

(٣٦) على الرغم من عدد نصوص الشريعة البالغ ٢٨٢مادة إلا أنه لا توجد مادة واحدة متخصصة لحماية الدولة أو الحكام. عبدالوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ٢٠٠٤م، ص١٢٥.

العراقية القديمة يعتبر نفسه مخولاً من الإله لحكم البشر لأنه واجب مقدس وإن استمرارية الحكم ورضا الإله متوقف على تطبيق العدالة بين الناس.

ولهذا تضمنت النصوص القانونية التي جاءت بها شريعة حمورابي نصوصاً تمجد حماية حقوق الإنسان التي هي من مقومات الحضارة التي تحرص السلطة على توفيرها كجزء من متطلبات وجودها العقلي(٣٧)، كما ذكر المشرع ذلك في شريعته [ليجعل العدل كالشمس فوق الرؤوس السود].

فكان اهتمام حمورابي بالعدل منذ توليه العرش، إذ أطلق على السنة الثانية من حكمه [السنة التي أقام فيها حمورابي العدالة في البلاد](٣٨).

حيث ذكر في الخاتمة الغرض من تدوين الشريعة ألا وهو [الرجل المظلوم الذي سُلب حقه ودخل في قضية قضائية يقف أمام صورتي كملك العدل ثم ليقرأ وليسمع كلماتي الطيبة، حجر الذكرى العائد لي يوضح قضيته وله أن يجد وجه العدل ويتنفس من الأعماق الصعداء"(٣٩).

ويتوجه حمورابي بشكل خاص إلى ورثة عرش بابل بقوله: [إلى آخر الأيام إلى الأبد، على الملك الذي أعطيته قرارات البلاد التي أصدرتها لا يحسن أن يدعها جانباً ما دوَّن من قبلي، لا يحق له الاستهانة به، إذا كان هذا الرجل رشيداً ويريد حكم

---

(٣٧) ياسين محمد حسين، جذور حقوق الإنسان في حضارة وادي الرافدين، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، ع٥، كلية العلوم، مج٢، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١٠م، ص٢٦.

(٣٨) حكم حمورابي منذ ما يقارب ٤٢ سنة ١٧٩٢-١٧٥٠ق.م.

Woolley, I., All is etory of Bablon, New York. 1969. P.154; Hammurabias code, Think quest, retrieved on2, Nov, 2011.

(٣٩) هورست كلنغل، حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة: غازي شريف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص١٤٦.

البلاد بالعدل عليه احترام الكلمات التي كتبتها على مسلتي، المسيرة والطريق وحق البلاد الذي أعطيته وقرارات البلاد التي أصدرتها ترشده إليها هذه المسلة][٤٠].

كما ذكر أيضاً: [دع كل رجل مظلوم الذي له شكوى أن يذهب أمام تمثالي المسمى "ملك العدالة" ويقرأ مسلتي المكتوبة ويستمع إلى كلماتي عسى أن توضح له مسلتي الشكوى، عسى أن يرى القانون الذي ينطبق عليه"[٤١].

في الوقت الذي يبارك فيه حمورابي بمن يلتزم بتنفيذ القوانين بكلمات مختصرة، يوجه أيضاً جزء من الخاتمة لصب اللعنات للذي لا يحترم الشريعة ولا يحسن العمل بما جاء فيها[٤٢]. ويدعو عليه لتكون فترة حكمه مليئة بالشقاء والتعاسة والقحط وسنوات الجوع والظلام [الإحساس والإدراك ويؤدي به إلى النسيان وينضب الأنهار في منابعها ولا يعم الخير على هذه الأرض ولا تزدهر حياة الناس!]. [شماش إله الشمس والحق عساه يسقط مملكته عالياً تنزعه من الأحياء سافلاً في الأرض تحت الأموات يموت عطشاً وهو يلح في طلب الماء]. [إله القمر سين عساه يجعل أيامه وشهوره وسنوات حكمه يقضيها في شقاء وشكوى ويجعل قدره حياة في صراع مع الموت!][٤٣].

إنها لعنات مروعة ضد الذين لا يحترمون كلمات المسلة أو يحرقون مضمونها، وربما دفعت حمورابي لإصدار تلك اللعنات بسبب التجارب السلبية أثناء تنفيذ تعليماته وقراراته أثناء ممارسة وظيفته كملك، ولذا فقد مثلت هذه القوانين قيمة ما

---

(٤٠) هورست كلنغل، المرجع السابق، ص١٤٦.

(٤١) محمد عبد الغني البكري، دور الملك حمورابي في القضاء البابلي، آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع٥٩، الموصل، ٢٠١١م/١٤٣٢م، بدون ترقيم.

(٤٢) فلاح حمود البياتي، قيس الجنابي، روافد حقوق الإنسان في تاريخ العراق القديم، ص١٠.

(٤٣) هورست كلنغل، المرجع السابق، ص١٤٧. للمزيد انظر: مصطفى فاضل كريم الخفاجي، تاريخ القانون في المجتمعات القديمة (قانون حمورابي أنموذجاً)، ص٢٨١-٢٩٢.

وصلت إليه وحدة البلاد السياسية والحضارية، وتضمنت حصول الفرد على حقوقه من الحرية والمساواة والعدل، بما يليق بإنسانيته وكرامته وحقه في حياة كريمة.

(١-١) **العدل القانوني**: لقد مارس الملك القضاء بنفسه للحد من سلطة الكهنة وكان له قضاة يمثلونه يطلق عليهم "قضاة الملك" أو خادم حمورابي، دلالة على تبعيتهم للملك كما أعطى لكبار موظفي القصر صلاحيات قضائية واسعة(٤٤).

وتمثل العدل القانوني في عدة أمور منها:

أ) **السرقة**: اعتبرت السرقة جرماً خطيراً في بابل، فقد ميَّزت بين أنواع السرقة، ووضعت لكل نوع منها العقوبة المناسبة، فعاقب المشرع السارق بالقصاص(٤٥)، لكل من يسرق معبداً، أو قصراً، ومن يخفي المسروقات خاصة بالدولة(٤٦).

ومن مواد السرقة [٦، ٧، ٨] تتحدث عن سرقة الأموال المنقولة العائدة إلى القصر والمعبد، لما لها من أثر كبير وخطير على أمن ورفاهية الفرد والمجتمع، فتعني

---

(٤٤) محمد عبد الغني بكري، دور الملك حمورابي في القضاء البابلي، آداب الرافدين، ع٥٩، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١١م، بدون ترقيم.

(٤٥) نلاحظ أن قانون حمورابي وهو أشهر القوانين التي عاقبت بالقصاص، واتصف بالصرامة والقسوة، فشريعة حمورابي هي الوحيدة التي استخدمت مبدأ القصاص في كثير من موادها، كما اضطرت في أحيان كثيرة إلى استخدام مبدأ الغرامة في الحالات التي يعجز القصاص عنها، لأنها كانت عقوبة شائعة وارتبطت بوجود البشر تاريخياً حيث تنزل بفاعلي الجرائم الصغيرة والكبيرة والخارجين عن العادات والأصول والأعراف، وحيث كان المجتمع يطبق القانون الذي يلائم المصلحة الاجتماعية العامة كما يراها. بارعة القدسي، عقوبة الإعدام في القوانين الوضعية والشرائع السماوية، مجلة جامعة دمشق، مج١٩، ع٢، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٤-٨.

(٤٦) ذكرت قصة الاختلاس في رسالة أرسلها أحد الموظفين إلى موظف آخر يعلن فيها الكاتب أن سلطات المعبد قد فضحته وهو متهم بالاختلاس، فقد اختلس كمية من الشعير التي كان مسئولاً عنها، وأمرت سلطات المعبد أن يعيد المختلس الكمية التي اختلسها مع فوائدها. هاري ساغز، عظمة بابل، ترجمة: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان، الدار السورية الجديدة، دمشق، ص١٨٦.

السرقة في القوانين العراقية القديمة أنها اختلاس وشروع باختلاس مال منقول مملوك للغير بدون رضاه، أو تسلم مال مسروق، أو ابتياع أو بيع أو ادعاء ملكية مال لا يمكن إثبات ملكيته(٤٧).

وقد ساوى المشرع بين الموظف وغيره في حالة الاستيلاء على الأموال العامة **ورد ذلك في المادة ٦** : [إذا سرق سيد ثروة تعود للآلهة أو القصر فإنه يعدم كذلك يعدم من يتقبل المسروقات منه]. وكذلك في **المادة ٨**: [إذا سرق سيداً ثوراً أو شاة أو بعيراً أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً فإذا كان يعود للآلهة أو القصر فعليه أن يعطي ثلاثين مثلاً، أما إذا كان يعود إلى مسكين عليه أن يدفع عشرة أمثاله كاملة وإذا كان السارق ليس لديه التعويض فإنه يعدم](٤٨).

حدد المشرع عقوبة الموت للسارق ومن يتقبل المسروقات بنفس العقوبة كما ألزم التعويض عن سرقة الأشياء العينية أو الحيوانات إذا كانت للآلهة، أما إذا كانت لمسكين فيضاعف التعويض حتى يساوى بين المجتمع وينصر الضعفاء(٤٩).

بينما المواد [٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣] خاصة بحيازة الأموال المنقولة، كما تحتوي المادة ١٤ خاصة بسرقة ابن صغير لفرد ما عقوبتها الإعدام، ويبدو أن المشرع قد

---

(٤٧) عامر سليمان إبراهيم، السرقة في القانون العراقي القديم، مجلة آداب المستنصرية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ع٨، بغداد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٥٠٠؛ محمد عبدالغني البكري، عقوبة الموت في القوانين البابلية وأسلوب تنفيذها، ص٣٩٥.

(٤٨) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٢٥٠-٢٥١؛ En. Wikipedia.org/wiki/Hammurabi.

(٤٩) أحلام الجابري، جريمة الاستيلاء بغير حق على الأموال (دراسة مقارنة)، مجلة التشريع والقضاء، السنة٣، ع٢، ٢٠١١م، ص١-٢.

اعتبر الأطفال الصغار بحكم الأموال المنقولة، نص المادة ١٤ : [إذا اختطف رجلٌ طفلاً لرجل آخر سوف يعدم][٥٠].

ب) التعدي على الآخرين : كالضرب مثلاً من أهم الخصائص الهامة لأحكام شريعة حمورابي التي أثارت الإعجاب هي تكفل الدولة بالانتقام من المجني عليه وتتصدى للجريمة، وتعاقب الجاني على عدوانه في الوقت كانت المجتمعات بدائية قائمة على الثأر والانتقام وتطبيق مبدأ "تدرج العقوبات"[٥١] كما ورد في المادة ٢٠٦ [إذا ضرب رجل رجلاً في شجار وسبَّب له جرحاً، فعلى الرجل أن يُقسم: "لم أضربه متعمداً" وعليه (أيضاً) أن يدفع للطبيب أجرة معالجة المصاب].

وقد ورد في المادة ٢٠٧ : [فإذا مات الرجل من ضربه فعليه أن يؤدي اليمين (بخصوص عدم ضربه عمداً) فإن كان ابن رجل (حر) فعليه أن يدفع نصف المنا من الفضة[٥٢]][٥٣].

---

(٥٠) المادة ١٤ لم تأت بأحكام لها صلة بالسرقة؛ بل نصت على جريمة الاختطاف، وواضح أن السرقة شيء والاختطاف شيء آخر. فما الذي منع حمورابي من القول: إذا سرق؟ إن شريعة حمورابي لم تأت بأحكام عامة لجريمة السرقة، بل إنها تحدثت عن حالات وفرضيات خاصة. ياسر محمد عبدالله، جريمة السرقة في تاريخ القانون العراقي، دراسة تحليلية مقارنة، كلية القانون، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، مج١، ع٣، جامعة كركوك، كركوك، ٢٠١٢م، ص٢٠٢؛ عامر سليمان إبراهيم، السرقة في القانون العراقي القديم، ص٤٩٧-٥٠٠.

(٥١) تيسير فتوح حجة، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية، ط١، دار شمس للطباعة والنشر، رام الله، ٢٠٠٩م، ص١١-١٢.

(٥٢) ظهرت الفضة كبديل للنقود المعدنية كوحدة قياس متعارف عليها، واختلفت قيمتها عن قيمة المعادن الأخرى حسب الفترات والعهود المختلفة في العراق، فكانت عند السومريين بنسبة واحد من الفضة إلى ١٣٠ من النحاس [١:١٣٠]، وعند البابليين [١:١٤٠]، وعند الأشوريين قيمة الفضة مقابل الذهب. صباح اسطيعات كجة، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٢م، ص٤٢-٤٣.

(٥٣) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٥٦.

تطرق المشرع في هاتين المادتين إلى عقوبة الضرب بدون قصد بأن يدفع المعتدي أجرة طبيب الذي عالج من ضربه، لكن إذ مات المعتدى عليه فعليه أن يؤدي اليمين بأنه لم يقصد موته ويدفع تعويضاً له.

ج) الاتهام الباطل: ظهر في شريعة حمورابي ضمانات حق المتهم بالباطل[٥٤] ومن حقه المطالبة بالتعويض عند اتهامه بالباطل لحماية الناس من الافتراء والكذب فلا يلجأ أحدهم بالادعاء على آخر إلا إذ توافرت لديه الأدلة الكافية لإثبات الجرم كما نصت عليه المادة ١ : [إذا اتهم رجل رجلاً وألقى عليه تهمة القتل ولكنه لم يستطيع إثباتها فإن متهمه يعدم][٥٥].

مادة ٣ : [إذا أدلى سيد بشهادة كاذبة في دعوى ما ولم يثبت صحة الكلمات التي نطقها فإن كانت تلك الدعوى تتعلق بدعوى حياة فإن ذلك السيد يعدم][٥٦].

د) الدَّين: عرف حبس المدين عند القدماء العراقيين كضمان لحين سداد الديون المستحقة[٥٧]، وله أحكام قاسية جداً حتى حاولت شريعة حمورابي في إنصاف المدنيين

---

(٥٤) لم تخل الحضارة البابلية من بعض المسائل التي تتعارض مع ضمانات المتهم مثل تعذيب المتهم لانتزاع اعترافه أو استخدام أسلوب المحنة لتحديد كون المتهم بريئاً أو مذنباً، وهذا كان مبنياً على معتقدات المجتمع في تلك الفترة والتي لم تسلم من التأثر بالآلهة والأعراف التقليدية التي نشأت الحضارة عليها. سليمان حمد محمد الهوته، ضمانات المتهم أثناء المحاكمة، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الكويتي، رسالة ماجستير، الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥م، ص١٤؛
The code of Hammurabi, internet sacred text archive, Envinity publishing, INC, 2011, web.17, nov.2013.

(٥٥) فوزي رشيد، الشرائع العراقية، ص١١٩؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص٢٥٠.

(٥٦) سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ص٣٨.

(٥٧) عبد العزيز أمين عبد العزيز، العقوبات المشددة في حضارة العراق القديم، ص٢١٧.

إلى حد ما، على الرغم أنها هناك تمايز في الحقوق المدنية بين الأميلو والموشكنيو[٥٨] لكن لم تخل من الشدة وظلم المدين[٥٩].

ومن الأحكام ما ورد في المادة ١١٥ : [إذا كان لرجل حبوب أو فضة (كدين) عند رجل آخر واحتجز أحداً كفيلاً له ثم مات الكفيل موتاً طبيعياً في بيت محتجزه فإن هذه القضية لا تحتاج إلى إقامة دعوى].

مادة ١٧ : [إذا أخرج رجل[٦٠] بسبب حلول موعد استحقاق الدين وباع نتيجة ذلك زوجته أو ابنه أو ابنته مقابل نقوده، أو أنه وضعهم تحت عبوديته دائنه فعليهم أن يعملوا في بيت من اشتراهم أو استعبدهم ثلاث سنوات، وتعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة]. أشار المشرع بأنه لا يحق للدائن المطالبة بدينه عند موت مدينه ولا يجوز قتله إلا أنه أجاز استرقاق الأشخاص الذين يتبعونه وبيعهم وسلبهم حريتهم لفترة ما[٦١]، والحد الأقصى تقريباً لاسترقاق المدين ثلاث سنوات بسبب عدم وفاء الدين، فهي

---

(٥٨) لقد وضع الباحثون في ذلك عدة افتراضات، ويذكر الأكاديمي ستروفيه بأن الأميلو مواطني بلاد بابل المتمتعين بجميع الحقوق المدنية، بينما كلمة موشكيو تعني: السكان الأحرار لسومر وأكاد. بينما يرى دياكونوف الأميلو هو عضو المشاعبة، في حين أن الموشكنيو مزارع في أرض الملك استعبد نتيجة الفرائض والأتاوات، وتتدرج في طبقتي الأميلو والموشكينو فئات عديدة من المواطنين الأحرار منهم: أعضاء المشاعبات، الزراع الملكيون والمحاربون، والحرفيون، والتامكاروم، والكهنة الارستقراطية العليا. برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، ص٢٨٠.

(٥٩) مبارك محمد عبد المحسن ظافر، حبس المدين طريقاً من طرق التنفيذ الجبري، (دراسة في القانون الكويتي)، رسالة ماجستير، قسم القانون الخاص، جامعة الشرق الأوسط، كلية الحقوق، الأردن، ٢٠١٢م، ص٢٤.

(٦٠) يقصد بالرجل من طبقة العامة الموشكينو والذين يتألفون من فقراء الأحرار ومن الأرقاء الذين تحرروا وأبناء الرجال الأحرار الذين تزوجوا بإماء. برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص٢٧٩.

(٦١) يعني السماح برهن أفراد الأسرة، ولذا فإن ثراء الدولة وكبار الملاك لم يقترن بالضرورة برخاء عام تستفيد منه الطبقات العادية، وهو ما سوف يظهر أكثر وضوحاً فيما بعد في التشريعات الأشورية. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤م، ص٧٠٤.

عبودية تُفرض على الشخص البابلي المستدين نتيجة الجريمة أو مخالفة ارتكبها لكن هذه العبودية لا تلازمه مدى الحياة لأنها عبودية مؤقتة[٦٢]، كما هي نوع من أنواع التضامن الأسري[٦٣]. ويدفع إلى الاستدانة لأجل العيش والبحث عن مصادر للحفاظ على حياته مضطراً إلى الاستدانة كمثل أدوات الإنتاج البذر، الفضة وغيرها من الأغنياء ولهذا فإن عدم التزامه بالسداد يفقده ممتلكاته وأسرته. كما سمح المشرع للمدين أن يسترد دينه بمال آخر وبأي بضاعة أخرى ليس من جنس الدين بحيث تكون قيمته مساوية بأي بضاعة أخرى حتى لا يضطر المدين إلى بيع أملاكه بثمن بخس.

(٢-١) العدل الأسري:

اهتم المشرع بالأسرة العراقية من خلال مجموعة من النصوص والمواد القانونية التي تحافظ على استقرارها وحمايتها، وتطبيق العدل في كثير من الجوانب الحياتية ومنها:

أ) **الزواج** : كان نظام العائلة في العراق القديم أبوياً فالرجل سيد الأسرة وبيده حق عقد الزواج أو إلغائه، وذلك لأن الأب أو الأخ قد يكونا أفضل اختيار للزوج بسبب معرفتهم بالرجال واختلاطهم بهم، أو لصغر سن الفتاة التي ليس لها دراية تامة بالرجل الذي سوف تتزوجه[٦٤].

ولذا فيمثل عقد الزواج رابطة شرعية وفق عقد أو اتفاق رضائي ومُشهد عليه ليصبحا زوجاً وزوجة، حيث لم يعترف العراقيون القدماء بأي زواج ما لم يكن مدوناً وفق عقد أو اتفاق، كما نصت عليه المادة ١٢٨ : [إذا اتخذ رجل زوجة (له) ولم يدون عقدها (أي عقد الزواج) فإن هذه المرأة ليست زوجة (شرعية)].

---

(٦٢) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص٧٣.

(٦٣) صوفي أبو طالب، المرجع السابق ، ص٢٢٧.

(٦٤) ياسين محمد حسين، جذور حقوق الإنسان في حضارة وادي الرافدين، ص٢١-٢٢.

يشتمل الزواج العدل إلى عدة أسس، منها:

أ) **المهر**: يمثل المهر الضمان الحياتي للمرأة إذ يعود بعد وفاتها إلى أولادها حتى وإن كانوا من أزواج مختلفين، ويحق للمرأة استرجاع مهرها عند طلاقها، كما نصت عليه القوانين إلا في حالة واحدة(٦٥).

كما نصت عليه المادة ١٣٨: [إذا أراد رجل أن يطلق زوجته التي لم تلد أولاداً فعليه أن يعوضها نقوداً بقدر مهرها ويسلمها الهدية التي جلبتها من بيت أبيها ثم يطلقها](٦٦).

ورد في المادة ١٣٩: [إذا لا يوجد مهر فعليه أن يدفع لها من الصداق مانا من الفضة].

ب) هدايا الخطوبة: أثبت المشرع حمورابي حق الزوجة في المال والهدايا التي يقدمها الزوج عند الخطبة لأنها تعتبر الاتفاق المبدئي لإتمام الزواج، إلا عندما ينفض الاتفاق بين الزوج ووالد الزوجة فأي منهما ينقض الاتفاق يتحمل الخسارة المادية عند العدول عن الزواج(٦٧) فذلك يخالف آداب الخطبة(٦٨) ويجرح مشاعر الابنة(٦٩).

---

(٦٥) في حالة سوء تصرف الزوجة وضياعها لشرف زوجها فلا يحق لها الصداق.

(٦٦) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٤٣؛
Eawc. Evansville. Edu/anthology/Hammurabi. htm

(٦٧) يظهر أن الزواج كان يتم مقابل دفع مبلغ من المال، أي هو أقرب إلى طبيعة البيع والشراء، وهذا ما كان سائداً في العهد السومري والأكدي فلا تتم موافقة والد الزوجة إلا بعد استلامه بعض الأشياء التي لها قيمة أو نقود مقابل إعطائه ابنته، إذ أن هدية الزواج تمثل ركناً مهماً عن عقد الزواج، ويكون لهذه الهدية ما يشبه البيع بل من المحتمل أن هذه من إجراءات الزواج بين الرجل والمرأة، فهي تعني التعويض المالي لوالد الفتاة مقابل تنازله عن ابنته، فالمعنى مجازي لا يشير إلى عملية البيع الصريح، وأن هذه الهدايا لم تكن ثابتة دائماً فيحتمل عدم ورودها في عقد الزواج. صباح جاسم حمادي، الجذور التاريخية لنظام الزواج في وادي الرافدين، ص١١٥.

(٦٨) يبدو أن مراسيم الخطوبة لم تكن ذات صفة رسمية بل كانت تكتفي باتفاق والدي الفتاة مع والدي الفتى على الخطبة شفوياً دون الحاجة إلى تثبيت ذلك في عقد مكتوب، وتعتبر الخطبة رسمية ومنتهية متى قدم الخطيب هدايا الزواج إلى بيت حماه، حيث يلزم بعدها كل من الخطيب والخطيبة باتفاقهما على الزواج. عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٥٧.

(٦٩) سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، ص١٠٥.

في حالة يكون الرفض من جانب الزوج كما ورد في المادة ١٥٩ : [إذا جلب رجل هدية الخطوبة إلى بيت عمه وأعطى المهر ونظر بعدئذٍ إلى امرأة ثانية وقال لعمه : "لن أتزوج ابنتك" فلوالد الفتاة أن يأخذ كل شيء كان قد جلبه إليه][٧٠].

أما إذا كان والد الفتاة هو الذي عدل عن إتمام الزواج فيخسر ضعف الهدية ويعيده إلى الخطيب مضاعفاً[٧١]. كما نصت عليه المادة ١٦٠ : [إذا كان سيد قد جلب إلى بيت عمه هدايا (النيشان) وأعطى المهر ثم يقول والد البنت "لا أريد أن أعطيك ابنتي"، فيجب عليه أن يعيد له كل ما أهداه له ضعفين][٧٢].

ج) **تعدد الزوجات**: وقد نصت عليه المادة ١٤٦ : [إذا سيد تزوج زوجة وأعطت لزوجها جارية فولدت أولاداً فإن هذه الجارية تتساوى بعد ذلك مع سيدتها لأنها ولدت أولاداً ولا يجوز لسيدتها أن تبيعها بالفضة أو تضعها في السلاسل أو تعدها من الأمات][٧٣].

د) **توزيع ثروة الأب** : اتسمت أحكام الإرث بالدقة والعدل فالقاعدة الأساسية التي أشارت لها القوانين هي أن أموال المتوفى تؤول إلى أولاده الذكور بالتساوي دون الإناث[٧٤].

---

(٧٠) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٤٦.

(٧١) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٥٧.

(٧٢) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٤٦؛ سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، ص١٠٥.

(٧٣) سهيل قاشا، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٧٤) حُرمت المرأة من الإرث لاعتقادهم أن الأولاد هم الذين يعتبرون امتداداً لشخصية والدهم المتوفي، وهم الذين يقيمون الشعائر والطقوس الدينية وفق ديانتهم، إضافة إلى أن المهر الذي يدفع للبنت أثناء زواجها يعوضها عن حرمانها من الميراث من أموال أبيها المتوفى. ياسين محمد حسين، جذور حقوق الإنسان في حضارة وادي الرافدين، ص٢٤-٢٥.

والوارث في قانون حمورابي يعتبر خلفا عاماً للمورث يخلفه في حقوقه والتزاماته وقيادة الأسرة فهو يعتبر امتداداً لشخصية المورث وهذه الخلافة تقرر بحكم القانون(٧٥).

كما نصت عليه المادة ١٦٥ : [إذا أهدى رجلاً حقلاً أو بستاناً أو بيتاً لابنه المفضل في نظره وكتب له بذلك رقيماً مختوماً فعندما يقتسم الإخوة "التركة" بعد ذهاب الوالد إلى أجله، عليه أن يأخذ الهدية التي أعطاها إياه والده، بالإضافة إلى ذلك عليهم أن يتقاسموا أموال بيت الوالد بالتساوي](٧٦).

فالأصل هو تقسيم التركة بين أولاد المتوفى من الذكور بالتساوي، فهم تابعين لشخصية الأب، وملتزمين بعبادة الأسلاف، وهي القاعدة التي سار عليها قانون حمورابي، خلافاً لكثير من الشرائع القديمة.

وللأب مسؤولية في تزويج أبنائه واستقرارهم ولذا فإنه في حالة وفاته يترك للابن الذي لم يتزوج قدراً من المال كمهر من تركة الأب المتوفى بشرط تسجيل تلك الهبة تسجيلاً رسمياً على لوح مختوم(٧٧) ويعطى ذلك المال قبل توزيع التركة كما جاء في مادة ١٦٦ [إذا أخذ رجل زوجات للأولاد الذين رزق بهم، ولكنه لم يأخذ لابنه الصغير زوجة، فعندما يقتسم الأخوة (التركة) بعد ذهاب الوالد إلى أجله، عليهم أن يخرجوا لأخيهم الصغير الذي لم يسبق له أن

(٧٥) صوفي حسن أبو طالب، المرجع السابق ، ص٢٢٧.

(٧٦) صوفي حسن أبو طالب، المرجع السابق، ص٢٢٧.

(٧٧) عبد العزيز أمين عبد العزيز، قوانين الأسرة في بلاد النهرين، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ع١١، ١٩٩٤م، ص١٦٦.

أخذ زوجة نقوداً مهر الزواج ويعطوها له بالإضافة إلى حصته ويمكنونه من أخذ زوجة][٧٨].

كما أقر المشرع حق أولاد الأمة في الإرث مساوياً لأولاد الحرة ورد ذكره في المادة ١٧٠ [إذا زوجة سيد ولدت له أولاداً وأمته ولدت له أولاداً، وقال الأب أثناء حياته إلى الأولاد الذين ولدتهم له الأمة (يا أولادي) واعتبرهم كأولاد الزوجة وأولاد الأمة يقتسمون تركة بيت الأب بالتساوي][٧٩].

وحرص المشرع أيضاً على حماية الأبناء من تحكم وظلم الآباء[٨٠] عندما يحاول أحدهم حرمان أحد أبنائه من الإرث لسبب ما[٨١]، وقد اتضح ذلك في مادة ١٦٨ [إذا قرر رجل أن يحرم ابنه من الإرث وقال للقضاة: "أريد أن أحرم ابني من الإرث" فعلى القضاة أن يدرسوا (سلوكه) فإذا لم يقترف الابن إثماً كبيراً يستوجب حرمانه من الإرث فلا يحق للوالد حرمان ابنه من الإرث][٨٢].

---

(٧٨) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٤٨.

(٧٩) سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، ص١٠٧.

(٨٠) لأنه قبل حمورابي كان لرب الأسرة أن يهب ما يشاء على حساب أولاده، بل كان له الحق بأن يجردهم تماماً من حقوقهم من الميراث، وقد جاء في إحدى الشرائع: "إذا أحدهم قال له أبوه وأمه: لم تعد ابناً لنا بعد الآن، فليرحل عن المدينة" وقد بقي الحال حتى أيام الملك سن – موبليت لكن بعد إعلان الشرع الجديد لحمورابي تحتم اللجوء إلى القضاء لتحريم الولد بما يستحق لأجله حرمانه من حق الوراثة. سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، ص١٤٣.

(٨١) يعتبر حجب الإرث من أشد العقوبات التي يوقعها الأب بأحد أبنائه، فإن مثل هذا القرار لم يكن اعتباطياً يستطيع الرجل اتخاذه متى يشاء، فلربما في ساعة غضب أو تحت تأثير إحدى زوجاته وما إلى الأسباب، وإنما يجب أن تثبت الأسباب الموجبة أمام محكمة واستصدار أمر منها بالموافقة على قرار الأب بحجب الإرث عن واحد أو أكثر من الورثة، فالإرث حق مكتسب بالولادة. رضا جواد الهاشمي، القانون والأحوال الشخصية، ص١٠٢.

(٨٢) نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق ، ص١٩٥؛ فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٤٨.

وهـذا مـا يتوافـق مـع الشـريعة الإسـلامية في أن الإرث حـقٌ لجميـع أولاد المتوفى، ولا يحق لوالد حرمان أحد أبنائه من الإرث.

ولكن ألزم المشرع الأب أن يعفو عن ابنه العاق للمرة الأولى حتى لا يخسر الإرث كمـا نصـت عليـه المـادة ١٦٩ : [إذا اقـترف (الابـن) إثمـاً كـبيراً يسـتوجب حرمانه من الإرث عليهم أن يعفـو عنـه لأول مـرة، وإذا اقـترف إثمـاً كـبيراً للمـرة الثانية يحق للوالد أن يحـرم ابنـه مـن الإرث][٨٣]. لما يمثلـه الحرمـان مـن الميراث مـن عقاب شديد يترتب عليه الشيء الكثير من المساوئ، وقـد اسـتحدثت هـذه المـواد لتلائم طبيعة العصر، وطبيعة مشاكله.

هـ) توزيع ثروة الأم: أقر المشرع الحق أن يقتسم الأبناء سواء من رجـل أول أو ثانٍ تركة (جهازها) والدتهم عند وفاتها كما نصت عليه المادة ١٧٣ [إذا ولدت هذه المرأة لزوجها الأخير أولاداً في المكان الذي دخلته وبعد حين تموت هذه المرأة فإن جهازها يقسم بين أولادها السابقين والآخرين][٨٤].

(٣-١) العدل الاقتصادي:

عالج المشرع اقتصاد البلاد من خلال توفير مصادر دخـل لكـثير مـن الأفـراد والمواطنين، وقد تمثل ذلك في:

أ) **الجيش** : اعتبر الجيش من العوامل المؤثرة على اقتصـاد البـلاد، فإقطـاع الجند في بابل كان وسيلة فعالـة في حسـن اسـتغلال أراضـي الدولـة حيـث يمنحـون

(٨٣) فـوزي رشـيد، الشـرائع العراقيـة القديمـة، ص١٤١؛ علـي شـفيق الصـالح، شـريعة حمـورابي، إنجـاز حضـاري وأحكام متميزة، المؤتمر، ع٢٩٨٣، ٢٠١٤م، ص١-٥.

(٨٤) سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، ص١٠٩.

مقابل الخدمة العسكرية أراضٍ زراعية[٨٥] تسمى "هبة الألكوم" أو "ألك" كراتب لهم على خدمتهم في الجيش، ويستلمون أيضاً الحبوب، والماشية من الملك مقابل تقديمهم خدمات بالمجال العسكري، وفي مقدمتهم أفراد القوات المسلحة الريدوم - البائيرم وليس لهم الحق في بيعها وإنما تحويل حيازتها لشخص آخر في حالة رفض الأول الإيفاء بخدماته العسكرية أو هرب من الخدمة[٨٦].

وقد نصت المادة ٢٧ على ذلك: [إذا أسر جندي أو سماك[٨٧] في أثناء الخدمة المسلحة للملك وبعد ذلك (أي أثناء غيابه) أعطوا حقله وبستانه لرجل آخر وأوفى (الرجل الآخر) ما عليه من الالتزامات الإقطاعية، فإذا عاد (الجندي

---

(٨٥) وهي نوعان: الأول: البساتين، كيروم، التي تشمل الحدائق والبساتين الخاصة بزراعة النخيل وأنواع مختلفة من أشجار الفاكهة. والثاني: الأراضي الصالحة للزراعة، الأراضي المتروكة (البوار). عاصي حسين العجيلي، الملكية الزراعية في شريعة حمورابي، مجلة تكريت للعلوم القانونية والسياحية، ع٢، مج١، تكريت، ٢٠٠٩م، ص١٧٨.

(٨٦) جورج رو، المرجع السابق، ص٢٨٠.

(٨٧) ورد في قانون حمورابي ذكر لبعض أصناف القوات المسلحة التي تعمل في خدمة الملك ومنها صنف "ريدوم" التي تترجم بالجندي، وصنف وصف بكلمة "بائيرم" التي تترجم حرفيا بالسماك أو القناص، ويظهر من الأعمال التي يقوم بها الصنف الأول إنه أشبه بأحد أفراد شرطة الدرك أو الشرطة السيارة، أما الصف الثاني "القناص" فإن المعلومات المتوفرة لدينا لا تسمح بإعطاء فكرة واضحة عنها غير أن اشتقاق الكلمة وعلاقتها بالصيد والصيادين يشير أن هذا الصنف من أفراد القوات المسلحة أشبه بالقناصة المسلحة البحرية في العصور الحديثة وإنهم يستخدموا الشباك لصيد الأعداء، وهؤلاء لهم التزامات محددة أمام الدولة تعرف في اللغة الأكدية ايلكو مقابل إشغالهم أراضٍ زراعية مملوكة للدولة، وكان من بين الالتزامات على ما يبدو وتطوعهم للخدمة في صفوف القوات المسلحة. عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٣٣؛ ابتهال عادل إبراهيم، محمد نامق محمود، الأسرى والقانون في العراق القديم (دراسة تاريخية)، مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل، مج١١، ع٢، الموصل، ٢٠١١م، ص١٥٣-١٥٤.

أو السماك) ووصل بلدته ، فعليهم أن يعيدوا له حقله وبستانه ، وعليه أن يمارس حقوقه الإقطاعية][٨٨].

وضمن المشرع أيضاً على حقوق أسرى الحرب وحقوق أفراد القوات المسلحة ومصالحهم فيما يتعلق بالأراضي الممنوحة لهم، ولذا في حالة الأسر فإن ممتلكاته (حقله أو بستانه) تعطى لشخص آخر يقوم بتأدية التزاماته الإقطاعية فإذا عاد إلى مدينته يعاد له حقله وبستانه[٨٩].

وجاء في نص مادة ٢٨ : [إذا أسر جندي أو سماك في أثناء الخدمة المسلحة للملك، وكان ابنه قادراً على القيام بالالتزامات الإقطاعية، فعليهم أن يعطوه الحقل والبستان وعليه أن يمارس حقوق والده الإقطاعية].

وتبين أن الأراضي الممنوحة للجندي يبدو أنها لا تباع ولا تحجر ولا يتم رهنها أثناء وقوع صاحبها في الأسر وإنما يتم انتقالها للورثة القادرين على الإيفاء بالالتزامات تجاه الدولة، ولذا سمح المشرع حمورابي بإبقاء الأرض في عهدته وفي عهدة ذوي الأسير من أجل توفير مورد معيشي يضمن تربية ابن الجندي وتنشئه حتى يرث مهنة أبيه[٩٠].

---

(٨٨) نبيلة عبد الحليم، المرجع السابق ، ص١٩٣.

(٨٩) من الانتهاك لحقوق الأفراد قبل شريعة حمورابي أن الأسرى لا يطالبون بحقوقهم حيث يبقون عبيداً لدى آسريهم. ياسين محمد حسين، جذور حقوق الإنسان في حضارة وادي الرافدين، ص٢١.

(٩٠) ابتهال عادل إبراهيم، محمد نامق محمود، الأسرى والقانون في العراق القديم، ص١٥٥.

وجاء في نص مادة ٣٢ : [إذا أسر جندي أو سماك في أثناء حملة للملك واعتقه تاجر[٩١] وأوصله إلى بلدته فإذا كان في بيته (من الأموال) ما تكفي لعتق (نفسه) فعليه أن يعتق نفسه وإذا كان لا يوجد في بيته ما يكفي لعتق (نفسه) فيعتق من قبل بيت اله بلدته وإذا كان لا يوجد في بيت إله بلدته ما يكفي لعتقه، فعلى القصر إن يعتقه ولا يجوز أن يعطي حقله وبستانه مقابل عتقه].

ألزم المشرع الدولة أو الملك بإعتاق الأسير وإرجاع الحقل والبستان له وعدم أخذ أملاكه نظير إعتاقه، وهذا يدل على اهتمام الملك وحرصه على تأمين حرية الأسرى من خلال تسهيل كل ما يتعلق بعملية فدائهم وتسهيل عملية اعتقاهم وللحيلولة دون انتقال ملكية أراضي الملك إلى أياد أخرى حيث يعوض التاجر عن النفقات التي أنفقها في الفداء، إما من قبل الشخص نفسه أو يدفعها القصر[٩٢]، كما أنها تلقى الضوء على ما وصلت إليه الذهنية العراقية القديمة من تقدم ونضج في مجال التأمين على حياة الأفراد وحريتهم بصورة خاصة على حرية أفراد القوات المسلحة[٩٣].

---

(٩١) يبدو أنه كان للتجار دور كبير في كل ما يتعلق بفداء الأسرى من الجند، وذلك بسبب تنقلهم من بلد إلى آخر بشكل رسمي وقيامهم بالتوسط في عمليات فداء الأسرى كان يدر أرباحاً جيدة، ولذا حقق التجار غنى وشهرة لأنه يدرك اهتمام الدولة بهذه العملية وأن ما سيدفعه من أموال في فداء الأسرى وعتقهم ستكون مضمونة، إذ سترد إليه أمواله إما من ذوي الأسير أو المعبد أو من القصر. ابتهال عادل إبراهيم، محمد نامق محمود، المرجع السابق ، ص١٥٧.

(٩٢) هورست كلنغل، المرجع السابق ، ص١٥٤-١٥٥؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص٢٤٩.

(٩٣) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٣٥.

ب) القرض: أصبح من المقومات الضرورية للنظام الاقتصادي بعد توسع نظام القروض[٩٤] في العصر البابلي، ولم يكن له دور سلبي أو عواقب اجتماعية؛ بل ساهم في إنجازات كبيرة، وتخلص من صعوبات كثيرة، وكانت أغلب مواد القروض الرئيسية هي في الغالب: الفضة، الشعير، مواد عينية، كالصوف، والسمسم، والماعز، والذهب في حالات نادرة[٩٥].

كما ورد في نص مادة ٤٩: [إذا اقترض رجل مالاً من تاجر وأعطى إلى التاجر حقلاً جاهزاً لإنتاج الشعير والسمسم وقال له (التاجر) ازرع الحقل واجمع (واحصد) وخذ الشعير والسمسم الناتج فإذا أنتج الفلاح الذي استأجره التاجر (لزراعة الحقل) شعيراً أو سمسماً، ففي وقت الحصاد يستلم صاحب الحقل الشعير أو السمسم الناتج، وعليه أن يعطي إلى التاجر حباً مقابل النقود التي استلمها منه (أي التي اقترضها) وعليه كذلك أن يعطيه تكاليف الزرع].

ظهر نظام بما يعرف (إنجاز خدمات مقابل الأرض)[٩٦] ويقوم على إعطاء الأرض مقابل إنجاز أعمال خدمية (تعرف بالمزارعة والأجر). وقد شرح المشرع كيفية دفع (القرض) فإذا أقرض رجل مالاً من تاجر ونظير لذلك أعطى الفلاح الأرض للتاجر ليقوم بزراعته فعليه أن يزرع ويسلم صاحب الحقل ما أنتجه حقله ليقوم ببيعه ثم يعطي ما اقترض من مال إلى التاجر، وعبر المشرع بكل وضوح عن مصالح ملاك

---

(٩٤) عرف في بابل عقد القرض الاستهلاكي، وعقد القرض للاستعمال أو الإعارة، ويقتضي العرف البابلي أن يكون عقد القرض مكتوباً يتحدد فيه مبلغ القرض، أو مقداره والأجل الواقف، وأطراف عقد القرض، ومحل أداء القرض. منذر الفضل، تأريخ القانون، منشورات دار نارس، ط٢، أربيل، ٢٠٠٥م، ص٧٨.

(٩٥) هورست كلنغل، المرجع السابق، ص١٦٤-١٦٥.

(٩٦) هورست كلنغل، المرجع السابق، ص١١٢.

الأراضي[٩٧]، ولحماية المالكين من استغلال غير المالكين واستغلال المالكين للمستأجرين وصغار المزارعين[٩٨].

كما ورد في نص مادة ٦٠ : [إذا أعطى رجل حقلاً لبستاني ليحوله إلى بستان وزرع البستاني البستان فعليه أن يرعي (ينمي أشجار) البستان لمدة أربع سنوات وفي السنة الخامسة يقوم صاحب البستان باقتسام (محصول البستان) بالتساوي، ولصاحب البستان أن يختار بنفسه نصيبه]. مؤكداً على العدالة في القسمة بين أطراف العملية الاقتصادية سواء أكان متفقاً عليها أم متنازعاً عليها، وهي ما تعرف بالمزارعة بالنصيب[٩٩].

كما ورد في نص مادة ٦٤ : [إذا أعطى رجل بستانه لبستاني لتلقيحه، فعلى البستاني ما دام الحقل بيده أن يعطي لصاحب البستان ثلثي محصول البستان ويستلم هو الثلث][١٠٠]. إن أعطى مالك البستان جاهزاً لبستاني لتلقيحه فعلى البستاني أن يدفع ثلثي الناتج إلى مالك البستان ويحتفظ بالباقي له[١٠١].

---

(٩٧) اتسعت أملاك الدولة في العهد البابلي القديم وأصبحت جميع الأراضي ملكاً للقصر الملكي وهي على ثلاثة أصناف: الأراضي الملكية الخاصة، الأراضي الملكية المقطعة أو الموزعة التي تقطع للأفراد مقابل خدمات معينة، الأراضي المؤجرة التي كانت تؤجر إلى الفلاحين مقابل أجرة مقطوعة أو حصة من الغلة الناتجة. عامر سليمان، أحمد مالك الفتينان، محاضرات من التاريخ القديم، موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا وبلاد اليونان والرومان، بغداد، ١٩٧٨م، ص١٢٩.

(٩٨) برهان الدين دلو، المرجع السابق ، ص٢٦٧.

(٩٩) منذر الفضل، المرجع السابق ، ص٧٧.

(١٠٠) حسن فاضل، المرجع السابق ، ص٤٢٣-٤٢٥.

(١٠١) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢١٤-٢٤٢. للمزيد انظر: ياسر هاشم حسين، العلاقة بين الفلاح وصاحب الأرض الزراعية في ضوء قانون حمورابي، مجلة التربية والعلم، مج١٢، ع٦، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٥م، ص١٧٧-١٨٥

ج) العدل التجاري:

نبه المشرع من خلال بعض النصوص إلى احترام العمل المشترك التجاري واحترام العقود المبرمة فيما بين الشركاء، ولهما أن يتحملا الربح والخسارة معاً كما نصت عليه النصوص ففي نص مادة ع: [إذا أقرض تاجر حبوباً أو فضة بفائض، ولكن (قرضه كان) بلا شهود ولا عقد فإنه يخسر كل ما أقرضه][١٠٢].

كما نص المشرع على احترام العقود وعدم النكث بها كما نصت عليه المادة (ك) [إذا آجر رجل داراً لرجل لمدة سنة واحدة، والمؤجر قد دفع لصاحب الدار الإيجار كاملاً حسب العقد ولمدة سنة واحدة فإذا طلب صاحب الدار من المؤجر أن يخلي (الدار) قبل الموعد (أي قبل انتهاء السنة) فعلى صاحب الدار لكونه قد طلب من المؤجر أن يخلي الدار قبل الموعد أن يخسر النقود التي دفعها المستأجر له][١٠٣]. فإذا لم يكن بينهما عقد مبرم بين الطرفين أو شاهد فستدخل الآلهة لإحقاق الحق ورفع الظلم كما في مادة (س) [إذا أعطى رجل رجلاً آخر نقوداً (لعمل) مشترك فعليهما أن يقتسما بالتساوي الربح أو الخسارة أمام الإله].

ثانياً: القيم الإنسانية

(١-٢) العفة:

أخذت العفة مكانة هامة في فكر العراقيين القدماء وفي أساطيرهم ونصوصهم وأمثالهم وشرائعهم القانونية فهي تحفظ النفس وترفعها عن الرذيلة والفحشاء خاصة بين الرجال والنساء واقتصار العلاقة بينهما في حدود الشرع والقانون.

---

(١٠٢) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٣٤.

(١٠٣) حسن فاضل، المرجع السابق، ص٤٢٥.

ويذكر الأستاذ ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة ما يلي: "إن أهم مهمة تقوم بها الأخلاق هي دائماً تنظيم العلاقات الجنسية لأن الغريزة الجنسية تخلق مشكلات قبل الزواج وبعد الزواج وإبان الزواج وهي تهدد في كل لحظة بأحداث الاضطراب في النظام الاجتماعي لإلمامها وشدتها وازدرائها للقانون وانحرافها عن جادة الطبيعة"(١٠٤).

وفي الواقع أن شرائع العراق القديم عامة وقانون حمورابي بالأخص لم يغير من واقع العلاقات الجنسية القائمة في المجتمع العراقي القديم آنذاك وإنما عمل على تعديلها وتنظيمها بالشكل الذي يحافظ فيه على كرامة الإنسان وحقوقه وأمنه وراحته وسلامته ولذا شدَّد المشرِّع حمورابي على أن تكون العلاقة الزوجية علاقة قائمة على الثقة والشرعية والاحترام. فإلصاق التهم بأي منهما واتهامهم بالزنا بدليل أو بدون دليل وهو ما يعرف بقذف المحصنات الذي يقصد به العفة عن الزنا. فعاقب المشرع قاذف المحصنات من النساء، وعدَّ الكاهنات المتزوجات من حرائر النساء من المحصنات، وعوقب من يتهمهن بالزنا بالجلد علناً(١٠٥) مع عقوبة تبعية وهي حلق نصف شعر رأسه للتشهير به وليكون عبرة لغيره(١٠٦).

(١٠٤) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، ج١، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٧٦.

(١٠٥) يبدو أن الغاية من الجلد أمام القضاة ثم حلق نصف شعر الرأس هي طريقة خاصة بالعبيد للتشهير بالقاذف الكاذب وليس إيلامه جسدياً مع أنه لم يشر في النص على عدد الجلدات التي يجلد بها الجاني بل ترك ذلك إلى تقدير القضاة. عامر سليمان، قذف المحصنات، موسوعة القانون في العراق القديم، مج٢، الإصدار١، كلية الآثار، جامعة الموصل، بغداد، ٢٠١٣م، ص١٧.

(١٠٦) عامر سليمان، قذف المحصنات، ص١٧.

وقد نص أحد مواد قانون حمورابي في مادة ١٢٧ إلى ذلك: [إذا تسبب رجل في أن يشار بالإصبع إلى كاهنة الاينتوم أو على زوجة رجل[١٠٧] ولكنه لم يثبت "اتهامه" فعليهم أن يجلدوا هذا الرجل أمام القضاة ويحلقوا نصف شعر رأسه][١٠٨].

ويقصد من ذلك تنظيم المجتمع بصورة صحيحة وللحد من ارتكاب الجرائم كالزنا فزنا الرجل يعد من النزوات التي يمكن الصفح عنها[١٠٩].

أما زنا الزوجة فكان عقابها الإعدام[١١٠].

(٢-٢) العلاقات بين بين الرجل والمرأة والعقوبات المترتبة عليها ، كما يلي:

أ) العلاقات المحرمة: وهو ما يعرف بالخيانة الزوجية، فهي جريمة مخلة بالشرف، وكانت عقوبتها قديماً الإعدام حفاظاً على ثبات الأسرة من الانهيار[١١١].

---

(١٠٧) يقصد بزوج رجل أيه امرأة من طبقة الأحرار متزوجة؛ حيث تضم طبقة الأحرار يسمى الواحد منها أويل أو مسكين، ويبدو أنه لم يكن هناك عقوبة على قذف النساء المتزوجات أو الفتيات اللاتي هن من غير الكاهنات بهذه العقوبة طالما خصصت المادة الكاهنات من صنف اينت فقط، والنساء من طبقة الأحرار، أما الإماء فلم يكن قذفهن يعد جريمة أو تجاوز عليهن طالما كن مُلكاً لأشخاص معينين، كان يحق لمالك الأمة أن يعاشرها متى شاء، أو يسمح بأن يعاشرها غيره من أفراد الأسرة. عامر سليمان، قذف المحصنات، ص١٧.

Driver and miles, The Assyrian Laws, oxford, 1935, P.65.ff.

(١٠٨) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٤١.

(١٠٩) كان زنا الزوج غير معاقب عليه إلا في حالة واحدة وهي اغتصاب امرأة مخطوبة ومتزوجة وبدون رضاها كما تنص عليه المادة ١٣٠ إذ توضح عقوبة الإعدام صراحة على من يعتدي على امرأة غير متزوجة. سعيدي سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر ٢٠٥٠-٢٣٢ق.م، ص٨٨.

(١١٠) أميمة محمد الحسن النقي، حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان، السودان، ٢٠١١م، ص٤.

(١١١) عبدالعزيز أمين عبدالعزيز، العقوبات المشددة في حضارة العراق القديم، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم، ع١، السنة١، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠١٠م، ص٢١٤؛

The code of Hammurabi, in Mesopotamia: Writing, Reasoning and the codes, (The university of Chicago. 1992). Pp.156-184.

وقد ورد من النصوص ما يلي: مادة ١٢٩ : [إذا ضبطت زوجة رجل مضطجعة مع رجل آخر فعليهم أن يربطوهما معا ويرموهما في الماء، فإذا رغب الزوج في الإبقاء على حياة زوجته، فالملك يبقي على حياة خادمة (أي الرجل الآخر)].

في هذا النص يعاقب الرجل والمرأة بعقوبة واحدة لأنهما اشتركا في جريمة الزنا وهما متعانقين فيواجهان نفس المصير على مبدأ العقوبة من جنس العمل، إلا إذا عفا الزوج فحينئذٍ يعفو الملك عن الرجل. وهذا يعني ارتباط العقوبة بعفو الزوج عن زوجته، ويعتقد أن هذا الإجراء من بقايا مبدأ الأخذ بالثأر الذي كان معمولاً به في الفترات السابقة[١١٢].

ورد في المادة ١٤١: [إذا عزمت زوجة رجل أن تعيش في بيت رجل (أي في بيت زوجها) على الخروج (من البيت) ومارست عملاً خربت (به) بيتها وأحطت من شأن زوجها فعليهم أن يثبتوا (ذلك) عليها، فإذا قال (=اراد) زوجها بأنه سوف يطلقها فيمكنه أن يطلقها، وسوف لا يعطيها نقود طلاقها، وإذا قال زوجها بأنه سوف لا يطلقها، فلزوجها (الحق) أن يأخذ زوجة ثانية، وسوف تعيش تلك المرأة (الزوجة الأولى) كأمة في بيت زوجها][١١٣]. هنا عاقب المشرِّع المرأة التي تطلب الطلاق بدون سبب، وقامت بأعمال مخربة فإذا ثبت ذلك لا تعطى بائنتها أو تترك كأمة عند زوجها.

ورد في المادة ١٤٢: [إذا كرهت امرأة زوجها وقالت (له) لا تأخذني (لا تضاجعني) ففي إدارة بلدتها سوف يدرس (سلوكها) فإذا كانت محترمة ولم ترتكب

---

(١١٢) محمد عبد الغني البكري، عقوبة الموت في القوانين البابلية وأسلوب تنفيذها، آداب الرافدين، ع٦٣، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١٢م، ص٥٠٠.

(١١٣) غسان عبد صالح، عبد الغني غالي فارس، عقوبة الزنا في الشرائع العراقية القديمة، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، ع٤٧، جامعة ديالي، ٢٠١٠م، ص٤١١، ٤١٢؛ حسن فاضل، الأخلاق في الفكر العراقي القديم، ص٣٣٧.

الخطيئة[١١٤] (بينما) زوجها يخرج كثيراً من (البيت) ويحط من شأنها فلا جرم على تلك المرأة، ويمكنها أن تأخذ هديتها (التي جلبتها من بيت أبيها) وتذهب إلى بيت والدها]. وفي النص يلزم المشرع إدارة بلدة المرأة التي كرهت العيش مع زوجها بمراقبة سلوكها فإذا ثبت أنها لم ترتكب الخطيئة فحينئذ تأخذ هديتها وتُطلق.

ورد في المادة ١٤٣: [إذا كانت غير محترمة وتخرج (كثيراً) وتخرب (بذلك) بيتها وتحط من شأن زوجها عليهم أن يلقوا تلك المرأة في الماء]. إذا ثبت سوء سلوك المرأة من إدارة بلدتها فتعاقب بالإلقاء في الماء، ويتضح من خلال المادة السابقة وجود ترابط بين تلك المادتين في الحكم فكليهما اعتمد دراسة تلك القضية في مجلس البلدة[١١٥]. ومع ملاحظة أن المشرع قد شدَّد العقوبة على الزوجة المهملة في حق زوجها أي هناك تمايز واضح بين الرجل ووضعه في مجتمع بلاد النهرين[١١٦]. وبين المرأة خلال عهد حمورابي الذي كان يعتمد على الزواج الأحادي؛ حيث لا يجوز للرجل أن يحتفظ إطلاقاً بزوجتين شرعيتين في آن واحد إلا في حالة واحدة.

---

(١١٤) الخطيئة وردت في النصوص المسمارية بصيغة Nig-gig وتشير إلى الخطيئة الدينية، ويرادفها في اللغة الأكدية lkkiba وتعني: كبوة، أما المصطلح السومري فيعني الخطيئة في غير الجوانب الدينية، وهي معصية مرتكبة ضد القوانين المدنية، ويرادفها في اللغة الأكدية مصطلح (أنو Annu) وتعني: الإساءة. غسان عبد صالح، العدل الإلهي في العراق القديم، مجلة التربية، مج١٤، ع١، جامعة واسط، بغداد، ١٩٩٤م، ص١٧٣.

(١١٥) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٧م، ص٢٥٥.

(١١٦) عبد العزيز أمين عبد العزيز، قوانين الأسرة في بلاد النهرين، مجلة الآداب، ع١١، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، ١٩٩٤م، ص١٧٢.

ورد في المادة ١٣٣ أ: [إذا أسر رجل وكان في بيته الطعام (الكافي) فعلى زوجته أن تحافظ على نفسها (عفتها) مدة غياب زوجها ، ولا يحق لها دخول بيت رجل ثان[١١٧]][١١٨].

تعاقب المرأة إذا ثبت أنها دخلت بيت رجل ثان أثناء أسر زوجها، وقد ترك لها زوجها الأسير ما يكفي لإعالتها.

ورد في المادة ١٣٣ ب: [فإذا لم تحافظ تلك المرأة على عفتها ودخلت بيت رجل ثان فعليهم أن يثبتوا هذا على تلك المرأة ويلقوها في الماء].

ورد في المادة ١٢٨: [إذا اتخذ رجل زوجة [له] ولم يدوِّن عقدها (أي عقد الزواج) فإن هذه المرأة ليست زوجة شرعية][١١٩].

يلزم المشرع في هذا النص على الزواج الشرعي القانوني فلا تصبح الزوجة شرعية إلا بعقد زواج الذي هو عبارة عن عقد كتابي غير رسمي يحرر بين الزوج وولي أمر الزوجة بحضور شهود ينص على حقوق وواجبات الطرفين[١٢٠]، ولعل المشرع

---

(١١٧) تفسر عبارة دخول المرأة بيت رجل ثان أنها قد تزوجته، وهذا يعني أن قانون حمورابي من جانب اعتبر فعل الزوجة من باب الخيانة الزوجية، فقضى بموتها ومن جانب آخر رفض تعدد الأزواج، وعاقب المرأة التي تقدم على ذلك بالموت حتى لو كان زوجها الأول قد غاب مدة طويلة شريطة أن يترك لها ما يسد احتياجاتها المعيشية. غسان عبد صالح، عبد الغني غالي فارس، عقوبة الزنا في الشرائع العراقية القديمة، ص٤١٢.

(١١٨) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٤٢.

(١١٩) غسان عبد صالح، عبد الغني غالي فارس، المرجع السابق، ص٤١٦.

(١٢٠) ردينة محمد رضا مجيد، الأحوال الشخصية في القوانين العراقية القديمة، مجلة مركز دراسات الكوفة، مج١، ع٢٢، جامعة الكوفة، بغداد، ٢٠١١م، ص٢٤٦-٢٤٧؛ صباح جاسم حمادي، الجذور التاريخية لنظام الزواج في وادي الرافدين، مجلة كلية الآداب، ع١٠٢، كلية التربية، جامعة بغداد، ابن رشد، ص١٠٨.

قصد من ذلك عدم الاعتراف بالمرأة كزوجة شرعية من دون عقد زواج والحفاظ على حقوق الزوجين المادية والمعنوية[١٢١].

(ب) العلاقات الشاذة: وهو ما يعرف بانتهاك المحارم (أو زنا المحارم) وهي ظاهرة شاعت في العصر البابلي القديم[١٢٢] وعدَّت جريمة يستحق فاعلها مهما كانت سلطته ونفوذه داخل الأسرة عقوبة قاسية قد تصل إلى الموت في كثير من الحالات، ولذا فقد حددت من خلال نصوص قانون حمورابي في المواد [١٤٥ -١٥٨][١٢٣] وكان محصوراً على الإناث: "البنت، الكنة، الأم، زوجة الأب"[١٢٤].

(١) الابنة : كما في مادة ١٥٤: [إذا جامع رجل ابنته، فعليهم أن يطردوا ذلك الرجل من المدينة]. يعاقب المشرع الأب الذي يستغل أبوته بإلحاق الأذى بابنته فالعقاب النفسي (الطرد من المدينة) وخسران جميع أملاكه، وانقطاعه عن عائلته، وأعفى المشرع الابنة من أية عقوبة لقناعته بأن الجرم رغماً عن إرادتها، وكانت ضحية لنزوات والدها الشاذة.

(٢) زوجة الابن قبل الزواج : كما في مادة ١٥٦: [إذا اختار رجل عروسة لابنه، ولكن ابنه لم يتصل (جنسياً) بها، ونام هو في حضنها، فعليه أن يدفع نصف المنا من الفضة ويسلمها كاملاً كل شيء كانت قد جلبته من بيت أبيها، ولها الحق أن

---

(١٢١) غسان عبد صالح، عبد الغني غالي فارس، عقوبة الزنا في الشرائع العراقية القديمة، ص٤١٦؛ صلاح رشيد الصالحي، الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم، مجلة كلية التربية للبنات، مج٢٠، ع١، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٩م، ص١٧٢.

(١٢٢) عبد العزيز أمين، قوانين الأسرة في بلاد النهرين، ص١٧٣.

(١٢٣) أحلام سعد الطالبي، ارتكاب المحارم في قانون حمورابي، ص١٦-٢٩.

(١٢٤) إن إغفال حمورابي لأصناف أخرى من المحارم كالأخت والعمة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت وغيرهن لا يعني أنه كان متسامحاً في ارتكاب الفاحشة معهن لكن أراد من خلال حصره لما سبق من الإناث أن يحد من سلطة الرجل المطلقة في أسرته. أحلام سعد الله الطالبي، المرجع السابق، ص٢٩.

تختار الزوج الذي يناسب رغبتها]. يوضح المشرع في تلك المادة حالة الفتاة عند انتقالها إلى بيت زوجها الذي لم يتصل بها الابن جنسياً (الزوج) بالفتاة (الزوجة) أي أنهما في مرحلة الزواج الناقص، فإذا اتصل بها الأب فعقوبته آنذاك تعويض البنت ٢/١ من الفضة يسلمها الأب الذي اغتصبها وأن ترجع لبيت أبيها بمعنى: تصبح مطلقة ويحق لها الزواج مرة أخرى.

(٣) زوجة الابن بعد الزواج: كما في مادة ١٥٥: [إذا اختار رجل عروسة لابنه واتصل ابنه جنسياً بها وقبضوا بعدئذ على الرجل (والد زوجها) وهو نائم في حضنها، فعليهم أن يوثقوا هذا الرجل ويرموه في الماء][١٢٥]. يفهم من النص أن انتقال الفتاة (الزوجة) إلى بيت زوجها وتم الاتصال بينهما جنسياً لكن الأب استغل سلطته ونفوذه فجامعها، فيعاقب بالموت غرقاً جزاء بما يستحق لأن ذلك يتنافى مع القيم الأخلاقية أن يكون الوالد والولد على علاقة جنسية مع المرأة نفسها[١٢٦].

(٤) الأم كما في مادة ١٥٧: [إذا نام رجل بعد وفاة (والده) في حضن أمه، فعليهم أن يحرقوا كليهما]. يصف المشرع في هذه المادة الابن كونه بالغاً وإن حدوث علاقة بين الابن والأم بعد وفاة الأب عدَّها المشرع جريمة عقوبتها الحرق بالنار فأورد كلمة (بعد أبيه) ربما تعنى أن الأب لم يكن على قيد الحياة وإن الأم استغلت غياب زوجها فارتكبت الإثم مع ابنها، وبموجب هذه المادة تعد الأم مسئولة بصورة تامة عن

---

(١٢٥) حسن فاضل، الأخلاق في الفكر العراقي القديم، ص٣٣٦.

(١٢٦) يفهم من خلال النص تأثر المشرع حمورابي بما نشره الأنبياء والرسل الذين ظهروا بالمنطقة وهم امتداد لشريعة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتالي تأثره بقوله تعالى: {وحَلاَئِلُ أبنَائِكُم الذينَ من أصْلابِكُم} وإن الحكم الذي أصدره على الأب كان الموت غرقاً على اعتبار أن الابن خرج من صلب أبيه، ولا يحق للأب أن ينكح حليلته والصلب هو الماء. أحلام سعد الله الطالبي، ارتكاب المحارم في قانون حمورابي، ص٢٢.

تصرفها ونتيجة لفعلها الشنيع تعاقب هي وابنها بالحرق[١٢٧] لكون الفعل منافياً للطبيعة الإنسانية والأعراف والأخلاق[١٢٨].

(٥) زوجة الأب (مربيته): كما في مادة ١٥٨: [إذا قبض على رجل بعد وفاة (والده) في حضن مربيته التي ولدت أولاداً بعد أبيه، يطرد ذلك الرجل من ممتلكات بيت الأب]. يفهم من هذا النص أن تكون المرأة زوجة الأب[١٢٩] لكن ليست أمه التي ولدته، وأن يكون لها أولاداً وبذلك تكون علاقتها مع ابن زوجها مع مرور الزمن كعلاقة الأم بابنها الحقيقي كونها قامت على تربيته والعناية به حتى أصبح رجلاً، ويعتبر نومه مع مربيته عملاً منافياً للأخلاقيات يستحق فيها الابن الطرد من بيت أبيه وحرمانه من الميراث لمكانة المربية العالية في العائلة[١٣٠].

(ج) العلاقات الاضطرارية: وهو ما تلجأ إليه المرأة لمزاولة الزنا بدوافع، ومنها:

(١) الفقر: حيث اعتبر الفقر[١٣١] من العوامل الاقتصادية التي ساعدت بلا شك في تردي الأخلاق في شرائع العفة في كافة القوانين وبالأخص قانون حمورابي حيث وجد من النساء من كن يمارسن البغاء وكن على ثلاثة أصناف: باغيات بيوت، باغيات شوارع، باغيات عاديات، ومن تلك البغايا كان منهن الإماء والأرامل والمطلقات والفقيرات اللاتي دفع بهن الفقر إلى مزاولة مثل هذا العمل الفاحش لكن

---

(١٢٧) المرجع السابق، ص٢٤.

(١٢٨) رضا جواد الهاشمي، القانون والأحوال الشخصية، ج٢، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، ص٩٦.

(١٢٩) عرفه سكان العراق القديم بزواج الضيزن: وهو الزواج القائم بين رجل وزوجة أبيه المتوفى. عبدالسلام الترمانيني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، (دراسة مقارنة)، ع٨٠، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١م، ص٢٦.

(١٣٠) أحلام سعد الله الطالبي، ارتكاب المحارم في قانون حمورابي، ص٢٦.

(١٣١) أبرز سمات الفقر في العراق القديم: العوز، والضعف، والوقوع تحت سطوة الأقوياء ،والفقر. باسم محمد حبيب، الفقر لغة ودلالة في العراق القديم، مجلة الموروث، ع٦٦، ٢٠١٣م، بدون ترقيم.

لم يعاقب عليها القانون كما في مادة ١٣٤ [إذا أسر رجل ولم يكن في بيته الطعام (الكافي) ودخلت زوجته بيت رجل ثان فإن هذه المرأة لا ذنب لها][١٣٢].

وإذا كان قصد المشرع في هذا النص زوجة الأسير الذي لم يترك لها نفقة وما يكفيها من الطعام فإن لها الحق في الذهاب إلى بيت رجل آخر[١٣٣].

ولعله يفهم من ذهاب المرأة إلى بيت رجل آخر وترك بيت زوجها سواء أكان أسيراً أم عاجزاً بسبب الفقر، وطلباً للمعيشة فلا تعاقب من قبل القانون.

(٢) **الإكراه (الاغتصاب)**: لم يصدر المشرع عقوبة للمرأة التي يهتك عرضها بالإكراه، لأن لا ذنب لها، لتوفر عنصر الإكراه في عملية الاغتصاب، كما ورد في المادة ١٣٠ : [إذا باغت[١٣٤] رجل زوجة رجل آخر ولم تكن قد تعرفت (بعد) على رجل وهي لا تزال (تعيش) في بيت أبيها واضطجع في حجرها وقبض عليه (أثناء ذلك) فإن هذا الرجل يقتل ويخلى سبيل تلك المرأة][١٣٥]. فقد عاقب المشرع من يهتك عرض خطيبة رجل لم يتم زواجها بعد إذ عوقب من يغتصبها بالقتل إن قبض عليه متلبساً[١٣٦].

---

(١٣٢) سعيد سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (٢٠٥٠-٣٣٢ق.م)، ص٨٨.

(١٣٣) حسن فاضل، المرجع السابق ، ص٣٣٣-٣٣٤.

(١٣٤) المباغتة الواردة في النص تعني الاغتصاب؛ لأن الفعل باغت بمعنى فاجأ، إما كون المرأة المتزوجة ولا تزال تعيش في بيت أبيها فذلك يعني في العرف العراقي القديم أنها مخطوبة، والمرأة بعد الخطبة تبقى في منزل أبيها، وتعد زوجة من الناحية الاسمية فقط، أو أنها تجاوزت مرحلة الخطوبة فأبرم عقد زواجها وتنتقل فيما بعد إلى بيت زوجها؛ كأن تكون إما صغيرة السن، أو عدم استكمال ترتيبات الزواج اللازمة. غسان عبد صالح، عبد الغني فارس، عقوبة الزنا في الشرائع العراقية القديمة، ص٤١٤.

(١٣٥) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٤١.

(١٣٦) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٥١؛ صلاح رشيد الصالحي، الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم، ص١٧١-١٧٢.

(٣) هروب الرجل من وطنه: جعل المشرع للمرأة الحق في الخروج من منزلها والعيش في منزل آخر مع رجل ثان إذا كره الرجل وطنه، وهذا يدل على أهمية الوطنية لدى العراقيين القدماء كما ورد في المادة ١٣٦ : [إذا نبذ رجل مدينته وهرب ودخلت بعد ذلك بيت رجل ثان فإذا عاد هذا الرجل وضبط زوجته (في بيت رجل ثان) فلا ترجع زوجة الهارب إلى زوجها (وذلك) بسبب كرهه لمدينته ولهروبه (منها) [١٣٧]] ويقصد المشرع أن هروب أي شخص كان سواء جندي أو أي شخص مدينته فإن المشرع يتخلى عن مناصرته في حالة عودته، ويؤدي إلى ضياع حقوقه وأسرته، فلا يحق له استرجاع زوجته ولها الحق في دخول بيت رجل آخر[١٣٨]، وحتى وإن ترك لها مورداً مادياً تعيش منه، فالرجل الهارب من مدينته لا يحق له استعادة أي شيء مهما كانت ظروفه المادية[١٣٩].

ثالثاً: الصدق والنزاهة

انقادت الحضارة العراقية القديمة لقيمها ومبادئها الفلسفية والفكرية والدينية كما وفرت تلك الحضارة رقياً فكرياً ومعرفياً قيس عليه فيما بعد ثقافة الحضارات الأخرى وتطورها. وذلك من خلال منظومة نصوص من أبرزها: نصوص مسلة الملك حمورابي التي دلت بكل وضوح صدق الشعب مع الملك، وصدق الملك مع شعبه من خلال تشريعات قامت على مبدأ الصدق والنزاهة في كافة التعاملات الدنيوية[١٤٠].

---

(١٣٧) فوزي رشيد، المرجع السابق ، ص١٤٢.

(١٣٨) ابتهال عادل إبراهيم، محمد نامق محمود، الأسرى والقانون في العراق القديم (دراسة تاريخية)، مجلة التربية والعلم، مج١٨، ع٢، كلية التربية، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١١م، ص١٦٠.

(١٣٩) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٥٣.

(١٤٠) إحسان محمد الحسن، الأنبياء عراقيون، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٠م، ص٦٩.

فتجلت من خلال نصوصه أبرز قيم الصدق والنزاهة، وظهر الاهتمام بالأخلاق والقيم كمقياس رئيسي لتطور تلك الحضارة(١٤١).

(١-٣) **القضاء**: أعطى الملك حمورابي صلاحيات للقضاة بإصدار العقوبات دون الرجوع إلى موافقته، كما قام بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، ووضع عقوبات صارمة للقضاة أنفسهم عندما يستغلون مناصبهم لمنافعهم الشخصية(١٤٢)، بل كان من أهم مميزات اختيارهم لمنصب القضاء النزاهة والصدق عند الفصل في المنازعات وشدد العقوبة لمن يغير الحكم(١٤٣)، كما ورد في نص مادة ٥ : [إذا نظر قاضي قضية قانونية وأصدر بخصوصها حكماً وثبت الحكم على رقيم مختوم وبعد ذلك غيّر قراره، فإذا ثبت أن ذلك القاضي قد غير حكمه في القضية التي نظر فيها فعليه أن يتحمل عقوبة تلك الدعوى، ويدفع اثني عشر مثلها وزيادة على ذلك عليهم أن يطردوه بلا رجعة من مجلس القضاة ومن على كرسيه، ولا يحق له أن يجلس مع القضاة للنظر في دعوى](١٤٤).

---

(١٤١) ناصر يوسف محمد بلغيث، أخلاقيات التواصل الإنساني والإيماني في تجليات الحضارة الإسلامية الغالبة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ع٥٧، السنة١٥، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٢٣.

(١٤٢) وليد يوسف عطو، شريعة حمورابي، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث، ع٣٧٧١، الحوار المتمدن، ٢٠١٢م، ص١-٢.

(١٤٣) تؤكد إحدى الوثائق البابلية التاريخية التي تضمنت قرار صدر من إحدى المحاكم البابلية جاء فيه (...إنه من يحاول تغيير القرار... ألا فليلعن أنو دانليل... ألا فليضع نابو كانت... الأيساجيل نهاية لمستقبله". جون عبيد هجيج، نسر محسن نعمة، بطلان الحكم الجزائي في النظم القانونية القديمة والشريعة الإسلامية، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، كلية القانون، جامعة بابل، مج١٢، ع١، بغداد، ٢٠١٣م، ص٢٦.

(١٤٤) محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص٢٥٠؛ طالب منعم الشمري، عدي أحمد عبد الرازق، القضاء في العراق القديم، مجلة كلية التربية، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة واسط، مج١١، ع١٦، بغداد، ٢٠١٢م، ص١١٩.

يُلزم القاضي أن يثبت أي قضية يحكم بها على رقيم مختوم لإثبات النزاهة والعدالة عند الفصل في دعوى معينة، ولا يجوز له تبديل الحكم الذي أصدره أو الرجوع عنه كما شدد المشرع العقوبة على القاضي الذي يثبت تزويره بالطرد من مجلس القضاء، أو دفع غرامة مالية، من أجل حماية القضاء من استغلال القضاة وحماية المواطنين الضعفاء(١٤٥).

(٢-٣) **الطب**: أدرك شعب العراق القديم مسؤولية الطبيب الإنسانية نحو المريض وضرورة الاهتمام بعلاجه(١٤٦)، ولهذا لجأ المشرع حمورابي إلى وضع ضوابط وأحكام قانونية للأطباء والجراحين والبياطرة دون غيرهم عند ممارسة أعمالهم كما ألزمهم بدراسة الحالة الصحية والطبقية والاقتصادية للمرضى ولمعرفة حاجتهم لإجراء أي عملية جراحية ومدى نسبة ضمان نجاحها، وحدد أجور العمليات الجراحية في البدن أو العين بالنسبة للثري عشر شواقل، الشخص العادي خمسة شواقل، وللعبد شقيلين يتحملهما عنه سيده، كما حدد أجر العلاج العادي وجبر العظام بالنسبة للطبقات الثلاث وأجور علاج الحيوانات وتعويضاتها(١٤٧).

ونظراً لخطورة تلك العمليات وما قد يتحمله الجراح من مسؤولية في حالة فشله وانعكاس ذلك على حياة المريض ومن أجل رفع مستوى الالتزام والدقة في العمل الجراحي، فإن القانون والقضاء شدد على محاسبة الجراحين ومعاقبتهم على أخطائهم

---

(١٤٥) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٣٢٩؛

The code of Hammurabi, J. Dyneley prince, The American journal of Theology vol.8 No3 (Jul.,1904), The university of Chicago.

(١٤٦) حسن ظاهر لطيف، المسؤولية الجزائية للطبيب في القوانين والتشريعات العراقية، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مج٥، ع٩، بغداد، ٢٠٠٩م، ص٣١٧.

(١٤٧) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٧٠٤-٧٠٥.

لأن وقوع تلك الأخطاء تعد جريمة في حق المهنة والإنسانية[١٤٨]. لذا فلابد من توفير الحماية للآخرين والالتزام بالنزاهة والدقة في أداء مهامهم الطبية.

ورد في نص مادة ٢١٥ : [إذا أجرى طبيب عملية لرجل بسكين العمليات وأنقذ حياة الرجل وفتح عين رجل بسكين العمليات وأنقذ عين الرجل فعليه أي (الطبيب) أن يستلم عشرة شقلات من الفضة][١٤٩].

لذا ألزم المشرع دفع مستحقات الطبيب من الأجر نظير إتقانه عمله كما فرض في نفس الوقت عقوبة إذا ما قصر في أداء واجبه للحيلولة دون الوقوع في الخطأ مرة ثانية.

ورد في نص مادة ٢١٨ : [إذا أجرى طبيب عملية لرجل بسكين للعمليات وسبب وفاة الرجل أو فتح محجر عين الرجل وأتلف عين الرجل فعليهم أن يقطعوا يده][١٥٠].

يضمن القانون أحكام بتنظيم المهن الطبية وذلك بتوقيع الجزاء على الطبيب في حالة حدوث مضاعفات للمريض عقب إجراء جراحة له قد يصل هذا الجزاء إلى بتر يد الطبيب أو الجراح في حالة إتلافه عضواً من المريض أو وفاته[١٥١].

ولم تكن العقوبة خاصة بالأطباء عند معالجتهم للأفراد بل شمل الأطباء البيطريين إذ ألزمهم بالدقة والإخلاص عند إجراء عمليات جراحية للحيوانات[١٥٢]، كما جاء في نص مادة ٢٢٤ : [إذا عالج طبيب ثورا أو حمارا (أي طبيب بيطري) جرحاً

---

(١٤٨) عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، الطبيب والقانون في العراق القديم، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، مج١٢، ع٢، الموصل، ٢٠٠٥م، ص٦٧.

(١٤٩) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١٥٧.

(١٥٠) فوزي رشيد، المرجع السابق، ص١٥٧.

(١٥١) نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق ، ص١٩٦.

(١٥٢) فقد أظهر ملوك بابل اهتماماً بالحيوانات البرية وكانوا يفرحون عند تلقي هدايا من هذا النوع. هاري ساغر، عظمة بابل، المرجع السابق ،ص١٨٧.

كبيراً (أي أجرى عملية) لثور أو حمار فشفاه –فعلى صاحب الثور أو الحمار - أن يدفع للطبيب، سدس الفضة[١٥٣] أجرة له][١٥٤].

(**٣-٣**) **الجيش** : عالجت قوانين حمورابي السلبيات الواضحة التي شكلت خطراً على أمن وسلامة المجتمع، ونتيجة لبروز ظواهر سلبية في الجيش أو في الممارسات العسكرية، كان لابد من معالجتها والحد من تأثيرها وإحلال بديل أفضل[١٥٥].

ومن أبرز الظواهر السلبية: الرشوة؛ حيث تصدى ملوك العراق القديم لها بكافة الوسائل القانونية رغبة منهم في القضاء على هذه الظاهرة المؤثرة سلباً على نظام العمل ونزاهته وفقدان ثقة القائمين على إدارة الدولة، ولذا وردت نصوص تمنع الرشوة والإساءة للوظيفة الإدارية ومنها ما ورد في نص مادة **٣٣**: [إذا وافق رئيس أو عريف على تخلف جندي عن حملة الملك وقبل أجيراً وأرسله عوضاً عنه في حملة الملك، فإن هذا الرئيس أو العريف يعدم][١٥٦].

ويفهم من النص أن موافقة رئيس أو عريف على تخلف جندي من حملة الملك معناه موافقته على امتناع الجندي عن القيام بعمل ضمن وظيفته بأخذ بديل عنه للعمل

---

(١٥٣) قد لا يبدو منطقياً أن يكون القانون قد حدد سدس الشيقل من الفضة كأتعاب للطبيب البيطري الذي يقوم بإجراء عملية أياً كان نوعها، نظراً لقلة المبلغ المذكور إذا ما قيس بمحتوى حجم العملية؛ لذلك يبدو أن المقصود بذلك هو سدس ثمن الحيوان تدفع كقيمة نقدية للطبيب لقاء أتعابه وجهده في هذا المجال. عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، الطبيب والقانون في العراق القديم، ص٧٢.

(١٥٤) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٥٨؛ نبيلة عبد الحليم، المرجع السابق، ص١٩٥.

(١٥٥) فوزي رشيد، الجيش والسلاح، حضارة العراق، ج٢، ص٥٠؛ عبدالعزيز أمين عبد العزيز، العقوبات المشددة في حضارة العراق القديم، ص٢١٩.

(١٥٦) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٢٥.

واستخدام جنود وسلبهم حقوقهم[١٥٧]، لذا يفترض أنه لا يوافق على تخلف أي جندي لأن موافقته تعني قد أخذ لنفسه أو لغيره مالاً أو حصل على منفعة أو ميزة لقاء قبوله تخلف الجندي فيعاقب بالإعدام[١٥٨].

ورد في نص مادة ٣٤: [إذا تقبل رئيس أو عريف حاجات من جندي أو اغتصب (أموال) جندي أو أعطى جندياً كأجير أو قدم جندياً للمحاكمة بتأثير شخص قوي، فإن هذا الرئيس أو العريف يعدم]. وشدد المشرع أيضاً من خلال النص بأنه ليس من حق صاحب المسؤولية أو المنصب قبول هدية من أجل الحصول على منفعة وذلك من أجل الحماية اللازمة لأفراد القوات المسلحة من الاعتداء عليهم من قبل رؤسائهم سواء من طريق الابتزاز، أو سوء المعاملة[١٥٩]، ويشير التهديد إلى أن للملك الحق في معاقبة الضباط بقسوة نظير إساءتهم للجنود.

الخاتمة والنتائج

إن دراسة القيم الإنسانية من خلال نصوص الملك حمورابي ما هي إلا مجرد محاولة للتوغل في أعماق الفكر البابلي لكشف تراث زاخر يحوي العديد من القيم والأعراف الاجتماعية، وروح العدالة التي سادت في تلك الحقبة الزمنية، **ولذا فقد كشفت الدراسة ما يلي:**

---

(١٥٧) هورست كلنغل، المرجع السابق، ص١٥٦؛ محمد عبدالغني البكري، عقوبة الموت في القوانين البابلية وأسلوب تنفيذها، ص٤٩.

(١٥٨) أحلام سعد الطالبي، الرشوة وأحكامها في القانون العراقي القديم، قسم الحضارة، كلية الآثار، مج٢، ٢٠١٣م، جامعة الموصل، الموصل، ص٨٦، ع١؛ عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢٣٥.

(١٥٩) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١٢٥.

١ - بات من المؤكد من خلال استقراء وضع الأمم وتجاربهم عبر التاريخ بأن تطورها ونهضتها لا يتوقف عند التفوق العسكري ؛ بل على مدى تماسكها وتحليها بالأخلاق والقيم من أجل بناء مجتمع مدني متحضر.

٢ - اعتبار العراق القديم حسب الوثائق التاريخية مهد البدايات الحقيقة لظهور التشريعات والقوانين التي تسير بموجبها المجتمعات الإنسانية في توحيد التنظيم الاجتماعي والأخلاقي، ومنعطفاً في تاريخ الإنسانية لتعزيز السلوك الإنساني لتثبيت الحقوق والواجبات التي تستند عليها الديمقراطية.

٣ - يعد قانون حمورابي وثيقة قانونية هامة في الحقوق الإنسانية والحريات، حددت فيه قواعد العدل والإنصاف، وتضمنت ما يرفع الحيف والظلم تحت شعار: "من أجل لا يضطهد القوي الضعيف، ومن أجل ضمان العدل لليتيم والأرملة، ومن أجل نشر القوانين العادلة في البلاد".

٤ - ظهرت شريعة حمورابي كأول مجموعة قانونية متكاملة عند اكتشافها، وكانت الأكمل والأشمل في تصدّيها لكثير من الظواهر الاجتماعية والسلوكية السلبية منها والإيجابية.

٥ - طبق قانون حمورابي في جميع أنحاء البلاد، وعلى جميع من في البلاد من مواطنين (رجالاً ونساء)، سواء كانوا قضاة أو رجال دين أو عاديين أو كاهنات، كلهم سواسية.

٦ - عرف البابليون الكثير من طبائع النفس الإنسانية واستخلصوا من نصوص الملك حمورابي الكثير من المبادئ والقيم الإنسانية ما يتواءم مع متطلبات الحياة ويحفظ للإنسان كرامته وأمنه واستقراره.

٧ - إن الواقع التاريخي للعراق القديم يؤكد على الرغم من وجود تمايز طبقي وفئوي إلا أنه كان في أفضل حالاته مقارنة مع المجتمعات الأخرى المعاصرة له.

٨ - ضمت القوانين العراقية مختلف العقوبات مع تحديد كيفية التنفيذ وأسلوبه بما يتناسب مع الجرم، وهذا التنوع يعكس من جهة تطور الفكر العراقي، ومن جهة أخرى تنوع مصادره التي اعتمد عليها المشرع، وما زال قسم منها تطبق في وقتنا الحاضر.

٩ - أحاط المشرع العقوبات بكل الضمانات حتى لا يحدث خطأ عند الحكم لأجل الحفاظ على التوازن بين وجوب إيقاع العقوبة المناسبة بحق مرتكبي الجريمة وبين الحفاظ على كرامة النفس الإنسانية.

١٠ - وجود تشابه في كثير من العقوبات بين قانون حمورابي والشريعة الإسلامية، مثل (الموت) الذي هو نوع من العدالة الانتقامية يقع ضمن مبدأ القصاص، وهو مبدأ إلهي اعتمدت عليه الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ ﴾ (سورة المائدة، الآية٤٥).

١١ - سعت نصوص الملك حمورابي إلى إيجاد نوع من الحقوق القائمة على التضامن الاجتماعي والأسري الذي يعرف في وقتنا الحالي بنظرية الضرر الاجتماعي.

١٢ - حظيت المرأة باهتمام كبير في القانون، فهي قلب العائلة، ومصدر استمرارية الحياة، لذا شدد العقوبة عليها، سواء في جرائمها أو التي ضدها.

١٣ - حدد قانون حمورابي من خلال نصوصه الكثير من القيم والمبادئ الإنسانية التي تميزت بالطابع الإنساني الذي ينبغي على الإنسان التحلي بها: كالعفة، والعدل، والصدق، والنزاهة، لهدف الوصول إلى غاية أسمى وهي استقامة السلوك الإنساني.

الملاحق–خرائط وصور

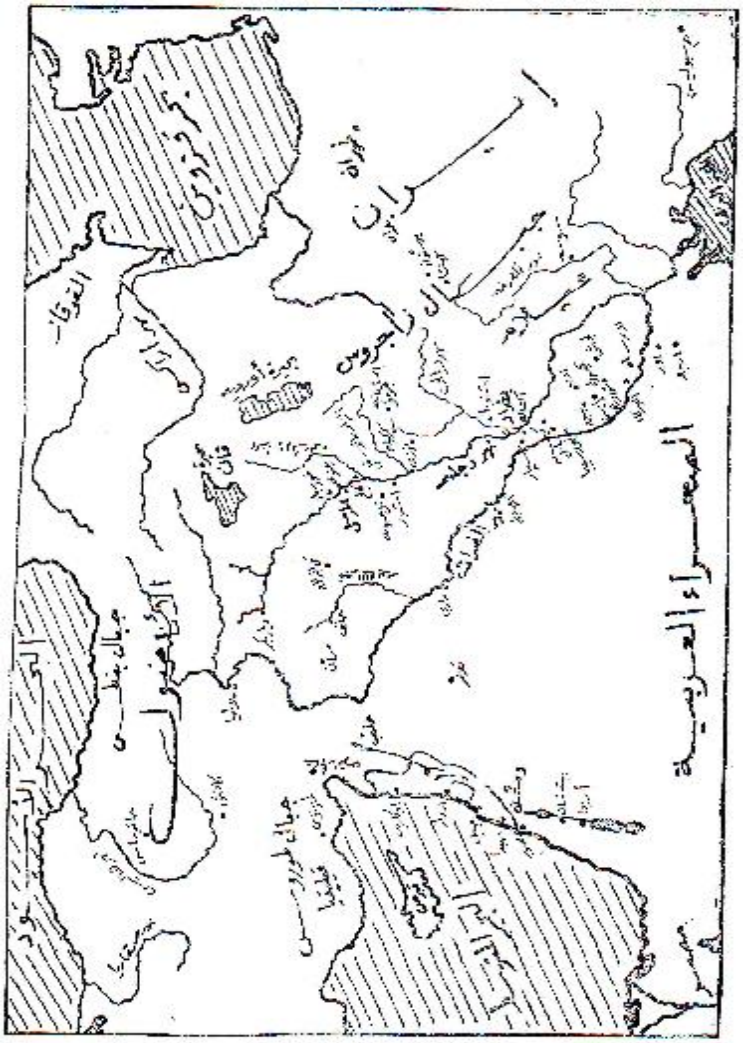

شكل (١). خريطة العراق القديم وما جاوره من بلاد الشرق الأدنى القديم[١٦٠].

(١٦٠) محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص٣.

شكل (٢). مسلة حمورابي (١٦١).

(١٦١) عبد الحكيم الذنوب، تاريخ القانون في العراق، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣م، ص٢٣٢.

شكل (٣). مشهد تفصيلي للجزء الأعلى من مسلة قوانين حمورابي، يبدو حمورابي واقفاً أمام الإله شمش (١٦٢).

(١٦٢) عبد الحكيم الذنوب، تاريخ القانون في العراق، ص٢٣٣.

شكل (٤). رأس تمثال من حجر الديورانت (حمورابي) من سوسة، الارتفاع ١٥سم، متحف اللوفر(١٦٣).

(١٦٣) عبد الحكيم الذنوب، المرجع السابق، ص٢٣١.

شكل (٥). قوانين الملك حمورابي بالخط المسماري (١٦٤).

المصادر والمراجع العربية والاجنبية

أولا: المصادر

القرآن الكريم

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة

[١] ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٨، دار طيبة، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

[٢] إحسان محمد الحسن، الأنبياء عراقيون، المكتبة الوطنية، بغداد، ٢٠٠٠م.

(١٦٤) بت جروبر، تاريخ العراق القديم، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، ط١، نهضة مصر للنشر، القاهرة، ص٤٠.

[٣] أحمد أمين سليم، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مكتب كريدته إخوان، بيروت، ١٩٨٦م.

[٤] أسامة عدنان يحيى، الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، دار الصداقة للنشر، فلسطين، ٢٠٠٩م.

[٥] بت جروبر، تاريخ العراق القديم، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، ط١، نهضة مصر للنشر، القاهرة.

[٦] برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، الفارابي، بغداد، ١٩٨٩م.

[٧] تيسير فتوح حجة، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، ط١، دار شمس للطباعة والنشر، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٩م.

[٨] جمال مولود ذبيان، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ٢٠٠١م.

[٩] جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، بغداد، ١٩٨٦م.

[١٠] حسن فاضل، الأخلاق في الفكر العراقي القديم، بغداد، ١٩٩٧م.

[١١] ديفيد جونستون، مختصر تاريخ العدالة، ترجمة مصطفى ناصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٧٨م.

[١٢] رضا جواد الهاشمي، القانون والأحوال الشخصية، ج٢، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م.

[١٣] سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٨م.

[١٤] سهيل قاشا، المرأة في شريعة حمورابي، منشورات دار بسام، الموصل، ١٩٨٦م.

[١٥] صباح اسطيعات كجة، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٢م.

[١٦] صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية الاجتماعية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٣م.

[١٧] عامر سليمان وأحمد مالك الفتينان، محاضرات في التاريخ القديم، بغداد، ١٩٧٨م.

[١٨] عامر سليمان، القانون في العراق القديم، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٧م.

[١٩] عبد الحكيم الذنوب، تاريخ القانون في العراق، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣م.

[٢٠] عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، دراسة مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١م.

[٢١] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

[٢٢] عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين، ط١، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٤م.

[٢٣] فوزي رشيد، الجيش والسلاح، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥م.

[٢٤] فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٩م.

[٢٥] فوزي رشيد، القوانين العراقية القديمة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٨٥م.

[٢٦] قحطان حسين ظاهر الحسيني، التطور التاريخي لفكرة حقوق الإنسان، جامعة بابل، بغداد، ٢٠١٣م.

[٢٧] كلشوف، الحياة الروحية في بابل، ترجمة عدنان عاكف، منشورات دار المدى، ط١، سوريا، ١٩٩٥م.

[٢٨] كوثر عباس الربيعي، العلم والأخلاق جدل الثورة العلمية والمستقبل، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١١م.

[٢٩] عامر سليمان، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣م.

[٣٠] مجموعة من المؤلفين، جوانب من حضارة العراق القديم، بغداد، ١٩٨٣م.

[٣١] مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي أصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراش، ط٢، دمشق، ١٩٩٣م.

[٣٢] محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

[٣٣] محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٧م.

[٣٤] محمود الأمين، شريعة حمورابي، ترجمة سهيل قاشا، ط١، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٧م.

[٣٥] ممدوح عبد العزيز رفاعي، العدالة الاجتماعية في الفكر الإنساني، جامعة عين شمس، كلية التجارة، القاهرة، ٢٠١١م.

[٣٦] منذر الفضل، تأريخ القانون، منشورات دار نارس، ط٢، أربيل، ٢٠٠٥م.

[٣٧] نائل حنون، شريعة حمورابي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣م.

[٣٨] نبيلة محمد عبد الحليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

[٣٩] نشأت كمال، مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة، شبكة الألوكة، ٢٠١١م.

[٤٠] هاري ساغر، عظمة بابل، ترجمة خالد أسعد عيسى، أحمد غسان، الدار السورية الجديدة، سورية، ١٩٧٩م.

[٤١] هاني السباعي، دراسة الفقه الجنائي المقارن، ط١، مركز المقريزي للدراسات التاريخية، لندن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٤٢] هورست كلنغل، حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

[٤٣] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٤٩م.

[٤٤] ياسين محمد حسين، حقوق الإنسان والديمقراطية، جامعة بغداد، بغداد، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

ثالثا: الدوريات والمقالات العربية

[٤٥] ابتهال عادل إبراهيم؛ محمد نامق محمود، الأسرى والقانون في العراق القديم (دراسة تاريخية)، قسم التاريخ، كلية التربية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، الموصل، مج١٨، ع٢، ٢٠١١م.

[٤٦] أبحاث ما قبل التاريخ والعلوم الإنسانية، مجلة سومر، ج١، مج٧، بغداد، ١٩٥١م.

[٤٧] أحلام الجابري، جريمة الاستيلاء بغير حق على الأموال (دراسة مقارنة)، مجلة التشريع والقضاء، السنة٣، ع٢، ٢٠١١م.

[٤٨] أحلام سعد الطالبي، الرشوة وأحكامها في القانون العراقي القديم، قسم الحضارة، كلية الآثار، جامعة الموصل، مج٢، ع١، الموصل، ٢٠١٣م.

[٤٩] ــــــــــــ ، ارتكاب المحارم في قانون حمورابي، دراسة مقارنة، مجلة التربية والتعليم، قسم الحضارات القديمة، كلية الآثار، جامعة الموصل، مج١٧، الموصل، ٢٠١٠م.

[٥٠] أحمد لفتة القصير، المضامين الاجتماعية لإصلاحات الحاكم السومري أورو -إنيمكينا (٢٣٦٥ -٢٣٥٧ق.م)، كلية الآداب، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية، مج١٠، ع١ -٢، بغداد، ٢٠٠٧م.

[٥١] أميمة محمد الحسن النقي، حقوق المرأة بين الإسلام وأهواء الغرب، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان، السودان، ٢٠١١م.

[٥٢] بارعة القدسي، عقوبة الإعدام في القوانين الوضعية والشرائع السماوية، مجلة جامعة دمشق، مج١٩، ع٢، دمشق، ٢٠٠٣م.

[٥٣] باسم محمد حبيب، الفقر لغة ودلالة في العراق القديم، مجلة الموروث، دار الكتب والوثائق، بغداد، ع٦٦، ٢٠١٣م.

[٥٤] حسن ظاهر لطيف، المسؤولية الجزائية للطبيب في القوانين والتشريعات العراقية، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مج٥، ع٥، بغداد، ٢٠٠٩م.

[٥٥] حسون عبدي هجيج، نسر محسن نعمة، بطلان الحكم الجزائي في النظم القانونية القديمة والشريعة الإسلامية، كلية القانون، جامعة بابل، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج١٢، ع١، بغداد، ٢٠١٣م.

[٥٦] حسين نور الأعرجي ، مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق القديم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، ع٣ -٤، مج٧، بغداد، ٢٠٠٨م.

[٥٧] ردينة محمد رضا مجيد، الأحوال الشخصية في القوانين العراقية القديمة، مجلة مركز دراسات الكوفة، مج١ ، ع٢٢ ، جامعة الكوفة، بغداد، ٢٠١١م.

[٥٨] شيرزاد أحمد عبدالرحمن، التطور التاريخي لحقوق الإنسان، مجلة كلية التربية الأساسية، مج١٨ ، ع٧٦، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٢م.

[٥٩] صباح جاسم حمادي، الجذور التاريخية لنظام الزواج في وادي الرافدين، مجلة كلية الآداب، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، مج٢ ، ع١٠٢ ، بغداد، ٢٠١٢م.

[٦٠] صلاح رشيد الصالحي، الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم، مجلة كلية التربية للبنات، مج٢٠ ، ع١ ، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٩م.

[٦١] طاب منعم الشمري، عدي أحمد عبد الرزاق، القضاء في العراق القديم، مجلة كلية التربية، كلية التربية، جامعة واسط، قسم التربية، ع١٦ ، مج١١ ، بغداد، ٢٠١٢م.

[٦٢] عاصي حسين العجيلي، الملكية الزراعية في شريعة حمورابي، مجلة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، ع٢ ، مج١ ، تكريت، ٢٠٠٩م.

[٦٣] عامر سليمان إبراهيم، السرقة في القانون العراقي القديم، مجلة آداب المستنصرية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ع٨، بغداد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[٦٤] عامر سليمان إبراهيم، قذف المحصنات، موسوعة القانون في العراق القديم مج٢، الإصدار(١)، كلية الآثار، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١٣م.

[٦٥] عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، الطبيب والقانون في العراق القديم، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، مج١٢، ع٢، الموصل، ٢٠٠٥م.

[٦٦] عبد العزيز أمين عبد العزيز، العقوبات المشددة في حضارة العراق القديم، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم، ع١، السنة١، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠١٠م.

[٦٧] ــــــــــــ ، قوانين الأسرة في بلاد النهرين، "دراسة تحليلية"، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ع١١، مصر، ١٩٩٤م.

[٦٨] علي البدري، الجذور التاريخية للياقة والتصرف الاجتماعي القيّم في المجتمع العراقي، دراسات تاريخية، كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة، ع٦، البصرة، ٢٠٠٩م.

[٦٩] علي شفيق الصالح، شريعة حمورابي إنجاز حضاري وأحكام متميزة، المؤتمر، ع٢٩٨٣، ٢٠١٤م.

[٧٠] علي كسار الغزالي، القوانين والإصلاحات التشريعية السابقة لقانون وشريعة حمورابي وتأثيراتها على حضارة بلاد وادي الرافدين، مجلة جامعة كربلاء، قسم التاريخ، كلية التربية، مج٥، ع٢، جامعة كربلاء، كربلاء، ٢٠٠٧م.

[٧١] غسان عبد صالح، العدل الإلهي في العراق القديم من خلال نصوص مختارة، دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية، مج١٤، ع١، جامعة واسط، بغداد، ١٩٩٤م.

[٧٢] ـــــــــــــ ، عبد الغني غالي فارس، عقوبة الزنا في الشرائع العراقية القديمة، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، جامعة ديالي، ع٤٧، ٢٠١٠م.

[٧٣] فلاح البياتي، قيس الجنابي، روافد حقوق الإنسان في تاريخ العراق القديم، مجلة كلية التربية الأساسية، ع١١، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بغداد، ٢٠١٣م.

[٧٤] محمد حسين يونس، تغير المفاهيم السائدة للأخلاق، دراسات في أبحاث التاريخ والتراث واللغات، الحوار المتمدن، ع٣٨٩١، ٢٠١٢م.

[٧٥] محمد عبد الغني البكري، دور الملك حمورابي في القضاء البابلي، آداب الرافدين، ع٥٩، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١١م.

[٧٦] ـــــــــــــ، عقوبة الموت في القوانين البابلية وأسلوب تنفيذها، آداب الرافدين، ع٦٣، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١٢م.

[٧٧] مصطفى فاضل كريم الخفاجي، تاريخ القانون في المجتمعات القديمة (قانون حمورابي أنموذجاً)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج٣، ع٢، جامعة بابل، بغداد، ٢٠١٣م.

[٧٨] ناصر يوسف بلغين، أخلاقيات التواصل الإنساني والإنمائي في تجليات الحضارة الإسلامية الغالبة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ع٥٧، السنة١٥، بيروت، ٢٠٠٩م.

[٧٩] نضال ذاكر عذاب، فلسفة العدالة في الفكر الرافديني القديم، مجلة آداب المستنصرية، قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ع٥٣، بغداد، ٢٠١٠م.

[٨٠] وليد يوسف عطو، شريعة حمورابي، الحوار المتمدن، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث، الحوار المتمدن، ع٣٧٧١، ٢٠١٢م.

[٨١] ياسر محمد عبد الله، جريمة السرقة في تاريخ القانون العراقي، دراسة تحليلية مقارنة، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، كلية القانون، مج١، ع٣، جامعة كركوك، كركوك، ٢٠١٢م.

[٨٢] ياسر هاشم حسين، العلاقة بين الفلاح وصاحب الأرض الزراعية في ضوء قانون حمورابي، مجلة التربية والعلم، مج١٢، ع٦، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٥م.

[٨٣] ياسين محمد حسين، جذور حقوق الإنسان في وادي الرافدين، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، كلية العلوم، جامعة بغداد، ع٥، مج٢، بغداد، ٢٠١٠م.

[٨٤] يسار عابدين، بيرنانو، مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ع١، مج٢٨، دمشق، ٢٠١٢م.

رابعا: الرسائل الجامعية المنشورة

[٨٥] حسين فاخر علي، حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق في الدساتير العراقية، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية، كلية القانون والسياسية، الدنمارك، ٢٠١١م.

[٨٦] خياطي مختار، دور القضاء الجنائي الدولي في حماية حقوق الإنسان، رسالة ماجستير، قسم القانون الدولي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١١م.

[٨٧] سعيدي سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر ٢٠٥٠ -٣٣٢ق.م، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسطنطية، ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م.

[٨٨] سليمان حمد محمد الهوته، ضمانات المتهم أثناء المحاكمة، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الكويتي، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٥م.

[٨٩] سيدي الحمليلي، السياسية الجنائية بين الاعتبارات التقليدية للتجريم والبحث العلمي في مادة الجريمة، رسالة دكتوراه، قسم الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

[٩٠] عاقلي فضيلة، الحماية القانونية للحق في حرمة الحياة الخاصة، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة منتوري، قسطنطية، الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١١م.

[٩١] كمال فواز أحمد سلمان، الشمس في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٤م.

[٩٢] مبارك محمد عبد المحسن ظافر، حبس المدين طريقاً من طرق التنفيذ الجبري (دراسة في القانون الكويتي)، رسالة ماجستير، قسم القانون الخاص، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ٢٠١٢م.

[٩٣] محمد أحمد عبد الغني، العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

خامسا: المراجع الإنجليزية

[٩٤] Barton, ascintist of semitic languages, Barton at the university of Pennsylvania form, 1922 to 1931.

[٩٥] Driver and miles, The Assyrian Laws, oxford, 1935.

[٩٦] Eawc. Evansville. Edu/anthology/Hammurabi. htm

[٩٧] En. Wikipedia.org/wiki/Hammurabi.

[٩٨] Fant, clyde E. and mitchell Greddish (2008), wm.b. Eerdmans publishing co.

[٩٩] "Hammurabis code", The history guide think quest, retrieved on2, Nov, 2011.

[١٠٠] Jean Bottero, "The code of Hammurabi", in Mesopotamia: Writing, Reasoning and the codes, (The university of Chicago. 1992).

[١٠١] "The code of Hammurabi", internet sacred text archive, Envinity publishing, INC, 2011, web.17, nov.2013.

[١٠٢] The code of Hammurabi, J. Dyneley prince, The American journal of theology vol.8 No3 (Jul.,1904), The university of Chicago.

[١٠٣] Woolley, I., All is etory of Bablon, New York. 1969.

Some human values through the texts of King Hammurabi (1792-1750.B-C) (An analytical study)

Dr. Sheikha Obaid Al Habra
Department of History - Qassim University

Abstract. Dressed Find purposeful nature intended access to a range of human values associated with human life and his tendency fungal where he was consistent and clear assessment of some of the bad qualities of lying, cheating, theft and other refusal by nature sound, explaining Salah actions link the goodness of manners. So reformers and legislators old Iraq approach issuing system laws, the laws of which (Ornmo - decide Ishtar-Ashnon - Hammurabi) for the purpose of the meanings of good and evil and to save the dignity and human security

And the importance of this subject has wanted to write about this topic methodology scientific analysis of the importance of human values in the life of the man taken into account during the Hammurabi Code because of its impact on the organization and promotion of human behavior to improve the humanitarian community and civil

Therefore, Code of Hammurabi most important legal reference Old collection in which all laws and customs Sumerian, Akkadian and developed in line with the social, economic and political variables and highlighting the elements of civic life based on achieving justice and fairness oppressed and punish the unjust and the leadership of the Division of stability and security has been considered was the diversity of Justice through life, including requirements (legal -alasri -alaguetsada(

Among the most important values: chastity that are keeping self-limiting for Underworld marital relationship Ali al-Shara limits also stressed that such a relationship is based on trust and respect and to reduce the adultery has been so varied relations between (taboo - abnormal - compelling(

Honesty and integrity: manifested itself clearly in the Code of Hammurabi in all areas of life dealings emerged in areas such as (the judiciary -tab -aljeic)

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٧٦٣-٨٣٦، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

الأراضي الزراعية في بلاد الشام خلال الحكم الأيوبي (٥٧٠-٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠م)

د. عبدالمعز عصري محمد بني عيسى
أستاذ مساعد – قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة اليرموك

ملخص البحث. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى الأماكن التي تنتشر فيها الأراضي المخصصة للزراعة في الكثير من المناطق الزراعية الشامية من خلال التقسيمات الإدارية للبلاد الشامية في العهد الأيوبي. وتطرقت الدراسة إلى مدى استفادة تلك الأراضي من مياه الأمطار والأنهار والعيون والينابيع في أغراض الزراعة. كما أشارت الدراسة إلى الأساليب الزراعية التي استخدمها فلاحو البلاد الشامية، وبينت جانباً من أصناف المحاصيل الزراعية كالأشجار المثمرة والحبوب والبقول والخضراوات. وركزت الدراسة على ملكية الأراضي الزراعية ونظام الإقطاع الذي تم تطبيقه في بلاد الشام في العصر الأيوبي، من خلال الحديث عن أنواع الاقطاعات التي تم توزيعها على أمراء البيت الأيوبي و كبار رجال الدولة وأعيانها وغيرهم من أمراء الجيش وأجنادهم.

تقديم

كان اهتمام الأيوبيين من سلاطين وملوك وأمراء بالزراعة وشراء الأراضي الزراعية من جهة، والعمل على استصلاح الأراضي الزراعية، والإكثار من إنشاء وامتلاك المزارع والبساتين من جهة أخرى، استمراراً للسياسة الزراعية التي اتبعها من سبقهم في حكم بلاد الشام، وتوسعت الدولة الأيوبية في توزيع الأراضي الزراعية على أبناء السلاطين من الملوك والأمراء، وكبار وأعيان الدولة في بلاد الشام على شكل اقطاعات، بالإضافة إلى منح قادة الجيش وأجنادهم إقطاعات خاصة بهم.

وارتبطت عائدات الأراضي الزراعية بمساحة الإقطاع، إذ وصل بعضها إلى مئات الألوف من الدنانير والدراهم، أضف إلى ذلك الأراضي الزراعية التي يمتلكها أبناء الفئات الأخرى في المناطق الزراعية الشامية. لذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على التنظيمات الإدارية التي شملتها الأراضي الزراعية في المناطق الزراعية في بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، وكذلك على أماكن وجود هذه الأراضي في المناطق الزراعية الشامية وما تنتجه من محاصيل زراعية متنوعة، والتطرق في الحديث إلى وسائل الري والأساليب الزراعية التي يعتمد القائمون عليها في زراعة الأرض، ثم يبين البحث أشكال الملكية والنظام الإقطاعي.

تمهيد

أدى الصراع الإسلامي الإفرنجي الطويل إلى زعزعة أمن واستقرار البلاد الشامية، وذلك منذ أن توجهت أنظار الأوروبيين إلى الاستيلاء على أراضي الشام التي تدر عسلاً ولبناً، بالإضافة إلى العوامل الدينية والاجتماعية التي كانت وراء

اندفاعهم نحو الشرق[١]، وعلى رأسها تحريض البابا أوربان الثاني لمسيحي الغرب لاحتلال الشرق، واستعادة القدس من أيدي المسلمين[٢]، بعد أن دمرها التركمان على حدٍّ زعمهم هي وسائر بلاد الشام، حتى أشرف القرن الحادي عشر على النهاية، وبلاد الشام في حالة من الإنهاك والضعف والتداعي على الصعيدين الداخلي والخارجي، مما أثّر وبشكل سلبي على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك البلاد، الأمر الذي ترتب عليه انهيار القوى الاقتصادية بتداعي واضمحلال الإنتاج الزراعي، والذي يعد الشريان الرئيسي للاقتصاد الشامي، هذا ناهيك عن المساحات الواسعة من الأراضي الفلسطينية التي تم شراؤها لصالح الهيكليين والأوسبيتاليين، من خلال الحجاج النبلاء القادمون إلى فلسطين، فانتقلت تلك الأراضي من سيادة أصحابها المسلمين إلى أعدائهم من الإفرنج[٣]، وزادت أوضاع البلاد سوءاً بزحف الإفرنج إلى الشام ومهاجمتهم لأراضي حلب وقراها منذ عام٤٩١هـ/ ١٠٩٨م[٤]، ثم الإجهاز على مدينة بيت القدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م و التنكيل بأبنائها سواء أكانوا مسؤولين أم مزارعين، ونهب ما في منازلهم من ذهب أو فضة أو جياد وبغال، وما تحتوي من محاصيل وغلال، وجرى على مدن فلسطين ما

(١) زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، (مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية)د.ن، دمشق، ١٩٩٥م، ج٣، ص ٢٤٢؛ الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس؛ ترجمة: زياد العسلي، دار الشريف، عمان، ١٩٩٠، ص ٧- ٨، ٣٢ ، ، جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٢٠٢.

(٢) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٤٥؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٣٥.

(٣) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٤٨ – ٢٤٨؛ زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق؛ ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٦، ص ١٦٤.

(٤) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٥٣ – ٢٥٦؛ جيل، تاريخ الفرنجة، ص ١٦٣؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٥٢، ٦٨.

جرى لمدينة القدس، فاستولوا على الأملاك والأراضي وسلبوا ونهبوا ووسعوا سيطرتهم حتى وصلت مدينة طرابلس(٥). ولم تكن أراضي القدس وحدها التي تعرضت للنهب والحرق وإنما كافة الأراضي في حيفا وعكا وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وغيرها، إذ أصبحت محاصيل تلك الأراضي تموين تتزود بها جيوش الحملة الإفرنجية على بلاد الشام، كل هذا نتيجة الأوضاع السيئة التي وصل إليها الحكام المسلمون في الشام، وخاصة في مدينتي دمشق وحلب، التي أعطت الفرصة للإفرنج تحقيق الانتصار تلو الآخر، فاستولوا على كافة أراضي مدينة حلب أمام أنظار حكامها.(٦) ولم تسلم مدن الشام من الهجمات المتكررة على الأرياف التابعة لها، طيلة وجود الإفرنج في إماراتهم التي انحسرت في (الرها وأنطاكية والقدس وطرابلس)، مما أثر سلباً على الحياة الزراعية بترك أصحابها أراضيهم نتيجة الظروف السياسية و العسكرية السيئة التي جلبها الإفرنج بقدومهم إلى الشام(٧).

ولم يكتف الأمر بهذا الحد، فقد حاول الإفرنج أثناء وجودهم في فلسطين الاستيلاء على مدن الشام الأخرى مثل دمشق وحلب وبصرى في أعوام (٥١٩هـ/ ١١٢٥م، ٥٢٠هـ / ١١٢٦م، ٥٤١هـ/ ١١٤٧م ، ٥٤٣هـ ١١٤٨م). وتأثرت الحياة الزراعية خلال الصراع الإفرنجي، الذي بدأ بتحرير عماد الدين الزنكي (ت٥٤١ هـ/ ١١٤٦م) إمارة الرها من الإفرنج أو ما يسمى بحرب الاسترداد الذي دخل الحكام المسلمين في مراحلها، وعلى رأسهم الزنكيين بدءاً من عماد الدين، وانتهاء بابنه نور

(٥) زكار، الموسوعة شامية، ج٣، ص ٢٠٢- ٢٥٧؛ جيل تاريخ الفرنجة، ص ٢٣٦؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٥٨- ٧٥.

(٦) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٥٧- ٢٥٩؛ جيل، تاريخ الفرنجة، ص ١٨١.

(٧) زكار، الموسوعة، ج ٣، ص ٢٦٠ — ٢٦١؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٥٣- ٥٨؛ جيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٤٨.

الدين محمود، ثم بدأوا يتوسعون في الأراضي الشامية فاستولوا على شمال الشام واستعادوها من الإفرنج، و دانت لهم أراضي الوسط الشامي في حلب وحماة ودمشق وبعلبك وغيرها، فأصلحوا أحوالها وأحسنوا إلى الأهالي من الفلاحين وغيرهم، وفرضوا لهم الحماية من إعتداءات الأجناد على أراضيهم(٨)، آملين تحرير البلاد الشامية من الإفرنج(٩).

وبالرغم من ذلك فإن الأراضي الزراعية في بلاد الشام ظلت مهددة بالخطر الإفرنجي منذ قدومهم إلى أراضي الشام، ولم تنتهي الغارات المتكررة بين المسلمين والإفرنج (١٠) لاسيما بعد أن رفع نور الدين الزنكي لواء الجهاد في سبيل الله من أجل إنهاء السيطرة الإفرنجية على المدن الشامية وعلى رأسها القدس، وكثيراً ما كان الإفرنج يحاول الدخول إلى دمشق، من كافة الجهات، ملحقين الأضرار في الأراضي الزراعية التي يمرون بها سواء أكانت البساتين أوالمزارع أو الغابات الكثيفة الأشجار (١١). ولم تسلم أراضي حوران هي الأخرى من أذى الإفرنج وحلفائهم من المسلمين، وعلى رأسهم الأمير مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين (ت ٥٤٩هـ/١١٥٤م)، الذي أساء إلى أهالي حوران من الفلاحين والعربان من خلال تعاونه مع الإفرنج الذين اعتدوا على أموالهم، وقاموا بسبي نسائهم وأطفالهم، حتى

(٨) زكار الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

(٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٨- ٩، ٢٢٠، ٢٣١.

(١٠) جيل، تاريخ الفرنجة، ص ٨٦- ٨٧.

(١١) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٨٤ – ٢٨٥؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص ١٠٧- ١١٠؛ زابوروف الصليبيون، ص ١٨٥.

خلصهم نور الدين مما هم فيه سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م[١٢] . إلا أن هذا لم يقلل من سيطرة الإفرنج على الأراضي التي تقع في الساحل الشامي من الإسكندرونة شمالاً حتى غزة جنوباً، فحرموا المسلمين من إمكانية الاستفادة من خيرات تلك الأراضي في تلك المنطقة الممتدة، وظلت في أيديهم ينعمون بخيراتها حتى قيام الدولة الأيوبية و مجيء صلاح الدين في حكم البلاد الشامية[١٣].

التنظيم الإداري

قسمت بلاد الشام في العهد الأيوبي إلى ست وحدات إدارية رئيسية وهي: دمشق وأعمالها، وحلب وأعمالها، وبعلبك وأعمالها ، وحماة وأعمالها، وحمص وأعمالها، والكرك وأعمالها[١٤]. وتعد مدينة دمشق قاعدة بلاد الشام وقصبتها، ومن أعمالها شوف المبادنة وشوف القدس وشوف الحيطى وشوف الشومر وإقليم التفاح وإقليم العيشية وجبل عاملة وجبل البقيعة والصبيبة وبانياس ومدينة زرع وأذرعات وبصرى وحوران وقلعة هرمز والبثنية وعمّان وجرش وعجلون وإقليم بيت رأس وإقليم السامرة، وإقليم فحل والغور الأعلى وبيسان والغور الأوسط (غور حقا وأريحا والغور الأسفل (غور زغر)، ومن أعمال دمشق أيضاً كورة بيت جبرين وكورة عمواس وكورة بني عطية وبلد الخليل وغور مدينة عمتا وغور دامية ومدينة السلط وأعمالها كالزرقاء وجبل بني عوف وجبل بني هلال، ومن أعمال دمشق بيت المقدس

---

(١٢) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٨٦– ٢٨٧.

(١٣) زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٢٨٩، ٢٩٢.

(١٤) شيخ الربوة ، شمس الدين عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ص١٩٢؛ ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك؛ تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٩٨٤م، ص ٤٣.

والرملة واللد وسبسطية وعين جالود ومدن بيروت وصيدا، وعسقلان وقيسارية ويافا وبيت لحم وبيت جالا وحبراص والسويداء وحسبان [١٥] وتدمر والسخنة، ومن ضواحيها الغوطة والمرج[١٦] والربوة[١٧] ودير مران[١٨] وغيرها.[١٩]" ودمشق من أجمل بلاد الشام وأحسنها مكاناً وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وأكثرها مياها وأغزرها فواكه وأعمها خصباً ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة"[٢٠]. يذكر شيخ الربوة أن عدد بساتين الغوطة[٢١]، وسائر أراضي دمشق بلغت نحو(١٠٠٢١ بستاناً)، وجميعها تسقى بماء نهر بردى[٢٢]. وأن أراضي الغوطة الصالحة للزراعة تبلغ نحو (٣٠٠٠٠ هكتار= ٣٠٠٠٠٠ دونم)، ويصل عدد بساتينها إلى (٥٣٤٥) بستاناً، يتوزع أغلبها في القرى

(١٥) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠- ٢٠٢.

(١٦) المرج: وهي أكثر من مرج توجد في دمشق ونواحيها وفي غوطة دمشق. انظر: الحموي، شهاب الدين أبي همزة عبد الله ياقوت معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، مج ٥، ص ١٠١.

(١٧) الربوة: قيل انها دمشق، وبدمشق في لحف جبل تحته سواء نهر بردى. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ٢٦.

(١٨) دير مُرّان: يقع الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٥٣٣.

١٩) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد مسالك الابصار في ممالك الأمصار؛ تحقيق: محمد خريسات، مركز زايد للتراث، أبو ظبي،ج٣ ، ص٣١٩؛ الحموي، معجم البلدان، ص٤٦٣؛ ابن طولون، محمد الصالحي القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية؛ تحقيق: محمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠، ق١، ص٤٤، ٤٨؛

(٢٠) الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،مج١، ص ٣٦٦.

(٢١) الغوطة: الغوطة: هي الكورة التي فيها دمشق، يحيط بها جبال عالية في جميع جهاتها. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢١٩.

(٢٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩٤

والضياع التابعة لها مثل المعظمية والمزة وداريا وبرزة وكوكبا وبلاس وكفر سوسية وشبعا[٢٣] والبجدلية وبالا ودوما[٢٤] وحرستا[٢٥] وغيرها[٢٦]. يقول الإدريسي" ويكون في كل واحدة من هذه الضياع من ألفي رجل إلى ألف وأقل وأكثر والغوطة أيضاً هي أشجار وأنهار ومياهها مخترقة تشق البساتين وبها من أنواع الفواكه مالا يحيط به تحصيل" وقد بلغ عدد ضياعها في عهد الملك المعظم عيسى(ت ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م) نحو ١٧٠ قرية عامرة، و٣٤ قرية سلطانية، وكانت البقية أملاكاً لسكانها من جميع الطبقات، التي قدرت بنحو ١٦٠٠ ضيعة [٢٧].

وكان يتبع دمشق العديد من الكور والأعمال ، ونظراً لموقعها السهلي المحاط بسلسلة جبلية شمالا وغربا، وانفتاحها على الصحراء من جهات الشرق والجنوب، فقد جعلها ملتقى لأهالي الصحراء من التجار في انطلاقاتهم نحو العالم الخارجي، ومن جبالها: قاسيون وجبل لبنان[٢٨]، ومن قراها: بيت نايم وتل كردي والجديدة[٢٩]

---

(٢٣) شبعا: الشبعاء، من قرى دمشق من إقليم بيت الآبار. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ٣٩.

(٢٤) دومة: من قرى غوطة دمشق غير دومة الجندل. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٤٨٦.

(٢٥) حَرَسْتا: قرية كبيرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٤١.

(٢٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٦؛ محمد، كرد علي، غوطة دمشق، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص١٤-١٦.

(٢٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٦؛كرد علي، غوطة دمشق ، ص١٧.

(٢٨) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة؛ تحقيق: سامي الدهان، (طبعة ١٩٦٢م)،ج٢ ق٢ ص٣٥؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص ٢٠١- ٢٠٣ ؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص٣٧؛ خير، صفوح، مدينة دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٩م، ص١٢٤.

(٢٩) الجُديدة: تقع في كورة بين النهرين، وهي قديمة جداً وأعمالها متصل: بأعمال حصن كيفا. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ١١٥.

وعذراء[٣٠] والسويداء[٣١] والفيجة والزبداني وتل الشعير وداريا وكفر سوسة[٣٢] والمزة[٣٣] وزملكا[٣٤] وغيرها[٣٥]. وإلى جانب دمشق توجد مدينة حلب وهي كثيرة الأنهار والأشجار المثمرة، ومن أعمالها: الملوحة وباب وبزاعا وشيزر والشغر وبكاس وحارم وعزاز ومنبج وقنسرين وكفرطاب وغيرها [٣٦].ثم مدينة حماة المبنية على نهر العاصي ذات البساتين والغيطان المشهورة بكثرة الأشجار وأنواع الغروس والثمار، إضافة إلى معالمها الأثرية والحضارية التي تعود بتاريخها إلى العصر الأيوبي. ثم مدينة حمص ومن أعمالها: بعرين وسلمية وشمسين ومدينة طرابلس وأعمالها البثرون وأنطرسوس والكورة ولها أعمال يزيد عددها على (١٠٠٠) قرية، وفيها حصنا عكار والأكراد، وقاري والنبك واللاذقية وجبلة [٣٧]، ومن المدن التابعة لدمشق بانياس الذي يغذيها جبل الشيخ المغمور بالثلوج طيلة أيام السنة أو كما قيل في وصفه "الثلج على

(٣٠) عَذْراء: قرية بغوطة دمشق من إقليم الجولان. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٩١.

(٣١) السويداء: قرية بحوران من نواحي دمشق. انظر: الحموي، م معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٨٦.

(٣٢) كفرسوسة: وتسمى أيضاً كفرسوسيّة، وهي من قرى دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص ٤٦٩.

(٣٣) المزة: قرية كبيرةتقع في وسط ساكين دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ١٢٢.

(٣٤) زملكا: قرية من قرى دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ١٥٠. .

(٣٥) ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار، ج ٣، ص ٣١٥؛كرد علي، غوطة دمشق، ص١٧.

(٣٦) ابن أبي جرادة، عمر بن أحمد، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي دمشق، ج٢، ص٦٨٩؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١ق١، ص١٥٤؛ ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار، ج٣، ص ٣٢٦ – ٣٢٧؛ الحموي، معجم البلدان، ص٢٨٢؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٢

(٣٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٢- ٢٠٨ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار،ج٣، ص٣٢٤؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٢.

رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاءً ولا صيفا"[٣٨]، وهناك مدن حران[٣٩] وسروج[٤٠] المتميزة ببساتينها ومياهها العذبة.[٤١]

أما منطقة الأردن، فمن أشهر مدنها: الكرك والشوبك وعمان قصبة أرض البلقاء ذات المزارع التي يكثر فيها أشجار الفاكهة، بالإضافة إلى كونها مصدرا لإنتاج الحبوب، وحوران ومدنها طبرية والغور واليرموك وبيسان.[٤٢] ثم مدن عجلون والصلت ومعان ومن أعمال الكرك: مؤتة والحسا والأزرق والسلط ووادي موسى ووادي نمير وجبل الطباب وجبل بني مهدي وقلعة السلع وأرض مدين وأرض القلزم وأرض الريان بالغور الزرقاء والأزرق والجفار وزغر، ومن أجمل بقاع الغور أريحا وعمتا وبيسان التي يكثر فيها أشجار النخل[٤٣] ، وفي منطقة فلسطين توجد مدن عسقلان وأرسوف طبرية وبيسان وصور وعكا وحيفا وغزة [٤٤]. بالإضافة إلى بيت لحم بالقرب من مدينة إيلياء، [٤٥] ثم الرملة و نابلس المدينة الساحرة التي يقع فيها

---

(٣٨) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا؛ دار ا لفكر، دمشق، ١٩٨٧م،ج٤، ص١٠٨.

(٣٩) حرّان: هي قصبة ديار مضر، وتقع على طريق الموصل والشام والروم، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٣٥.

(٤٠) سَرُوج: بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢١٦.

(٤١) ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص٢٢٢-٢٢٣

(٤٢) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٥١؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٢.

(٤٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٦؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ص٦٧،٧٨؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص ٢١٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص١٠٩، ١١٠؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٣.

(٤٤) ابن شداد ،الاعلاق الخطيرة، ج ٢ ق ٢ ص١٢٣-١٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٦- ٣٦٣.

(٤٥) الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٢٣

جبل (طور زيتا) اللذان وردا في القرآن الكريم [٤٦]، ومدينة يافا التي يكثر فيها أشجار الزيتون والكروم، قال ابن حوقل في وصفها: "وليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سواها، وباقي ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه" [٤٧]. وعلى رأس هذه المدن من حيث المكانة والأهمية تأتي مدينة القدس التي اشتهرت زمن الأيوبيين بكثرة مدارسها وأسواقها، بالإضافة إلى كونها المدينة المقدسة [٤٨]. ومن المناطق الشامية غزة وأعمالها مثل: عسقلان ويافا وقيسارية وأرسوف والداروم والعريش وتيه بني إسرائيل وتل حار وتل الصافية وقرنيا وبيت جبرين والخليل وبيت المقدس[٤٩]، وضواحيها مثل: عين سلوان والطور ورابعة العدوية وكفر بريك وغيرها، بالإضافة إلى بيت لحم ومدينة حبرون، وهناك صفد ومن أعمالها: شقيف وقلعة معليا والقرين ومرج عيون وأرض الجرمق وقرية البقيعة وجبل الزابور وطبرية وحطين وكفركنا – والبطوف والناصرة واللجون وجنين وعكا[٥٠].

أما الأعمال الشمالية لدمشق فقد اشتملت على مدن البقاع مثل: بعلبك التي كانت مستقلة كولاية قائمة بحد ذاتها عن البقاع في العهد الأيوبي [٥١]. يقول القلقشندي: "وهي مختصرة من دمشق في كمال محاسنها وحسن بنائها وأسواقها الحسنة والماء جار في ديارها وأسواقها...المختلفة وبظاهرها عين متسعة الدوائر ماؤها في غاية

---

(٤٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠

(٤٧) ابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص١٦٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٦-١٠٧

(٤٨) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق ٢ ص؛١٢٣ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى،ج٤، ص١٠٤-١٠٥.

(٤٩) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٣؛ زبدة كشف الممالك، ص ٢٣- ٢٤، ٤٢.

(٥٠) شيخ الربوة، ص ٢١٠- ٢١٢؛ زبدة كشف الممالك، ص ٤٤.

(٥١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢٠٨.

الصفاء بين المروج والبساتين " [٥٢]. وإلى جانب بعلبك، توجد مدن بيروت وصيدا وغيرها [٥٣].

المناخ والأمطار

يؤثر الموقع الجغرافي وتنوع التضاريس في طبيعة المناخ الذي تتأثر به منطقة بلاد الشام ،حيث يظهر الأثر الكبير والواضح للمناخ المتوسطي، وبدرجات متفاوتة في مناطق الساحل والمرتفعات الجبلية والهضبات والصحارى [٥٤]، ويتوقف على ذلك كميات الأمطار التي تسقط في مختلف مناطق الشام في سواحلها وسهولها، التي لا يقل فيها ارتفاع الأمطار سنويا عن٧٠٠ملم[٥٥]، حيث بلغ معدل سقوط الأمطار في دمشق وضواحيها وسهولها نحو ٣٥٠ملم [٥٦]. بينما وصل ارتفاع منسوب الأمطار في منطقة الغوطة إلى ما يقارب نحو(٢٥٠ملم). [٥٧] وفي مناطق الهضاب، تكفي الأمطار الساقطة لأغراض الزراعة البعلية، فيما تقل أمطار الصحراء عن٢٠٠ملم يستغل أكثرها في زراعة أراضي الواحات [٥٨].

---

(٥٢) المصدر نفسه، ص١١٣

(٥٣) المصدر نفسه، ص٢٠٨-٢٠٩

(٥٤) حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي؛ تقديم: عبد العزيز الدوري، عمان، ١٩٧٨، ص٢٢-٢٣

(٥٥) محمد كرد علي، خطط الشام، بيروت، ١٩٧٠م، ج٤، ص١٦٨

(٥٦) محمد كرد علي، دمشق مدينة السحر والشعر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص٨.

(٥٧) كرد علي، خطط الشام، ج٤،ص١٦٨-١٦٩

(٥٨) حسين، الحياة الزراعية، ص٢٤

وفي إقليم الغور، ساعدت الأمطار على نمو كثير من المزروعات والأشجار المثمرة صيفاً، وزراعة الحبوب شتاء [٥٩]. وتعمل المنخفضات الجوية المارة فوق الأراضي الشامية على ارتفاع أو انخفاض مستوى الإنتاج الزراعي في بلاد الشام [٦٠].

المياه والأنهار

تعتمد مناطق بلاد الشام على الأمطار كمصدر أساسي في ري الأراضي الزراعية نظرا لافتقارها للمجاري المائية، على الرغم من وجود الأنهار الدائمة الجريان التي لا يحسن استغلالها في ريِّ المزروعات بالشكل المطلوب ، مثل: أنهار الأعوج والأردن الذي يخترق بعض مناطق فلسطين والتي تغذيها مياه الأمطار والسيول، ونهر العاصي المار في مدن: حمص وحماة وانطاكية [٦١]. ونهرالجلابي الذي يغذي مدينة حران [٦٢].

تشكل الأنهار المصدر الثاني من مصادر المياه في سد احتياجات الناس، وريِّ المزروعات الشامية، مثل: نهر الأردن (نهر أنطاكية) في أرض دمشق و نهر(بردى) الذي يغذي مدينة دمشق وقراها وأحيائها وضواحيها، وعلى رأسها قرى الغوطة [٦٣] وبساتينها، يقول شيخ الربوة" والغوطة ذات العماد في عصرنا تسقى بماء واحد، يأتي

---

(٥٩) كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص١٦٧

(٦٠) فالح حسين، الحياة الزراعية، ص٢٥

(٦١) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٦؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص١٣٢-١٣٣؛ فالح حسين، الحياة الزراعية، ص٢٨

(٦٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩١

(٦٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣١٥؛ القلائد الجوهرية، ص٤٨.

إليها من أرض الزبداني ومن وادي بردى عين تنحدر من أول الوادي ومن عين الفيحة، وينبعث نهر واحد يسمى بردى". ويتفرع عنه الأنهار الصغيرة مثل (ثور وبانياس ويشكر) ونهر قناة المزة ونهر عادية ونهر داريا. (٦٤) هذه هي أهم الأنهار التي تغذي الأراضي الزراعية في بلاد الشام، بالإضافة إلى بعض الأنهار الصغيرة كنهري قويق والذهب اللذين يغذيان أراضي قنسرين وقرى حلب مثل الحسينية وعزاز وسنياب وقرى الراوندان (٦٥)، ونهري البارد وقاديشا في ساحل طرابلس، و كذلك أنهار الجوز وابراهيم والكلب(٦٦) والدامور والزهراني التي تغذي المناطق ما بين مدينتي طرابلس وصيدا (٦٧).

أما الينابيع والعيون ، فتظهر أهميتها في كونها مورداً هاماً في تزويد الأنهار بالمياه، وتنتشر بكثرة في المناطق الشامية، لاسيما في مدينة دمشق التي تزيد العيون فيها عن (٣٦٠) عيناً، ولا تكاد قرية من قرى الغوطة تخلو من العيون(٦٨)، وكذلك في مناطق الغور وقيسارية وبيت المقدس والشوبك التي يسخَّر أكثرها في ري المحاصيل

---

(٦٤) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك،مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص ١٧٧؛ابن جبير، رحلة ابن جبير، ٢٤٨-٢٤٩ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ١، ص٣٦٧ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩٤؛ القلائد الجوهرية، ص٤٨؛ العطار، محمد، علم المياه الجارية في مدينة دمشق؛ تحقيق:احمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤، ص٨.

(٦٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٧٧؛ ابن الشحنة (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، أبي الفضل محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،؛ تقديم: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤، ص ١٣٤- ١٣٥؛.

(٦٦) نهر الكَلْب: يقع بين بيروت وصيداء من سواحل عواصم الشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ٣٢٣.

(٦٧) حسين، الحياة الزراعية،ص٣٢-٣٣

(٦٨) المرجع نفسه، ص٣٤

الزراعية وأشجارها المثمرة في البساتين والكروم .[٦٩] ويضاف الى تلك المصادر المائية مياه القنوات التي تكثر في مناطق دمشق والنبك وسلمية ومنبج، وسهول حلب. ذكر ابن شداد أن عددها وصل إلى نحو(١٣٤) قناة في دمشق و[٢٠] قناة فيما جاورها من القرى والأحياء، وعادةً ما تكون مياه القنوات تستخدم في أغراض الشرب وري المزروعات.[٧٠]

الأراضي الزراعية

تنتشر الأراضي الزراعية في السهول الساحلية لمناطق انطاكية واللاذقية وبانياس وطرابلس وعكا وبيروت، وصيدا المحفوفة بالبساتين والأشجار، والتي تشتمل على نيف وستمائة ضيعة، ثم السهل الساحلي الفلسطيني، وبقية السهول المنتشرة على الساحل الجنوبي لبلاد الشام[٧١].

ويضاف إليها السهول الداخلية التي يقع بعضها الى الشرق من السلاسل الجبلية الشرقية، وأهمها: سهول حمص وحماة والبقاع والغور الأردني [٧٢]، ثم سهول الغوطة وحوران، والسهول المرتفعة في الجولان ومنطقة شرقي الأردن ، والمعروف أن مزارع الشام وإنتاجها من المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة يضرب بها المثل في

---

(٦٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٠؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ابن أيوب، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م، ص٢٤٣- ٢٤٧ ؛ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ص ١٧٤- ١٧٥.

(٧٠) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق ٢ص١٩-٣٢ ؛ حسين، الحياة الزراعية، ص٣٤-٣٥

(٧١) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٧٠ ؛ حسين، الحياة الزراعية،ص٣٧

(٧٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٧٤.

جودتها وكثرة مياهها وخصوبة أراضيها (٧٣). فعلى سبيل المثال امتلكت دمشق في داخلها وخارجها كثيراً من السهول والبساتين، أو كما قال ابن جبير عن دمشق "جنة المشرق، وعروس المدن، تحلت بالأزاهير والرياحين، وأحدقت البساتين بها وامتدت بشرقها وغوطتها الخضراء".(٧٤)

تعد منطقة الأغوار من المناطق الزراعية التي تشتهر بخصوبة أرضيها ووفرة غلاتها مثل قصب السكر والموز وأشجار النخيل والحلفا والأرز، وتشتهر جبال عجلون و مؤاب والشراة بزراعة أشجار اللوز والرمان والتين البلوط والسنديان والسرو والصنوبر والبطم والخروب، يقول الإدريسي: " ويقابل عسقلان في جهة الجنوب ناحيتان جبليتان وهما جبال وشراه، فأهل جبال فمدينتها تسمى دراب وشراة أيضاً مدينتها أذرح وهما في غاية الخصب وكثرة أشجار الزيتون واللوز والتين والكروم والرمان... " (٧٥) بينما خصصت أراضي البلقاء لزراعة الزعفران المستخدم في الطعام و الصباغة، إضافة إلى أشجار الفاكهة التي تنتشر ما بين الزبداني ودمشق، وأراضي القدس ونابلس والخليل(٧٦). وفي معظم بلاد الشام تسود زراعة محاصيل الحبوب بجميع

(٧٣) الغامدي، علي محمد،بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ص٤٥٤

(٧٤) ابن جبير، الرحلة، ص٢٣٤-٢٣٥

(٧٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٥٧.

(٧٦) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ج٨، ص٢٥٦؛ غوانمة، يوسف درويش، تاريخ شرق الاردن، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩م، ص٥٦-٥٧؛ شاهين، رياض ،وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش، دار الشروق عمان، ٢٠٠٣م،، ص ١٠٥.

أنواعها من القمح والشعير والشوفان[٧٧] والفول والحمص والعدس والكرسنة والجلبان[٧٨] وغيرها [٧٩]. وتميزت بعض المناطق الجبلية في زراعة الأشجار المثمرة مثل الكرمة والزيتون والرمان الذي يزرع في جبل الريان (جبل العرب)[٨٠]. فيما اشتهر جبل السماق بكثرة أشجاره المثمرة، ومحاصيله الزراعية لكثرة مزارعه وبساتينه وإنه، "أعمر الأرض وأعملها فلاحا"[٨١].

أشاد الرحالة ابن جبير بالإنتاج الزراعي في بلاد الشام، وكثرة خيراتها وانتشار البساتين في مناطق المعرة ومبنج التي تنتج الزيتون والتين والفستق واللوز والمشمش والتفاح والرمان وأنواع الفواكه، وذكر بأنها " أخصب بلاد الله وأكثرها رزقا" [٨٢]. وتشتهر صيدا بزراعة أشجار الفاكهة، والناعمة التي ينبت في أراضيها أشجار الخرنوب وبيروت الغنية بأشجار الصنوبر، وجبيل واسعة الأشجار ولها فواكه وكروم، ومدينة طرابلس التي تشتمل على ضياع عديدة يكثر فيها زراعة أشجار الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفاكهة وأصناف من غلات الحبوب، ومن أشهر صناعها

---

(٧٧) الشوفان: نبات علفي من الفصلية النجيلية، انظر:مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥٠٠.

(٧٨) الجلبان: هو مما يطحن ويخبز فيؤكل خبزه، وهو من الزراعات الشتوية والصيفية، ويوافقه في الأرض ما يوافق الباقلي، انظر: ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي، الفلاحة النبطية، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٩٣م، ج١، ص٥٠٨.

(٧٩) النويري، نهاية الارب، ج٨، ص٢٥٧.

(٨٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٥،١١٣؛ حسين، الحياة الزراعية، ص٤٠-٤١

(٨١) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص٢٠٧؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٥.

(٨٢) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٣،٢٢٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٥

الشفيقية والزيتونية والراعبية والحدث وأميون[٨٣]. وعلى الرغم من ندرة الأمطار وقلة الأنهار، إلا أن السهول الشامية تمتاز بأجود أنواع التربة الطينية الصالحة للزراعة في أراضي حوران والغوطة وسلمية وحمص ومناطق الساحل والسهول الشرقية بالإضافة إلى مناطق الغور والبقاع وبعلبك المدينة الخصيبة كثيرة المحاصيل والغلات وغزيرة بالكروم وأشجار الفاكهة [٨٤].

أما فيما يتعلق بريٍّ الأراضي الزراعية ،فان اعتماد الجزء الأكبر منها على مياه الأمطار، في حين تتركز المناطق التي تعتمد على الري في أراضي الغوطة وحوضي نهري الأردن والعاصي.[٨٥] وفي الجنوب الشامي تسقى أراضيه من ماء الحاصباني وبانياس والأردن. [٨٦] هذا وقد شهدت أكثر مناطق دمشق الزراعية في القرى والضياع إصلاحات حقيقية في الجانب المائي، الأمر الذي ساهم في توسيع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة خاصة في منطقة الغوطة منذ عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية[٨٧]، الذي اهتم بكري الأنهار[٨٨]، واستخدم أدوات الناعورة [٨٩]، والمعروفة منذ القدم في

(٨٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص ٣٧١- ٣٧٣.

(٨٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ١، ص ٣٦٩؛ كرد علي، خطط الشام،ج٤ ، ص١٧١

(٨٥) النويري، نهاية الارب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ج٨، ص١٨٦ حسين، الحياة الزراعية، ٨٢.

(٨٦) كرد علي ، خطط الشام، ج٤ ،ص١٧٦

(٨٧) حسين، الحياة الزراعية، ص٨٢

(٨٨) كري الأنهار: تنظيف مجرى النهر أو القناة من الأوساخ والأعشاب، انظر: حسين، الحياة الزراعية، ص٨٧.

(٨٩) الناعورة: دولاب ذو دلاء أو نحوها، يدور بدفع الماء أو جر الماشية، انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص٤١٩.

كري الأنهار والدالية[٩٠] والدولاب كما استخدمت في الري أدوات الشادوف والساقية.[٩١]

وحول الأساليب الزراعية المستخدمة في المناطق الشامية البعيدة عن مجاري الأنهار التي تعتمد في ري محاصيلها على مياه الأمطار الموسمية (الشتوية)، فقد استخدم الفلاحون نظام الحقلين وهو نظام وجد من العهد الروماني في بلاد الشام، حيث يزرع بموجبه قسم من الأراضي ويتم إراحة القسم الآخر، ثم يجري التبديل بين القسمين في العام التالي، [٩٢] من أجل المحافظة على جودة التربة وتحسين الإنتاج .[٩٣] ويقوم الفلاح الشامي بحراثة الأرض ثم زراعتها بالمحاصيل الزراعية الصيفية والشتوية، ومن ثم تسميدها إما بروث الحيوانات وفضلات الناس، أو باستخدام الرماد والتبن، أو السماد المخلوط بشتى الأنواع، وبعد ذلك يلجأ إلى قطف ثمار تلك المحاصيل في أوقاتها المناسبة حتى يتسنى له دفع الضرائب الخراجية أو العشرية المترتبة على أرضه[٩٤].

وقد عرف منذ العهد الأموي وحتى العهد المملوكي عدة طرق وقوانين للفلاحة تقوم على أساسها زراعة الأرض من قبل الفلاحيين حيث تعتمد على المشاركة ما بين

---

(٩٠) الدالية: دولاب يديره ثور من أجل إيصال الماء في النهر إلى الأرض المراد ريها، انظر: الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م، ص٥١.

(٩١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢ ق٢ ص١٨؛ طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢٤٤.

(٩٢) النويري، نهاية الإرب، ج٨، ص٢٥٦؛ الطروانة، طه ثلجي، مملكة صفد في في عهد المماليك ، دار الآفاق الجديد، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٦٨؛ طرخان، النظم الإقطاعية ص ٢٤٢.

(٩٣) خرابشة، سليمان عبد العبد الله، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣، ص١٦٠.

(٩٤) حسين، الحياة الزراعية، ص٧٣؛ خرابشة، نيابة طرابلس، ص١٦٠.

الفلاح وصاحب الأرض مثل: المقاسمة وتختلف حسب نوع الأرض ونوع ريّها وتكون أما المثالثة أو المرابعة أو المخامسة أو المسادسة أو المسابعة أو المثامنة وقد تعرضت هذه القوانين لجدل الفقهاء، ومن الطرق: المزارعة[٩٥]، والمساقاة[٩٦]والمغارسة[٩٧]، إلى جانب قانون الإيجار أو التضمين، وجميعها كانت تقوم على عمل الفلاح في الأرض لقاء جزء من محصولها، وتختلف قيمة الإيجار تبعاً لنوع الأرض ونوع ريّها ونوع المحصول، فضلاً عن الأحوال الطارئة من رخاء أو غلاء أو فتن، بالإضافة إلى معاملة مالك الأرض، ويكون نصيب الفلاح بعد الحصاد بحسب ما اتفق عليه، وتكون القسمة بحضور شهود مقابل أجر يحصلون عليه من المقطع والفلاح لا يتجاوز العشرة بالمئة في أحسن الأحوال، وقد لا يحصل على شيء بسب ما كان يدفعه لوكلاء الدين من ديون وأثمان البذار،[٩٨] ويدخل ضمن الإيجار ما يعرف بالأراضي المضمنة، وانتشر هذا القانون في الأراضي الشامية الساحلية منذ أن كانت خاضعة تحت الحكم الإفرنجي، واستمرت حتى عصر المماليك، وعلى أرباب تلك الأراضي دفع شيء

(٩٥) النويري: نهاية الارب، ج٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٨٧.

(٩٦) المساقاة: دفع الرجل شجره إلى آخر ليقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزء معلوم من ثمره كالنصف أو الثلث، انظر: فالح حسين، الحياة الزراعية، ص٦٥، طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٥٥ هامش ٣٢

(٩٧) المغارسة: عقد بين الطرفين (صاحب الأرض والفلاح) على أن يقوم الثاني بغرس الأشجار المثمرة وله حصة من الأرض والشجر ، من نهاية الاتفاق، انظر: طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٣٨- ٢٥٥؛ حسين الحياة الزراعية، ص٧٠.

(٩٨) النويري، نهاية الأرب ج٨، ص ٢٦٠؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٨؛ الاوتاني، أحمد محمد، دمشق في العصر الأيوبي، التكوين للتأليف والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م، ص٣٣٨-٣٣٩.

معلوم من المال يؤخذ منهم عند إدراك المحصول. ويضاف إلى تلك الأساليب الزراعية استخدام ما يعرف بالتسليف(٩٩) الذي يقوم على استثمار ثمر الأشجار فقط.(١٠٠)

استعمل الفلاحون الشاميون في العصر الأيوبي الكثير من الآلات الزراعية التي تعتمد على القوة البدنية في عملها مثل: المحراث الخشبي المصنوع من خشب أشجار الدردار كما عند الحلبيين، والمنجل والجاروف (المجرفة) والمسحاة والشوافة والمعول. وفي موسم الحصاد يستخدمون لوحاً من الخشب لدرس الحبوب، ثم وضعها في قبة تسمى العرم لتبدأ عملية الذري بوساطة المذراة الخشبية، كما يستخدم الغربال لتصفية الحب من الأوساخ والأتربة، ويعتمد الفلاحون في أكثر القرى الشامية بشكل كبير(١٠١) على عدد من الحيوانات التي تساهم في أعمال الزراعة مثل الثور والحمار والبغل والخيل وغيرها.(١٠٢)

عرف الشاميون عدداً من الأساليب المستخدمة في الزراعة مثل التباعد في زراعة الأشجار فيما بينها، حيث يشير ابن بصال إلى الطريقة التي تزرع فيها أشجار الزيتون بقوله: "والمسافة بين الغرسة والأخرى عشرون ذراعاً وهو مذهب أهل الشام".(١٠٣)

---

(٩٩) التسليف: أن يقوم رجل ذو مال بتسليم صاحب الشجر مبلغاً من المال على أن له ناتج شجرة في هذا العام، للمزيد انظر: حسين، الحياة الزراعية، ص٧١.

(١٠٠) عبد السلام، عادل، جغرافية سوريا، (دمشق، ١٩٧٣م)، ج١، ص٦٤٦-٦٤٧.

(١٠١) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم العربي، حلب، ج١، ص ١١٤ ؛ حسين، الحياة الزراعية، ص ٨١.

(١٠٢) حسين، الحياة الزراعية، ص٧٧.

(١٠٣) حسين، الحياة الزراعية، ص ٧٤، نقلاً عن ابن بصال، الفلاحة، (طبعة المغرب، ١٩٥٥م).

ومارسوا أيضا طريقة التطعيم بجميع أشكاله والترقيد[١٠٤] والتلقيط[١٠٥] ومن خلال استخدام آلة بذر البذور المصاحبة للمحراث الذي يقوم بحراثة الأرض.[١٠٦]

وتبدأ السنة الزراعية عند الفلاحين في بلاد الشام في شهر تشرين أول، مع ملاحظة اختلاف مواسم الزراعة بين المناطق الشمالية والجنوبية فيما يتعلق بحصاد الحبوب الشتوية، حيث تتأخر في الشمال عنها في الجنوب، واستواء بعض أنواع الفاكهة كالشمام والبطيخ.[١٠٧]

ويضاف إلى ذلك جهود السلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ -٥٨٩هـ) (١١٧١ -١١٩٣م) في استصلاح وتوسيع رقعة الأراضي الزراعية في مصر وبلاد الشام من خلال بناء السدود وعمل الخزانات وشق القنوات من أجل مواصلة النشاط الزراعي، وإلغاء بعض الضرائب المفروضة على كاهل الفلاحين والمزارعين حيث تشكل الزراعة العمل الرئيسي والمعيشي لسكان بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، لاسيما وإن السلطات الأيوبية قامت بتشجيع الفلاحين على الزراعة من خلال تضمينهم الأراضي الزراعية والعمل على استصلاحها مقابل مبلغ محدود[١٠٨].

---

(١٠٤) الترقيد: تسمى التكبيس، وهي أن يعمد إلى الفروع النابتة في أصل الشجرة في الحفر التي حفرت بمقابلتها ثم يغطى عليها وكأنها زرعت على أن يبرز رأس الفرع من الناحية الأخرى للمزيد انظر: حسين، الحياة الزراعية، ص ٧٥

(١٠٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٦٩؛ حسين، الحياة الزراعية، ص ٧٥

(١٠٦) حسين، الحياة الزراعية، ص٧٥.

(١٠٧) المرجع نفسه، ص٩٠

(١٠٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٣؛ الاوتاني، دمشق، ص٣٤٠.

أنواع المحاصيل الزراعية

الأشجار المثمرة: يعتمد ريّ الأشجار في معظم مناطق الشام على مياه الأمطار، وبنسب قليلة على مياه الأنهار، مثل أشجار التين والعنب والرمان والسفرجل والتفاح والكمثرى،[١٠٩] والأجاص، والتوت، والفرصاد[١١٠] والمشمش والخوخ، التي تنتشر زراعتها بكثرة في معظم المدن الشامية .[١١١] ومن الأشجار أيضا الجوز واللوز والفستق والبندق بالإضافة إلى أشجار الحمضيات كالليمون و الأترج والنارنج والكباد والموز .[١١٢] فيما تكثر زراعة أشجار الزيتون في معظم أنحاء البلاد الشامية، يقول ابن جبير في مدينة حماة ونواحيها :"وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجرات الأعناب ، وفيه المزارع الكثيرة والمحارث".[١١٣] ثم يضيف ابن بطوطة قائلا :" وبحماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي".[١١٤].

وفي الأراضي التابعة لمنطقة شرقي الأردن، أولى أمراء البيت الأيوبي وعلى رأسهم الملك المعظم عيسى العناية بزراعة الأشجار المثمرة، فأصبحت بذلك" تضاهي

---

(١٠٩) الكمثرى: نوع من الشجر المثمر، من الفصيلة الوردية، أصنافه كثيرة، ويسمى الإنجاص في بلاد الشام، انظر: النويري، نهاية الارب، ج١١، ص٨.

(١١٠) الفِرْصَاد: اسم يطلق على التوت، انظر: المعجم الوسيط: ص٦٨٢.

(١١١) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٢٥٨؛ الاوتاني، دمشق، ص ٢١٢-٢١٦

(١١٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٢٥٨-٢٥٩

(١١٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٣١

(١١٤) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٦٢

دمشق في روائها وتدفق مياهها" حيث تزرع أشجار الزيتون والأعناب واللوز في جبال عجلون والبلقاء ومؤاب ووادي موسى[١١٥].

١- الحبوب: إن أهم ما يزرع في بلاد الشام من أنواع الحبوب: الحنطة والشعير والذرة الصفراء والبيضاء والأرز ، حيث تزرع الحنطة على الأغلب في أراضي حوران ووادي العجم وسهول فلسطين والبلقاء ومدينة حلب وضواحيها وقراها الشرقية والجنوبية وغوطة دمشق وغيرها. [١١٦] وتكثر زراعة الشعير في معظم مناطق الشام تقريبا كأراضي دمشق وفلسطين وشرقي الأردن في أراضي البلقاء والكرك والشوبك وإربد والرمثا وشرق جبال عجلون. [١١٧] كما يزرع محصول الذرة في الأراضي التي تسقى من مياه الأنهار، باستثناء الذرة البيضاء التي تنتشر زراعتها في سهول فلسطين وعجلون، ويزرع الأرز في منطقة الحولة. [١١٨]

٢- البقول والخضراوات: تمثل زراعة البقول في بلاد الشام المرتبة الثانية بعد الحبوب المتربعة على قمة المحاصيل الزراعية نظرا لأهميتها الغذائية، واعتماد أهالي الشام عليها في حياتهم المعيشية كالفول والحمص والجلبان والعدس والسمسم والكرسنة والحلبة، حيث تكثر زراعتها في أراضي الغوطة وفلسطين ومنطقة شرقي الأردن[١١٩] ومنها القنبيط[١٢٠] والبقلة اليمانية. [١٢١] ويزرع في حلب السمسم والبطيخ

---

(١١٥) ابن شداد، الأعلاق، ص ٨٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٣٣٤؛ القزويني، أثار البلاد، ص ٢٧٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٠.

(١١٦) الغزي ، نهر الذهب ،ج١ ،ص١٠٢؛ كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٧-١٧٨

(١١٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٥؛ غوانمة ، الطاعون والجفاف، ص٧٨؛ غوانمة، تاريخ شرق الأردن، ص ٥٥.

(١١٨) كرد علي، خطط الشام،ج٤، ص١٧٧-١٧٨

(١١٩) الغزي ، نهر الذهب، ج١ ، ص١٠٢؛ الاوتاني، دمشق، ص ٢١١-٢١٢

والخيار وجميع أنواع القثاء والدخن والذرة بالإضافة الى أشجار الفاكهة كالمشمش والكرمة والتين والتفاح.[١٢٢] في حين تنتشر زراعة أشجار الزيتون والفستق والسماق والعنب الأحمر في بلاد المعرة[١٢٣]. أما جبل لبنان ومدن وقرى بيروت وصيدا وطرابلس فقد انفردت بزراعة أشجار اللوز المر والحلو والقراصيا،[١٢٤] والتين والعنب والزيتون والصنوبر وقصب السكر، [١٢٥] هذا بالإضافة إلى زراعة أنواع الحبوب كالعدس والكرسنة والفول والوسمة، وكذلك أشجار الحمضيات والتفاحيات كالنارنج[١٢٦] والموز والليمون والتوت والخروب، [١٢٧] ولكثرة البساتين في بعلبك فقد تميزت بزراعة أشجار العنب واللوز والفستق.[١٢٨]

وخصصت أراضي الأودية لزراعة أشجار الفاكهة كالمشمش والكمثرى والتفاح والخوخ والتين والرمان والأجاص والجوز التي انتشرت بكثرة في أودية حسبان

---

(١٢٠) القنبيط: بقلة زراعية من الفصيلة الصليبية، تطبخ وتؤكل، وتسمى في الشام (القرنبيط)، انظر: المعجم الوسيط، ص٧٦١.

(١٢١) كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص ١٥١

(١٢٢) الحموي، معجم البلدان، ص٤٨٤ ؛ الغزي ، نهر الذهب ،ج١ ، ص١٠٢- ١٠٥ ،١٠٧-١١٣

(١٢٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٩

(١٢٤) القراصيا: شجرة تكثر في الشام بينها وبين براري فاران، وثمرتها شبه بالزيتون الكبار منه، انظر: ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٦٤٤.

(١٢٥) ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٨؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة (تاريخ لبنان)، ص٩٨، ١٠٤،١٠١؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٠٧،٢٠٠.

(١٢٦) النارنج: نبات هندي، شجرة طويلة وورقها لين ملس شديد الخضرة، ورائحتها عطرية، ويتخذ من أوراقها العطرية ماء الزهر، تحمل حملا مدوراً، في جوفه حماض كحماض الاترج، انظر: ابن وحشية ، الفلاحة النبطية،ج١، ص١٧٧؛ النويري، نهاية الارب، ج١١، ص٧.

(١٢٧) خرابشة، نيابة طرابلس، ص ١٥٨-١٥٩

(١٢٨) ابن بطوطة، الرحلة، ص٧٨

والكرك[١٢٩]. وفي الغور يزرع النخيل والموز وقصب السكر، بالإضافة إلى أشجار البرتقال والليمون والنارنج[١٣٠]. وبالنسبة للمزروعات الفلسطينية فقد احتلت زراعة أشجار الفاكهة المرتبة الاولى ، حيث التين والزيتون والجميز[١٣١] والعنب والخروب والنخيل في أراضي الخليل ونابلس والرملة وغزة.[١٣٢] قال المقدسي في وصف الرملة :" إنها واسعة الفواكه ولا أحسن ولا أطيب من حواريها ولا ألذ من فواكهها وفيها أطعمة نظيفة وأدمات كثيرة جمعت التين والنخيل وانبتت الزروع على البعل وحوت الخيرات".[١٣٣]

ملكية الأراضي ونظام الإقطاع

ليس من إشارة تذكر في المراجع العربية ولا الأجنبية حول أنظمة الملكيّة في بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، وقياساً على نظام الملكيّة للأراضي في مصر، يمكننا معرفتها في بلاد الشام، إذ أن من البديهي أن يكون الوضع في بلاد الشام مشابهاً تماماً للوضع في مصر، أي أن الأراضي الزراعية في بلاد الشام كانت تتوزع بين الأراضي المملوكة، والأراضي الإقطاعية، وما بين الأراضي الموقوفة لصالح أعمال الخير، ولكل من هذه الأراضي نظام خاص في دفع الضرائب الزراعية،حيث تدخل تحت

---

(١٢٩) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٢٨ ؛ غوانمة، تاريخ شرق الأردن، ص ٥٥.

(١٣٠) دويكات، فؤاد عبد الرحيم حسن، إقطاعية شرقي الأردن في العصر الحروب الصليبية (رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، اربد)، ص ٢٠٤-٢٠٥

(١٣١) الجميز: شجرة الجميز، تشبه شجرة التين، وتستعمل في الخبز، انظر: ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٦٤٤؛ المعجم الوسيط، ص١٣٤.

(١٣٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥٧؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق٢ ، ص ٢٣٩؛ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٦-٥٧؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٠؛ ثيودوريش، وصف الاماكن،ص ١٠٩، ١٢٩.

(١٣٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٤.

مسمى الأراضي العشرية[١٣٤] والخراجية[١٣٥]، يقول المقريزي: " وأما منذ كانت أيام صلاح الدين بن يوسف أيوب إلى يومنا هذا فإن أراضي مصر كلها تقطع للسلطان وأمرائه[١٣٦] وأجناده".

وتشكل الأراضي الزراعية اللبنة الأساسية في بناء الاقتصاد الشامي زمن الأيوبيين، نظرا لما تتمتع بها تلك الأراضي من خصوبة عالية في التربة سواء أكانت سهلية أم جبلية في أراضي دمشق، ثم سهول وجبال فلسطين ولبنان وشرقي الأردن، التي تعتمد على مياه الأنهار والأمطار بشكل كبير في ري المزروعات بجميع أنواعها.[١٣٧] وتركزت الأراضي الزراعية في القرى التي تتوسطها وتحيط بها، بالإضافة إلى الحقول البعيدة عن محيط القرية، وقد اعتاد أصحاب الأراضي إلى الخروج في مواسم البذار والإقامة بجانبها في مبانٍ أطلق عليها اسم (الخربة) كما عند فلاحي القرى الفلسطينية خلال الحقبة الأيوبية.[١٣٨]

وقد عرفت بلاد الشام نظام الإقطاع في العصر الأيوبي ابتداء من عهد صلاح الدين الذي خالف ما كان على زمن الأمويين والعباسيين والفاطميين. إذ عرفت بلاد الشام في العهد الفاطمي ما يعرف بنظام إقطاع الاستغلال الذي

---

(١٣٤) الأراضي العشرية: هي الأراضي المفروض عليها عشر إنتاجها لصالح بيت المال، وفق أنظمة الدول الإسلامية، انظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم معجم المصطلحات، والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦، ص٢٤.

(١٣٥) كرد علي،خطط الشام، ج٤، ص١٩٢.

(١٣٦) المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، ج١، ص ٩٧.

(١٣٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥٨- ١٦٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩٠

(١٣٨) عثامنة، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٢٦٠.

يقتصر على استغلال الأرض دون ملكيتها، [١٣٩] أما في العهد الأيوبي فقد ظهر النظام الإقطاعي السلجوقي واضحاً عند السلاطين الأيوبيين، وذلك من خلال توزيع الأراضي على الأمراء والأجناد وكبار رجال الدولة ، بصفة غير وراثية باستثناء أبناء السلطان وأقاربه، وكان أمراء الإقطاع يتقاضون جامكيات[١٤٠] أو حصص مقررة من الإقطاع الواقع تحت إشرافه، وقد استحوذوا على القسم الأكبر من الأراضي الزراعية. [١٤١] إذ أبقى صلاح الدين على الإقطاعات التي كانت بأيدي الأمراء النورية، بل وزادهم إقطاعات جديدة في بلاد الشام من أجل المواصلة في قتال الإفرنج، وكذلك أمراء الغرب في لبنان من آل حجي وغيرهم خلال العهد الأيوبي، وما فعله أبناء العادل مثل المعظم عيسى عندما قام بتوزيع نصيبه من الإقطاعات على أمرائه ومماليكه.[١٤٢]

---

(١٣٩) الطواهية، فوزي خالد، الإقطاع العسكري (الحربي) في بلاد الشام في العصر الأيوبي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، عمان، مج ٦، ع ٣، ٢٠١٢، ص٢.

(١٤٠) الجامكية : لفظ فارسي معرب ، مرتب الجندي أو الخادم، أطلق في العهد العثماني على الأعطيات والمرتبات الشهرية أو السنوية التي كان يتقاضاها الجند . انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص ١١٩.

(١٤١) الدوري ،مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص١٠٢؛ غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ، ص١٣٦؛ خليل، فؤاد، الإقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٧٤ – ١٧٥؛ كاشف، سيدة إسماعيل، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٧٢؛ سعداوي، نظير حسن، جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.

(١٤٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢م، ج٦، ص ١٢٠؛ الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب؛ تحقيق: مديحة الشرقاوي مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٩٩٦م، ص ٦٤؛ طرخان، النظم الإقطاعية، من ٤٠– ٤٣.

وأما الأراضي الزراعية التي لم تدخل في سجلات الاقطاع، فقد أصبحت خاضعة لنظام التأجير مقابل الالتزام لمدة لا تزيد عن أربعة أعوام، يراعى بعد ذلك إعادة توزيعها من جديد وبطريقة التأجير نفسها [١٤٣]. وهي صغيرة المساحة إذا ما قورنت بحجم أراضي الإقطاعات الممنوحة للأشخاص، وأحيانا ما يلجأ ملاكو الأراضي إلى تشغيل عدد من الفلاحين الذين يتم استقطابهم من القرى والمناطق الأخرى، فالغالب على طابع العمل في قرى الغوطة الزراعية هو الاعتماد على العمال المتنقلين لا المقيمين مقابل أجر معين.[١٤٤]

استأثر أمراء البيت الأيوبي بالإقطاعات ذات المردود المالي الكبير في مصر وبلاد الشام، ثم تابعوا سياسة منح الإقطاعات لكبار رجال الدولة وأعيانها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإقطاع الذي كان يتم توزيعه على أمراء الجيش وعساكرهم هو إقطاع تمليك لا استغلال، إذ يرث بموجبه الأبناء الإقطاع عن الآباء بعد موتهم، فأصبحت أراضي الشام تدخل ضمن إقطاعات المدن والقرى والضياع والمزارع التي منحت للسادة المقطعين في دمشق وحلب وحماة والقدس ونابلس وغيرها من المدن الشامية، التي تجزأت أراضيها وثراها بين المقطعين. [١٤٥] وما يميز الإقطاع الحربي هذا عند

---

(١٤٣) سمنيوفا، ليديا اندرنيغلا، صلاح الدين، والمماليك في مصر؛ ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٩ .

(١٤٤) كرد علي، غوطة دمشق ، ص١٩، ٢٩.

(١٤٥) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠، ج٩، ص١٧٢-١٦٧-١٦٤؛ ابن أبي جرادة ، كمال الدين عمر بن أحمد زبدة الحلب من تاريخ حلب؛ تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربين دمشق، ١٩٩٧،ج٢، ص ٦٣٨-٦٣٩؛ ابو شامه ، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م،ج٤، ص٤٤٠،٤٥٠؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب؛ تحقيق: جمال الدين الشيال(طبعة، ١٩٦٠م)، ج٣، ص٤٣ ،٥٢ ؛ بني عيسى،

الأيوبيين أن إعداد الفرق العسكرية في كل إقطاع، تعتمد بالدرجة الأولى على حجم الإقطاعات العسكرية التي يتم توزيعها على الأجناد، من أجل استيفاء عوائدهم النقدية والعينية، و كذلك من أجل القيام بعبء الحروب سواء التي تدور رحاها بين الإمارات الدويلات الأيوبية أو عند إرسالهم للانضمام إلى الجيش الأيوبي في مقاومة الأعداء، ويتوقف مدى قوتها واستمرارها في مواصلة الحروب على تمويلها ، إما من قبل أمير الإقطاع، أو بتموين الأجناد أنفسهم بالميرة والعلوفة وذلك من خلال العودة إلى إقطاعاتهم والعمل فيها فور انتهاء مدتهم في خدمة الحملات الحربية[١٤٦].

ويجب التنويه إلى أن انتقال ملكية الأراضي في القرى الشامية من صاحبها الإقطاعي إلى المالكين من الأهالي كانت تتم عن طريق عمليات البيع والشراء، مثل انتقال أملاك محمد بن شاهنشاه ابن الأمجد بهرامشاه من الأراضي إلى مالكين آخرين في قرية جسرين[١٤٧]، هذا إذا لم تكن أراضي القرية الواحدة تابعة لعدد من السادة الإقطاعين الذين يشتركون في نسب معينة من محاصيل القرية ومداخيلها.[١٤٨].

وفيما يلي ذكر لأهم الإقطاعات في بلاد الشام خلال الحكم الأيوبي، ومتضمناً الحديث عن الآلية التي تم من خلالها توزيع تلك الإقطاعات على أربابها.

عبدالمعز عصري، الموارد والنفقات في الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، (رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٩م ، ص١٥٧-١٥٨.

(١٤٦) الأصفهاني، عماد الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي؛ تحقيق: محمد صبح، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٩٢ ؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٥ هاملتون آ. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي؛ تحرير: يوسف أيبش، بيسان للنشر، بيروت، ط ٢، ص ١٩٩٦، ص ١٨٦.

(١٤٧) جِسرِين: من قرى غوطة دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ١٤٠.

(١٤٨) عثامنة ، فلسطين، ص٢٦١

أولاً: إقطاعات الأمراء الأيوبيين

حصل أيوب والد صلاح الدين على إقطاعات في بلاد الشام من قبل عماد الدين زنكي سنة ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م، وانتقلت بدورها إلى صلاح الدين، بعد أن أصبح من أمراء جيش السلطان محمود نور الدين زنكي[١٤٩]، وزادت الإقطاعات الممنوحة لصلاح الدين بعد التحاقه بالخليفة العاضد الفاطمي في الديار المصرية وذلك بعد أن استوزره فترة من الوقت إلى أن آلت إليه السلطة بعد القضاء على الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م، فأصبحت أراضي مصر تحت سيطرة الأيوبيين.[١٥٠]

أ) دمشق:

بعد أن تمكن صلاح الدين من سيطرته على الديار المصرية، ووفاة السلطان محمود نور الدين زنكي، اتجه لضم بلاد الشام، ثم بدأ بتوزيع الإقطاعات على الشكل الآتي :

تم تعيين ابن المقدم على ولاية دمشق منذ عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م، بعد تنازله عن إقطاعه في بعلبك لتورا نشاه شقيق صلاح الدين[١٥١]، وقام صلاح الدين بتعيين ابن أخيه فروخ شاه قائداً لعسكر دمشق ووالياً عليها إلى جانب ابن المقدم، والذي بلغ عدد جنده (أي جند دمشق) نحو ١٠٠٠ جندي[١٥٢]، طلب صلاح الدين منهم

---

(١٤٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٢٩٥ – ٢٩٦؛ زابوروف، الصليبيون، ص ١٨٩.

(١٥٠) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣٠٤ – ٣٠٩.

(١٥١) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٥٠، هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٠.

(١٥٢) البنداري، الفتح بن علي، سنا البرق الشامي؛ تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٦١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٦٦.

الزحف، بأن يزحفوا بالجيش باتجاه الشمال للدفاع عن حصن رعبان ضد سلطان سلاجقة الروم[١٥٣].

وفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م آل إقطاع دمشق وأعمالها إلى ابنه الأفضل علي[١٥٤]، وبعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، أصبحت الإمارات الأيوبية تعاني من التجزئة والفوضى بسبب الاضطرابات السطحية التي نتجت عن الصراعات بين أمراء البيت الأيوبي، والقيام بتشكيل تحالفات لا سيما بين دمشق وحلب للتصدي لأطماع حكام مصر[١٥٥]، إلا أن الأمر لم يطل كثيراً بالنسبة لصاحب دمشق الذي تم طرده من إقطاعه ، وتسليمه لعمه العادل سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م.[١٥٦] وبعد وفاة العزيز عثمان وتولي العادل عرش السلطنة، أعطى دمشق لابنه المعظم عيسى سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩.[١٥٧] وفي عهد السلطان الكامل تنازل الناصر داود عن دمشق لعمه الأشرف موسى بعد الحصار الذي فرض عليها سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م وخلف الأشرف في إقطاع دمشق بعد وفاة أخيه الصالح إسماعيل سنة٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م ، ثم سلمها بدوره إلى المظفر أمير حماه ، وبعد وفاة السلطان

---

(١٥٣) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٦٦-١٦٧

(١٥٤) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٤.

(١٥٥)؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ص٤٣٩؛ ابن شداد، الأعلاق، ج٢ ق ٢، ص٥٨٠ ؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م ص٢٠٠١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٢،

(١٥٦)،المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك؛ تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص ١٣٦ ؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٥؛ طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م. ص٤٣

(١٥٧)هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٦-٢٠٧).

الكامل تم منح إقطاع دمشق إلى الملك الجواد يونس حفيد العادل سنة٦٣٦ هـ/١٢٣٨م، ثم تنازل عنها الجواد للصالح أيوب مقابل إقطاعه بعض النواحي في بلاد ما بين النهرين ، وذلك بسبب الخوف من هجوم الجيش المصري المحتمل بالاتفاق مع الناصر داوود على دمشق، ثم استولى عليها المغيث عمر سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، بعد أن سقط الصالح أيوب أسيراً في أيدي قوات الناصر داوود، وسجنه في الكرك، وتم الاتفاق بعد ذلك بين الناصر داوود والملك المظفر تقي الدين الثاني صاحب حماة على إعطاء الأول دمشق مقابل مساعدته في فك أسر الصالح أيوب، وتنصيبه سلطاناً على مصر بدلاً من السلطان العادل الثاني الذي بدّد أموال الدولة التي تركها والده والتي تقدر بـ(ستة ملايين دينار وعشرين مليون درهم). (١٥٨)

وتمكن السلطان الصالح أيوب من الاستيلاء على دمشق سنة٦٤٣هـ/١٢٤٥م بمساعدة العساكر الخوارزمية، وعين في دمشق معين الدين الشيخ حاكما عليها سنة٦٤٤ هـ /١٢٤٦م، وفي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م دخلت دمشق تحت سلطة الناصر يوسف صاحب حلب، بعد أن تلقى دعوة من عساكرها لتسلم المدينة، وبقيت في حكمه حتى دخلت في حكم المغول سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م، ثم أصبح إقطاع حلب وما تبعها من أعمال مثل: حران وتل باشرو عزاز ومنبج للملك الظاهر غازي(١٥٩).

ب) حلب:

قام صلاح الدين في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م بتوزيع أراضي حلب كإقطاعات على أجناد الجيش التابع له.(١٦٠) ثم منحها لابنه الظاهر غازي ، غير أن هذا الترتيب

---

(١٥٨) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣

(١٥٩) طرخان، ص٤٢؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٨- ٢٣٤.

(١٦٠) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٨.

قد قوبل بالتحدي من قبل أخيه العادل الذي طالب المقايضة في حكم حلب مقابل مصر، فوافقه صلاح الدين على ذلك من خلال الوثيقة التي اشتملت على عبارات المودة الأخوية والمتضمنة تعيينه حاكماً على حلب وله سلطات غير مقيدة(١٦١). وخلال مرض صلاح الدين عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م، تم رد إقطاع حلب إلى الملك الظاهر غازي، بينما أعيد العادل إلى مصر وتم منحه بعض الاقطاعات(١٦٢).

أقطع صلاح الدين حلب سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م بعد الاستيلاء عليها من الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين، لابنه الظاهر، ثم لأخيه العادل في السنة نفسها (٥٧٩ه/١١٨٣مـ)، ثم عادت للظاهر غازي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، وقد بلغ عدد عساكر حلب التي تشارك إلى جانب جيش السلطان في حروبه نحو ١٠٠٠ جندي(١٦٣).

وقام صلاح الدين قبل وفاته سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م بتوزيع الولايات الأيوبية على أفراد العائلة الخاصة مانحاً إياهم سلطات غير مقيدة من أجل ممارسة السيادة منها: حلب وأعمالها التي جعلها من نصيب ابنه الظاهر غازي إلى جانب إقطاعات في دربساك وبولص وتل باشرو أعزاز وشيزر وحارم والرواندان وتل خالد ومنبج وبعرين وبالس وبرزية والتي حصلت على الاستقلال الذاتي عن جسم الدولة الأيوبية ،

---

(١٦١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٠؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٤٤-١٤٥، طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٨-٣٩؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٥

(١٦٢)، ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن موسى بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة الخانجي، ط٢، ١٩٩٤م، ص١١؛ ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص٥٦٢ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٤٥.

(١٦٣) ابن أبي جرادة، زبدة حلب، ج٢،ص ٥٦٢، أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٢٥، ١٥.هاملتون، صلاح الدين، ص ١٧٠.

ويعود السبب في ذلك إلى التجزئة في البلاد الشامية نتيجة الفوضى والاضطرابات التي سببتها الصراعات داخل الأسرة الأيوبية وبروز المطامع لدى بعض أبنائها، ومحاولة صاحب حلب الدفاع عن إقطاعه ضد أصحاب الإقطاعات في مصر و بلاد ما بين النهرين[١٦٤] واستمر الملك الظاهر غازي في إقطاع حلب عبر فترات حكم كل من السلاطين العزيز عثمان والعادل [١٦٥] ثم آل حكم حلب إلى الملك الأشرف موسى منذ سنة٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م، بعد أن تمكن من الدفاع عنها أمام هجمات جيش السلطان السلجوقي كيكاوس، فيما استولى المعظم عيسى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م على مناطق معرة النعمان والسلمية من أعمال حلب، بعد الخلاف الذي نشب بينه وبين تحالف السلطان الكامل مع أخيه الملك الأشرف موسى[١٦٦].

واعترف المعظم عيسى بسيادة جلال الدين (شاه خوارزم) على حلب وعلى جميع الإقطاعات الشامية التي يمتلكها المعظم عيسى وذلك في سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، وبعد موت العزيز محمد ، آل حكم حلب سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م إلى ابنه الناصر صلاح الدين يوسف تحت وصاية جدته ضيفة شقيقة السلطان الكامل التي تحالفت مع الأشرف موسى لحمايتها من أخيها الكامل. وتنازل الناصر يوسف بدوره عن تل باشر من أعمال حلب للأشرف موسى الثاني بدلا من إقطاع حمص[١٦٧].

---

(١٦٤) ابن أبي جرادة، زبدة حلب، ج٢،ص ٦٠٠؛ أبو شامة، الروضتين، ج٣، ٢٤٠؛ ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص١٧٩؛ الغزي ، نهر الذهب، ج١ ص٣٨٠؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٤.

(١٦٥)فضل ابن العمري، مسالك الأبصار، مج٢٧؛ ص١٩٠-١٩١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٦

(١٦٦)هاملتون، صلاح الدين، ص ٢١٥.

(١٦٧) هاملتون، صلاح الدين، ص٢١٥- ٢٢٠- ٢٢٩.

ج) حماة:

قام صلاح الدين بتعيين تقي الدين على حماة سنة٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م، [١٦٨] وفي أثناء مرض صلاح الدين سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، تم إعادة توزيع الاقطاعات في بلاد الشام ، حيث أعيد تعيين تقي الدين على إقطاعاته في الشمال وحماة ومنبج والمعرة ، بالإضافة إلى ميافارقين[١٦٩].

وولّى صلاح الدين على حكم حماة سنة٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م، خاله شهاب الدين محمود الهارمي، وخلفه بعد وفاته في سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م،الأمير ناصر الدين منكورس ابن الأمير خمارتكين ابن أخي صلاح الدين تقي الدين عمر ، وذلك من أجل الإعداد لمواجهة الخطر الفرنجي المحتمل.[١٧٠] ثم آلت حماة بعد وفاة تقي الدين إلى ابنه المنصور ناصر الدين محمد سنة ٥٧٨هـ/١١٩١م[١٧١]، وأضيفت إليه إقطاعات في سلمية ومبنج وقلعة نجم في عهد السلطان العادل منذ سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، وحدث أن قام الابن الأصغر لتقي الدين ويدعى قلج آرسلان، باغتصاب حكم حماة لنفسه، ثم عادت إلى سيطرة المظفر تقي الدين الثاني سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م بمساعدة السلطان

---

(١٦٨) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٧؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٠.

(١٦٩)ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر، مضمار الحقائق وسر الخلائق؛ تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٠٠-١٠٤ ؛ ابن الأثير، الكامل ، ج٩،ص١٧٣؛ البنداري، سنا البرق،ص٢٣٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٢٢٦؛ المقريزي، السلوك،ج١، ص٥٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٩٤ .

(١٧٠) ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٢٩٠؛ هاملتون، صلاح الدين، ص١٦٦؛ الاوتاني، دمشق، ص٢٩٨.

(١٧١) أبو الفداء، المختصر،ج٢، ص١٦٧؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٨، ص ٢٩٥ ؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٦٤؛ ؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين؛ تحقيق: محمد كمال الدين علي، بيروت، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٩؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ٤٢-٤٣؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٠٢-٢٠٣

الكامل ، وبعد وفاة الأشرف موسى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، تم تسليم إقطاع دمشق إلى صاحب حماة المظفر تقي الدين الثاني[١٧٢]. وعندما داهم المغول البلاد الشامية سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، استمر آل تقي الدين في حكم حماة بعد تحالف صاحبها المنصور الثاني مع المغول، وظلت هذه الأسرة تحكم حماة في ظل دولة المماليك حتى سنة٧٤٢هـ/١٣٤١م ، وذلك لما بذله صاحبها في تقديم الخدمات والإخلاص لسلاطين المماليك[١٧٣].

د) حمص:

منح صلاح الدين سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م إقطاع حمص لنصير الدين ابن شيركوه من أجل كبح جماح ريمون الصنجيل صاحب طرابلس[١٧٤].وبعد الحملة التي قام بها صلاح الدين في المناطق الشمالية لبلاد الشام ما بين عامي (١١٧٥ - ١١٧٦)، أقطع صلاح الدين حمص وأعمالها والرحبة وتدمر وسلمية إلى ابن عمه القاهر ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم استمر في حكم الإقطاع بعد وفاته ابنه أسد الدين شيركوه سنة ٥٨١هـ /١١٨٥ م والبالغ من العمر اثنتا عشرة سنة، وقد بلغ عسكر شيركوه عند توليه الإقطاع في حمص نحو (٥٠٠ جندي).[١٧٥]ثم آل حكم حمص بعد ذلك إلى الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن السلطان العادل، ومن ثم أقطعت لصاحب حماة الملك المنصور محمد بن تقي الدين في عهد السلطان العادل،

---

(١٧٢) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٦- ٢١٧- ٢٢٠.

(١٧٣)؛ الحنبلي شفاء القلوب، ص ٢٧٣؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٣٤-٢٣٥

(١٧٤) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٠.

(١٧٥)، أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص ١٦٤؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢،ص٣٥؛ النويري، نهاية الأرب ج٢٨،ص ٢٩٥ ، طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٩-٤٣ ؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ٦.

وبقيت ضمن أملاكه حتى سنة ٦٤٥هـ /١٢٤٧م، حينها استولى عليها الناصر يوسف، وتم تعويض صاحبها الأشرف موسى الثاني بإقطاع تل باشر، وبقيت في أيدي الناصر حتى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠ م، ثم خرجت نهائيا من أيدي الأيوبيين سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، بعد أن استولى عليها المماليك في عهد السلطان الظاهر بيبرس[١٧٦].

هـ) بصرى:

أقطع صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م بصرى وأعمالها لابنه الملك خضر، واستمر في حكمها حتى بعد وفاة والده، على أن يكون في خدمة أخيه الملك الأفضل نور الدين[١٧٧] ، ثم انتقل حكمها إلى الملك الصالح اسماعيل ابن السلطان العادل، واستمر في حكم بصرى حتى سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م ، حينها خضعت تحت حكم السلطان الصالح أيوب[١٧٨].

و) بعلبك:

انتقلت إدارة بعلبك الى تورانشاه بعد أن طلبها من أخيه صلاح الدين سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وكانت قبل ذلك تحت حكم الأمير ابن المقدم، ثم تنازل عنها تورا نشاه في سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩ ، إلى عز الدين فخر شاه ابن شاهنشاه أيوب ، وأعطاه الإسكندرية مقابل ذلك [١٧٩].

---

(١٧٦) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٦- ٢٢٩- ٢٣٤.

(١٧٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٧؛ ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر، تاريخ ابن سباط؛ تحقيق: عمر تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس، د. ت، ج١، ص٢٠٩؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٣ – ٤٥ ؛ مجير الدين الحنبلي، أبو اليمن، الإنس الجليل بتاريخ القدس، ص ٣٥٠-٣٥١؛.

(١٧٨) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٧٤، هاملتون، صلاح الدين،ص ٢٢٩.

(١٧٩) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٧ ، هاملتون، صلاح الدين،ص٢٠٣.

وأبقى صلاح الدين بعلبك سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣ بيد الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فخر خشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وظلت بيده حتى بعد وفاة صلاح الدين[١٨٠].

وفي عهد السلطان الصالح أيوب، أصبحت بعلبك ضمن أملاك الملك الصالح إسماعيل وذلك في سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م[١٨١] ثم آل حكمها سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م إلى معين الدين الشيخ الحاكم المعيّن على دمشق من قبل السلطان الصالح أيوب بعد فرار صاحبها إلى حلب[١٨٢].

ثانياً: إقطاعات الغرب (بيروت):

أقرّ صلاح الدين أمير العرب حجي بن كرامة على إقطاعه في بيروت منذ فتحها سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م كمكافأة له لقاء خدماته في التصدي للإفرنج [١٨٣]، وجاء ذلك من خلال المنشور الذي صدر سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، ومضمونه: " بإجراء الأمير جمال الدولة حجي بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت من أعمال الدامور لما وصل إلى الخدمة السلطانية ... وهو ملكه وراثة عن أبيه وجده وهي: حصن سرحمور وعين كسور ورمطون والدوير وطردلا وعين ردافيل وذلك حبساً منا عليه واحتساباً إليه بمناصحته وخدمته ونهضته في العدو المثاغر له "[١٨٤]. وسار الملك الأفضل نور الدين علي على نهج والده في إبقاء أمراء الغرب على ما بأيديهم من إقطاعات من أجل

---

(١٨٠) ابن شداد، الاعلاق، ج٢، ق٢، ص٤٩؛ ابن واصل ، مفرج الكروب،ج٢، ص٨٦؛ الحنبلي، شقاء القلوب، ص ٢٨٧؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٥٠٩؛ طرخان، ص٤٠ ؛ جبران، دراسات ص ١٣٥.

(١٨١) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٧٩، ١٧٤، هاملتون، صلاح الدين، في ٢٢٨.

(١٨٢) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٩.

(١٨٣) طرخان، النظم الإقطاعية،ص٤٠.

(١٨٤) ابن بحتر، صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، المطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٨٩٨م، ص ٧٥- ٧٦.

مساعدته في الصراع ضد أخيه السلطان العزيز عثمان، وذلك من خلال الرد على الكتاب الذي وصله من حجي بن كرامة، إذ حثّه فيه على الجهاد، مقابل إقطاعه الغرب جميعه (بيروت)، له ولمن يخلفه من أقربائه، وكان ذلك في سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م[١٨٥]. واستمر آل حجي في إقطاعاتهم التي في جبل بيروت وأعماله، ومما يؤكد ذلك المنشور الذي بعث به الملك العزيز عثمان إلى أحد عماله بإجراء الأمير حجي على ما بيده من أعمال. وقد ظلت الإقطاعات الغربية في أيديهم على عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي أقرهم بدوره على ما في أيديهم من إقطاعات، وذلك من خلال الكتاب الذي أرسله الصالح أيوب سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م إلى الأمير نجم الدين محمد بن حجي، وقد أثنى فيه على حسن خدماته وطاعته، وأمره أن يبقى على عادته القديمة في مثاغرة الإفرنج مع الزيادة في الأموال المرتبة له ولأعوانه، ومن المضمون المنشور: "يعلم الأمير نجم الدين شكرنا لخدمته ومضاء عزمته وطاعته وولائه... وثيق منا بإجرائه على مستقر قاعدته والإحسان الذي تقر به عينه، والزيادة في معلومه له ولمن معه".[١٨٦]

أما السلطان الصالح أيوب سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م فقد أقطع عدة مناطق في الجهة الغربية من جبل بيروت لأحد أمراء الغرب ويدعى زين الدين بن علي، و التي اشتملت على مناطق : القماطية ومزارعها، وشملال ومزرعتها، وبيصور ومزارعها ومجدليا و الدوير وثلث عرمون ومزارعها وكيفون ومزرعتها، وفي الجهة الجنوبية مناطق بناشر بأكملها وكفر عمية ومزرعتها، وذلك مكافاة لخدماته ، وتشجيعاً له

(١٨٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦،ص١٢٠ ؛ ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص٧٧؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٤٣.

(١٨٦) ابن بحتر، تاريخ بيروت ، ص ٧٧- ٨٠؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٥

بالاستمرار بالمحافظة على الثغور المتولي أمرها[١٨٧]. وفي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م صدر منشور آخر من الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق، تضمن التوقيع لجمال الدين حجي بإجرائه وإشرافه على إقطاعه وعوائده الذي يشتمل على: عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومرتعون والصباحيّة وعين عنوب والدوير وغيرها"[١٨٨].

ثالثاً: الإقطاعات في فلسطين:

دخلت يافا في إقطاع العادل بعد استردادها من الإفرنج سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م، ثم تنازل عنها سنة٦٠١هـ/ ١٢٠٤م للافرنج مقابل السلام، وفي سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م تنازل السلطان الكامل عن القدس للامبراطور فردريك، بالإضافة إلى جزء من فلسطين، ثم إعادة السيطرة عليها سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م بعد أن احتل بجيشه القدس ونابلس و استرجعهما من الناصر داوود، وفي سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م منح السلطان الكامل عدة إقطاعات في فلسطين الشرقية للناصر داوود، اشتملت على مناطق: نابلس وناحية القدس مقابل تسليمه دمشق، فيما أصبحت مناطق فلسطين الغربية ، ومنها: طبريا من أملاك السلطان الكامل، و ذلك حتى تبقى وسيلة لكي يأمن بها الواحد منها جانب الآخر من جديد. وفي عام ٦٣٧ هـ/١٢٣٩م تمكن الناصر داوود من استعادة القدس من أيدي الإفرنج [١٨٩]. ثم آلت فلسطين بعد ذلك إلى حكم السلطان الصالح أيوب سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م ،فقام الأخير بمنح الإقطاعات في مناطق فلسطين الغربية للعساكر الخوارزمية مقابل منعهم الدخول الى دمشق، وحدث

---

(١٨٧) الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان؛ في جبل لبنان؛ تقديم: فؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، د. ت، ص ٢١٩؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٥.

(١٨٨) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٨٠- ٨١.

(١٨٩) هاملتون،صلاح الدين، ص ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢.

أن تحالفت هذه القوات مع الناصر داوود صاحب الكرك، ونجح بمساعدتها من استرجاع إقطاعات القدس ونابلس والخليل، وورثها من بعده الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، إذ دخلت مناطق فلسطين في حكمه منذ سنة٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م، ثم تنازل عن القدس لعز الدين أيبك سنة ٦٥١ هـ/١٢٥٣م، والذي نصّب سلطانا على مصر بعد زواجه من شجرة الدر، وفي سنة ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م تخلى عز الدين أيبك عن مناطق فلسطين لصالح الناصر يوسف بعد التوقيع على معاهدة الصلح بين الطرفين [١٩٠].

رابعاً: الإقطاعات في شرقي الأردن:

كانت مناطق: الكرك والشوبك والسلط والبلقاء من نصيب العادل شقيق السلطان صلاح الدين منذ دخولها تحت السيطرة الأيوبية سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤م [١٩١]، ولم تكن تلك المناطق، بالإضافة إلى حران والرها وجعبر و سميساط، ضمن الاقطاعات التي صدر في حقها قرار صلاح الدين بسحبها من العادل، شريطة أن يحمل من تلك الإقطاعات المذكورة نحو (ستة آلاف أو عشرة الاف غرارة) إلى القدس [١٩٢]

واتبع أبناء العادل في عهده وبعد وفاته، سياسة توزيع أنصبتهم من الإقطاعات على أمرائهم، إذ قام المعظم عيسى بتوزيع البلاد الشامية على مماليكه، و حدث عندما توجه السلطان العادل لقتال الافرنج سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م أن قام بتأنيب ابنه وقال له: " بمن أقاتل؟ أقطعت الشام مماليكك وتركت أولاد الناس". [١٩٣] وكان الملك

---

(١٩٠) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٢٨، ٢٣٢- ٢٣٤

(١٩١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٦ ،ص١١٠؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٨.

(١٩٢)؛ أبو شامة ، الروضتين، ج٣،ص١٢٥-١٦٥؛ ابن شداد، النوادر السلطانية،ص١١١

(١٩٣) الحنبلي شفاءالقلوب،ص٦٤ ؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٤.

المعظم عيسى قد تم تعيينه قبل ذلك نائباً في ولاية الكرك عن والده العادل الذي كان حاكما على بلاد الجزيرة وأعالي مابين النهرين وديار بكر، أثناء فترة حكم السلطان صلاح الدين، وظلت إقطاعات شرق الأردن تابعة لحكم العادل الذي كان يشغل منصب المستشار الرئيسي لصلاح الدين،[١٩٤] ثم انتقلت إقطاعات شرقي الأردن في الكرك والشوبك بالإضافة إلى دمشق وأعمالها وبيت المقدس وطبرية وصرخد واللاذقية وجبلة ، وغير ذلك من الحصون إلى ابنه المعظم عيسى سنة ٦١٥هـ / ١٢٦٨م، ثم إلى الناصر داوود الذي رفض طلب السلطان الكامل في التخلي عن حصن الشوبك سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م[١٩٥] ، و أضيف إلى الناصر داوود أيضا إقطاعات أخرى في دمشق وفي منطقة شرقي الأردن وفلسطين الشرقية مقابل الموافقة على تسليمه الحصن لأخيه السلطان الكامل سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[١٩٦].

ولم يبق للناصر داوود من إقطاعات في شرقي الأردن خلال حكم السلطان العادل الثاني ، ومن بعده الصالح أيوب، باستثناء الكرك الذي تنازل عنها الأمجد حسن بن الناصر داوود سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩ مقابل الحصول على إقطاع في مصر وأموال بلغت خزانتها نحو(مليون ومئتي ألف دينار).[١٩٧] وآل إقطاع شرقي الأردن

---

(١٩٤) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٠٢- ٢٠٤-٢٠٥

(١٩٥)ابن شداد، الأعلاق، ج٢، ص٦٠-٦٤، ٨٠-٩٩ ؛ اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م،ج٤،ص٢٥؛ ابن دقمان، الجوهر الثمين،ج٢،ص٢٦.

(١٩٦)ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت،مج٣،ص٤٩٦ ؛ابن سباط، تاريخ،ج١، ص٢٩٦,٣٠٤؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢١٧

(١٩٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص ٧٤- ٧٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٧٩؛ هاملتون، صلاح الدين، ص٢٢١,٢٢٩ .

منذ سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى المغيث عمر ابن العادل الثاني، حتى خرجت نهائيا من السيطرة الأيوبية ، بعد أن استولى عليها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ومقتل صاحبها المغيث عمر(١٩٨).

خامساً: إقطاعات أمراء الدولة وقادة الجيش:

أصبحت المؤسسة العسكرية خلال العهد الأيوبي تسير على النهج السلجوقي كما ذكر سابقاً، إذ طبق نظام الإقطاع العسكري، وتم منح قائد كل مجموعة عسكرية سواء أكانت تركمانية أو كردية أو غير ذلك ، قطعة من الأرض، تغطي مردودها نفقات القائد ومقاتليه، إذ وجد صلاح الدين أن توزيع الأراضي بهذا الشكل يضمن له تغطية نفقات الجيوش المالية من أجل الوقوف في وجه الافرنج(١٩٩). ومن الأمثلة على ذلك قيام صلاح الدين بإقطاع بعلبك للأمير شمس الدين محمد بن عبد الله ابن المقدم ، وظلت بيده حتى سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، حيث أخذها تورا نشاه بعد التنازل عنها من قبل ابن المقدم (٢٠٠)، والقبول بإقطاعات في حصن بعرين وأعماله وكفرطاب ونواح وقرى من بلدة المعرة، وفي سنة٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م أسند إلى ابن المقدم ولاية دمشق، ثم قام صلاح الدين بتوزيع أراضي حلب في تلك السنة كإقطاعات على كبار الضباط في الجيش الأيوبي، وأسند إدارة إقطاع حماة بعد الاستيلاء عليها سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦ م إلى شهاب الدين الهارمي، وظلت بيده حتى توفي سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩ (٢٠١).

---

(١٩٨) هاملتون، صلاح الدين، ص٢٣٢- ٢٣٥

(١٩٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣١٢.

(٢٠٠)؛ البنداري، سنا البرق، ص١٥٨؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٣٧

(٢٠١) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج ٦، ع ٣، ص ٨، هاملتون، صلاح الدين، ص ١٣٣- ١٣٨، ١٦٦

ومن الأمراء الذين حازوا على الإقطاعات في العهد الصلاحي الأمير حسام الدين بن عمر بن محمد بن لاجين الذي منحه صلاح الدين إقطاع نابلس وأعمالها سنة ١١٨٧/٥٨٣م، ثم الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن مشطوب الهكاري الذي أقطعه صلاح الدين سنة ٥٨٧هـ/١١٩١، القدس وخبز يعمل في السنة بنحو(٣٠٠,٠٠٠) الف دينار، وكان إقطاعه في نابلس وأعمالها ، ثم أصبح الإقطاع لابنه عماد الدين أحمد يقتصر فقط على ثلثي نابلس منذ سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢[٢٠٢]، وكان والده قد حصل على إقطاع بيروت في سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م، وأقطع صلاح الدين الأمير حسام الدين أبا الهيجاء السمين (مقدم الأمراء الأكراد والأسدية) نصيبين سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م.[٢٠٣] ، فيما كان إقطاع تل باشر من نصيب الأمير بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق، وحصل الأمير سابق الدين عثمان بن الداية على شيرز وأباقبيس، والأمير ناصر الدين ابن كورس على إقطاعات في صهيون وبرزية، وأقطع صلاح الدين بغراس وكفر طاب وفامية للأمير عز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم، وكوكب وعجلون للأمير عز الدين أسامة، الذي تولى الحكم في إقطاع بيروت فترة زمنية قصيرة ، حتى خرجت من سيطرة المسلمين سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م، و ظل هؤلاء الأمراء على رأس إقطاعاتهم حتى وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٩هـ/١١٩٣م.[٢٠٤]

---

(٢٠٢) أبو شامة، الروضتين،ج٣،ص٢٠٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج٢،ص١٤٢؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ١٨٢؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠؛ الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع ٣، ص ٨.

(٢٠٣) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٣٥؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠

(٢٠٤) ابن شداد، الاعلاق،ج٢، ق ٣،ص ١٦١،٨٦؛ ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٣٥، ٣٨؛ جبران ، نعمان محمود، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حمادة، اربد، ٢٠٠٠م، ص١٣٥.

ووزع صلاح الدين الإقطاعات على من انضم إليه من الأمراء الذين ساعدوه في فتوحاته في البلاد الشامية، كما أقرّ عدداً من الأمراء النورية على ما بأيديهم من الإقطاعات، وزادهم إقطاعات جديدة ، وذلك بسبب انحيازهم إلى جانبه منذ سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، والمساعدة في حروبه ضد الإفرنج، ومن هؤلاء الأمير علم الدين سليمان بن جندر في حلب الذي أقطعه حصن در بساك سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م، بالإضافة الى بلدة أعزاز سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣ ، فيما أقر الشيخ إسماعيل على ما بيده من إقطاعات في مدينة عينتاب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، بعد أن دخل في خدمته. وأبقى صلاح الدين الأمراء الزنكيين على ما بأيديهم من إقطاعات بعد خضوعهم إلى طاعته نذكر منهم: الأمير عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب سنجار، وأخوه الأمير عز الدين مسعود الذي أقره على الموصل سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م[٢٠٥].

أما العادل فقد منح أمراء الأسدية في مصر الأموال ، وبعض الإقطاعات عند قدومهم إلى البلاد الشامية بعد خلافهم مع السلطان العزيز عثمان سنة٥٨٩هـ/١١٩٣م، الذي قدمّ عليهم أمراء الصلاحية[٢٠٦] ، وأقطع الأمير ابن قراجا من مقدمي المماليك الصلاحية قلعة صرخد، وظلت في يده حتى سنة ٦٠١هـ /١٢٠٤م، وأقطع العزيز عثمان من جهته مدن نابلس وأعزاز للأمير فارس الدين ميمون القصري سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣ ، بينما أقطع ابنه المعظم عيسى إقطاعاً للأمير ابن قراجة مقابل التنازل عن إقطاعه في قلعة صرخد سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م، ومنح كذلك

(٢٠٥) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠- ٤١ .

(٢٠٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ح٣، ص ١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١١٢- ١١٣.

الأمير فتح الدين أحمد سعد الدين ابن ثميرك نحو(٧٠) ضيعة من خبز قبة الصخرة في نابلس والقدس، مقابل التنازل عن إقطاعات صفد وطبريا [٢٠٧]، وأقطع الملك المنصور صاحب حماة مدينة منبج للأمير ابن المقدم بدلاً من إقطاع بارين[٢٠٨].

سادساً: إقطاع الأجناد

وأما الأجناد فقد كانوا شركاء في الإقطاعات الممنوحة للأمراء سواء أكانوا من البيت الأيوبي أم من أمراء الدولة العسكريين، فهذا صلاح الدين عندما أقطع سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦ م تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب عدة مناطق في بلاد الشام والتي اشتملت على: حران والرها وسميساط وحماة والمعرة وسلمية ومنبج وجبلة واللاذقية.....الخ، أمره بأن يقطع البلاد للأجناد من أجل إعداد الجيوش لمحاربة الافرنج [٢٠٩]، وكذلك فعل مع بقية الأمراء مثل: الأمير حسام الدين ابن الهيجاء، وسيف الدين ابن المشطوب عندما منح الأول إقطاعات في نابلس وأعمالها، والآخر نصيبين بعد فتحها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م وغيرهم من أمراء الإقطاع [٢١٠]، وسار جميع من جاء بعد صلاح الدين في منح الإقطاعات الحربية على الأمراء والأجناد حتى لو كان الأمير أجنبيا عن البلاد ، وطلب الدخول في خدمة الدولة الأيوبية، وما دام يقوم بتأدية خدماته الحربية ، بل والزيادة في إقطاعاته إذا ما أحسن بلاءً في الحروب[٢١١].

---

(٢٠٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق٢، ص ١٣٣، ١٤٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٤٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٨٧.

(٢٠٨) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص ٦٠١، ٦١٠.

(٢٠٩) المقريزي، السلوك،ج١، ص٥٨٢؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٨.

(٢١٠) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٠.

(٢١١) طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٣.

وهذا العادل شقيق صلاح الدين قد منح بدوره إقطاعات حربية لأمراء الأسدية وأجنادهم الذين قدموا الشام بعد الخلاف مع السلطان العزيز عثمان[٢١٢]. ومن بعده جاء ابنه المعظم عيسى الذي قام بتوزيع ما بيده من إقطاعات على أمرائه ومماليكه.[٢١٣]

وعلى المنوال نفسه أقطع السلطان الصالح نجم الدين أيوب أمراء الغرب وأجنادهم عدة مناطق في لبنان سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م من أجل التواصل في الخدمة العسكرية والمشاركة في المهمات الحربية، إذا ما تم استدعاؤهم، وذلك من خلال تقديم كل أمير في تلك الإقطاعات عدداً من الفرسان لا يقل عن أربعين فارساً[٢١٤].

وتجب الإشارة الى أن جيش صلاح الدين انحدر من أصول إسلامية مختلفة، أو من الرقيق الأبيض المستورد الذين تصدروا الواجهة العسكرية للمجتمع العربي، حيث اعتمد صلاح الدين منذ سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م على تجنيد عدد من رجال القبائل العربية والتركمان لتعزيز القوات النظامية للجيش الأيوبي من أجل القيام بأعمال حربية ضد الافرنج[٢١٥] ، وقد أكثر صلاح الدين من الأكراد في جيشه، وغدوا أكبر بكثير من العنصر المملوكي[٢١٦]، واستخدمهم في سلك الأجناد النظامية، وتسلموا الإقطاعات أو الجامكيات مثل المماليك الأتراك[٢١٧].

وحول الأجر الذي كان يتقاضاه الأجناد ، فإنه يدخل في الإقطاع الممنوح للأمراء ، إذ يبدو من منشور تعيين ابن المقدم والياً على دمشق سنة

---

(٢١٢) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج٦، ص١١٢-١١٣؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٤٤

(٢١٣) الحنبلي شفاء القلوب،ص٦٤.

(٢١٤) طرخان ، النظم الإقطاعية،ص ٣٢.

(٢١٥) البنداري، سنا البرق، ص١٦٨؛ زكار الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣١١.

(٢١٦) البنداري ، سنا البرق، ص٥٨١؛ هاملتون، صلاح الدين، ص١٤٤.

(٢١٧) البنداري، سنا البرق، ص ٥٨١.

٥٧٨هـ/١١٨٢م، إن الإقطاعة أو الجامكية تجوز مقاسمتها بين الأمير ومملوكيه ، لأنه يأمر الوالي بحظر الأمراء عن" الحيف على رجالهم في القرار والإقطاع"، ولذا نجد أن الإنفاق على الأجناد الذين يعملون لدى الأمراء في إقطاعاتهم قد بلغت أموالاً طائلة، فعلى سبيل المثال بلغت نفقات الأمير عماد الدين زنكي بن مودود على أجناده في إقطاع حلب نحو(٣٠٠٠٠٠)ألف دينار شهرياً، وكان الناصر داوود قد أنفق في إقطاعه في شرقي الأردن على جنده نحو (٤٠٠٠٠) ألف درهم أثناء حملته على مصر.(٢١٨)

ويعرف كذلك الجنود النظاميين بعبارة من له الإقطاع لا الجامكية، يقول أبو طيء" فأراه جرائد الأخبار بمبالغ إقطاعاتهم وتعيين جامكيتهم وراتب نفقاتهم(٢١٩)"، ويرى ابن مماتي أن معدلات العطاء والنفقات العينية المخصصة لكل فئة من الأجناد تدرج في قائمة العبرة المقدرة لكل إقطاع(٢٢٠)، حيث الجنود النظاميون من الأتراك والأكراد والتركمان يحصلون على عطائهم بالكامل، فيما يأتي أجناد الفئة الثانية من الكنانية ، وغيرهم من المقطعين في جنوب فلسطين، ومن ثم في دمياط ولهم نصف العطاء، والعرب في الفئة الثالثة تقاضى أجنادها ثمن العطاء(٢٢١)، وكان صلاح الدين قد استخدمهم لشن الغزوات على مناطق تواجد الافرنج، كما حصل سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وذلك عندما أرسلهم إلى

---

(٢١٨) ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق، ص١٤٢؛ البنداري، سنا البرق، ص٢٢٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٣٩.

(٢١٩) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٣٥٠؛ ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص ١٤٢؛ البنداري، سنا البرق، ص ٢٢٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، إلى ٢٣٩؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٥٧.

(٢٢٠) ابن مماتي، الأسعد، قوانين الدواوين؛ تحقيق: عزيز سوريال، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م، ص٣٦٩.

(٢٢١) هاملتون، صلاح الدين، ص ١٥٩-١٦٠

صيدا وبيروت لجمع الغلات الزراعية[٢٢٢]، وقد شاور صلاح الدين أمراءه في هذا الأمر قائلا: "قد علمتم غلا الغلات وإقلال الأقوات وظهور أعراب البادية وخفاء الأعشاب البادية وما كان بالقرب من غلات العدو وزروعه استجناه واحتجناه ولم يبق إلا أن ننهض عساكرنا بالتوبة" [٢٢٣]. إذ كان رجال القبائل في جنوب فلسطين وشرقي الأردن يشكلون مصدر إزعاج دائم لأهالي المناطق هناك، فأراد صلاح الدين إسناد بعض المهمات الحربية إلى بعض القبائل مثل: بنو عباد وعدد فرسانهم نحو مائتي فارس من أجل إبعاد خطرهم، والحيلولة دون مساعدتهم للافرنج بالعمل كأدلاء لهم.[٢٢٤]

ولجأ بعض سلاطين الدولة الأيوبية مثل الصالح أيوب إلى استخدام عساكر الخوارزمية في مهمات حربية، مثل المساعدة في امتلاك دمشق سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، وأخذها من الصالح إسماعيل، وأقطعهم مقابل ذلك عدة مناطق في فلسطين الغربية، بالإضافة إلى حران والرها سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م [٢٢٥]ثم استخدمهم الناصر داوود صاحب الكرك في سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م في استعادة إقطاعاته في مناطق القدس ونابلس والخليل[٢٢٦].

---

(٢٢٢) البنداري، سنا البرق، ص١٦٣؛ هاملتون، صلاح الدين، ص ١٧٣

(٢٢٣) البنداري، ص١٦٣-١٦٤

(٢٢٤) البنداري،سنا البرق، ٦٥؛ هاملتون، ص ١٧٣

(٢٢٥) ابن ابي جرادة ، زبدة الحلب ،ج٢، ص ٦٨٩؛ العمري، ياسين بن خير الله، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية؛ تحقيق، عماد عبد السلام، مطبعة الأدب، النجف، ١٩٧٤، ص٤٣.

(٢٢٦) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٨.

إقطاعات أخرى

أولاً: إقطاعات القبائل العربية (البدوية):

ذكر المخزومي وجود العديد من الإقطاعات التي منحت للقبائل العربية في بلاد الشام زمن الأيوبيين، وعرفت باسم الاعتداد، حيث قال: " وأما إقطاع الاعتداد فإنه لا يكون إلا في العرب المدونين خلا العرب القريشيين، فإن حكم واجباتهم حكم الواجبات الجيشية، ولا يتوجب لأرباب الاعتداد خراج، وكانت العادة جارية عند عرضهم بالقبض... ويقدر لذلك جريدة، نسختها: جريدة باستمرار واجبات فلان بن فلان، ومن معه من العرب الفلانيين الذين خرج الأمر بإقطاعهم الأعمال الفلانية، بعدما شرط عليهم من لزوم الطاعة وحفظ الطرقات والسعي في المهمات والخدمة في العساكر المنصورة"[٢٢٧]، حيث حصل عرب القحطانية وأميرهم زين الدين صالح بن علي بن بحتر ابن قحطان أمير الغرب في العهد الأيوبي على إقطاعات في غرب لبنان أو ما عرف باسم بلاد الشوف، وظلت أملاكهم مثبتة في محاضر شرعية حتى القرن التاسع الهجري منذ عهد جدهم بحتر الأول[٢٢٨]. وحصل بعض أفرادها على تلك الإقطاعات منذ عهد السلطان نور الدين زنكي الذي أقرّ بعض أمرائها في تلك المناطق، وعرفوا باسم أمراء بني الغرب، وذلك من خلال المنشور الذي كتب لهم من قبل نور الدين سنة ٥٦٠هـ/ ١١٧٠م ، وبيَّن فيه مناطق إقطاعاتهم وعدد الفرسان والجند المكلفين بإرسالهم وقت المهمات الشريفة، وكان يحدد العدد الأدنى لكل أمير إقطاعي بأربعين فارساً، بدليل ما جاء في المنشور " لما جاهر الأمير كرامة بن بحتر التنوخي إلى

---

(٢٢٧) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ١٥،نقلاً عن كتاب المنهاج في علم الخراج لمؤلفه المخزومي.

(٢٢٨) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٦٥، ٩١- ٩٤؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٥٣

بابنا ولاذا بالخدمة وتقرب إليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها تُقبّل سعيه وأُجيب إلى ملتمسه ورسم له إنشاء هذا المرسوم ... والعدة أربعون فارسا وما أمكنه وقت المهمات الشريفة وجهاته غالب قرى الغرب ومن غير الغرب القنيطرة ومن البقاع ظهر حمار ومن وادي التيم ثعلبايا وبرجا والمعاصير والدامور وشارون وكفر عميه." كما حصلت بعض العشائر البدوية مثل آل تنوخ على إقطاعات في لبنان ، وظلت في أيديها حتى الفتح العثماني[٢٢٩]. ومن العشائر العربية وغير العربية التي نزلت في سواحل الشام في أزمان وعصور مختلفة مثل: آل معن وآل عساف وآل سبغا قد حصلت هي الأخرى على إقطاعات في لبنان مقابل المرابطة ضد غزوات البيزنطيين والإفرنج، البرية والبحرية.[٢٣٠] وأقطع صلاح الدين سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م ضيعة في حلب لبني الخشاب[٢٣١].

واستقرت بعض القبائل العربية في بلاد الشام مثل: - آل ربيعة، وخفاجة، وآل مهنا، وآل عيسى الذين اشتغلوا بالزراعة في أراضي الجولان وسهول حوران، وساهمت في المشاركة بالدفاع عن بلاد الشام أمام هجمات الافرنج عليها[٢٣٢]، مثل

---

(٢٢٩) ابن بحتر، تاريخ بيروت، ص ٧١- ٧٣؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٢.

(٢٣٠)، ابن شداد، الأعلاق، ج١ ق١، ص١٢٤؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٢٦؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص٥٣-٥٤، هامش، (٦٧)

(٢٣١) ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق١، ص ١٢٤؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٢٦.

(٢٣٢) ابن القلانسي ، أبي يعلي حمزة بن أسد بن علي ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت، ١٩٠٨، ص١٨٥-١٨٦ ؛ فرح ، نعيم، تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، د ن، د م، ١٩٨٠م، مج٢، ص ٥٣٧- ٥٣٨

مشاركتهم في الدفاع عن أسوار عكا أمام هجمات الفرنج سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٢٣٣]، والتصدي أيضاً لغارة ملك الروم على حلب سنة ٦١٥هـ ١٢١٨/٨.[٢٣٤]

ووجدت الإقطاعات الصغيرة غير الوراثية والممنوحة من قبل السلاطين للأجناد والقبائل العربية مقابل الإسهام بمجهوداتهم الحربية، حيث تنتهي بمجرد انتهاء الخدمات التي يقدمونها للدولة، [٢٣٥] باستثناء بعض الإقطاعات الممنوحة للقبائل العربية في بلاد الشام التي أصبحت وراثية في أبنائهم لقاء الاستمرارية في كسب الولاء والطاعة من جهة ، والتصدي لهجمات الافرنج من جهة اخرى.[٢٣٦]

ثانياً: الإقطاعات الممنوحة للإفرنج:

لم يكن من بأس لدى السلطان صلاح الدين أن يمنح الإقطاعات لأعدائه متى آمن شرهم، وذلك من أجل المحافظة على أرواح المسلمين وحقناً لدمائهم، إذ أقطع صاحب حصن شقيف أرنون مسكناً في دمشق، بناءً على طلبه، بعد استسلامه سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[٢٣٧].

---

(٢٣٣) ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٠ م، مج٤ ،ج١ ،ص ٢٢٥.

(٢٣٤) ابن الوردي، زين الدين عمر، تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردي)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م،ج٢ ، ص١٩٤؛ الشريدة ، إدارة بلاد الشام ، ص١٦١.

(٢٣٥) المقريزي، السلوك،ج١، ص١٧٢، عثمان، قائد ، أراضي الإقطاع والمقطعون في مصر والشام خلال العصر الأيوبي، مجلة سبأ، ع١٣، ٢٠٠٤م، ص ١٣٩.

(٢٣٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٨٠-١٨٧-١٩٠ ، عثمان قائد ، أراضي الإقطاع، ص١٤٠.

(٢٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٤٢؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٢.

وعلى أثر صلح الرملة سنة(٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، وافق صلاح الدين على شروط الا فرنج في إقطاع فرسان الداوية والاسبتارية بعض البلاد والقرى، من أجل حسم النزاع وحقناً للدماء مؤقتاً[٢٣٨]

وقد تخلى العادل من جهته سنة٦٠١هـ/ ١٢٠٤م عن إقطاعات يافا والناصرة للفرنجة، مقابل السلام ومن الأجل المحافظة على بقاء المصالح التجارية مع الدويلات الإيطالية لتحقيق الأغراض التالية:

أ) زيادة إيراداته الخاصة، وتطوير إمكانياته الحربية.

ب) ضمان الحياد من قبل الدويلات الإيطالية، وعدم تقديم الدعم للحملات الصليبية على العالم الإسلامي في المستقبل، وأما السلطان الكامل فقد تنازل عن القدس، وجزء من أراضي فلسطين سنة٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩ للامبراطور فردريك الثاني، من أجل إحلال السلام في المنطقة، وضمانة للمسلمين في البلاد الشامية حسب ما جاء في تصريحات قاضي حماة الذي دافع عن ما فعله السلطان ، وقد أثار الكامل بفعله هذا سخط الكثير من شعوب العالم الإسلامي، ولكن السبب في التنازل هو الاستنجاد بالافرنج نصرة له على أخيه المعظم عيسى، و الوقوف في وجه ابنه الناصر داوود.[٢٣٩]وكان للخوف الذي سيطر على الصالح إسماعيل من ابن أخيه الصالح أيوب سلطان مصر، العامل الأساسي في الاتجاه نحو التحالف مع الافرنج سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م لأجل حماية ممتلكاته، مقابل إعطائهم إقطاعات في صفد وشقيف أرنون و صيدا وطبريا، ثم أتبعها بإقطاعهم مدينة القدس تمليكاً كاملاً سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤، وعندما داهم المغول بلاد الشام سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، سار بعض أمراء البيت

(٢٣٨) طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٢.

(٢٣٩) هاملتون ، صلاح الدين، ص ٢٠٨ – ٢١٥– ٢١٦.

الأيوبي إلى تسليم إقطاعاتهم للخان المغولي هولاكو، مثل المنصور الثاني صاحب حماة، والأشرف موسى الثاني صاحب حمص، مقابل إنقاذ أرواحهم من القتل ، وإبقائهم على رأس الإمارات التي يحكمونها(٢٤٠).

مع الإشارة إلى أن الإقطاعات الممنوحة للافرنج يجب أن لا تختلط في أذهاننا مع نظام المناصفات الذي أدخل بعد دخول الإفرنج إلى الأراضي الشامية، وقد سجلت أول إشارة لهذا النظام على عهد السلطان صلاح الدين بعد المفاوضات التي أجراها مع ريتشارد قلب الأسد، ونجم عنها جعل منطقة الرملة واللد مناصفة بين المسلمين والافرنج، واللجوء إلى هذا النظام كان ضرورياً من أجل حلّ جميع المشكلات السياسية والاقتصادية الخاصة بالمناطق المتنازع عليها بين المسلمين والإفرنج ، وخاصة مناطق الحدود المشتركة بين الطرفين(٢٤١).

وتشير بعض المصادر العربية المعاصرة إلى أن المناطق التي تدخل في النظام إما أن تكون تابعة للمسلمين يتم التنازل عن ريعها للافرنج، وذلك من أجل اتقاء شرهم، وعدم القدرة على ردهم، وإما أن تكون تلك المناطق تابعة للافرنج، فيتم اقتسام ريعها مع المسلمين كنوع من المهادنة. (٢٤٢) ثم أصبحت تلك المناطق خاضعة لإدارة إسلامية افرنجية مشتركة، برئاسة نائبين، أحدهما ممثلٌ للسلطان والآخر افرنجي، ويعمل تحت إمرتهم جهاز إداري يتألف من عدد من الموظفين يتولون بعض المهام: منها استخراج الحقوق والجبايات والغلات وغيرها من رسوم وضرائب من شتى

(٢٤٠) هاملتون، صلاح الدين، ص ٢٢٤،٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٥

(٢٤١) علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٦م، ص ٤٣.

(٢٤٢) علي، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٥.

المرافق الاقتصادية في بلاد المناصفات.[٢٤٣] وتكون الرسوم والضرائب على اختلاف أنواعها مناصفة بين السلطان والأمير الافرنجي في البلاد التي تخضع لنظام المناصفات، واشتملت تلك الرسوم على شتى الموارد والمرافق الاقتصادية من أراضي زراعية بما فيها البساتين ومصائد الأسماك والملاحات والمحاصيل الصيفية والشتوية والطواحين والثروة الحيوانية من دواب وأبقار وأغنام، وجميع الحقوق المقرّرة على الأراضي الزراعية على اختلاف أنواعها[٢٤٤].

ميزات الإقطاع في العصر الأيوبي

ما يميز الإقطاع الأيوبي عن غيره من الأنظمة الإقطاعية عند السلاجقة والزنكيين، أن أصبحت مسألة العزل والحرمان من الإقطاع تحت تصرف السلطان[٢٤٥]، فأبناء السلطان وأمراء البيت الأيوبي في أعلى السلم، ثم كبار رجال الدولة من العسكريين والمدنيين في المرتبة الثانية ، وأخيرا يحتل صغار الجند والعساكر المرتبة الثالثة من حيث استحواذهم على الاقتطاعات الصغيرة .[٢٤٦]

فالنظام الإقطاعي على العهد الايوبي كان قد شكل ظاهرة إدارية واقتصادية وعسكرية في آن واحد، وقام على أساس استغلال الأراضي والانتفاع منها مقابل

---

(٢٤٣) علي، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٦، للمزيد انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢٤٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، د. ت، ج ١٤، ص ٤٥، ٤٦.

(٢٤٥) خليل، الاقطاع الشرقي، ص١٧٩.

(٢٤٦) كيروف زوبرتيسكي،المشاعة،الرق الإقطاع؛ ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م، ص٩٠

الالتزام بالواجبات المفروضة على أمير الاقطاع تجاه الدولة من جهة ، ورعايا الإقطاع من جهة أخرى.[٢٤٧]

وانتشر نظام الإقطاع العسكري منذ العهد السلجوقي في بلاد الشام، أو ما يسمى بالحيازة المشروطة التي تمنحها سلطة الدولة للعاملين في الإقطاع من العسكريين والمدنيين، وبالنسبة للأراضي التي خضعت تحت سيطرة الافرنج فقد اختلف نظامها الإقطاعي العسكري عنه في الدولة الأيوبية، فاختلف باختلاف دول الإفرنج، حيث في إمارة أنطاكية يختلف عنه في مملكة بيت القدس[٢٤٨].

وحسب النظام الإقطاعي الأيوبي تبقى أراضي الإقطاعات الزراعية تحت إدارة الوكلاء أو يتم إعطاؤها للفلاحين مقابل نسب ضئيلة من المحاصيل الزراعية في كل عام.[٢٤٩]، و قد بدأ ذلك منذ عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ، علما بأن الأخير كان قد قلل من ظلم النظام الإقطاعي الذي كان يعمل به الفاطميون، وأظهر اهتمامه بالفلاح الشامي كونه يساهم كثيرا في تأمين الميرة[٢٥٠] للعساكر الإسلامية المرابطة في بلاد الشام، إذ أوصى أسد الدين شيركوه صاحب حمص في الحفاظ على الفلاحين تحسبا لأي هجوم فرنجي قادم من طرابلس.[٢٥١] ، وعمل صلاح الدين على تحجيم سلطة الإقطاعيين الذين كانوا يستخدمون كثيراً من الفلاحين كعبيد وأجراء في

---

(٢٤٧) ربيع ، النظم المالية ، ص٣٣؛ الشريدة ، إدارة بلاد الشام ، ص١٦٤.

(٢٤٨) زابوروف، الصليبيون، ص ١٣٢.

(٢٤٩) عثمان، أراضي الإقطاع، ص ١٤٠.

(٢٥٠) الميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه، انظر: مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٨٩٣.

(٢٥١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٣٤.

أراضيهم ، ويعاملونهم بقسوة شديدة.[٢٥٢] وقد ترتب على ذلك أن ساءت أحوالهم المعيشية، فانطبق عليهم قول ابن خلدون: "أن الفلاحة من معاش المستضعفين ويختص منتحلها بالمذلة".[٢٥٣] ويبقى القول أن بعض الفلاحين كانوا ملاكاً للأراضي الزراعية في القرى والتي خرجت عن نطاق الإقطاعات الكبيرة ، إذ كان الفلاح حريصا على الاحتفاظ بأرضه، وعدم إشراك الغريب في امتلاكها، وهذا ما كان يتمتع به فلاحو الغوطة الدمشقية[٢٥٤].

وكثيرا ما كان يجري تغييرات واسعة على الإقطاعات في بلاد الشام بسبب تعاقب السلاطين على الحكم ، والتغيير في إدارة الإقطاع واستغلاله من شخص لآخر بمتابعته لأمراء الإقطاع بين الحين والآخر، أو كلما صعد إلى عرش الدولة الأيوبية سلطان جديد، فبعد أن تسلم العادل الحكم منح ابنه الملك المعظم عيسى إقطاعاً ضم دمشق والقدس وطبريا والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة، وأعطى ابنه الأشرف موسى[٢٥٥] بعض ديار الجزيرة وميافارقين وأخلاط ، فيما كانت الرها من نصيب ابنه شهاب الدين غازي.[٢٥٦] وإلى جانب ذلك اتبع

---

(٢٥٢) حركات، إبراهيم، النشاط الاقتصادي والإسلامي في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٦٦م،، ص١٤؛الاوتاني، دمشق، ص٢٢٢

(٢٥٣) ابن خلدون ،عبد الرحمن، المقدمة (الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)؛ تحقيق: حجر عاصي، ص ٢٥٠

(٢٥٤) كرد علي ،غوطة دمشق، ص٩٤.

(٢٥٥) الملك الأشرف موسى: موسى ابن السلطان العادل بن أيوب، ولقب بالملك الأشرف، توفي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص٢٠١٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢،ص٤٨١.

(٢٥٦) ابن الاثير، الكامل ، ج٩ ، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ؛ ابن العميد ، جرجس أبو العباس، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص ١٢٤؛ الشريدة، خالد سليمان، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، عماد الدين للنشر، عمان، ٢٠١١م، ص ١٦٣.

السلاطين الأيوبيون سياسة البدل في النظام الإقطاعي، حيث تقوم على تعويض الأمير عما فقده من إقطاعات بسبب العصيان ، وعدم الدخول في طاعة السلطان، كما حدث مع عماد الدين زنكي بن مودود سنة٥٧٩هـ/ ١١٨٣م و ذلك عندما وافق على قبوله إقطاعاً يضم مناطق: سنجار[٢٥٧] والخابور[٢٥٨] ونصيبين وسروج بدلا من حلب.[٢٥٩] ومما يلفت النظر والانتباه في نظام الإقطاع الأيوبي، حرص الدولة على توزيع إقطاعات الأمراء في عدد من الأعمال وضمن العمل الواحد، وذلك للحد من قدرة الأمراء في تكوين أي نفوذ سلطوي لهم في مناطق إقطاعهم ، والثورة على الدولة[٢٦٠].

وقد أدخل سلاطين الدولة الأيوبية الإقطاع الإداري إلى دولتهم كونهم من أمراء الإقطاع في العهد الزنكي من جهة، و من أجل إعادة وإعمار وإصلاح البلاد التي فتكت بسكانها كثرة المجاعات التي تعرضت لها بلاد الشام من جهة أخرى.[٢٦١] وكان على عاتق هؤلاء المقطعين مسؤولية إدارة الإقطاع في جميع نواحي الحياة المختلفة، والاهتمام بالمشاريع الزراعية من استصلاح وتوسعة للأراضي الزراعية، والعناية بأساليب الري وإقامة الجسور وغيرها من الإصلاحات التي تزيد من إنتاجية الأرض في

---

(٢٥٧) سِنْجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٦٢.

(٢٥٨) الخابور: اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسب إليه من البلاد قرقيسياء وماكسين والمجدل وعربان. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٣٤.

(٢٥٩) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص٥٥٤، ٥٥٨.

(٢٦٠) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج٦، ع ٣، ص ٢٢.

(٢٦١) طرخان، ص٣٢؛ بهجت، منى محمد، اثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج١،ص ١٠٦

محاصيلها الزراعية [٢٦٢] ، وجمع ضريبة الخراج، إضافة إلى ما هو مفروض من إقطاعه من التزامات للدولة، مثل : أداء ضريبة الجزية والزكاة،[٢٦٣] فقد أولى المعظم عيسى على عهد والده السلطان العادل، العناية التامة بالقرى التابعة لإقطاعه في دمشق وحمص والقدس والشوبك وصرخد[٢٦٤] ، ومناطق الغور والكرك، حيث شجع الفلاحين فيها على الزراعة وقدم لهم التسهيلات والمساعدات كافة في زراعة الأشجار والمحاصيل وتنظيم زراعتها ،كما أمر بحفر الآبار ، وعمل الصهاريج ، وأجرى إليها عيون المياه العذبة.[٢٦٥]

استفاد أمراء وسادة الإقطاع الأيوبي من إقطاعاتهم في بلاد الشام، وقد لاقت فلاحة الأرض اهتمام العديد من أمراء البيت الأيوبي ،إذ أكثروا من زراعة أصناف الفاكهة المتعددة، وقاموا بتأمين وصول المياه إلى المزارع والبساتين ،حتى يكونوا قدوة لغيرهم من الفلاحين. [٢٦٦] لذلك نجدهم قد وقفوا أمام هجرات الفلاحين من القرى إلى المدن، كونهم يشكلون أهم مصادر وموارد السلاطين والأمراء من خلال أموال الخراج وغيرها من الضرائب النقدية والعينية . [٢٦٧]

---

(٢٦٢) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٢- ٣٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١١، ص ٥٠- ٥٣؛ ربيع ، حسنين محمد، النظم المالية في مصر، دار الأمين، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤، ص ٣٥.
rabie,hassanein,the financil system of Egypt ,oxford university press, London,1972,p.p68,70-71

(٢٦٣) الطواهية، الإقطاع العسكري، مج ٦، ع٣، ص ١٩- ٢٠.

(٢٦٤) صَرْخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٤٠١.

(٢٦٥) غوانمة يوسف درويش، إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٨١.

(٢٦٦) كرد علي، غوطة دمشق، ص٩٦.

(٢٦٧) فرح ،تاريخ الفلاحين ،مج٢ ،ص٥٥٥.

واهتم الأيوبيون ومن بعدهم المماليك بعد انتهاء الحكم الصليبي في بلاد الشام بالفلاحين وخاصة المناطق الفلسطينية، واتبعوا سياسة استصلاح الأراضي، وتشجيع الفلاحين على زراعتها، حيث ارتفع عدد القرى والمزارع والضياع في أراضي فلسطين بعد الاحتلال الافرنجي إلى نحو ٣٠٠ قرية ومزرعة. (٢٦٨) وانصبّ اهتمام السلاطين والأمراء الأيوبيين بشكل كبير في الإقطاعات التي تكثر فيها الأراضي الزراعية مثل مدن وقرى دمشق وحلب، إذ نستدل على ذلك من خلال المردود المالي والعيني (٢٦٩) ،فقد وصل ارتفاع حلب زمن الملك الظاهر غازي إلى نحو(٦,٩٨٤,٥٠٠) درهم في سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م.(٢٧٠)

وبلغ ارتفاع مدينة حارم نحو (٥٠٠,٠٠٠) ألف درهم سنويا، (٢٧١) أما قصبة حلب فقد وصل ارتفاعها زمن الملك الناصر يوسف آخر أمراء البيت الأيوبي إلى نحو (٢,٠٠٠,٠٠٠) مليون دينار في سنة ٦٣٨هـ/ **١٢٤٠م** (٢٧٢)، إذ كان يدخل في أعمالها من القرى نحو الثمانمائة مثل: تل السلطان(٢٧٣) وأورم(٢٧٤) وجبرين الفستق

---

(٢٦٨) الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٦١١- ٦١٢؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ٣٣٠، ٣٣٩. عثامنة، فلسطين ، ص٢٥٩؛ زابوروف، الصليبيون، ص ١٩١.

A.N. poliak, feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon Philadelphia, 1977,p.9

(٢٦٩) الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٩٥،٦٣٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١٧٢؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢،ص ١٩.

(٢٧٠) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٤٧؛ الغزي، نهر الذهب، ج١، ص٢٦٨.

(٢٧١) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب، ج٢، ص٥٧٠-٥٧١

(٢٧٢) أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص١١٣

(٢٧٣) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٤٢.

(٢٧٤) أوْرم: اسم لأربع قرى من قرى حلب وهي: أورم الكبرى وأورم الصغرى وأورم الجوز وأورم البرامكة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٢٧٨.

وعين زربة[٢٧٥] وكفر تخاريم وقلب لوزة والحطابية والبزاعة وغيرها ،حيث يصرف من غلات خمسمائة قرية في إعداد (١٠٠٠) فارس، والباقي يحمل إلى بيت المال.[٢٧٦] [٢٧٦] كما ارتفعت عبرة الإقطاعات الممنوحة للأمراء والأعيان من خارج البيت الأيوبي، إذ بلغت عبرة إقطاع بهاء الدين قراقوش (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) نحو ثمانين ألف دينار سنوياً، وعبرة بهاء الدين بن شداد مائة ألف درهم في السنة[٢٧٧]، وبلغ خراج البلاد الشامية في العصور اللاحقة للحكم الأموي، بما فيها مناطق طرابلس ويافا وعسقلان واللاذقية نحو (٩٣,٥٠٠,٠٠٠) درهم .[٢٧٨]

يتبين مما سبق ذكره، ومن خلال أرقام المبالغ الخراجية الخاصة بالبلاد الشامية ، أنها بلاد ذات خيرات واسعة، بسبب ما تملكه من أراضٍ وضياع وبساتين تساهم كثيرا في رفع العوائد الخراجية الخاصة بها ، فيستفيد القاصي والداني من تلك الثروات التي تعم خيراتها على سادة الإقطاع ، ومن كان في خدمتهم من أمراء وأعيان وقادة وجند. وبنظام الإقطاع العسكري وقوته استطاع صلاح الدين من إعادة توحيد بلاد الشام مع مصر، إذ سيطر الإقطاع العسكري على معظم الأراضي الشامية، وجعل من المدن الكبرى محطات لمراقبة تحركات الافرنج سواء أكان في دمشق أم حمص أم حماة أم غيرها من المناطق الشامية.[٢٧٩]

---

(٢٧٥) عين زربة: بلد بالثغر من نواحي المصيصة، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٧٧.

(٢٧٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ق١، ص٦٥؛ الغزي، نهر الذهب ،ج١ ،ص٣٦٦- ٣٧٧، ٣٨٣.

(٢٧٧) الطواهية،الإقطاع العسكري، مج٦، ع٣، ص ١٨.

(٢٧٨) المصدر نفسه، ص ١٧١-١٧٢.

(٢٧٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج٣، ص ٣١٧، ٣١٩؛ زابوروف، الصليبيون، ص١٨٩

النتائج

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الآتية:

١ -استأثرت دمشق وما يتبعها من مدن وقرى بالنصيب الأكبر من حجم الأراضي الزراعية المستغلة في بلاد الشام، لاسيما في مناطق: بعلبك والغوطة والمرج والربوة وشبعا ودوما وحرستا وغيرها.

٢ -كان للموقع الجغرافي لبلاد الشام ، وقربها من البحر الابيض المتوسط أثر كبير في تلقي أراضيها كميات كبيرة من الأمطار، بسبب تأثرها بالإقليم المناخي المتوسطي، الذي حقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي لمياه الري بسبب كثرة الأمطار الساقطة على مختلف المناطق في بلاد الشام.

٣ -ساهمت الأنهار إلى جانب الأمطار بدور كبير في ري المزروعات المنتشرة في أراضي بلاد الشام الزراعية مثل: أنهار داريا والزهراني وبردى والعاصي والأردن وغيرها.

٤ -تركزت زراعة المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها، في سهول الغوطة وحوران والسهول المرتفعة في الجولان ومناطق الأغوار والبلقاء وأراضي القدس ونابلس والخليل وغيرها.

٥ -كان المحراث الخشبي والمنجل والمجرفة والشوافة والمعول وألواح الخشب والغربال من أهم الآلات الزراعية التي استخدمها أهالي الشام في الزراعة ومواسم الحصاد.

٦ -وزِّعت معظم أراضي البلاد الشامية على الأمراء من البيت الأيوبي ، وكبار رجال الدولة من أمراء وقادة وجند حسب الرتب العسكرية على شكل إقطاعات، فيما دخلت الأراضي الخارجة عن نطاق الإقطاع في نظام التأجير.

٧ - مثلت صلة القربى والولاء السياسي أهم الأسباب وراء منح الإقطاعات في البلاد الشامية لأكثر من شخص تناوبوا على إدارتها في فترات الحكم الأيوبي.

٨ - بيّنت الدراسة - بالأرقام – مردودات وارتفاعات الإقطاعات في بلاد الشام لبعض السنوات في العصر الأيوبي.

٩ - خضعت تنظيمات الجيوش الأيوبية تحت سيطرة نظام الإقطاع العسكري خلال الحكم الأيوبي لبلاد الشام ، لاسيما في الإقطاعات الكبرى مثل دمشق وحمص وحلب وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

[١] ابن الشحنة (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، أبو الفضل محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ؛ تقديم: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤.

[٢] ابن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ، جرجس أبو العباس، اخبار الايوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت.

[٣] ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٠ م.

[٤] ابن الوردي(ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، زين الدين عمر، تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردي)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م،

[٥] ابن حزاذبة (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.

[٦] الأصفهاني(ت ٥٩٥هـ/١٢٠٠م)، عماد الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي؛ تحقيق: محمد صبح، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٠م.

[٧] الحميري(ت٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

[٨] مجير الدين الحنبلي(ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، أبو اليمن، الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (د. ن، د.م ، د. ت)

[٩] ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠.

[١٠] ابن بطوطة(ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م.

[١١] ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت . د. ت

[١٢] ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، عبد الرحمن، المقدمة (الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)؛ تحقيق: حجر عاصي.

[١٣] ابن خلكان(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت. د. ت

[١٤] ابن شداد(ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، عز الدين محمد بن علي، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة؛ تحقيق: سامي الدهان، (طبعة ١٩٦٢م).

[١٥] ابن مماتي(ت٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، الأسعد، قوانين الدواوين؛ تحقيق: عزيز سوريال، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م.

[١٦] ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ؛ تحقيق: جمال الدين الشيال(طبعة القاهرة ١٩٦٠م).

[١٧] ابن وحشية(ت ٢٩١ هـ/ ٩٠٣م)، أبو بكر أحمد بن علي، الفلاحة النبطية، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٩٣م.

[١٨] البنداري(ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)، الفتح بن علي، سنا البرق الشامي ؛ تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

[١٩] الحنبلي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ؛ تحقيق: مديحة الشرقاوي مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٩٩٦م.

[٢٠] القزويني(ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت

[٢١] القلقشندي(ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ؛ دار ا لفكر، دمشق، ١٩٨٧م.

[٢٢] المقدسي(ت٧٦٣هـ/١٣٦١م)، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣.

[٢٣] المقريزي(ت ٨٣٥هـ/ ١٤٤١م)، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م.

[٢٤] النويري(ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

[٢٥] شيخ الربوة(ت ٧٢٧هـ / ١٨٦٥م)، شمس الدين عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

[٢٦] اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م)، أبو محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

[٢٧] ابن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، كمال الدين عمر بن أحمد، زبدة الحلب من تاريخ حلب؛ تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربية، دمشق، ١٩٩٧م.

[٢٨] ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢م.

[٢٩] ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ، أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.

[٣٠] ابن دقماق (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)، إبراهيم بن محمد بن أيدسر، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين؛ تحقيق: محمد كمال الدين علي، بيروت، ١٩٨٥م.

[٣١] ابن سباط (٩٢٦هـ / ١٥١٩م)، حمزة بن أحمد بن عمر، تاريخ ابن سباط؛ تحقيق: عمر تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس.

[٣٢] ابن شاهنشاه(ت٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، محمد بن تقي الدين عمر، مضمار الحقائق وسر الخلائق؛ تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨م.

[٣٣] ابن شاهين(ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، غرس الدين خليل الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك؛ تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٩٨٤م.

[٣٤] ابن طولون(ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، محمد الصالحي القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية؛ تحقيق: محمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠

[٣٥] ابن فضل الله العمري(ت ٧٤٩هـ/ ١٣٢٩م) شهاب الدين أبي العباس أحمد، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ تحقيق: محمد خريسات، مركز زايد للتراث، أبو ظبي.

[٣٦] ابن كثير(ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) ،أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م .

[٣٧] أبو الفداء (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ابن أيوب، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.

[٣٨] أبو شامه (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٥م)، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

[٣٩] الإدريسي(ت. ق ٦هـ/ ١٢م)، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

[٤٠] الحموي(ت٨٢٦هـ / ١٢٢٨م)، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.

[٤١] الغزي(ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، كامل حسين بن محمد البالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم العربي، حلب.

[٤٢] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك؛ تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م ،ابن شداد(ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، بهاء الدين أبو المحاسن موسى بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.

[٤٣] ابن القلانسي (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، أبي يعلي حمزة بن أسد، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

[٤٤] ابن بحتر، صالح بن يحيى بن صالح، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٨م.

[٤٥] العمري (ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٦م)، ياسين خير الله، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية؛ تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة الأدب، النجف، ١٩٧٤م.

ثانياً: المصادر الأجنبية المعربة:

[٤٦] جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

[٤٧] الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس؛ ترجمة: زياد العسلي، دار الشريف، عمان، ١٩٩٠.

ثالثاً: المراجع العربية:

[٤٨] الأوتاني، أحمد محمد، دمشق في العصر الأيوبي، التكوين للتأليف والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م.

[٤٩] فرح، نعيم، تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، د ن، د م، ١٩٨٠م.

[٥٠] بهجت، منى محمد، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

[٥١] الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان؛ في جبل لبنان؛ تقديم: فؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت.

[٥٢] الطراونة، مبارك محمد، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك، دار جليس الزمان للنشر، عمان، ٢٠١٠م.

[٥٣] حركات، إبراهيم، النشاط الاقتصادي والإسلامي في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٦٦م.

[٥٤] حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي؛ تقديم: عبد العزيز الدوري، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٨.

[٥٥] خرابشة، سليمان عبد العبد الله، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣.

[٥٦] دويكات، فؤاد عبد الرحيم حسن، إقطاعية شرقي الأردن في العصر الحروب الصليبية (رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، اربد).

[٥٧] عبد السلام، عادل، جغرافية سوريا، (دمشق، ١٩٧٣م).

[٥٨] عثمان، قائد، أراضي الإقطاع والمقطعون في مصر والشام خلال العصر الأيوبي، مجلة سبأ، ٢٠٠٤م،

[٥٩] غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥.

[٦٠] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥٠٠.

[٦١] محمد كرد علي، دمشق مدينة السحر والشعر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م

[٦٢] محمد كرد علي، غوطة دمشق، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

[٦٣] الخطيب، مصطفى عبد الكريم معجم المصطلحات، والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦.

[٦٤] الطروانة، طه ثلجي، مملكة صفد في في عهد المماليك ، دار الآفاق الجديد، بيروت، ١٩٨٢.

[٦٥] العطار، محمد، علم المياه الجارية في مدينة دمشق ؛ تحقيق: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤.

[٦٦] الغامدي، علي محمد، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

[٦٧] بني عيسى، عبد المعز عصري، الموارد والنفقات في الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، (رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٩م

[٦٨] جبران ، نعمان محمود، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حمادة، اربد، ٢٠٠٠م.

[٦٩] ربيع ، حسنين محمد، النظم المالية في مصر، دار الأمين، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

[٧٠] شاهين، رياض ،وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش، دار الشروق عمان، ٢٠٠٣م.

[٧١] طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

[٧٢] عثامنة ، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٦.

[٧٣] غوانمة، القرية في جنوب بلاد الشام، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣م.

[٧٤] غوانمة، يوسف درويش، تاريخ شرق الاردن، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩م.

[٧٥] خليل، فؤاد، الإقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

[٧٦] خير، صفوح، مدينة دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٩م.

[٧٧] الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م.

[٧٨] سعداوي، نظير حسن، جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.

[٧٩] الشريدة، خالد سليمان، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، عماد الدين للنشر، عمان، ٢٠١١م،

[٨٠] كاشف، سيدة إسماعيل، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣م.

[٨١] زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، (مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية)د.ت، دمشق، ١٩٩٥م.

[٨٢] علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٦م.

رابعاً: المراجع الأجنبية المعربة:

[٨٣] كيروف زوبرتيسكي، المشاعة، الرق الإقطاع؛ ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م.

[٨٤] سمنيوفا، ليديا اندرنيغلا، صلاح الدين، والمماليك في مصر؛ ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.

[٨٥] هاملتون آ. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي؛ تحرير: يوسف أيبش، بيسان للنشر، بيروت، ط ٢، ص ١٩٩٦.

[٨٦] زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق؛ ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٦.

خامساً: المراجع الأجنبية:

[87] Rabie,hassanein,the financil system of Egypt ,oxford university press, London,1972,p.p68,70-71

[88] A.N. poliak, feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon Philadelphia, 1977,p.9

The Status of Farming Lands Under the Ayoubi Rule (570-648 A.H/ 1174-1250 B.C)

Dr. Abed Al Mouiz Asri Bani Issa
Assistant Professor
Department of History –Faculty of Arts- Yarmouk University

Abstract. This study aims to identify the locations of the farming lands with respect to the administrative formations during the Ayoubi era. The study also evaluates the extent to which the farming lands made use of irrigation sources such as rivers and springs as well as rainfalls. It also sheds light on the type of trees, grains, and vegetables that the Ayoubi peasants grew. The study also highlights how land property and feudal system worked for high-ranking Ayoubi officials, dignitaries, princes, army leaders and commissioned and non-commissioned officers.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٨٣٧-٨٨٢، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

السلطان علاء الدين الخلجي[(١)]
(٦٩٥ – ٧١٦هـ / ١٢٩٦ – ١٣١٦م)

د. خيرية بنت محمد آل سنة
أستاذ مساعد، كلية الآداب، قسم التاريخ،
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

ملخص البحث. الحمد لله رب العالمين الموضوع، والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تناول هذا البحث عصر السلطان علاء الدين الخلجي والذي حكم في الفترة من ٦٩٥ -٧١٦ هـ/١٢٩٦-١٣١٦م، أحد سلاطين الدولة الخلجية التي حكمت شبه القارة الهندية، وهذا البحث يكشف عن جهوده في تأمين بلاده من الأخطار الخارجية، وعمله على نشر الإسلام و مد نفوذه إلى مناطق جديدة لم يصلها أحد قبله، كما يظهر لنا دوره في توفير سبل الرخاء لشعبه. ونظراً لأهمية هذه الجهود فقد خصصنا البحث عنه.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وعدد من النقاط لعرض الموضوع، وخاتمة وملاحق، وبيانها كالتالي:

المقدمة: تضمنت تعريف بأصل الأسرة الخلجية، واعتناقهم الإسلام، ثم ظهورهم كقوة حتى وصولهم إلى سدة الحكم.

ثم عرض البحث في عدد من النقاط هي:

- تعريف بالسلطان علاء الدين وكيفية وصوله إلى السلطنة.
- دخول السلطان علاء الدين العاصمة دهلى ومواجهة أبناء عمه عمه جلال الدين.
- ثم تناولنا شعور السلطان علاء الدين بالعظمة، وتوجيه عمه القاضي علاء الملك له.

---

(١) انظر ملحق رقم (١) صورة السلطان علاء الدين الخلجي.

– ركز البحث على تفاصيل جهود السلطان علاء الدين لإقرار الحكم في البلاد والتي تمثلت في ثلاث نقاط أساسية هي:

– مواجهة المغول.

– الفتوحات الجديدة في عهده.

– الإصلاحات الداخلية في عهده والتي تمثلت في إصدار مراسيم إدارية واجتماعية واقتصادية، وإصدار ضوابط لمتابعة تطبيق هذه المراسيم.

ثم تناول البحث الآثار العمرانية– الدينية والعلمية والعسكرية التي تمت في عهد هذا السلطان.

–ثم وفاة السلطان ووصيته.

خاتمة البحث تضمنت عدة حقائق تاريخية، وتبعتها بعدد من الملاحق، وفي النهاية ثبت بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مقدمة

وردت عدة روايات حول أصل الأسرة الخلجية فيرى فرشته أن الخلجيين ينسبون إلى الترك وسبب ذلك أنه ورد ذكرهم أيام الدولة الغزنوية[٢]. ويرى البعض أنهم ينسبون إلى "قلبج خان" أحد أصهار جنكيز خان – القائد المغولي –وقلبج زوج ابنة جنكيز خان، وكانت الخلافات بين الزوجين دائمة إلا أنه لا سبيل له إلا التعايش معها خوفاً من والدها. وبعد أن قضى المغول على الدولة الخوارزمية، كان قلبج خان في جبال الغور[٣]، فانفصل عن جنكيز خان ومعه قبيلته والتي كان يبلغ عددها ثلاثين ألف أسرة، وسيطر على تلك الجبال، وعندما توفي جنكيز خان لم يتجرأ عليه أحد. وبقي في تلك المنطقة، وتزايدت أعدادهم[٤]. ومهما يكن الأمر فإن الخلجيين قد تأثروا بالبيئة التي عاشوا فيها وصاروا يعدون أنفسهم أفغاناً أكثر من أي شيء آخر[٥].

اعتنقوا الإسلام في عهد سلاطين الدولة الغزنوية، وضم الجيش الغزنوي فرقاً منهم ساهمت في فتح الهند، على أن نشاط الخلجيين اتضح في عهد الغور، فحينما

---

(٢) فرشته، محمد رضا، ومحمد قاسم بن غلام علي (ت/١٠١٥هـ): تاريخ فرشته از آغازتابابر، طهران، مؤسسة انجمن آثار ومفاخر فرهنكي، نسخة إلكترونية PDF محملة من مكتبة كتابخانة، ديجتال نور، جـ١، ص٣١٦.

(٣) الغور: تقع بلاد الغور في أفغانستان الحالية بين هراة وغزنة، وعاصمتهم فيروزكوه. انظر الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م، ص٣٤.

(٤) بدواني، عبد القادر بن ملوكشاه (ت/٩٤٧هـ)؛ منتخب التواريخ، حققه توفيق هاشم بورسبحاني، طهران، مؤسسة انجمن آثار ومفاخر فرهنكي، ١٣٨٠هـ، جـ١، ص١١٦؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣١٦.

(٥) الساداتي، أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، مكتبة الآداب، (د. ط. ت)، جـ١، ص١٤٨؛ المشهداني، ياسر عبد الجواد: تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، الأردن، دار الفكر، ط١، ٢٠١٠م، ص١٣٦.

تولى قطب الدين أيبك[٦] الهند نيابة عن سلطان الغور، حرص على توسعة رقعة ولايته فأسند هذه المهمة إلى قائده محمد بختيار الخلجي الذي تمكن من تحقيق العديد من الانتصارات والتي سهلت لهم السيطرة على إقليم البنغال والأقاليم الشرقية في عهد الدولة المملوكية[٧]. كما تولوا كثيراً من المناصب في الدولة حتى ضعفت دولة المماليك واستبد القادة الترك بالدولة دون السلطان كيقباد بن بغراخان[٨]، فأظهر القائد فيروز الخلجي[٩] قواته وساروا إلى دهلى[١٠] وأطاحوا بالسلطان الصغير، وأعلنوا فيروز سلطاناً مكانه ولقب بجلال الدين وذلك عام (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، لم يجد الخلج في البداية تقبل من أهالي دهلى، لفرط ما ارتكبته قواتهم من قسوة، وقتلهم السلطان كيقباد، ولكن السلطان جلال الدين فيروز أحسن السيرة في الناس فاتبع سبيل الصلاح

---

(٦) قطب الدين أيبك: أول سلاطين دولة المماليك في الهند، حكم (٦٠٢ – ٦٠٨هـ)، وله جهود كبيرة لإقرار الحكم الإسلامي في الهند. انظر منهاج سراج، منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت/٦٦١هـ): طبقات ناصري، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١ (٢٠١٣م) جـ١، ص.ص٥٩١-٦٤٦.

(٧) دولة المماليك: قامت دولة المماليك في الهند سنة ٦٠٢هـ واستمر حكمها حتى ٦٨٩هـ، وتسمى دولة المماليك لأن سلاطينها في الأصل مماليك لشهاب الدين الغوري. انظر النووي، محمد إسماعيل: تاريخ الإسلام في الهند، مجلة الكتاب العربي، العدد الثامن، ١٣٨٤هـ، ص٢٤.

(٨) كيقباد بن بغراخان بن السلطان غياث الدين، حكم (٦٨٤هـ إلى ٦٨٩هـ، وكان صغيراً عند تولي الحكم فعمره ثمانية عشر عاماً وكان وزيره هو المتصرف في أمور الدولة. انظر ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللوتي (ت/٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١٤م، جـ٢، ص.ص٤٣ – ٤٤؛ الدهلوي، يحيى بن أحمد السيهرندي (ت/٨٣٨هـ): تاريخ مبارك شاهي، تصحيح محمد هدايت، كتابخانةديجتالي نور، جـ١، ص.ص٥٣ – ٥٤.

(٩) حكم جلال الدين فيروز الهند في الفترة (٦٨٩ – ٦٩٥هـ/ ١٢٩٠ – ١٢٩٥م). انظر الحسيني، عبد الحي بن فخر الدين (ت/١٣٤١هـ): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩م، جـ١، ص٢٠٥.

(١٠) دهلى: قاعدة بلاد الهند، تقع جنوب العاصمة الهندية بعشرة أميال. ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٣٤.

والعدل وَكرِهَ إراقة الدماء، حتى مع الخارجين عليه. حتى كانت نهايته القتل على يد ابن أخيه علاء الدين سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)[١١].

- السلطان علاء الدين الخلجي:

هو محمد بن مسعود الخلجي، ابن أخ السلطان جلال الدين فيروز، كان مقرباً من عمه فزوجه ابنته، وأقطعه مدينة كره ومانكبور ونواحيها[١٢]، وكانت زوجة علاء الدين في خلاف دائم معه، وكان يشتكي منها إلى عمه جلال الدين حتى بدأت بذور الوحشة بينها[١٣].

وبالرغم من ذلك فقد كان حب جلال الدين لابن أخيه ثابتاً في نفسه. وقد نجح علاء الدين ووصل إلى أماكن لم يصلها أحد قبله، حيث مد نفوذ الدولة الإسلامية إلى "ديوكير"[١٤] وكان سلطانها أكبر سلاطين الهنود الكفار، فأذعن له سلطانها بالطاعة وأهدى له هدايا عظيمة، ثم عاد إلى كره منتصراً غانماً غنائم كثيرة، ولم يبعث إلى عمه شيئاً من الغنائم، فأغرى الناس عمه به، فأرسل علاء الدين إلى عمه من يوهمه أنه خائف من الحضور إلى السلطان؛ وهنا قال عمه: أنا أذهب إليه فإنه محل ولدي، وتجهز السلطان لزيارته فهو لا يساوره الشك في علاء الدين واعتبر أن زيادة قوة علاء الدين هي زيادة لرفعته وسلطانه هو. ونظراً لأن علاء الدين كان في ضيق فليس لديه

---

(١١) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٦؛البهكري، سيدمحمد معصوم(ت/١٠١٩هـ): تاريخ السند المعروف بتاريخ معصومي، تصحيح عمر محمد داؤدبوته، تهران، انتشارات أساطير، ١٣٩٣م، ص ٤٢؛الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ١، ص١٤٩؛ المشهداني: تاريخ الدول الإسلامية، ص١٣٨.

(١٢) كره ومانكبور: هي من أخصب بلاد الهند، وتصنع فيها الثياب بينها وبين دهلى مسيرة ثمانية عشرة يوماً. انظر ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٥.

(١٣) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٥.

(١٤) ديوكير: كرسي بلاد مالوه ومرهته. انظر ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٥؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٥.

أموال إلا ما يغنمه من الحرب، وكذلك يخشى زوجة جلال الدين "ملكه جهان" التي كانت السيدة الأولى وهي الآمرة والناهية في القصر السلطاني، فقد قرر التخلص من عمه جلال الدين، فأرسل أخيه "آلماس بيك" – والذي كان أيضاً صهر السلطان – برسالة ذكر فيها أنه يعلم أن حقوق السلطان عليه لا يمكن حصرها، وأنه بالنسبة له الأب والعم والسيد، وأنه حين علم بغضب السلطان منه، فإنه يحمل السم معه دائماً لينتحر، ثم عرض "آلماس" على عمه الرسالة، وطلب أن يلحق بأخيه قبل أن ينتحر، وأن يكون حضور السلطان بمفرده دون جند خشيت أن يعتقد علاء الدين أن عمه قادم لقتله(١٥).

صدق السلطان جلال الدين ما قاله ابن أخيه، وأقنعوه أن ينزع السلاح من جنده منعاً لحدوث صدام بين جند كره وجند دهلى، وفي المقابل جهز علاء الدين جيشه بالأسلحة، وركز وجودهم في مناطق محددة، وقَدِمَ السلطان صائماً، وكان يقرأ القرآن حتى يصل إلى ابن أخيه، والذي أوحى لجنده إذا عانق عمه فعليهم قتله، وفعلاً قتلوا السلطان وقطعوا رأسه وحملوه إلى علاء الدين، ثم جعلوه على رأس رمح وطافوا به في كره ومانكبور. وأنعم علاء الدين على أعوانه، وأعلنوا علاء الدين سلطاناً مكان عمه جلال الدين، وكان ذلك في نهاية سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)(١٦).

بعد أن غدر علاء الدين بعمه، زحف بجيشه إلى العاصمة دهلى، ولم يرحب أهلها بمقدمه لبشاعة الطريقة التي اغتيل بها السلطان جلال الدين، وبادرت زوجة

---

(١٥) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٣٤٢ – ٣٤٩؛ الفقي: بلاد الهند، ص.ص ٧٨ – ٧٩.

(١٦) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٦؛ البهكري: تاريخ السند، ص ٤٢؛الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٥؛ تابار، روميلا: تاريخ هند، ترجمه إلى الفارسية همايون صنعتي زاده، إيران، نشر أديان، ط١، ١٣٨٦هـ ش، م١، ق١، ص٣٦٣، النمر، عبد المنعم: تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، ط١، ١٩٥٩م، ص١١٧.

السلطان جلال الدين "ملكه جهان" بتنصيب ابنها الصغير ركن الدين إبراهيم سلطان خلفاً لوالده، ولقب بـ "قدرخان" والذي كان في بداية حياته وعنفوان شبابه ولم تكن لديه دراية بأمور الحكم، وذلك دون استشارة رجال الدولة. ونثرت المناصب والألقاب والإقطاعيات على الأمراء، وقد أساءت لابنها الأكبر "أركالي خان" والذي كان هو الخلف الصالح لوالده، وكان في الملتان[١٧]. ولهذا بقي أركالي في الملتان ولم يتقدم إلى دهلى[١٨].

– علاء الدين في دهلى:

وصلت أخبار دهلى إلى علاء الدين من حيث اختيار قدرخان سلطاناً، ووصله خبر استياء أركالي خان، وانقسام أهل دهلى ما بين مؤيد لقدرخان ومؤيد لأركالي خان، ولهذا توجه إلى دهلى للاستيلاء على السلطنة، وعندما اقترب من دهلى لم يخرج له قدرخان بل أرسل بعض الأمراء ومعهم الجيش لمواجهة علاء الدين، فانضم الذين كانوا رافضين لسلطنته إلى علاء الدين، وعندما سمعت والدة السلطان "ملكة جهان" بذلك أرسلت إلى أركالي خان تطلب منه الحضور، ولكنه رفض لأنه يرى أن الأمر انقضى، فالجيش انضم للعدو، والخزانة لا يوجد فيها ما يدفع منه رواتب الجند، فلا فائدة من مقدمه إلى دهلى. خرج قدرخان في محاولة بائسة لمواجهة علاء الدين، ولكنه تراجع فلم يجد في نفسه القدرة في المواجهة، فعاد وأخذ من الخزانة الذهب واصطحب أمه ونساءه وهرب إلى الملتان؛ ودخل السلطان علاء الدين دهلى

---

(١٧) الملتان: مدينة في الهند بالقرب من غزنة، في المناطق الشمالية الغربية في الهند، انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت/٦٢٦هـ): معجم البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، جـ٥، ص٢١٩.

(١٨) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٩٦؛

Majundar. R.C: An Advanced History of Indian, New York, 1968, P.289; Morel: A short History of India, London, 1890, p.162.

وقدم أهل المدينة التهنئة، وقُرِئت الخطبة، وسُكّت العملة باسم السلطان علاء الدين، وكان ذلك في أواخر سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)[١٩].

وأقام الاحتفالات في المدينة، وانغمس الناس في اللهو، ووزع الأموال والذهب على العامة، حتى مالوا إليه، ورغبوا في سلطنته، وبهذا مُحيت من القلوب عملية القتل الشنيعة التي أنهت حياة السلطان جلال الدين فيروز[٢٠]. وبهذا فقد ساندت الأوضاع في دهلى علاء الدين ومهدت له الوصول إلى السلطنة.

- علاء في مواجهة أركالي خان:

بعد أن استقر السلطان علاء الدين في دهلى فكر في التخلص من المنافسين له، وعلى رأسهم أبناء السلطان جلال الدين، الذين اجتمعوا في الملتان، ولهذا أرسل لهم السلطان جيشاً يقوده "ألماس بيك" أخو السلطان و"ظفر خان"[٢١] فوصلوا إليها وحاصروها، وبعد شهرين من الحصار تخلى أهالي الملتان والجند عن أركالي خان وأخيه قدرخان وانضموا لجيش السلطان، ولهذا استسلم أبناء جلال الدين، وعادوا برفقة جيش السلطان إلى دهلى، وفي الطريق وصل "نصرت خان"[٢٢] والذي أرسله

---

(١٩) البهكري: تاريخ السند، ص ٤٢، تابار: تاريخ هند، ص٣٦٣.

(٢٠) بارني، ضياء الدين (ت/٧٥٨هـ): تاريخ فيروزشاهي، الهند، (د. ط. ت)، ص.ص ٢٢٩ – ٢٤٦؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٢٦؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٥٥؛البهكري: تاريخ السند، ص٤٣.

(٢١) ظفرخان أحد رجال علاء الدين الخلجي وكان يتول عارض شؤون الممالك، والخازن الأكبر في الدولة. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٥٦.

(٢٢) نصرت خان: من رجال علاء الدين وكان يتولى منصب نائب الملك، ثم حاكماً لمدينة دهلى، وبعد أن تخلص السلطان من أبناء جلال الدين تولى الوزارة. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٣٥٥ – ٣٥٦.

السلطان علاء الدين ليسمل[٢٣] أعين ابني جلال الدين، وأقاربهم، وأعوانهم، وصودرت أموالهم، وحبسوا الأميرين في قلعة "هانسي"[٢٤]، وحبسوا الملكة جهان وحريم السلطان جلال الدين وحريم أبنائه وقتلوا ابني أركالي[٢٥]. وبهذا تخلص السلطان علاء الدين من ابني جلال الدين ورجاله وأعوانه، واسترد إقليم الملتان وبلاد البنجاب[٢٦] والسند[٢٧]، وضمها إلى بلاده، وكان ذلك سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)[٢٨].

- جنون العظمة:

خلال الثلاثة أعوام الأولى من جلوس السلطان علاء الدين على عرش دهلى استقرت معظم الأمور السلطانية، واستولى على مملكة كبيرة مثل الكجرات، وأصبح لديه أسرة كبيرة وكثر أولاده نتيجة لكثرة زوجاته، ولم يعد له شريك أو منافس في الملك، فجال في فكره أمور عظيمة تدل على جنون العظمة تمثلت في أمرين أولهما: أنه ممكن أن يكون نبي فقال: إن محمد صلى الله علي وسلم، قد نشر الشريعة الإسلامية بقوته وشوكته، وأن ذلك استتب بقوة وهمة أصحابه الأربعة – يقصد بذلك الخلفاء الراشدين – فلو استحدثت أنا أيضاً ديناً وشريعة جديدة، بقوة وهمة أصحابي الأربعة

---

(٢٣) السمل: سمل العين فقؤها بحديدة محماة أو غيرها. انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت/٧١١هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٤م، جـ١١، ص٣٤٧.

(٢٤) هانسي: من أحسن المدن وعمارة، تقع بين مدينتي سرستي ودهلى. انظر ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٢٨.

(٢٥) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص.ص٧١ ٧٢؛ بدواني، منتخب التواريخ، جـ١، ص١٢٦.

(٢٦) بلاد البنجاب: بالقرب من الملتان، وإقليم السند. ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص.ص٧ – ٨.

(٢٧) السند: يقع هذا الإقليم بين الهند وكرمان وسجستان في الشمال الغربي. انظر الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٠٣.

(٢٨) البهكري: تاريخ السند، ص ٤٣؛تابار: تاريخ هند، ص٣٦٣.

وهم ألغ خان "ألماس بيك، وظفرخان، ونصرت خان، وألب خان، ويظل اسمي على صفحات التاريخ إلى يوم القيامة.

والأمر الثاني أنه قال: أنا عندي خزائن وخيول وأفيال وأموال وخدم وأتباع وكله زائد عن الحد، وأريد أن أسلم دهلى لأحد الثقاة في البلاط، وأنا أنشغل بالفتوحات مثل الإسكندر المقدوني[٢٩]، فأقوم في البداية بالاستيلاء على بلاد خراسان وما وراء النهر والتركستان[٣٠] وأُدخل شعوبها في ملتي، ثم أتقدم برايات الفتح إلى بلاد فارس والعراق، وبلاد الشام، وبلاد الروم، وبلاد الفرنجه، وبلاد الحبشة، وأدخل شعوبها في ديني وأصبح مشهوراً مثل الاسكندر. ومعنى ذلك السيطرة على شعوب العالم بأسره.

وكان السلطان علاء الدين الخلجي يستشير أصحابه ورجال الدولة، وكانوا يخافون من حدة طبعه وشدته، فكانوا يجيبونه بالإجابات التي ترضيه، ولهذا زاد إعجابه بنفسه، وأطلق على نفسه في خطبة الجمعة الاسكندر الثاني، وسكّت العملة وعليها هذا اللقب، وكذلك الأختام. ومما زاد الأمر سوءاً أن السلطان كان رجلاً أمياً فهو لا يعرف القراءة والكتابة، وطبيعته فيها شدة، ولم يكن ينصحه أهل المجلس، فكان بعضهم يؤثر السكوت والبعض الآخر كان يصدق كلامه برغم علمه بالحقيقة ويثني عليه ويؤكد كلامه بالأمثلة. أما علماء الدين فقد كانوا يستاؤون بشدة من سماع

---

(٢٩) لاسكندر الثالث المقدوني بن فيليب الأعور، ولد ٣٥٦ ق.م، وتوفي ٣٢٣ ق.م، وصل إلى الملك ٣٣٦ ق.م، حكم لمدة ١٣ عاماً، انظر أبواليسر، فرح: الشرق الأدنى في العصرين الهلينيستي والروماني، مصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٢م، ص.ص ٢٢-٢٧؛العبادي، مصطفى: العصر الهلينستي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م، ص ص١٦-٢٧.Wikipedia.org.

(٣٠) تركستان: اسم لجميع بلاد الترك، الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٢٧.

هذه الترهات، وكانوا يدعون له أن يبعد الله عنه وساوس الشيطان، ويثبت أقدامه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم[٣١].

- **نصيحة عمه القاضي علاء الملك**[٣٢]:

كان السلطان علاء الدين يقيم الحفلات ويعرض أفكاره خلالها، وكان الملك علاء الملك رجلاً سميناً، فكان لا يأتي إلى السلطان إلا في غرة كل شهر، وفي إحدى الحفلات استشاره السلطان فيما قرر من حيث الدين والسيطرة على العالم المسكون، ففكر علاء الملك، وكان رجلاً صادقاً، ولديه إلمام بالعلوم، وحذر السلطان من تنفيذ هذين الأمرين وقال له: "إن الدين لا يمكن اختراعه أو ابتكاره من تلقاء النفس إلا إذا حدثت المعجزات والتأييدات الإلهية من عند الله.. ومن المتوقع حدوث فتنة... ولن يبق لك إلا الأسف والذم والحسرة..." [٣٣]. وذلك لأنه رجل يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، كما أنه من المؤكد أنه من أصعب الأمور التأثير في العقائد الدينية.

ولهذا استجاب له السلطان علاء الدين لأن ما قاله هو ما يتفق مع الفكر الصحيح. وسأله عن الأمر الثاني وهو ما تمثل في محاولة السيطرة على العالم مثل الاسكندر المقدوني، فكان رد عمه أن ذلك يدل على علو همة السلطان، ورغبة السلطان في الفتوحات والسيطرة على العالم أمر محمود، ولكنه يحتاج إلى استعداد تام

---

(٣١) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٠؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٣٦٣ – ٣٦٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ١، ص١٥٤؛ الفقي: بلاد الهند، ص٨٢؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص.ص ١١٩ – ١٢٠.

(٣٢) علاء الملك: عم السلطان علاء الدين الخلجي، وكان قاضي وحاكم مدينة دهلى. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٦٤.

(٣٣) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٠.

وحلفاء صادقين ووزير مثل "أرسطوطاليس"[٣٤] الذي أقر ممالك الاسكندر المقدوني أثناء غيابه فإذا خرج السلطان من دهلى ليُدخل العالم تحت طاعته، ويبقى خارج الهند لفترة، فمن سيتعهد بنيابته في دهلى؟ وعند رغبته بعد الفتوحات في العودة إلى الهند، فهل سيظل نوابه خارج الهند على طاعته؟ فهذا العصر يغاير تمام المغايرة زمان الاسكندر المقدوني فلا يقاس عليه[٣٥].

اقتنع السلطان علاء الدين بما ساقه عليه عمه علاء الملك، ولكنه وجه له سؤالاً آخر، إن لدي الأموال والجند والأتباع، فكيف يمكن أن يطلق عليّ اسم "فاتح العالم"، فكان أن أجابه علاء الملك بأن لديه مهمتين عظيمتين لو استخدم كل الجند والأتباع والأموال في إنجازها، فإنها ستستوعبان ذلك، وهاتان المهمتان هما: الأولى فتح بعض بلاد الهند التي لم تخضع للحكم الإسلامي، بحيث لو تم فتح هذه البلاد التي هي مأوى اللصوص المتمردين، فإن الهند ستتطهر من كل مظاهر الفساد. والمهمة الثانية: غلق المنافذ أمام المغول، وذلك بإقامة التحصينات على المناطق الحدودية. وبعد أن تتم هاتان المهمتان سوف يتمكن السلطان من بلاد الهند، ويستخدم خدمه وجنوده في الحفاظ عليها. وسيتم له ذلك في حالة أن امتنع السلطان عن الإفراط في شرب الخمور، والانشغال بالصيد واللهو. واستجاب السلطان لنصيحة عمه علاء الملك ووجه اهتمامه بالفتوحات ومواجهة المغول، حتى قيل إن عدة معارك السلطان علاء الدين أربع وثمانون وكلها انتصر وغنم فيها[٣٦].

---

(٣٤) وزير الاسكندر المقدوني، وكان له دور كبير في إقناع عوام وخواص الروم بخطة الاسكندر، وساعد في تنفيذها وحافظ على ممالك الاسكندر أثناء غيابه. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٦٦.

(٣٥) باربي: تاريخ فيروزشاهي، ص٢٧٠؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٠.

(٣٦) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٣٦٦ – ٣٦٧؛الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ الفقي: بلاد الهند، ص٨٣؛النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١٩.

- جهود السلطان علاء الدين:

ركز السلطان علاء الدين على ثلاث نقاط أساسية، وهي صد هجمات المغول، وفتح مناطق جديدة في شبه القارة الهندية، ثم عمل في الإصلاح الداخلي لبلاده، فأصدر العديد من القرارات التي نظمت أحوال دولته، وأقرت الحكم الإسلامي في بلاد الهند.

أولاً: مواجهة المغول

- مواجهة المغول الأولى (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)

أرسل داوود خان حاكم بلاد ما وراء النهر[٣٧] ما يقرب من مائة ألف فارس مغولي إلى إقليم البنجاب والملتان والسند، فعبروا نهر السند، وأكثروا السلب والنهب والتخريب، وعندما علم السلطان علاء الدين بذلك أرسل لهم جيشاً بقيادة "ألماس بيك" و"ظفر خان" وبالقرب من لاهور[٣٨] التقى جيش دهلى مع المغول في حرب ضروس، حسمتها القوات الخلجية لصالحها بعد أن قتلوا منهم ما يقارب الاثني عشر ألف مغولي، وأسروا بعض من قادتهم، وكان هذا الانتصار عام (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، وبهذا زادت هيبة السلطان علاء الدين عند أعدائه وهابه من كانت تسول له نفسه الخروج[٣٩].

- المواجهة الثانية (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م):

عبر قائد الجيش المغولي ويدعى "جلندي" نهر السند، متوجهاً إلى الهند، فكلف السلطان علاء الدين أخيه آلماس خان "ألغ خان" وتغلق خان[٤٠] لدرء خطر المغول،

---

(٣٧) بلاد ما وراء النهر: يراد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان. انظر الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص٥٤.

(٣٨) لاهور: تقع في باكستان الغربية. انظر ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٣٩، هامش رقم (١).

(٣٩) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٥٧.

(٤٠) تغلق خان: هو نفسه غازي ملك، حاكم ديبالبور. انظر بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٢٧.

فتصدوا لهم، حيث وصلت الأخبار بأن المغول يُغيرون ويسلبون ثم يعودوا إلى مناطق أخرى ولهذا أعد لهم ألغ خان كميناً فانهزم جيش المغول، ووقع بعضهم في الأسر والبعض فر هارباً[٤١].

- **المواجهة الثالثة:**

في نهاية نفس العام الذي حدثت فيه المواجهة الثانية قدم قتلغ خواجه بن داود من بلاد ما وراء النهر، حتى وصل إلى مشارف دهلى بجموع غفيرة قاصداً الاستيلاء على ولايات الهند، حيث بلغ جيشه مائتي ألف مغولي، وحاصر دهلى، وكان سكان المدن التي مر بها المغول، قد هربوا إلى دهلى، حتى امتلأت المساجد والأحياء والأسواق، وقلّت المؤن، وارتفعت الأسعار. فجهز السلطان علاء الدين الجيش، وخرج لمواجهة المغول، وحين اشتدت المعركة ظهرت شجاعة القائد ظفر خان الذي كان له الفضل بعد الله في انتصار القوات الإسلامية، وهرب القوات المغولية، والتي طاردها ظفرخان حتى استشهد، وفر قتلغ خواجه هارباً إلى بلاد ما وراء النهر[٤٢].

- **المواجهة الرابعة:**

في نفس العام عاد المغول يهاجمون الدولة الخلجية في دهلى، فقدم جيش المغول بقيادة "تارغي" وبلغ عدد قواته حوالي مائة ألف من المشاة، وعشرين ألفاً من الفرسان، وحقق انتصارات، فاختار السلطان من قادته تغلق وغازي ملك لدرء خطر المغول، واشتبكوا مع المغول في معركة حامية، ووقع القائد المغولي "تارغي" أسيراً بيد المسلمين، وأرسل إلى السلطان في دهلى[٤٣].

---

(٤١) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٢؛البهكري: تاريخ السند، ص.ص٤٣-٤٤.

(٤٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٣٦٢ – ٣٦٣؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٥.

(٤٣) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص.ص ١٢٧ – ١٢٨؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦.

- المواجهة الخامسة:

كرر المغول الهجوم على بلاد الهند، وكانت القيادة المغولية هذه المرة بقيادة محمد ترتاق خان وعلي بيك أمراء خراسان، واستولت القوات المغولية على "ناكور" وسفوح جبال "كوه سرمور" الواقعة في المناطق الشمالية للهند، فأرسل السلطان علاء الدين الخلجي القائد النائب كافور هزار(٤٤)، والملك تغلق، والتقى الجيشان على نهر "راه آب"، وكانت الغلبة في النهاية للقوات الإسلامية الخلجية، ووقع القائدان المغوليان في الأسر ثم قتلا في النهاية.

- المواجهة السادسة:

بغرض الانتقام من هزيمة ومقتل القائد محمد ترتاق قدمت القوات المغولية بقيادة القائدين المغوليين "إقبال منده" و"كيك"، وهجما على حدود الملتان، فكلف السلطان علاء الدين النائب كافور والملك تغلق، وكان جيش المغول قد أغار على الملتان وغنم غنائم ورحل، فتعقبتهم القوات الإسلامية وقبضوا على "كيك"، وأسروه، وغنموا غنائم من الجيش المغولي، وعاد الجيش إلى دهلى، ولهذا لم يرجع جيش المغول بعد ذلك مرة ثانية إلى بلاد الهند بسبب خوفه من جيوشها(٤٥). وهكذا استمر السلطان علاء الدين في حروب مع المغول حتى سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) (٤٦) دافع خلالها عن الأراضي الإسلامية في الهند.

---

(٤٤) كافور هزار دیناري من سبي فتح الكجرات، عينه السلطان علاء الدين في منصب نائب الملك.انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٥٨.

(٤٥) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٤؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٢٨.

(٤٦) الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ١، ص١٥٢.

ثانياً: الفتوحات في عهد السلطان علاء الدين

- ضم مملكة الكجرات[٤٧]:

في أوائل عام (٦٩٧هـ /١٢٩٧م) أرسل السلطان علاء الدين حملة عسكرية إلى إقليم الكجرات، بقيادة أخيه آلماس خان، وقائده نصرت خان، وشمل الجيش الكثير من أمراء البلاط، فغارت القوات الخلجية على نهروالة[٤٨]، وفر حاكمها "كرن" إلى "رام ديو" حاكم ديوكير في بلاد الدكن. وغنمت القوات الخلجية غنائم كثيرة، منها صنم كانوا يعبدونه في نهروالة، وحملوه إلى دهلى وجعلوه موطئاً لأقدام العامة، وعينوا عليها من القادة الثقات[٤٩]، وبهذا تم فتح الإقليم وإخضاعه للقوات الإسلامية في الهند ممثلة بالدولة الخلجية.

- ضم رانثمبهور[٥٠] (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م):

اتفق مجموعة من المغول الذين أسلموا حديثاً بقيادة محمد شاة، مع بعض الخارجين ضد جيش السلطان، وقتلوا ابن أخت السلطان علاء الدين، فوجه السلطان علاء الدين حملة عسكرية لإخضاع قلاع وحصون رانثمبهور بقيادة آلماس خان ونصرت خان، بينما كان على رأس الجيش الهندي الزعيم "هميردبو" حاكم

---

(٤٧) الكجرات: تقع على ساحل بحر العرب في الجنوب الغربي من شبه القارة الهندية. انظر السورتي، عبد الله بن إسماعيل: أضواء على تاريخ الحركة العلمية في غجرات الهند، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية، العدد السبع والثمانون، محرم ١٤٠٩هـ، ص٧٢.

(٤٨) نهروالة: إحدى مدن إقليم الكجرات. انظر مؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٧هـ، ص٢٤٦.

(٤٩) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص.ص ١٣٠ – ١٣١؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٥٨؛البهكري: تاريخ السند، ص ٤٤؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٥؛تابار: تاريخ سند، ص٣٦٩.

(٥٠) رانثمبهور: مدينة حصينة، تقع إلى جنوب دهلى. انظر

Aziz, Mohammed Ahmad: Ploitical History of Institution of the Early Turkish Empire of Delhi, Oriental :Book Reprint Newdel, P.130

رانثمبهور، وقد تمكنت القوات الخلجية من هزيمتهم، واضطر القائد الهندي إلى الفرار نحو قلاع وحصون رانثمبهور وبصحبته كامل قواته، الأمر الذي جعل القائد الخلجي يرسل إلى السلطان يطلب منه الحضور بالإمدادات، فتحرك السلطان إلى أرض المعركة، وفرض الحصار على قلعة رانثمبهور، حتى فتحها، وقُتل القائد الهندي. وغُنمت غنائم كثيرة وعُيّن عليها حاكم مسلم(٥١).

- **ضم تشيتور**(٥٢):

شجع الانتصار في رانثمبهور القوات الإسلامية لتحقيق نصر جديد فتوجه السلطان إلى تشيتور وفتحها في أيام معدودة(٥٣). وسلمها لابنه الأمير خضر خان بعد أن عينه ولياً للعهد(٥٤).

- **ضم مالوه**(٥٥):

في سنة (٧٠٠هـ ١٣٠٠م) أرسل السلطان علاء الدين قائده عين الملك شهاب الملتاني بجيش كبير إلى ناحية مالوه، وعجز حاكمها "كوكاتام راني" عن المقاومة وفر

---

(٥١) بارني: تاريخ فيروز شاهي، ص٢٧٣؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٧؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣١.

(٥٢) تشيتور: تقع بالقرب من رانثمبهور، وأطلق عليها السلطان علاء الدين اسم "خضر آباد". انظر بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣١.

(٥٣) بارني: تاريخ فيروزشاهي، ص٢٨٣؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٧؛تابار: تاريخ سند، ص٣٦٩.

(٥٤) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٠.

(٥٥) مالوه: إحدى القلاع الخاضعة للأمراء الراجبوتيين في شمال الهند. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص ٣٧٠.

من أمام القوات الإسلامية، التي عادت بغنائم لا حد لها ولا حصر حتى تغنى الشعراء بهذا النصر(٥٦)و منها ما ورد للشاعر خسرو(٥٧) في هذا المقام:

وأشار إلى عين الملك أن تحرك من ابرو وحتى آرد وتوجه إلى ناحية مالوه (مالوا).

- ونظراً لما كان لعين الملك من بصيرة فقد رأى أن يقبل وينفذ ما أُمر به

وتوجه بجيشه بعد أن صف صفوفه (وهناك) تجول وكأنه قد رأى الرموش الغزيرة(٥٨).

- **ضم جالور**(٥٩):

توجه القائد الخلجي كمال الدين كوك إلى جالور، وكان يحكمها أحد زعماء الهنود ويعرف باسم "كنهر ديو"، والذي ثار على حكم الدولة الخلجية، وكان النصر حليف القائد الخلجي فتمكن من إخضاع جالور وقتل الزعيم الهندي، وذلك في عام (٧٠١هـ/ ١٣٠١م)(٦٠).

- **ضم تلنك ومرهت**(٦١):

أرسل السلطان علاء الدين في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، جيشاً كبيراً بقيادة كافور إلى بعض المناطق الهندوسية في الجنوب من الهند مثل تيلانق ومرهت وهي

---

(٥٦) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٥؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛تابار: تاريخ سند، ص٣٦٩.

(٥٧) الشاعر الصوفي الأمير خسرو، كان مقرباً من السلطان علاء الدين، توفي ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م. انظر بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٥؛ النمر: تاريخ الإسلام، ص١٢٣.

(٥٨) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٥.

(٥٩) جالور: تقع شمال الهند. انظر الفقي: بلاد الهند، ص١٥٢.

(٦٠) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٨؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٥.

(٦١) تلنك ومرهت تقع جنوب الهند. الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦.

ممالك هندية قديمة، وقد حقق الخلجيون انتصارات كبيرة في تلك المواقع، وغنموا غنائم كثيرة من كنوز وأفيال، وجياد وأقمشة ومجوهرات(٦٢).

- ضم أرنكل(٦٣):

بعث السلطان علاء الدين القوات الإسلامية إلى أرنكل سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) بقيادة كافور، وكان حاكمها الراجا "ندر ديو". وقد حاصرت القوات الخلجية الحصن، وضيقوا على أهلها، وحدث قتال عنيف، حتى فتح المسلمون المدينة صلحاً، على أن يدفع الحاكم الهندي الجزية للمسلمين، ثم توجهت القوات إلى بلاد المعبر(٦٤) حتى دهور سمندر، ودخلت تحت سيطرة المسلمين سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، بعد أن واجه المسلمون فيها مقاومة عنيفة من الهنود، وغنم المسلمون غنائم كثيرة منها ٣١٢ فيلاً، وعشرين ألف فرس(٦٥).

ولم يرجع القائد كافور من الدكن حتى تم له إخضاع الجنوب الهندي كله، بل كان سلطان الدولة الخلجية يشمل شبه القارة الهندية تقريباً، وبالتحديد ترك علاء الدين مملكة تمتد من البنجاب إلى البنغال، ومن جبال الهملايا إلى تلال الوند هايا،

---

(٦٢) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٨؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٥؛تابار: تاريخ سند، ص٣٦٩.

(٦٣) أرنكل: كرسي بلاد الدكن وتقع أقصى بلاد الدكن وقاعدتها تلنجانا. الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛السداتي، تاريخ المسلمين، جـ١، ص ١٥٩.

(٦٤) بلاد المعبر: تسمى ساحل كروماندل تابعة للهند. انظر ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٢٠٠، هامش (١).

(٦٥) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٧٩؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٥؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛

.Majundar: An Advanced History of India, P.297

وهي الرقعة التي اصطلح على تسميتها الهندستان[٦٦]. وقد أسند حكم الولايات الهندية التي خضعت لسيطرته إلى ولاة محليين ممن يثق في طاعتهم وولائهم، وأتم السلطان علاء الدين السيطرة على شمال الهند، وأتبعها بالسيطرة على جنوبها، وقد ساند السلطان في تحقيق ذلك قادته المخلصون، فقد هاجم كافور القائد الخلجي ممالك الجنوب وسقطت كلها في يده الواحدة تلو الأخرى.

ثالثاً: الإصلاحات الداخلية

وجدت نصيحة عمه القاضي علاء الملك صداها عند السلطان علاء الدين، فعدل عن رأيه إلى الاهتمام بشؤون دولته والعمل على نهضتها ووضع النظم الإدارية والمالية التي تصلح من شأن مملكته، وقُدِّر لها أن تلقى قدراً كبيراً من النجاح فعم بلاده الرخاء، ونعم الناس بالأمن، وتفصيل ذلك كالتالي:

- أسباب إصدار السلطان للمراسيم:

تعرض السلطان علاء الدين لمؤامرة كادت تنهي حياته، وقاد هذه المؤامرة ابن أخيه سليمان شاه، وكان يشغل منصب وكيل الدار، وكان يريد أن يعيد الكرة فيفعل مع عمه السلطان علاء الدين مثلما فعل علاء الدين مع عمه السلطان جلال الدين فيروز، ويسقيه من نفس الكأس، ويتولى سليمان شاه السلطنة، وفعلاً باغت سليمان شاه ومن انضم معه السلطان علاء الدين وجُرح السلطان حتى أُعلن موته، ولكن الحقيقة أن بعض أنصار السلطان أخفوه وضمدوا جروحه، ثم أظهروا السلطان مرة أخرى، فلاذ سليمان شاه ومن معه بالفرار، وأرسل السلطان

---

(٦٦) Lana Poole: Medieval Inida under the Mohamedan Rule, New York, 1968, p.101؛ انظر ملحق رقم (٢) خريطة الهند في عهد الخلج.

فرقاً من الجيش خلفهم حتى قتلهم وصادر أموالهم، وسبى نساءهم وذرياتهم، وبهذا أفشل هذه المؤامرة[٦٧].

وعند خروج السلطان للفتوحات وصد المغول، أعلن عمر خان ومنكوخان وكلاهما ابنا أخت السلطان علاء الدين التمرد والعصيان، فأصدر السلطان أمره بتوجه الجيش إليها، وفعلاً تمكنت قوات السلطان من إلقاء القبض عليهما، وكانت نهايتهما أن سمل أعينهم، ثم قتلا أمام قلعة رانثمبهور حتى يكونا عبرة لغيرهم[٦٨].

يضاف إلى ذلك ماحدث أثناء حصار قلعة رانثمبهور حيث خرج حاجي مولى[٦٩]، جمع حوله الأنصار وأدعى أنه يحمل خطاباً من السلطان علاء الدين لتخليص دهلى من بعض رجالات الدولة[٧٠]، وقد انضم إليه بعض المتذمرين من السلطان علاء الدين، ودخل دهلى وذهب إلى السجون، وأفرج عن نزلائها، فكثر أتباعه وقوي أمره، ونهبوا خزانة الدولة ووزع الأموال والأسلحة والخيول على أصحابه، ثم اختار طفلاً من سلالة دولة المماليك وأعلنه سلطاناً بدلاً من علاء الدين الذي أعلن أنه عزله، وعزم على فرض وصايته على الطفل ويحكم باسمه.

---

(٦٧) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٧؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص. ص٣٦٨ – ٣٧٠؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ الفقي: بلاد الهند، ص.ص٨٣ – ٨٤؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١٩.

(٦٨) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٠.

(٦٩) حاجي مولى: وهو غلام ملك الأمراء فخر الدين كوتوال الحاكم القديم في عهد السلاطين السابقين، وكان يتولى منصب رئيس الشرطة في دهلى في عهد السلطان علاء الدين. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٠.

(٧٠) مثل ترمزي وهو من عهد له السلطان بإدارة حكومة دهلى أثناء خروجه إلى رانثمبهور. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧١؛ الفقي: بلاد الهند، ص٨٤.

سمع السلطان بما حدث في دهلى، وكان مشغولاً بحصار رانثمبهور، فأرسل القوات مع الملك حميد الدين[٧١]. الذي تمكن بعد عدة معارك من الانتصار وقُتل حاجي مولى، وحملوا رأسه على رمح وطافوا بها في المدينة، ثم أرسلوا رأسه إلى السلطان، وبعدها قام السلطان بإرسال أخيه ألغ خان (آلماس بيك) إلى دهلى حتى يعاقب أهل الفتنة والتمرد، ونجح في مهمته[٧٢].

وأثناء غياب السلطان علاء الدين في الفتوحات كان القادة والجند يقومون بأعمال الإغارة الدائمة على ولايات شمال الهند لممارسة أعمال السلب والنهب[٧٣].

ونظراً لما حدث من ثورات ضد السلطان علاء الدين، وبعد فراغه من الفتوحات، كما أنه أمن شر المغول بتحصين الثغور وتم القضاء على معلني التمرد والعصيان، اتجه إلى تنظيم شؤون دولته، وتدعيم سلطانه، ولكنه خشي من فتنة الأمراء، واستشار أصحاب الرأي والمشورة، عما يجب أن يقوم به حتى يغلق باب العصيان والتمرد، فكان ردهم أن هناك أربعة أمور تؤدي إلى الفتنة والتمرد وهي:

١ - غفلة السلطان عن معاملات الناس الحسنة والسيئة.

٢ - شرب الخمور بصورة علنية، لأنهم عندما يشربون يخرجون ما بداخلهم بشكل لا إرادي.

٣ - القرابة والنسب بين الملوك والأمراء وأعيان البلاط، لأنه عندما ترتبط هذه الجماعة بصلة النسب فيما بينهم، فإنهم يشكلون كتلة واحدة، فإذا تولى أحدهم منصباً هاماً فإنه سيرافقه الجميع بالضرورة.

---

(٧١) الملك حميد الدين: أمير كوكه، وكان قائد للقوات الخلجية. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧١.

(٧٢) بارني: تاريخ فيروزشاهي، ص.ص ٢٧٣ – ٢٧٨؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٧٠- ٣٧٢؛ الفقي: بلاد الهند، ص.ص٨٤ – ٨٥.

(٧٣) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٠.

٤ - كثرة الأموال والذهب والحشود، لأنه إذا تهيأت أسباب السلطنة والملك للناس من عَهدِي النعمة فحتماً سيفكرون في الوصول إلى السلطنة(٧٤).

ولتدارك هذه الأمور فقد جعل السلطان علاء الدين من إرادته المطلقة وحدها دستوراً للحكم، وقلده في ذلك كثيرون ممن جاءوا بعده(٧٥).

- مراسيم السلطان الإدارية والاجتماعية والمالية:

بدأ السلطان علاء الدين بمعالجة هذه الأمور، فعمل لتدارك الأمر الأول وهو الغفلة، فقام بتعيين الجواسيس والمخبرين، فاتضحت للسلطان جميع السلوكيات الطيبة والسيئة في جميع الولايات، سواء من كبار رجال الدولة أو العامة، فبدأ في معالجة السلوكيات السيئة، وضرب بيد من حديد، حتى أصبحت جميع طرق البلاد آمنة، وكان التجار يحملون الذهب والمجوهرات، ويترددون ليلاً ونهاراً بدون قوافل ولا حراسات.

ولقد أدرك الأمر الثاني فألغى السلطان علاء الدين مجالس شرب الخمور، وبدأ بنفسه فلم يعد يقيم حفلات اللهو والطرب التي يرافقها شرب الخمور في قصره، ثم أمر رجاله بكسر زجاجات الخمور وسكبه، وصهر أواني الذهب والفضة وحولها إلى مسكوكات، ثم أمر المنادي أن ينادي في دهلى بأن السلطان علاء الدين قد تاب عن شرب الخمر، كما أرسل الخطابات إلى كافة أرجاء بلاده يمنع فيها شرب الخمور، فبدأ الناس يُخرِجُون الخمور من بيوتهم بموجب أمر السلطان، ويصبونها في الحواري لدرجة أن الطرق كانت تمتلئ كلها بالوحل والطين كأنها في أيام ممطرة(٧٦). أراد فرشته

---

(٧٤) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٣؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ١، ص.ص٢٠٥ – ٢٠٦؛تابار: تاريخ سند، ص.ص٣٦٧-٣٦٨.

(٧٥) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٦؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ١، ص١٦٢.

(٧٦) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٧٣ - ٣٧٤.

من هذا التشبيه الذي لا يخلو من المبالغة أن يظهر مدى انتشار الخمر، ولانجد في ذلك غرابة إذا ما عرفنا أن السلطان علاء الدين في بداية توليه السلطنة كان يقيم مجالس اللهو والطرب التي لاتخلو من تقديم الخمور فيها، وقد ألغى السلطان تلك المجالس بغية استتباب الأمن في بلاده.

وأمر السلطان علاء الدين بمتابعة تنفيذ أوامره، فكان الجواسيس والمخبرون يفتشون عن الخمور في كل مكان. وكانوا يطاردون ويقبضون على كل من حاول إدخال زجاجة خمر إلى المدينة قبل وصولها. وكان عقاب من يقوم بذلك الضرب والحبس، ولما علم السلطان علاء الدين بأن ذلك لا يمنعهم وأن هناك من يدسها ويُدخلها، فقد أصدر أمره بأن تحفر حفرة عميقة بالقرب من إحدى بوابات المدينة حيث تمر الخلائق، لتكون هذه الحفرة بمثابة سجناً لمن يثبت أنه أدخل أو شرب الخمر، وكان غالبية من يحبس في تلك الحفرة يموتوا بها، أما الذين يعيشون فإن بقية حياتهم يقضونها في العلاج(٧٧)، وقد جعلها السلطان حفرة مكشوفة وبالقرب من بوابة المدينة حتى يكون ذلك رادعاً لمن تسول له نفسه بإدخال الخمور إلى دهلى.

وبعد أن انتظمت الأمور وطبق هذا القانون، سمح السلطان علاء الدين بعدم معاقبة أي من الأعيان والكبراء إذا أعد مجلس اللهو ويشرب بمفرده وفي بيته(٧٨).

ولتدارك الأمر الثالث نهى السلطان علاء الدين الأمراء من أن يصاهر بعضهم بعضاً بدون إذنه، وعدم استضافة بعضهم لبعض بدون إذنه، فصار المعارف غرباء،

---

(٧٧) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٣.

(٧٨) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص.ص٧٤ – ٧٥؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٧٣ – ٣٧٤؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ١، ص٢٠٦؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ١، ص١٦٢.

وإذا أراد أحد أن يحل ضيفاً على أحد أو أراد أن يرتبط بالنسب مع أحد فإنه يكتب طلباً، ويعرض على السلطان علاء الدين فإن وافق وإلا فلا يتم ذلك[٧٩].

ولإحكام الأمور وتدارك الأمر الرابع فقد صادر السلطان علاء الدين كل ما كان في أيدي الناس من إقطاعيات الأراضي والقرى، وقفاً كان أو ملكاً أو إنعاماً (عطية)، وجعلها كلها أملاكاً سلطانية، كما صادر أموال الأغنياء في مدينة دهلى سواء من المسلمين أو من غيرهم، واستولى على كل ما كان لديهم بالمصادرة، فصار كل الناس فقراء محتاجين وانشغلوا بتحصيل قوت يومهم، وبهذا لم يعودوا للتفكير في التمرد والعصيان[٨٠].

ومن المراسيم المالية التي أصدرها السلطان علاء الدين لتحقيق المساواة بين رعاياه ولكي ينهي تسلط المقدمين والجودهريين (الجباة والمستوفين) على الرعايا الضعفاء أمر السلطان علاء الدين بالتالي:

١ - أن يأخذوا نصف غلات الأرض لصالح بيت المال حسب مساحة الأرض بدون أي استثناء.

٢ - يعتبر الجباة المستوفون وسائر الرعايا متساويين، وألا يلقوا بأعباء الأقوياء على كاهل الضعفاء.

٣ - أن ما يحصله الجابي من أموال يدخل أيضاً في بيت المال.

٤ - وألا يسمحوا للجابي وللرعية بالاحتفاظ بأكثر من أربع بقرات (ثيران) للزرع، وجاموستين وبقرتين، واثني عشر رأساً من الماعز. ويؤخذ منهم ضرائب العلف على رؤوس الدواب.

---

(٧٩) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٥؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦.

(٨٠) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٥؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ١، ص.ص١٦١ - ١٦٢.

٥ - شدد السلطان علاء الدين على تنفيذ هذه المراسيم وكتابتها بدقة. حتى لا يتمكن أحد من الاختلاس[٨١].

كما أصدر السلطان مراسيم اقتصادية أخرى، كان سببها أنه فكر كيف له أن يجمع جيشاً كبيراً، وأن يزيد تجهيزات ومستحقات الجيوش مثلما هو موجود في البلاد المغولية وسائر بلاد تركستان، ولهذا استشار كبراء رجال الدولة فقالوا له: لو أصبحت الخيول والأسلحة، وسائر التجهيزات والاستعدادات وآلات الحرب والقتال متيسرة وهو ما تحتاجه الجيوش، ولو وُجدت بسهولة الغلال والمؤن وهو ما تحتاجه الرعية. فإن كل ما تريده سوف ينفذ بيسر وسهولة، وسوف تتشكل الجيوش وبأقل التكاليف، فاستحسن السلطان علاء الدين هذا الرأي. وأصدر عدة مراسيم وضوابط، وعندما طبقت هذه المراسيم تيسرت كل سبل الحياة[٨٢].

المرسوم الأول: بشأن أسعار الغلال والحبوب

حدد أسعار الغلال والحبوب، ولم يعد للتجار تدخل في تحديد قيمة الغلال، وما تقرر في دهلى يمكن القياس عليه في باقي أنحاء البلاد.

فكانت الأسعار المحددة كالتالي: القمح المن[٨٣] الواحد سبعة جتيلات[٨٤] ونصف، والشعير المن الواحد أربعة جتيلات، والحمص خمسة جتيلات للمن

---

(٨١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٧٦؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢٠.

(٨٢) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٧؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٢؛تابار: تاريخ سند، ص٣٦٨.

(٨٣) المن: يعادل المن الهندي أربعين أثاراً، والآثار أربع وعشرون تولة. انظر الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٧.

(٨٤) الجيتل: عملة نحاسية هندية في العصر الخلجي، لكن لم يرد كم يبلغ وزنها. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٨؛انظر ملحق رقم (٣) الجيتل.

الواحد، والماش (الفاصوليا) خمسة جتيلات للمن الواحد، والأرز بقشره خمسة جتيلات للمن الواحد. وغيرها[٨٥].

وقد بقيت هذه الأسعار حتى نهاية أيام السلطان علاء الدين، ولم تتغير بسبب توقف الأمطار. ومن أجل متابعة الأسعار أصدر عدة قرارات:

١ - تعيين الملك قبول والذي كان من أهل الدين والأمانة على الاحتساب[٨٦] فكان يراقب عمليات البيع والشراء وفق هذه الأسعار، ويكون على علم دائم بتطورات أحوال السوق[٨٧].

٢ - تقرر أن يكون هناك حصة للديوان من الضرائب، وأن تجمع الغلال المتحصلة وتحفظ في حواضر الولايات، وإذا حدث نقص في الغلال بالأسواق، يقوم الديوان السلطاني ببيع الغلال السلطانية المحفوظة بالأسعار التي حددها السلطان[٨٨].

٣ - أنه على المحتسب الملك قبول إحضار التجار وإسكانهم على شاطئ نهر "جون أو جمنا" في مدينة دهلى، وأمرهم بجلب الغلال من كافة الولايات والأطراف، ويقوموا ببيعها في أسواق دهلى وبالأسعار التي حددها السلطان، ويأخذ منهم التعهدات المكتوبة بهذا الشأن.

---

(٨٥) فرشته: تاريخ فرشته، جـ٢، ص٣٨٢.

(٨٦) المحتسب: مشتقة من حسبك بمعنى أكفف، لأنه يكف الظلم، ويسمى صاحب الحسبة أو متولي الحسبة، أو ناظر الحسبة أو والي الحسبة، وقد عرف هذا المصطلح في عهد الخليفة العباسي المهدي. انظر الباشا، حسن: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، (د. ط) ١٩٦٥م، جـ٣، ص.ص١٠٢٧ - ١٠٢٩.

(٨٧) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٨٢ — ٣٨٣؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢١.

(٨٨) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٧؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٣.

٤ - منع الاحتكار، وإذا ثبت ذلك فإن الغلال تصادر لحساب دائرة الغلال السلطانية، وتُصادر أموال المخالف لمراسيم السلطان.

٥ - أن المزارعين ليس لهم أن يختزنوا ما حصدوه بل يبيعونه، ويأخذوا منه ما يكفيهم للقوت في تلك السنة.

٦ - أن على المحتسب أن يعرض على السلطان علاء الدين كل يوم الأسعار، ويتفقد السلطان ذلك أحياناً بنفسه، وتقع العقوبة على من يخالف ذلك[٨٩].

المرسوم الثاني: بشأن أسعار الأقمشة والملبوسات

لقد دار في ذهن السلطان علاء الدين أن يكون مصنعاً لأنواع الأقمشة، وقرر سعراً لكل نوع من الأقمشة، وأدخل إلى دهلى أدوات القياس وحدد الأسعار في جميع أنحاء البلاد ولتطبيق المرسوم أيضاً قام بعدد من الإجراءات:

١ - إنشاء قصر واسع بالقرب من إحدى بوابات دهلى، وسماه "دار العدل" وأمر أن ينزل به أي قماش يؤتى به من الأطراف، ويباع فيه، وأن لا يبيع أحد في السوق أو البيوت. وحدد وقت البيع في هذا القصر من وقت الفجر وحتى صلاة الظهر، ومن يخالف ذلك تقع عليه العقوبات.

٢ - أعد سجلات لإثبات أسماء تجار مدينة دهلى وأقاليم البلاد، وأمر بأن يقوم هؤلاء التجار بجلب الأقمشة إلى المدينة، ويتم بيعها بالتسعيرة السلطانية في دار العدل، وكل من يخالف ذلك يتم تجريمه.

٣ - قدم السلطان علاء الدين مبالغ مالية من الخزانة للتجار الملتانيين[٩٠] الذين يجلبون الأقمشة من أطراف البلاد، وبيعها في دار العدل.

---

(٨٩) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٨٣ – ٣٨٤؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٦؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، جـ٢، ص.ص١٦٢ - ١٦٣.

٤ - أن على أي شخص من الأمراء والكبراء يريد قماشا نفيسا، فإنه يجب أن يحصل على تصريح مكتوب من المحتسب. وقد وضع هذا القرار حتى يمنع التجار من شراء الأقمشة النفيسة من دار العدل بالتسعيرة السلطانية، ثم بيعها في أماكن أخرى أو بأسعار مرتفعة(٩١).

المرسوم الثالث: بشأن تسعير الخيول

كان يتم تصنيفها، وتحديد سعرها بحضور السلطان شخصياً، ومن الأمثلة عليها أسعار دهلى، فكان الصنف الأول منها يباع بسعر من مئة تنكة(٩٢) إلى مئة وعشرين تنكة. والصنف الثاني من ثمانين إلى تسعين تنكة. والصنف الثالث من خمس وستين إلى سبعين تنكة. وقيمة خيول النقل والأحمال من عشر تنكات إلى عشرين تنكة، وفي الحقيقة أن الخيول العربية تمثل الصنف الأول عند السلطان علاء الدين تليها الخيول العراقية في المرتبة الثانية ثم غيرها من الخيول التي تجلب من البلاد الأخرى، وذلك استنادا على ما ورد لدى فرشته من أن السلطان علاء الدين أمر أنه في حالة جلب التجار خيلا قيمة عربية وعراقية فإن عليهم أن يعرضوها على السلطان أولا حتى يأخذ منها الأفضل، وما بقي فيعرض على الأمراء وغيرهم(٩٣).

---

(٩٠) نسبة إلى مدينة الملتان الواقعة في الشمال الهندي بالقرب من غزنة. انظر الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص٢١٩.

(٩١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٥؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص.ص٢٠٦ – ٢٠٧؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢١.

(٩٢) التنكة: يطلق على التولة الواحدة من الذهب والفضة المسكوكين تنكة. وكانوا يعتبرون التنكة الفضية خمسين عملة نحاسية (جيتل). انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٨؛انظر ملحق رقم (٤) التنكة.

(٩٣) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٨٥، ٣٨٨.

ووضع السلطان علاء الدين عدة ضوابط لضمان استقرار أسعار الخيول وهي:

١ - أمر السلطان علاء الدين بألا يقوم تجار الخيول ببيعها إلى تجار المدينة، وأن يتم البيع في السوق، وأخذ على الجانبين تعهداً بذلك، وكانت العقوبة السجن، والقتل، وأخرج البعض الآخر من المدينة ممن خالف ذلك.

٢ - عقوبة سماسرة الخيل إنه إذا تبين أن أحدا باع الخيل بخلاف التسعيرة السلطانية، فكانت العقوبة تنزل على جميع السماسرة بالمدينة، ولم يكن هناك تفرقة بين المجرم وغير المجرم حتى لا يتجرأ أحد على المخالفة.

٣ - أن السلطان علاء الدين الخلجي كان يقوم كل نهاية شهر بفحص أنواع الخيول وأسعارها أو التقصي عن أحوال السماسرة، فإذا اتضح له اختلاف ولو طفيف، فإنه يوقع العقاب على السماسرة(٩٤).

المرسوم الرابع: بشأن أسعار الجواري والعبيد

حدد السلطان الأسعار كالتالي: المستوى الأعلى قيمته من مئة إلى مائتي تنكة، والمستوى المتوسط من عشرين إلى أربعين تنكة، والمستوى الأدنى من خمس إلى عشر تنكات(٩٥)، فيمثل المستوى الأعلى الرقيق من بلاد الخطأ _في الصين _ والمستوى المتوسط الرقيق من الترك وبقية الرقيق من أنحاء العالم تمثل المستوى الأدنى وذلك استنادا على ما ذكره فرشته من أن السلطان علاء الدين أمر أن يعرض عليه الرقيق من الخطأ والترك فما رغب السلطان فيه اشتراه والباقي يعرض على رجال الدولة(٩٦).

---

(٩٤) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٦؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٧؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢٢.

(٩٥) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٦؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٧.

(٩٦) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٨.

المرسوم الخامس: بشأن الدواب

فقام السلطان علاء الدين بتحديد قيمة مناسبة لكل من الأبقار، والجاموس، والإبل، والماعز ونحوها، وكان يتم في هذا المرسوم الالتزام بما ورد من ضوابط في استقرار أسعار الخيل. واهتم بكل شيء يحتاجه الناس من الإبرة فما فوقها وحدد سعر كل شيء بما يتوافق مع الزمان.

أما النقود والأوزان التي كانت في أيام السلطان علاء الدين الخلجي فهي: التنكة كانت ذهبية وفضية بقدر التولة، والمراد ههنا بالفضية ما يعادل خمسين جيتل، والجيتل من النحاس بقدر التولة وقيل بقدر توليتين إلا ربعاً، وكان المن أربعين آثاراً والآثار أربع وعشرون تولة، والتولتان تبلغان ربع كيلو جرام.

ثم حدد السلطان علاء الدين مرتبات الجند على النحو التالي: المستوى الأعلى للجنود مئتان وأربع وثلاثون تنكة، والمستوى الأوسط للجنود مائة وست وخمسون تنكة، والمستوى الأدنى ثمان وسبعون تنكة[٩٧]، من المرجح أن المقصود بالمستوى الأعلى من الجنود هم قادة قلب الجيوش مثل نصرت خان والملك النائب كافور وقواد الميمنة والميسرة، بينما يأتي الفرسان في المستوى المتوسط، ويمثل المشاة المستوى الأدنى وذلك استنادا على طريقة ترتيب الجيوش السلطانية في عهد الدولة الخلجية[٩٨].

وزيادة في متابعة تطبيق مراسيم السلطان علاء الدين فقد كان يجري كتابة ما يتم في السوق، وعرضه بشكل يومي على السلطان. كما كان هناك جواسيس مكلفون

---

(٩٧) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٦؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٧؛ النمر: تاريخ الإسلامي في الهند، ص١٢٢؛ وللتعرف على البضائع الواردة والصادرة من وإلى الهند. انظر أشرف، محمد سليمان: العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية مع ظهور الإسلام وانتشاره، مجلة الوثيقة، العدد الثامن عشر، السنة التاسعة، يناير ١٩٩١م، ص.ص٢٧-٤٤.

(٩٨) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٦١.

بتفقد تطبيق مراسيم السلطان، وإذا ثبت المخالفة كانت توقع العقوبة. ومن شدة تتبع السلطان لذلك فقد كانت تصله التقارير كل يوم من ثلاث جهات الأولى رئيس الشرطة، والثانية من رئيس السوق (المحتسب)، والثالثة من الجواسيس والمخبرين السريين.كان ذلك الوضع في العاصمة دهلى أما الأقاليم البعيدة فقد كانت تصله تقاريرها كل أسبوع[٩٩].

لم يكتف السلطان بذلك، بل كان يقوم كل فترة بإعطاء عدة تنكات إلى الأطفال الذين لا علم لهم بالبيع والشراء ثم يرسلهم إلى السوق لشراء الأشياء التي يميل إليها الأطفال. ثم يحضرونها إلى السلطان. فإن ظهر وجود اختلاف في السعر أو الوزن فيعاقب البائع، وكانت أقل عقوبة يتم إنزالها فيمن يثبت مخالفته قطع الأذن أو جدع[١٠٠] الأنف[١٠١].

وعندما التزم الجميع بتنفيذ مراسيم السلطان، توافرت أسباب الرخاء للشعب فرخصت أسباب المعاش وآلات الجيش، ولهذا تم تسجيل أربعمئة وسبعين ألف فارس، ولكثرة الجند تمكن السلطان علاء الدين من مواجهة المغول وسدت إلى حد ما أبواب تسلل المغول[١٠٢]. وبهذا تحققت أمنيات السلطان علاء الدين، ووصلت حدود مملكته إلى مواطن لم يصلها غيره.

---

(٩٩) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٨٦ – ٣٨٧؛ البهكري: تاريخ السند، ص٤٤.

(١٠٠) جدع: ما انقطع من مقاديم الأنف إلى أقصاه. انظر ابن منظور: لسان العرب، جـ٨، ص٤١.

(١٠١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٣٨٦ – ٣٨٧.

(١٠٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٨؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ٢، ص٢٠٧.

ومن آثاره العمرانية في دهلى الجزء الذي أضافه لمسجد قوة الإسلام[١٠٣] من الناحية الجنوبية، والأبواب الضخمة التي عملها له، وتعرف باسم "علائي دروازه" أي بوابة علاء الدين، وهي من الحجر الأحمر وتعلوها قبة وما زالت آثارها قائمة[١٠٤].

كما اهتم السلطان بتحصين بلاده فعمِّر قلعة دهلى من جديد، وحصن القلاع الأخرى الموجودة على مداخل بلاد الهند، وأعاد تجديدها لصد هجمات المغول[١٠٥].

كما شيد السلطان علاء الدين مساجد في البلاد التي ضمها إلى حوزة الدول الإسلامية في شبه القارة الهندية[١٠٦]. ويضاف لذلك تشييد المنابر والأحواض، وشارك في بنائها أهل الفنون المهرة، فبلغ عدد خدمه سبعين ألفاً منهم البناؤون، وكان إذا أراد تشييد أي مبنى كبير فإنهم يقومون بإنجاز بنائه في ظرف أسبوعين، بينما يستغرق بناء الصغير منها يومين أو ثلاثة، ولا يسمح لهم بتجاوز الموعد المحدد من قِبل السلطان[١٠٧].

كما ويقع في الجهة الغربية من مسجد قوة الإسلام مدرسة أنشأها السلطان علاء الدين الخلجي عام (٧١٠هـ/ ١٣١٠م) وتتكون هذه المدرسة من صحن في وسطها، يحيط به من الجهة الشمالية حجرات للدروس، ومن الناحية الجنوبية ضريح السلطان علاء الدين وبجانبيه حجرتان للدرس، والجهة الشرقية فيها بعض الحجرات لإقامة

---

(١٠٣) أسس مسجد قوة الإسلام في عهد الدولة المملوكية في الهند وبالتحديد في عهد السلطان قطب الدين أيبك الذي أتم بناؤه السلاطين من بعده. انظر منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٢٩٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢١٨؛ انظر ملحق رقم (٥) مسجد قوة الإسلام.

(١٠٤) النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٢٣.

(١٠٥) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٨٢.

(١٠٦) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٤٠٤ – ٤٠٥.

(١٠٧) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٤٠٨ – ٤١٧.

الطلبة وهي مكونة من طابقين، وفي الجهة الغربية قاعتان مربعتا الشكل مغطاة بقبة وبها ما يشبه المحراب، ويعتقد أن إحداهما للصلاة والأخرى لقراءة القرآن، وبين هاتين القاعتين وعلى جانبيهما يوجد سبع حجرات للدروس(١٠٨).ونظراً لعقد حلقات العلم في المساجد ومدرسة علاء الدين فقد اجتمع في عصره مجموعة من أهل العلوم والفنون النقلية والعقلية، منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ نظام الدين البدواني والذي كان السلطان يحترمه ويقربه توفي سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، والفقيه تاج الدين بن قطب الدين الذي تولى قضاء أودة ثم قضاء بداؤن، والشاعر الأمير خسرو، وغيرهم الكثير ممن يضيق عن تعدادهم هذا البحث وكانوا يشتغلون بالدراسة والإفادة وهذا كله بفضل الله أولا ثم بفضل اهتمام السلطان علاء الدين بالعلم وأهله(١٠٩).

- وفاة السلطان علاء الدين الخلجي:

بالرغم من هذه الإنجازات للسلطان علاء الدين الخلجي إلا أنه لم يرتب أمر ولاية العهد من بعده. وكان كافور قائد السلطان مقرباً إليه، وصاحب مكانة عنده، وكان يتطلع للوصول إلى السلطنة، لهذا انتهز فرصة اشتداد المرض على سيده، وجعله يوقع على وصية تنص على تولية ابنه الطفل عمر خان، والذي لم يتجاوز عمره السادسة من العمر، وفي نفس الوصية طلب السلطان من ابنه الأكبر خسروخان عدم المطالبة بالعرش. ولزوم الطاعة لأخيه عمر خان، وعهد السلطان إلى كافور بالوصاية على ابنه الطفل، وبذلك حقق كافور ما كان يصبو إليه، وتوفي السلطان علاء الدين عام (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، وكانت مدة حكمه عشرين عاماً(١١٠).

---

(١٠٨) Https: //civilizationlovers.wordpress.com؛ انظر ملحق رقم (٦) مدرسة السلطان علاء الدين.

(١٠٩) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٤٠٨ – ٤١٣؛ النمر: تاريخ الإسلام، ص١٢٣.

(١١٠) ابن بطوطة: الرحلة، جـ٢، ص٤٨؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٣٦؛البهكري: تاريخ السند، ص ٤٤؛ الفقي: بلاد الهند، ص٨٦.

الخاتمة

بعد هذا العرض عن السلطان علاء الدين الخلجي فقد توصلنا إلى عدة حقائق تاريخية تمثلت فيما يلي:

– أن السلطان علاء الدين وصل إلى سدة الحكم عن طريق الغدر بعمه السلطان جلال الدين فيروز، مما جعل أهل العاصمة دهلى لا تتقبل وجوده في البداية. ولكن السلطان اتبع معهم أسلوب المصالحة وكثرة البذل والعطاء حتى طابت أنفسهم.

– تمكن السلطان علاء الدين من التخلص من أبناء عمه جلال الدين، واتبع في ذلك أبشع الطرق من حيث القتل، وسمل الأعين، والمصادرة، والحبس، وكذلك اتبع ذلك مع كل من حاول الخروج عليه.

– إلا أن ذلك لا يدفعنا لننكر ما قام به السلطان علاء الدين من جهود عظيمة في محاربة المغول فهو من أكثر السلاطين في شبه القارة الهندية الذين أوقعوا الهزائم بالمغول، ولم يكتف بذلك بل حصن الثغور وسلمها لقادة أكفاء.

– أن السلطان علاء الدين طمح إلى أن يكون الاسكندر المسلم ويسيطر على المعمورة، ولكنه وجد من عمه النصيحة الدينية والعسكرية التي غيرت مسار حياته فبعد أن كاد أن يدعي النبوة إلى مصلح في بلاده، كما أنه كاد أن يضيع ملكه بطمعه في السيطرة على العالم المسكون إلى فاتح لشبه القارة الهندية، ومدافع عن الخطر الرابض على أطرافه المتمثل في المغول.

– كما ويعد السلطان علاء الدين بحق من أعظم السلاطين المسلمين في عصره، فقاد جنده حتى دانت له شبه القارة الهندية تقريباً، فوصل إلى مناطق لم يصلها أحد قبله ونشر الإسلام فيها، وبنى فيها بيوت الله، وذلك بفضل الله عليه ثم لوجود معاونين يدفعهم جميعاً الرغبة في الجهاد في سبيل الله.

– لم يكن نشاط السلطان علاء الدين عسكرياً فقط فقد التفت إلى الإصلاح الداخلي، فكان إداريا حازما وفق في إصدار العديد من المراسيم والتي قُدِّر لها أن تلقى قدراً كبيراً من النجاح، فعم البلاد الرخاء، ونعم الناس بالأمن، وراجت التجارة، ورخصت الأسعار، وتحقق له الهدف من هذه المراسيم وهو إقرار الأمن في الداخل، ونشر العدل والمساواة، وتكون له الجيش الذي حقق له آماله.

– وقد جعل السلطان علاء الدين من إرادته المطلقة وحدها دستور الحكم، وقلده في ذلك كثيرون ممن جاءوا بعده.

– اهتم السلطان علاء الدين بالعمران فحصن الثغور وعمر المساجد والمنابر والأحواض وأسس مدرسة علاء الدين في دهلى، وأقيمت حلقات العلم فاجتمع في عصره علماء برعوا في شتى العلوم وأفادوا واستفادوا.

– بالرغم من ذلك فإن السلطان علاء الدين سيطر عليه قائده كافور وأعمى بصيرته، واستغل فترات اشتداد المرض عليه، وجعله يوقع على وصية بولاية العهد لطفل لم يصل السابعة من عمره، وسيطر كافور عليه بالوصاية.

كانت هذه أبرز نتائج البحث، مع أملي أن أكون وفقت في عرض إنجازات السلطان علاء الدين، وإعطاء تصور كامل لما حدث في تلك الفترة الزمنية، وبالله التوفيق.

الملاحق

ملحق رقم (١). السلطان علاء الدين الخلجي

.http: //www.marefa.org/

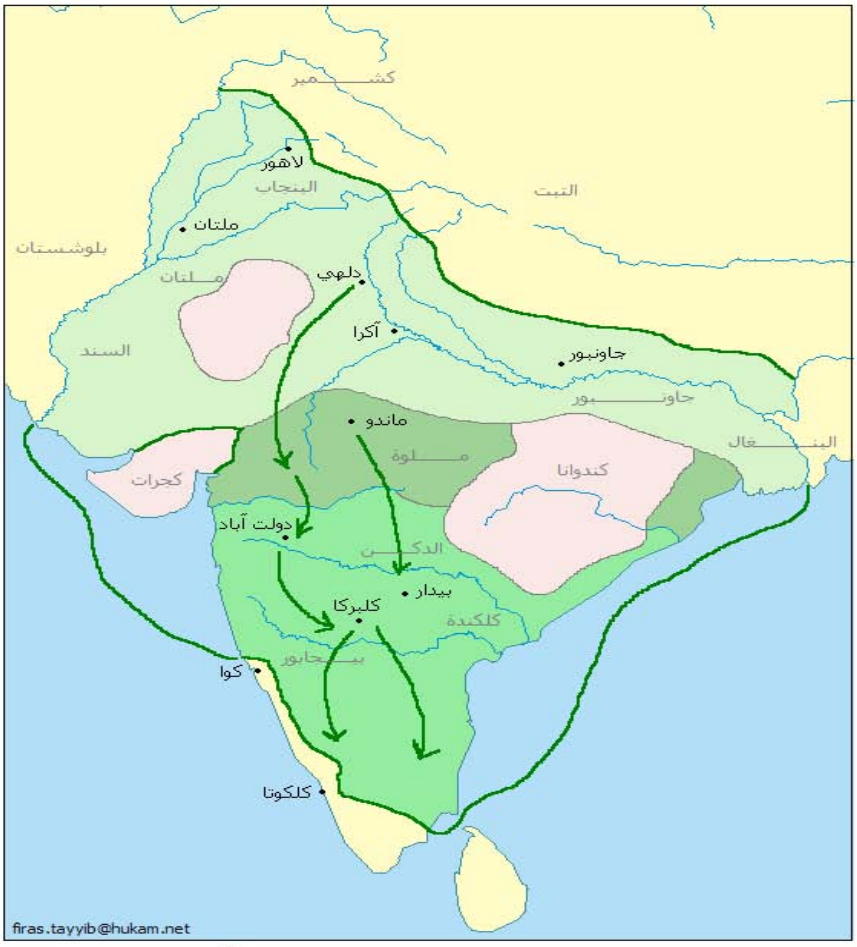

المماليك - الخلجيون - آل تغلق

الهند من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر

دولة المماليك في دلهي (حتى 1290 م)

أراضي تم فتحها أثناء عهد الخلجيين (حتى 1320 م)

أراضي تم فتحها أثناء عهد دولة آل تغلق

حدود دولة آل تغلق (ح 1350 م)

إمارات هندية مستقلة، تحت سلطة دول آل تغالق

ملحق رقم (٢). امتداد الدولة الخلجية

http: //www.hukam.net/essay/maps/india-tughug.png

ملحق رقم (٣). الجيتل / عملة نحاسية لعلاء الدين الخلجي

.http: //www.marefa.org/

ملحق رقم (٤). تانكا فضية مضروبة باسم علاء الدين خلجي – لاسكندر الثاني

http: //www.marefa.org/

ملحق رقم (٥). علائي دروازه

الفقي: بلاد الهند، ص٤٩١

http: //www.marefa.org/

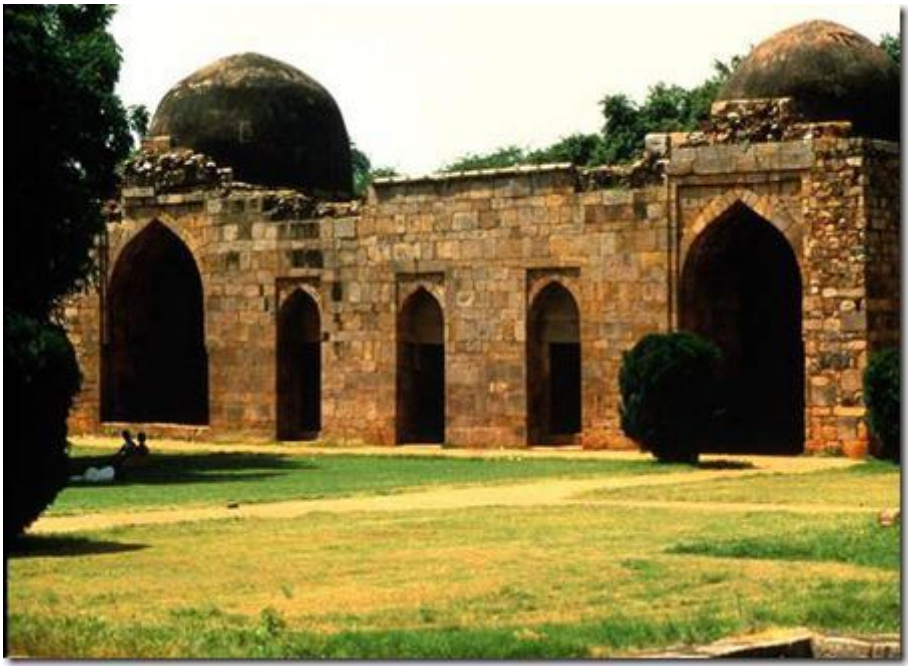

ملحق رقم (٦). مدرسة السلطان علاء الدين الخلجي

الفقي: بلاد الهند ، ص ٤٨٢

https: //civilizationlovers.wordpress.com

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع الفارسية

[١] بارني، ضياء الدين (ت/٧٥٨هـ): *تاريخ فيروز شاهي*، الهند، (د.ط.ت).

[٢] بدواني، عبد القادر بن ملوكشاه (ت/٩٤٧هـ): *منتخب التواريخ*، تحقيق توفيق هاشم بورسبحاني، طهران، مؤسسة أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي، (١٣٨٠هـ.ش).١

[٣] البهكري، سيدمحمد معصوم(ت/١٠١٩هـ): *تاريخ السند المعروف بتاريخ معصومي*، تصحيح عمر محمد داؤدبوته، تهران، انتشارات أساطير، ١٣٩٣م.

[٤] تابار، روميلا: *تاريخ سند*، ترجمه للفارسية همايون صنعتي زاده، إيران، نشر أديان، ط١، ١٣٨٦ه ش.

[٥] الدهلوي، يحيى بن أحمد السيهرندي (ت/٨٣٨هـ): *تاريخ مبارك شاهي*، تصحيح محمد هدايت، كتابخانةديجتالي نور.

[٦] فرشته، محمد قاسم بن غلام (ت/١٠١٥هـ): *تاريخ فرشتة أز آغازتابابر*، طهران، مؤسسة انجمن أثار ومفاخر فرهنكي، نسخة إلكترونية PDF، محملة من مكتبة كتبخانة ديجتال نور.

ثانيا: المصادر العربية والمعربة

[٧] ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي (ت/٧٧٩هـ): *رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، اعتنى به درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١٤م.

[٨] الحسني، عبد الحق فخر الدين (ت/١٣٤١هـ): *الإعلام في تاريخ الهند من أعلام المسمى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر*، بيروت، دار ابن حزم، ط١ (١٩٩٩م).

[٩] الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت/ ٦٢٦هـ): *معجم البلدان*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٠م).

[١٠] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت/٧١١هـ): *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩٤م.

[١١] منهاج سراج، منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت/٦٦١هـ): *طبقات ناصري*، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١ (٢٠١٣م).

ثالثا: المراجع العربية

[١٢] أبواليسر، فرح: *الشرق الأدنى في العصرين الهلينيستي والروماني*، مصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٢م.

[١٣] الباشا، حسن: *الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية*، القاهرة، دار النهضة العربية، (د. ط) ١٩٦٥م.

[١٤] الساداتي، أحمد محمود: *تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم*، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٥٧م.

[١٥] العبادي، مصطفى: *العصرالهلينستي*، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م

[١٦] العجيري، صالح محمد: *تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية*، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٤م.

[١٧] الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف: *بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم ٩٢ – ١٣٦٦هـ/ ٧١١ – ١٩٤٧م*، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، (٢٠٠٥م).

[١٨] المشهداني، ياسر عبد الجواد: *تاريخ الدول الإسلامية في آسيا*، الأردن، دار الفكر، ط١، ٢٠١٠م، ص١٣٦.

[١٩] مؤنس، حسين: *أطلس تاريخ الإسلام*، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١ (١٤٠٧هـ).

[٢٠] النمر، عبد المنعم: *تاريخ الإسلام في الهند*، دار العهد الجديد للطباعة، ط١ (١٩٥٩م).

رابعا: الدوريات والمجلات

[٢١] أشرف، محمد سليمان: العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية مع ظهور الإسلام وانتشاره، *مجلة الوثيقة*، العدد الثامن عشر، السنة التاسعة، يناير ١٩٩١م.

[٢٢] السورتي، عبد الله بن إسماعيل: أضواء على تاريخ الحركة العلمية والمعاهد الإسلامية والعربية في غجرات بالهند، *مجلة التربية*، اللجنة الوطنية القطرية، العدد السابع والثمانون، محرم ١٤٠٩هـ.

[٢٣] النووي، محمد إسماعيل: تاريخ الإسلام في الهند، *مجلة الكتاب العربي*، العدد الثامن، ١٣٨٤هـ.

خامسا: المراجع الأجنبية

[24] Aziz, Mohammed Ahmad*: Ploitical History of Instritutions of the Early Turkish Empire of Delhi*, Oriental Book Reprint EdnoprotionNewdel
[25] Lana Poole*: Medieval Inida under the Mohamedan Rule*, New York, 1968
[26] Majundar. R.C: *An Advanced History of Indian*, New York, 1968, P.289
[27] Morel*: A short History of India*, London, 1890

سادسا: محركات البحث

[28] .http: //www.marefa.org
[29] http: //www.hukam.net/essay/maps/india-tughug.png
[30] https: //civilizationlovers.wordpress.com
[31] Wikipedia.org.

Sultan Ala' Aldeen AlKhalji Research (1296-1316/695-716H)

Dr. Khyria Mohammad Ali Al – Sannah
Professor Assistant, Princess Nourah Bint Abdulrahman University
College of Arts, History Department

Abstract. This research has dealt with the reign of Sultan Ala' Aldeen AlKhalji, who ruled from the period of (695-716H/1296-1316), he is one of AlKhaljeiha state Sultans that ruled the Indian sub-continent, this research reveals his efforts in securing the country from external threats, and his work on the propagation of Islam, extending his power into new areas did not arrive by any one before him, also shows us his role in the provision of prosperity for his people. According to these efforts, this research has been dedicated to him.

The fact of this research necessitated to divide into an introduction, number of points to view the topic, conclusion and Appendices, as follows:

Introduction: including the origin of AlKhaljeiha Family and their appearance as great power until they arrived to the real authority.

Then the research has been displayed in number of points as following:

Hint about Sultan Ala' Aldeen AlKhalji and how he got to the Sultanate.

The entry of Sultan Ala' Aldeen AlKhalji Delhi the capital, Sultan GalalAldeen cousins.

And then we approached a sense of Sultan Ala' Aldeen AlKhalji greatness, and directing the throne of his uncle to him.

The Research has been focused on the details of the Sultan Ala' Aldeenefforts to adopt judgment in the country, which were represented in three key points are:

Confrontation of the Mongols.

New conquests during his reign.

Internal reforms during his reign marked by the issuance of administrative, economic, social decrees, and the issuance of regulations to follow up the implementation of these decrees.

Then the research has dealt with the historical, constructional, and Military effects that have done in Sultan Ala' Aldeen AlKhalji epoch.

Then the death of the Sultan and his commandment.

The conclusion of the research: including several historical facts, appendices, finally proved a list of sources and references that have been adopted by the researcher.

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٨٨٣-٩٢٠، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

التحليل الجيومورفولوجي لحوض وادي النساء باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية

د. أحمد عبد الله الدغيري، و أ. آلاء عبد الله الوهيبي
١ أستاذ الجيومورفولوجيا والاستشعار المساعد، جامعة القصيم
٢ باحثة ماجستير في الجيومورفولوجي، جامعة القصيم

ملخص البحث. تشكل فيضانات الأودية أحد أنماط الأزمات البيئية في الزمن المعاش إثر تعدي المستوطنات والمحلات العمرانية والسكنية على أنظمتها الهيدرولوجية؛ وذلك إثر غياب تخطيط ممنهج وربما تهميش كثير من دراسات هيدروجيومورفولوجية عُنيت بها ووجهت جل اهتمامها لفهم ودراسة أُطرها وأنظمتها.

تعد البيئة في إقليم القصيم القاحل بأواسط المملكة أنموذج لبيئة صحراوية بدت فيها أنماطا جنينية لازمات هيدرولوجية هزت نظامها البيئي، بدا ذلك جليا في مواسم التهاطل الكثيف حيث يبدو وادي الرمة ورافده وادي النساء نمطا من أنماط الجريان السيلي في هذه البيئة التي شكلت أغلب ملامحها قبل ما يقارب (5000) سنة، لم يكن لهذا الوادي أي تأثير سابقا عدا ماحل به بعد تحلق محلات عمرانية وسكنية في وحول مجراه، فقد جاوز التعدي حرم وادي النساء، وتمظهرت أحياء ومنشآت وطرق في أغلب قنواته في قطاعة الأدبي، وفي حقيقة الأمر هذا الوضع البيئي الحالي لم يأخذ في الحسبان احتمالية جريان وعودة فيضان هذا الوادي فيما لو عاود السيناريو الرطب القديم دورة كما حصل في أوائل حقبة عصرالهولوسين أو بعض أزمنة الفترة القاحلة قبل 4200 سنة مضت حسب اشارت الدغيري ٢٠١١، أو ماحصل في فيضان عام ٢٠٠٨.

إن استخدام أنموذج Shuttle Radar Topography Mission (SRTM) التابع للماسح الراداري الأمريكي للتضاريس، ودعم نتائجة بالتحقق الأرضي وعمل جسات أرضية لأكثر من موقع على طول امتداد وادي النساء، بالإضافة إلى تطبيق وبناء المعادلات الهيدرولوجية باستخدام برمجية Arc Gis، كل ما سبق مكَّن من استخلاص الشبكة الهيدرولوجية القديمة والحالية في زمننا المعاش في حوض الوادي المذكور، وتم ثبتها خرائطيًّا وربطها بالنمو العمراني الحالي والهيكلي المستقبلي، الأمر الذي كان نتاجه خريطة جيوهيدرولوجية (هيدروجيومورفولوجية)

وأنثروبوجنية لبيئة الوادي في زمننا المعاش، وأكدت النتائج أن أغلب قرارات المخطط والفسوح العمرانية التخطيطية الحالية والهيكلية في هذه البيئة غير موجه وبحاجة إلى تقويم علمي مبني على دراسات علمية مدعمة بالتقنية والتحليل والنتيجة الموثوقة.

مصطلحات البحث: (SRTM) Shuttle Radar Topography Mission، الهولوسين، الرس، وادي الرمة، وادي النساء.

مقدمة

شهدت أغلب الأنظمة المائية البائدة في الجزيرة العربية فيضانات عارمة خلال حقبة الرباعي المتأخر، وكان للمؤثرات الموسمية الرطبة دوراً كبيراً في زيادة نشاطها وارتفاع مناسيبها المائية، تحديدا في ادوار المطر المعروفة، كحال أودية عمان (*Fleitmann et al., 2007; Clemens et al.,1991*)، والانظمة المائية البائدة في جبة بشمالي المملكة العربية السعودية حسب ماذكره (*Garrard et al., 1981 & Whitney et al., 1983*)، وفي سطوح الغسيل بالقويعية كما أشار (*Al (Juaidi, 2003; McLaren et al.,* وبحيرات البيصية بنفود الثويرات بآواسط المملكة التي عثر عليها (*Al Dughiairi, 2011*).

لم تستمر المؤثرات الرطبة طيلة فترة الرباعي المتأخر فقد تراجعت وحل محلها رياح الشمال الجافة وذلك خلال احقاب الجفاف البلايستوسيني، وشهدت المؤثرات الرطبة تراجعًا وضعفًا واضحين فوق سماء الجزيرة العربية بعامة (*Fleitman et al., 2004; Parker et al., 2004; Neff et al., 2001*) فقد بدت أثار الجفاف واضحة في الأجزاء الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية (*Singhvi & Glennie., 2002*) وفي كثبان وهيبة والوافي في عمان والإمارات العربية المتحدة (*Goudie et al., 2000*)، إلا أنه وفي أواسط الهولوسين قبل مايقارب 5000 سنة بدأت السيادة التدريجية للقحولة في الجزيرة العربية خاصة فوق إقليم القصيم (*الدغيري، 2013*)، وبدأت ملامح ضعف وانخفاض بل وجفاف تلك الانظمة المائية المذكورة، فقد ردمت الإرسابات الريحية مجرى وادي الرمة برمال نفود الثويرات (*Al Dughairi, 2011*) واندثر واختفت أغلب ملامح قناة جريان وادي الطرفية بالقصيم (*الدغيري، 2013*).

إن مايبرز أهمية دراسة تاريخ وتطور أودية الجزيرة العربية، يجعلنا نعي حقيقة اخطار السيول وما ينتج عنها من فيضانات عارمة لم يُعتد عليها في هذا الزمن

المعيش، فالوقع البيئي لحوض وادي النساء يشهد زحف تنمويا مهول ناحية الاودية صاحبه عمليات طمر لمجاريها السيلية، في نظاما بيئي يعتقد أنه أقرب مايكون متزنا و كانت تقطعه السيول من المنابع حتى المصب حيث وادي الرمة. هذا المشهد يوحي بأن المخطط همش العلاقة القائمة بين ما يقوم به والنظام البيئي والجيومورفولوجي الأمر الذي تطلب معه القيام بدراسات معمقة تكشف تلك القنوات وتربطها بالوقع المعيش لحماية هذا الحوض وقاطنية من أي أزمة أو كارثة بيئية محتملة.

تساؤلاتها الدراسة وأهدافها

في ظل الثورة العمرانية والطفرة المعيشية التي عمَّت أرجاء المملكة العربية السعودية، بدأ التعدي على الأودية أمرا ظاهراً، وفي ضوء هذا الواقع فإن هذه الدراسة تثير عددًا من التساؤلات:

١ - هل يمكن استخلاص ونبش الشبكة النهرية المقبورة في حوض وادي النساء؟ وهل يمكن فهم ماهيتها القديمة؟

٢ - هل الوضع الحالي والتخطيط الهيكلي للمحلات والأحياء والحيازات الزراعية في حوض وادي النساء بمعزل عن تأثيرات سيول و فيضانات مستقبلية؟

وتهدف إلى:

١ - استخلاص وثبت شبكة الاودية الجافة بحوض وادي النساء، مع القاء الضوء على ماهيتها القديمة.

٢ - محاولة ثبت المواقع الأرضية في الحوض والمعرضة لخطر السيول والفيضانات.

منطقة الدراسة

يقع حوض وادي النساء ضمن النطاق الجنوبي لإقليم القصيم، ويضم عدداً من المستوطنات والمحلات العمرانية، التي من أهمها الرس التي يقطنها ما يقارب (133) ألف نسمة، و مركز دخنة (7441) ألف نسمة حسب بيانات مصلحة الإحصائيات العامة لعام 2010م، فقد وصلت الكثافة السكانية لمدينة الرس نحو (35.7 كم^2)، فحتى ٢٠١٤م ضمت (٣٥) حيًّا، هي في حراك وتنامي جهة الجنوبي الشرقي حيث مجرى وادي النساء بالإضافة إلى الغرب ناحية الحدود المجالية لوادي الرمة، وتقع المحافظة بين خطي طول: (25' 43°) و (36' 43°) شرقًا، وبين دائرتي عرض: (48' 25°) و(55' 25°) شمالًا، ويحفها وادي النساء في حدودها الجنوبية الشرقية، ويعتبر هذا الوادى أحد أهم الروافد الجنوبية لوادي الرمة، تبدأ منابعه من المرتفعات الجبلية الواقعة جنوبً/غرب(″24 ′34 °43 E , ″19 ′23 °25 N) حيث جبال دخنه، التي ينحدر منها إلى جهة الشمال بطول يجاوز (60كم)، حتى يصل وادي الرمة مما يلي الرس في الحدود المجالية درجة عرض وخط طول (″49 ′37 °43 E , ″26 ′54 °25N). (شكل رقم: 1) يكشف وادي النساء عدداً من المصاطب النهرية بسماكات متباينة هي بين المتر ونصف المتر إلى المترين، وهي تنبئ عن آثار سيلان وفيضان عظيم واكب نشاط الوادي قديما (ملحق رقم: ١)، في الاحتمال الأغلب خلال فترات توغل الرياح الموسمية المذكورة آنفا إبان حقبة الرباعي المتأخر *(Al dughairi, 2011)*. وينتشر شرق مجرى الوادي كثبان رملية طولية صغيرة تعرف محليا باسم نفود رامة، إضافة إلى نباك وأوشحة رملية مستقرة في أغلب قنوات ومسيلات الوادي.

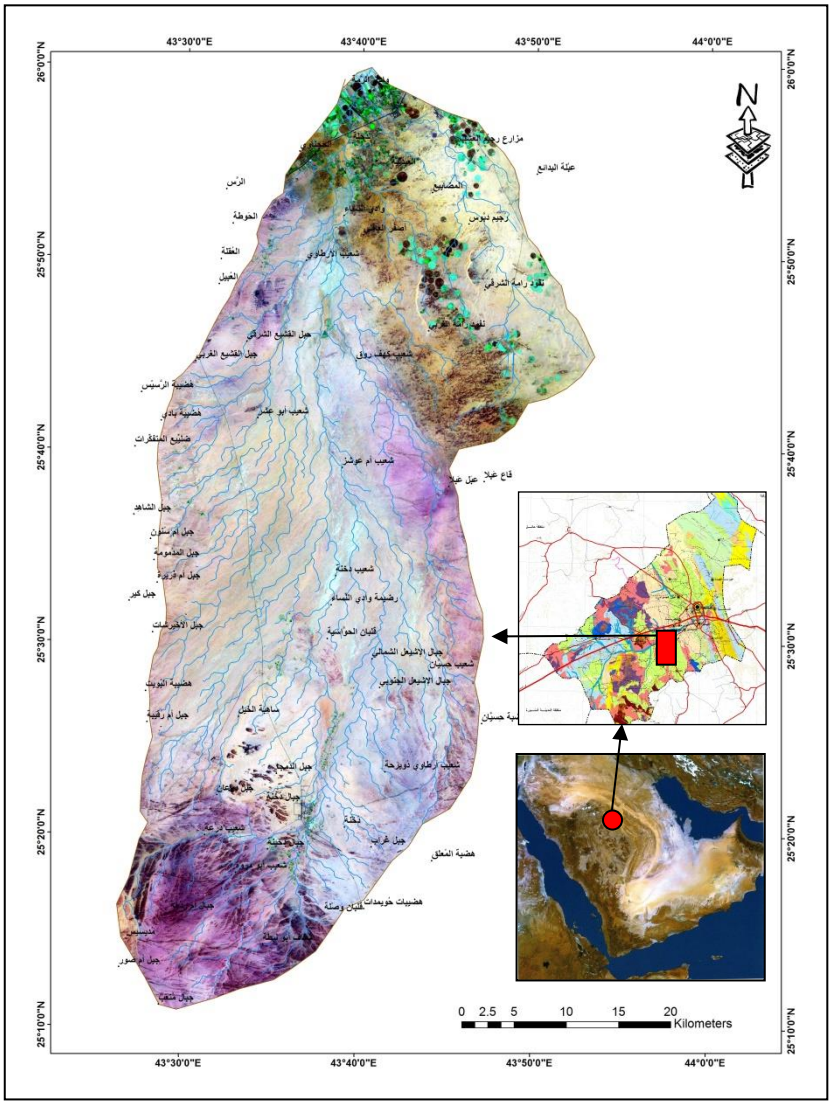

شكل رقم (١). مرئية فضائية من نوع ETM (2003) توضح الحدود المجالية لحوض وادي النساء، وأهم الظاهرات الأرضية السائدة فيه، النقطة الحمراء تبين موضوع منطقة الدراسة بالنسبة للمملكة العربية السعودية.

بـالنظر لحـوض وادي النسـاء نجـد تباينـاً واضـحاً في التراكيـب الجيولوجيـة (الشكل2)، فتظهر صخورماقبل الكامبري ***Precambrian*** ممثلة بجرانيت خزاز المتضمن إراسابات ريحية كوارتزية (Kg) خاصة في أقصى الجنوب، وتحديداً بالقرب من جبل خـزاز(Vaslet, D. et al., 1985) ويرجـع هـذا التركيـب لمايقـارب 584 مليـون سـنة (Stuckless, Futa.,1978) . كما يتكشف جرانيت كير(kg) في الجهة الغربية من الحوض بالقرب من جبل كير، حيث يظهر على شكل تلال منعزلة مما يلي شعيب صبيح. و يظهـر الجرانيـت الأحمـر Monzogranite (kmg) علـى هـوامش الأطـراف الغربيـة مـن حوض الوادي ممتدا من شمال حدود المربعة وحتى الجنوب قرب الدحلة كما يمتد على طـول الحـدود الغربيـة حتـى مردمـة، يحـوي هـذا المتكـون علـى رواسـب ريحيـة أبرزهـا الكـورتز Quartz جيـد الاسـتدارة (Cole, 1988). ويظهـر متكـون **شيست نفي** (ns) في أقصى الجنوب الغربي من الحوض، بدأً من شمال شعيب درعة حتى جبال أم ردهـة، ويغلب على نسيجة التركيبي شكل الأسـرة المترقرقة. كمـا يظهـر **الدايورايت Diorite** (rd) عنـد الأطـراف الشـرقية مـن الحـوض قـرب عبـل عـبلا، وجنـوب جبـال القشـيع الغربي. ويتكشف في الأجزاء الشرقيةعند هضبة حسيان، وفي شمال عبل صخور معقد ربيـق ذي الصـخر **الجـرانيتي القلـوي** Alkalic-Granit (rg). وفي أقصـى الغـرب يظهـر تكوين نيس دخنة (ud) إلى الشمال من السحقان، وشعيب الأرطاوي، وعلى امتداد جبال القشيع الشرقي والقشيع الغربي، أما في الأجزاء الوسطى من الحوض فيظهر بموازاة ساهبة أم عوشز ليأخذ تكشفه بعدها الاتجاه الجنوبي الشرقي، كما يظهر جنوب وغرب جبال الأشيعل الجنوبي والإشيعل الشمالي. وفيما بين الرس، و شمال جبل خـزاز والـدمجا يظهـر تكـوين **جرانيـت المعلـق** (mg) الحـاوي علـى الجرانيـت القلـوي Alkalic-Granit. كما يظهر كذلك تكوين نفي (un) في أقصى الجنوب من حوض وادي

النساء، و يحوي على الكلورايت والمسكوفيت والشست (Chlorite, Muscovite,Schist) ، ويبدأ ظهوره من جنوب شعيب أم درعة في الغرب وحتى شناف الحشيشة في الجنوبي الغربي من الحوض. وفي أقصى الجنوب **يظهر معقد ربيق** الذي يغلب عليه بيوتايت **Biotite**تونالیت **Tonalite** (tn). أما **صخور جابرو** Gabbro (gb) فتظهر في مساحات صغيرة جداً شمال شعيب الارطاوي. إضافة لتكوين **Dayntsah Orthogneiss** (do) في أقصى الشمال الغربي والذي يقدر عمره بنحو 2+_624 مليون سنة (Johnson, et al., 2000) ، وتظهر صخور**مقماتيت Magmatic** (m) في أجزاء صغيره جداً في الجهة الشرقية من الحوض غرب دهيماء. و تتركز صخور**جرانودايوريت** Granodiorite (rgd) فقط في الأجزاء الشرقية من شعيب حسيان جنوب شرق الحوض. و في الأجزاء الشمالية الشرقية من الحوض تظهر إرسابات الرف العربي متمثلة بمتكوين ساق(Oss) ، بدأً من عبلة البدائع شرقاً حتى قاع عبلا جنوبا، وتنقسم إرسابات هذا المتكون إلى عضوين هما: ساجر الرملي ذو اللون الأبيض أو البني، والذي يتصف بحجم حبيبي ناعم إلى متوسط، و عضو الرشاء ذي الحجر الرملي الأحمر أو البني أو الأبيض، ذو التحبب المتوسط إلى الخشن.

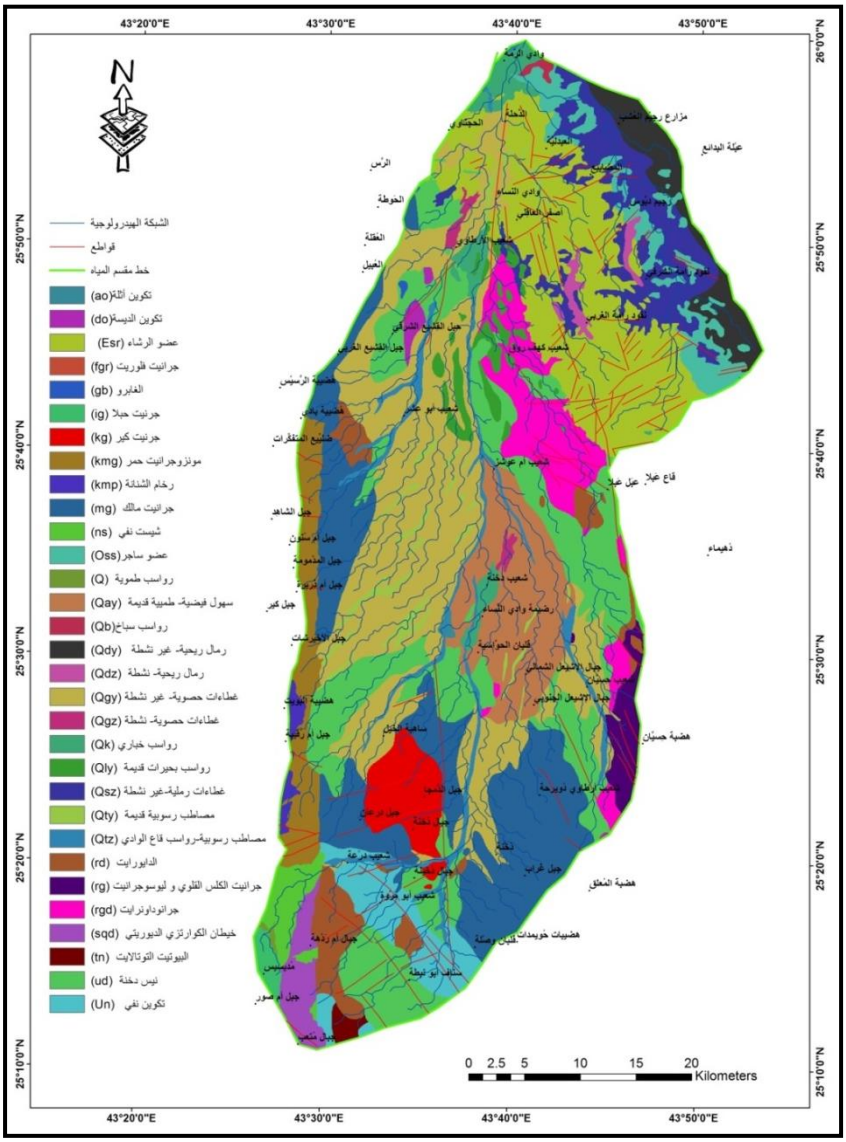

شكل رقم (٢). خارطة توضح التفاصيل الجيولوجية، والمظهر العام للسدود والقواطع في حوض وادي النساء.

أما تكوينات العصر الرباعي Quaternary Period فتنتشر في كافة قطاعات الحوض، فتظهر الكثبان ولأوشحة الرملية (Qdz-Qdy) في أقصى الشمال الشرقي ، كما تمتد شرقا حتى منكشفات هضيبات متكون ساق وتستمر حتى تتصل بحوض عبلة البدائع في حدودة الغربية، تنقسم هذه الرواسب الريحية مابين غطاءات رملية نشطة خاصة في الجهات الملاصقة لتكوين ساق، وأيضا تلك التي في نفود رامة الغربي والشرقي، القسم الأخرى هي رواسب ريحية غير نشطة ، وهي تسود على حواف حوض وادي النساء الشرقية جهة عبلة البدائع. كما تظهر سهول فيضية وقيعان طمية (Qay-Qaz) في وسط حوض الوادي، بدءًا من ساهبة عوشز حتى جنوب جبال الإشيعل الجنوبي. وتبدو رواسب بحيرية قديمة (Qly) حول المجرى الرئيس لوادي النساء وشعيب كهف روق، حيث يغلب عليها الارساب الرملي الغريني الناعم ، والأحجار الغرينية والكلسية. على جانب أخر من منطقة الدراسة تظهر رواسب الخباري الطينية والسلتية (Qk) بموازاة مجرى وادي الرمة. كما تمتد السهول الفيضية (Qtz-Qty-Qtx) على طول مجاري شعيب دُخنَة، وشعيب أبو عشر، وشعيب الأرطاوي، وتحوي على طبقات تضم جلاميد، وحصى. و يسود في أقصى الشمال الغربي من الحوض بدأً من شمال جبال القشيع الشرقي صفائح حصوية (Qgz-Qgy)

يعد الكساء النباتي في حوض الوادي فقيرًا وأغلبه نباتات صحراوية متحورة ، مثل: الحواء *Launaea capitata*، والبسباس*Anisosciadlunl isosciadium*، والخزامى *Horwoodia dicksoniae*، والأقحوان *Anthemis spp*، إضافة للرمث *Halexylon Salicornicum*، و الاثل *Tamarix Artculata*، والعشر *Calotopis procer*، والسدر *Ziziphus*، والطلح *Acacia*..

يصنَّف المناخ بمنطقة الدراسة ضمن نطاق المناخ الصحراوي، وبناءً على تحليل بيانات محطة الأرصاد الجوية بمطار الامير نايف بن عبدالعزيز (الشكل 3) والتي سجلت بيانات مناخية لفترات طويلة دون غيرها من المحطات المجاورة خاصة للفترة ما بين (1985— 2010)، نجد أن المعدل السنوي للحرارة يصل إلى (30م°)، وتنخفض حتى تصل إلى الصفر مئوية شتاءً، وذلك بسبب الرياح الشمالية والشمالية الشرقية، وتهب الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية خلال فصل الربيع (مارس ، أبريل و مايو) جالبة معها الامطار البحر متوسطية والت يتصل معدلاتها احيانا (٢٥,٥ملم)، وفي فصل الخريف تتأثر المنطقة بالزوابع الرملية والأعاصير. وتنعدم كافة أشكال التهاطل صيفًا في أشهر (يونيو، ويوليو، وأغسطس)، ومعدل رطوبة يصل نحو (11٪) وفي الغالب تحوم حول الصفر.و اقصي غزارة مطرية شهدتها المنطقة سجلت (٢١٢ملم) من عام ١٩٨٢م تهطالات سجلت في المنطقة وصلت وسالت أغلب أودية القصيم وغرقت كثيرا من قراها وحواظرها أنذاك.

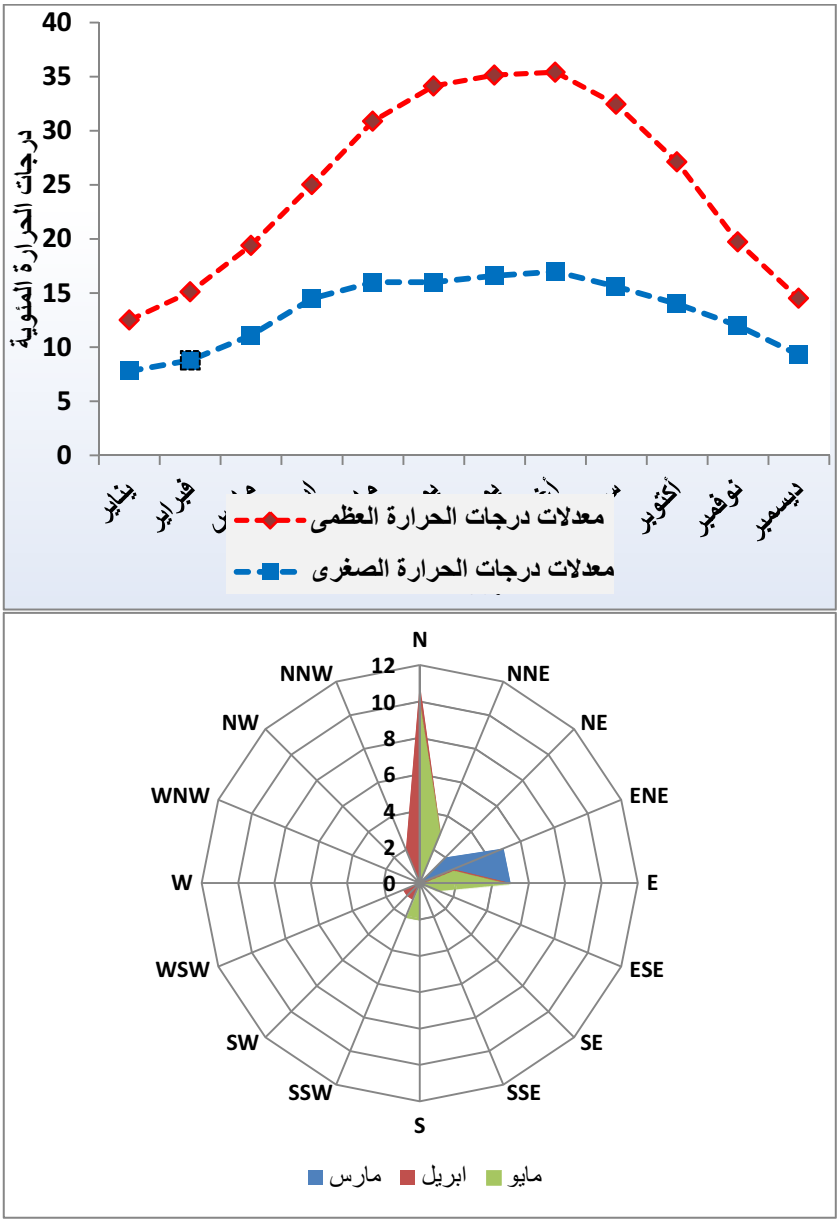

المصدر: بيانات محطة مطار الامير نايف بن عبدالعزيز

شكل رقم (٣). المعدل السنوي لدرجات الحرارة، و سرعات الرياح بمنطقة الدراسة.

أساليب وتقنيات الدراسة

عمدت الدراسة إلى استخدام أنموذج (SRTM) Shuttle Radar Topograpy Missionالتابع للماسح الراداري للتضاريس المحمول على مكوك الفضاء إنديفور التابع لوكالة الفضاء ناسا عام 2000 ذي الوضوح المكاني 30مترًا ؛ حيث تم إستخلاص الشبكة الهيدرولوجية لحوض وادي النساء ، حسب النماذج والمعادلات الهيدرولوجية المدعومة في برمجية ARC GIS وفق الأوامر الأتية: Toolbox - Spatial Analyst Tools- Hydrology(شكل رقم٤).

وتمَّ الاعتماد على المخططات الهيكلية المنجزة من قبل البلديات والمتمثلة بمخطط عام 2013م والمخططات الهيكلية للأعوام اللاحقة 2020م و2050م ، وتم خلالها ربط كافة البيانات باستخدام برمجيات .ARC. GIS وبرنامج ERDAS IMAGINE 2011 ؛ بُغية ثبت المخططات المذكورة مع ما يناظرها من أنظمة هيدرولوجية ، لتحديد المواقع المعرضة لخطرها حال السيلان ومايصاحبه من فيضان محتمل. في مراحل تالية من العمل الميداني تم التحقق الأرضي للمرة الثانية من الشبكات الناتجة بعد المعالجة مع ما هو موجود فعليًّا في الطبيعة.

كما قامت الدراسة على العمل الميداني ، فقد تم مسح أرضي للظاهرات تخلله إنشاء نقاط ضبط أرضي ؛ ثم مضاهاة المرئية الفضائية مع ما يناظرها من ظاهرات وقنوات نهرية. على جانب أخر من العمل الميداني فقد تم جمع (١١) عينية من الإرسابات في قطاعين من قطاعات السهول الفيضية في الحوض بغية دراسة خصائصها الترسيبية ، بعدهاجرى تحليلها معمليا ، بدأً بتحليل قوام الرواسب باستخدام الهيدروميتر حيث تم إضافة الكالجون كمادة مفرقة طبقا لطريقة (Day ,1965). نسبة المواد العضوية ، والنسب المئوية لكربونات الكالسيوم تم التحصيل عليها بطريقة التعادل الرجعي ، حيث تم اخذ زنه معلومة من الارسابات واضيف إليه حجم معلوم من

حمض الهيدروكلوريك العياري ثم التسخين على حمام مائي، بعدها تمت المعايرة للزيادة من الحامض بصودا كاوية معلومة العيارية. وللتعرف على الخصائص اللونية للارسبات النهرية و والتريحية فقد تم استخدام Munsell Color Charts.

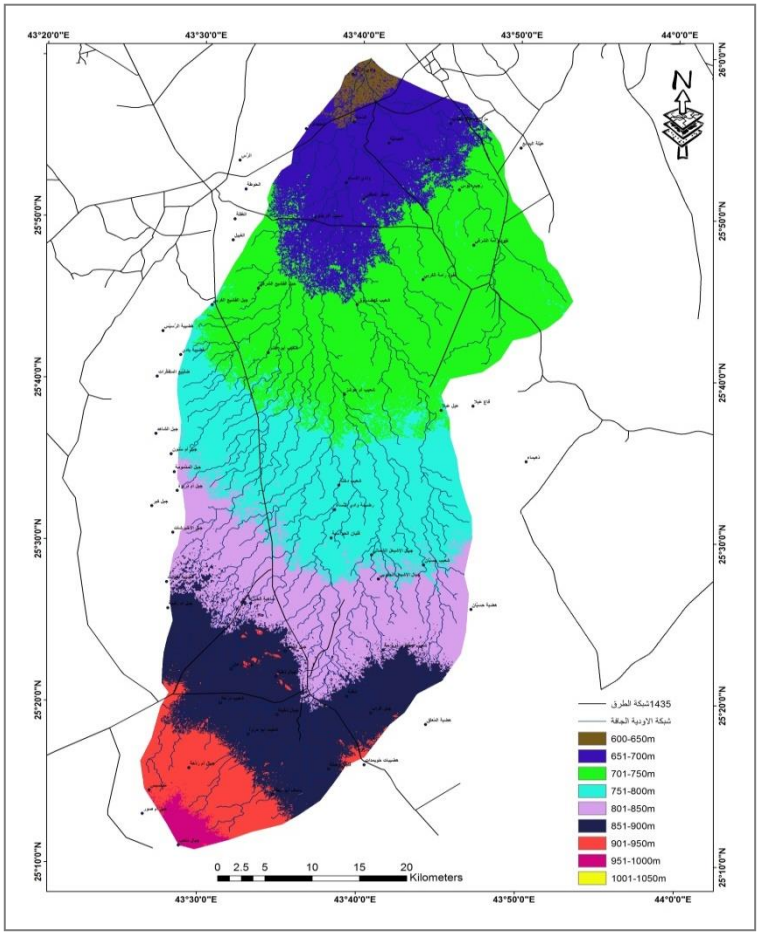

شكل رقم (٤). أنموذج الارتفاع الرقمي (SRTM) لحوض وادي النساء، والذي من خلاله تم رسم الشبكة الهيدرولوجية للحوض، ودقة عالية في إظهار الروافد المطمورة القديمة، بالاعتماد على - Toolbox Spatial Analyst Tools- Hydrology في برمجيات Arc Gis،2011 Erdas imagine.

الدراسات السابقة

إن دراسة البيئات النهرية القديمة السائدة في المملكة أمر بالغ الأهمية، خاصة فيما يتعلق بحدود قنواتها وتاريخ فيضاناتها أنذاك، والتي منها يمكن بناء قاعدة معلومات أولية تكشف عما اعتراها واكتنفها من تغيرات بيئية ومناخية، فعلي سبيل المثال نجد أن دراسة *(Mclaren et al., 2009)* قادت إلى كشف آثار فيضانات عظيمة سادت خلال (38، 50 و 54) ألف سنة مضت، إثر التوغل الشامل للرياح الموسمية القديمة على أجزاء واسعة من أواسط المملكة العربية السعودية خلال حقبة البلايستوسين. والذي يتوافق مع إشارات *(الدغيري، 2013)* الجريان العارم لوادي الطرفية قبل المائة والخمسة آلاف سنة الماضية و حتى قبيل (49) ألف سنة، حيث اتسم الجريان أنذاك بالضعف العام وتخلله فترات انقطاع قصيرة، ومن المحتمل أن جريان الوادي خلال تلك الفترات تزامن مع تراكم نفود الطرفية بفعل هبوب رياح الشمال. وبحلول أواسط الهولوسين، أي: قبل (5) خمسة آلاف سنة كان وادي الطرفية مجرى جافًا تمامًا، الأمر الذي كان نتاجة انغلاقة التام بالكثبان الطولية؛ إثر تأثيرات أنظمة الرياح المذكورة التي كانت أكثر نفوذاً على أواسط المملكة خلال أغلب أدوار الجفاف في الزمن الرباعي المتأخر.

ويبدو أن تأثير الرياح الموسمية القديمة الرطبة كان قويا وعاملاً مساعداً في الإمداد المائي لكثير من أودية الجزيرة العربية والقصيم خاصة حيث وادي الرمة ورافده وادي النساء، وهذا ما أوضحته الرواسب المحفوظة المتوضعة والمحفوظة على جانبى وادي النساء، حسب دراسة *(الوهيبي والدغيري،٢٠١٣)*، واكد عليها *(الدغيري، ٢٠١٣)* عند دراسة فيضان وادي الرمة بإقليم القصيم خلال الهولوسين، حينما ركز على محاولة فهم النظم البيئة القديمة وربط أحداثها بما ساد في أودية وبحيرات اخرى في

الجزيرة العربية. وكان من نتاج هذه الدراسة بناء قاعدة معلومات جسدت خصائص البيئة في القصيم وما اكتنفها من تغيرات مناخية قديمة. فقد كشفت الأدلة أن جريان وادي الرمة تزامن مع فترات رطبة خلال الهولوسين المبكر(١٠)ألاف سنة، حينها كان الوادي في قمة نشاطه السيلي ؛ إثر توغل الرياح الموسمية الجنوبية الغربية على أرض القصيم. على جانب أخر كشفت الدراسة أيضا أن الوادي قبل 5000 سنة كان جاف وإن كان هنالك جريان فهو ضعيف وموسمي ولم يُشهد فيها أي سيلانات عارمة ما عدا الفيضان الذي حل قبل حوالي (4200) سنة ، حيث دام (200) سنة تقريبًا ووصفه الباحث بأنه عارم طغي على كامل السهول الفيضية للرمة وصلت أبعادة مايقارب (6كم) عرضا، إلا أن الوضع النهري لم يدم بعدها طويلا فحل الجفاف بزيادة الذرو الريحي إثر تأثيرات هبوب رياح الشمال التي عملت على غلق مجرى الوادي بتراكمات الكثبان الطولية في المظهور والقبابية في الثويرات وبتر وطمر المجرى مما يلي نفود بريدة، إضافة تراكمات الأوشحة الرملية والنباك حول أغلب قناة جريان الرمة. إن هذه الدراسات ونتائجها ليست ببعدة عن منطقة الدراسة بل تحف أجزاء منها، بالتالي يمكن أن تربط نتائجها بما ساد في حوض وادي النساء حيث يوجد فيه أمتدادات عظيمة لسهول فيضية هي ليست ببعيده في خصائصها عما وصفه الدغيري.

كما ركزت بعضا من دراسات أخرى على دراسة واستخلاصها الاودية النهرية بتطبيق تقنيات متطورة كأنموذج الارتفاع الرقمي *(DEM)* والانموذج الراداري *(SRTM)* و ساعدت نتائجها على بناء قواعد معلوماتية عن تلك الانظمة الهيدرولوجية، فهذا *(حمدان؛ أبو عمرة، 2010)* قدما دراسته عن الخصائص المورفومترية للجزء الأعلى من حوض الرميمين وسط غرب الأردن، وهدف بدراسته تلك إلى بناء قاعدة معلوماتية رقمية للحوض، حُدد فيها الخصائص المورفومترية بالاعتماد على بعض

البرمجيات ـARC GIS و Digital Elevation Models، وقورنت نتائجها بتلك لشبكات المنجزة بالبيانات التقليدية والمتمثلة بالخرائط الكنتورية والعمل الميداني، وقادت نتائج الدراسة إلى دقة في الثبت وحساسية عالية في استخلاص القنوات النهرية مقارنة بتلك المنجزة بالطريق التقليدية، وفي ضوء تلك النتائج فإن الدراسة الحالية التي نحن بصددها ستعتمد أساس على تطبيق أنموذج SRTM الذي يغطي حوض وادي النساء؛ في محاولة لتحديد واستخلاص كامل الشبكة الهيدرولوجية للوادي، والتي أثبتت الدراسات السابقة أنها ستوفر الوقت والجهد، إلى جانب الثقة في نتائجها ويمكن الأشارة هناء أن النماذج لمذكورة قد يجانبها الصواب في المناطق الرسوبية خلاف تلك الجبلية في الدرع العربي حيث الفروقات المنسوبية واضحة وجلية.

وعن الشبكة الهيدرولوجية بشمالي الكويت قام (Mohammad, 2008) بدراستها وتحليلها اعتمادا على نظم المعلومات الجغرافية وتطبيق أنموذج (SRTM) وصور لاندسات ٧، وخلصت الدراسة إلى ثبت عام للمجاري والاقنية النهرية السائدة بشمالي الكويت وشرق السعودية، على جانب أخر عرضت الدراسة إلى أن الشبكات النهرية في تلك المنطقة تشكَّلت خلال فترات مطيرة، أي: قبل ما يقارب (-10.000 7.000) سنة بالتزامن مع توغل الرياح البحر متوسطية الصيفية على شمال المملكة، ويتضح ذلك من خلال دراستهم على تطبقات رواسب الرمال النهرية والتي عمل الجريان النهري على ترسيبها خلال تلك الفترات. إن هذه الشبكة النهرية في هذا الجزء من المملكة ما هي إلا امتداد للشبكة الهيدرولوجية الأم في وسط المملكة حيث وادي الرمة ورافدة وادي النساء موضوع الدراسة الحالية، وبالتالي تطبيق هذا النموذج في المجال الذي يغطي حوض وادي النساء سيسهم بدرجة كبيرة في رسم جزء من نظام هيدرولوجي في المملكة العربية السعودية وبالتالي سيوفر جزء من شبكة هيدرولوجية

كانت عامرة قديما بل سيسهل في ثبتها للمواطن والمسؤل ليعيها ويبني خططها عليها، إلا أن الملاحظ في الدراسة المذكورة وجود نسبة خطاء بسيطة في ثبت مسارات القنوات النهرية وربما هذا مراجعة عدم تصحيح الانموذج أو عدم التحقق الميداني الأرضي بعد الاستخلاص.

على جانب أخر من البحث العلمي، عمد *(مصطفى، ٢٠١٣)* إلى تقيم الأخطار المحتملة من فيضان وادي بيشة جنوب غرب المملكة، وحدد العوامل الطبيعية والبشرية التي تسهم في الحد من أخطار السيول، وتقصر امتدادها حجما ومكانا، خلصت الدراسة إلى تبيان وإبراز للخطر القائم جراء التوسع العمراني غير الموجه جهة حوض بيشه، والذي لم يؤخذ بالاعتبارمسار المياه الطبيعي و طبوغرافية الأرض، الأمر الذي معه أكدت الدراسة أن احتمالية تعرض الاماكن المأهوله بالسكان لخطر فيضانات مستقبلية أمر وارد خاصة تلك التي قرب المصبات. كما قام *(مرزا وآخرون، ٢٠١٣م)* بدراسة تقييم العلاقة بين النمو العمراني وزيادة أخطار السيول في مكة المكرمة في الفترة (1410 -1450 هـ) بالاضافة إلى تقييم مستقبلي حتى عام 1450هـ، وذلك بالاعتماد على نموذج منحنى الأرقام داخل إطار نظم المعلومات الجغرافية. وأوضحت الدراسة أن المساحة العمرانية المأهولة زادت بنسبة (٩٨٪) في الفترة (١٤١٠ -١٤٣٠هـ)، وبنمو مستقبلي تقريبي يصل إلى (335٪) حتى عام 1450هـ، وبذلك يتضح الارتباط القوي بين زيادة النمو السكاني وبين زيادة مخاطر السيول والجريان السطحي. وأوصت الدراسة بضرورة الأخذ بعين الاعتبار التخطيط العمراني المستقبلي لمنطقة مكة وربطة بمجار ومصبات الاودية، كما اكدت الدراسة على ضرورة توافر قاعدة معلومات خرائطية تبين التوزيع المكاني للاماكن والمواقع المتحمل تعرضها لمخاطر السيول سواء الحالية والمستقبلية. إن المخاطر التي تعرضت لها المستوطنات

البشرية في حوض بيشة ومكة هي شبيهة لما يحصل في الجزء الشمالي الغربي من حوض وادي النساء، إذ وصل الاستيطان البشرى حرم الوادي دون مراعاة للقنوات والمجاري الجافة.

النتائج والتحليل والمناقشة

أظهرت الدراسة أن هناك شبكة هيدرولوجية تحفها مصاطب نهرية قديمة محفوظة حفظًا جيدًا وممتدة بكامل الحوض وهي بذلك الحفظ تحمل مؤشرات فيضانات قديمة لوادي النساء خلال الماضي القديم على النحو الآتي:

١- السهول الفيضية:

١-١ السهل الفيضي لوادي الارطاوي QA.12.01، 25° 43′ 11,3″ N/43° 34′ 17,4″ E

تظهر مصاطبه النهرية بسمك يصل متوسطة نحو (120سم)، وهي تعكس نشاطاً نهرياً قديماً ساد وباد، وفيها تم تمييزعدد من الوحدات الترسيبية (الشكل5) هي كالتالي:

في الأسفل تظهر الوحدة رقم: (1) بسمك يصل (10سم)، وهي عبارة عن رمل ناعم إلى متوسط التحبب (70٪) مع كميات قليلة من رمال خشنة جيدة البرم، ويتخلل الوحدة عقد كربونية (0.081٪)، أعلى الوحدة عبارة عن سطح حتى قديم غير متوافق التطبيق وهو غني بكربونات الكالسيومCaCO3، يدعم توقف النشاط النهري لأمد الله أعلم فيه، اللون السائد في هذه الوحدة هو اللون البني HUE7.5YR 4/6. يعلوها، وحدة رقم: (2) بسمك يصل معدله الوسطي (7سم) ويغلب عليها رمال نهرية متوسطة إلى خشنة التحبب، هي في الغالب كورتز، وينعدم فيها التطبيق، ويمكن وصفها بالكتلية ويتخللها بالإضافة إلى الكورتز مفتتات صغيرة من الجرانيت والنايس. عند ارتفاع (20سم) تظهر الوحدة رقم: (3)

بسمك يصل إلى (6سم)، وهي تحمل نفس صفات الوحدة سابقتها، إلا أن ما يميزها هنا وفرة الجذور والجذيريات بشكل واضح وملفت للنظر، وتصل نسبة المواد العضوية فيها نحو (4%)، كما تزداد فيها أحجام الجلاميد والمفتتات الجرانيتية، وقد رشحت هذه الطبقة لتحديد عمر الدفن باستخدام تقنية OSL، الأمر الأخر الذي يظهر في هذه الوحدة هو تغير اللون إلى البني الشاحب HUE7.5Y 4/6. أعلاها يوجد وحدة رقم :(4) بسمك (16سم)، يغلب عليها رمال ناعمة إلى خشنة التحبب، ويظهر في أعلاها أسرة سافات رملية متباينة التركيب بين متوسطه إلى خشنة التحبب، ويتخللها كميات قليلة من الحصى، كما تحوي على نسبة قليلة من عقد كربونية (**$CaCO_3$**)، بالاضافة إلى جذور متكلسة، مع سيادة واضحة لجحور كائنات بائدة، واللون الغالب على هذه الوحدة هو اللون البيج HUE7.5YR 7/4. عند ارتفاع (30سم) تظهر وحدة :(5) وهي طينية سلتية متوسط سمكها (15 سم)، و تختلف في خصائصها عن مايسفلها إذ يغلب عليها النسيج الكتلي، و تصل نسبة الطين والسلت فيها نحو (85٪) مع كميات قليلة من الرمال الناعمة إلى المتوسطة (15%)، ويسود فيها الجذور والجذيريات بالاضافة للجحور الاحيائية، وتصل نسبة المواد العضوية فيها مايقارب (5%)، اللون الغالب هو بني غامق HUE7.5YR 5/6. تعلوها الوحدة :(6) وهي تختلف بشكل كبير في خصائص عن الطبقة السابقة، فيصل متوسط سمكها إلى (8سم)، وهي عبارة عن رمال ناعمة إلى متوسطة (45%) و خشنة مع جودة البرم (55%)، بالاضافة لذلك يوجد كميات من الحصى المزوى، واللون الغالب عليها هو بني محمر HUE7.5YR 6/6. وعند ارتفاع (60 سم) تبدو وحدة رقم:(7) حيث يصل متوسط سمكها إلى (60 سم)، وهي تحمل نفس خصائص وحدة رقم (5) من ناحية النسيج، ويوجد في

أعلاها عند ارتفاع (40 سم) سافات من الحصى المبروم ونسبة عالية من الكورتز الناعم التحبب (86%) وكميات من رمال متوسطة وخشنة التحبب، وتضم الوحدة العديد من الجذور والتي تزداد كثافتها نحو الأسفل بالاضافة لذلك يبدو هنالك جحور كائنات إحيائية ، تصل نسبة المواد العضويها فيها نحو(7.5%)، وتم ترشيح هذه الطبقة لتحديد عمر الدفن بإستخدام تقنية (OSL)، واللون الغالب هو اللون الاصفر HUE10YR6/8.

بناء على النتائج التحليلية المذكوره اعلاها نجد أن مصطبة وادي الارطاوي تدعم نشاطًا واضحًا للوادي خلال فترات هي أحدث بكثير من تلك التي في المجرى الرئيس لوادي النساء، بدأ ذلك جليًّا من خلال خصائص الرسوبيات الأكثر حداثة والتي تسود فيها الرمال النهرية ناعمة إلى متوسطة التحبب والسلتية الطينية والكربونية، ومن المحتمل أن بيئة الوادي كانت تواكب كساءً نباتيًّا كثيفًا وحياة إحيائية واسعة، دعم ذلك غنى المصطبة بالجذور الجذيريات والجحور. وهذه الخصائص بصفاتها المذكورة هي قريبة من الأدلة التي عثر عليها كلٌّ من (Aldughairi.,2012) في محيط وادي الرمة والتي لاتبعد سوى (6 كم)، أيضا تلك التي عثر عليها *(Whitney., 1982)* في بحيرات جبة، و تلك التي في وادي الدواسر والتي عثر عليها *(Hotzl et al., 1984)* . في الأجزاء العليا في مصطبة الأرطاوي أظهرت الرواسب أدلة ضعف تدريجي في الجريان اختتمت بتوقف تام، وفي الأغلب تزامن ذلك مع فترة جفاف عامة صاحبها نمو تراكمات وأوشحة ريحية. الشكل(5). وإن كان هناك جريان فهو لا يعدو الجريان الموسمي. وهذه الخصائص الترسيبية أقرب ما تكون للرواسب التي أشار إليها (*Aldughairi., 2011, 2012*) في كل من وادي رغوة ووادي الطرفية اللذان زامن تراكمهما أواسط الهولوسين، أي: قبل ما يقارب ٥٠٠٠ سنة.

٢-١: السهل الفيضي لوادي النساء QA.12.02، 25° 44′ 13″ N/43° 37′ 30″ E

يقع القطاع في المجرى الرئيسي لوادي النساء، ويظهر بسمك (200سم) سم، وتم وتقسيمه لعدد من الوحدات الترسيبية هي كالتالي:

يظهرفي أسفل القطاع الوحدة :(1)، يصل متوسط سمكها إلى (٤٠سم)، وتتمثل برمل ناعم إلى متوسط وخشن جيد البرم، بالإضافة لنسبة قليلة من سلت وطين، وينتشر مفتتات جرانيتية جيد التدوير، وتتوزع الجذور والجذيريات بكامل الوحدة، وتصل نسبة المواد العضويها فيها نحو (0.085%)، اللون الغالب لها هو أصفر إلى بني فاتح HUE10YR6/4. وتم ترشيح هذه الطبقة لتحديد عمر الدفن باستخدام تقنية (OSL). تعلوها وحدة: (2)، بسمك يصل إلى (10سم)، وهي عبارة عن رمال ناعمة ومتوسطة وقليل من خشنة التحبب مع وجود سلت لكن بنسب قليلة، والوحدة أقرب ماتكون بسطح متماسك، كما يلاحظ فيها سيادة عقد كربونية، اللون الغالب لها بني مصفر HUE10YR6/6.

عند إرتفاع (50سم) تبدو وحدة رقم: (3)، بسمك وسطى يصل إلى (20 سم) وتتمثل برمال متوسطة وخشنة التحبب (88%)، مع جودة في البرم، بلاضافة لذلك يوجد رمل ناعم و سلت مع طين، ويظهر في أعلاها بعض من جلاميد، كما يسود فيها جذور وجحور كائنات حية، وتصل نسبة المواد العضوية بها نحو (0.087%)، كما ينعدم وجو كربونيت الكالسيوم، واللون الغالب للوحدة هو بني فاتح مصفر. HUE10YR6/4.

تعلوها وحدة رقم: (4)، وتصل سماكتها (10سم)، يغلبها رمال ناعمة ومتوسطة إلى خشنة التحبب، ولا يظهر فيها جذور ولا جحور واللون الغالب للوحدة بني مصفر HUE10YR6/6. يخلفها إلى الأعلى وحدة :(5)، وتتمثل برمال

خشنة إلى متوسطة (55%)، وحصيات ومفتتات هي في الغلب من صخور القاعدة ، وتقل كربونات الكالسيوم في هذه الوحدة، واللون الغالب هو بني مصفر HUE7.5YR5/6. إلى الأعلى منها تأتي وحدة رقم :(6)، بسمك يصل إلى (10 سم) وتتمثل برمال ناعمة مع سيادة سلت جيد الحفظ ،وتسود مفتتات منقولة من الشست والجرانيت، ويسود فيها جذور وجحور، واللون الغالب للوحدة أصفر بني غامق HUE10YR5/4.

بعدها تظهر وحدة بسمك (10سم) وهي الوحدة رقم (7)، وهي عبارة عن سافات وأسره يغلب عليها رمل ناعم ويخلفها أسرة خشنة، وتحتوي جذور وجذيريات واللون الغالب للوحدة بني مصفر HUE10YR 6/4. الوحدة رقم: (8) تتشابه في خصائصها مع الوحدة السادسة، لكن يلحظ أن وجود السلت بنسب اقل، مع زيادة نسبية في كربونات الكالسيوم (CaCO3)، اللون الغالب للوحدة بني مصفر HUE10YR5/4. وقد تم ترشيح هذه الطبقة لأخذ عينة لتحديد عمر الدفن باستخدام تقنية (OSL). قرب الاجزاء العليا من المصطبة تبدو وحدة رقم :(9)، بسمك متوسط يصل إلى (30سم) وتنتشر فيها الحصيات المبرومة مع إنخفاض في نسب كربونات الكالسيوم (2.4%)، اللون الغالب للوحدة بني مصفر HUE7.5YR 5/4. عند ارتفاع يصل تقريبا (١٦٠سم) تظهر وحدة رقم: (10) بسمك (10سم)، وهي عبارة عن كورتز متوسطة إلى ناعمة التحبب مع كميات قليلة ب من طين وقليل من مواد عضوية (0.080%)، وتسود خلالها الجذور والجذيريات الحديثة مع نسب قليلة من كربونات كالسيوم (2.4%) واللون الغالب هو بني مصفر غامق HUE7.5YR4/4.

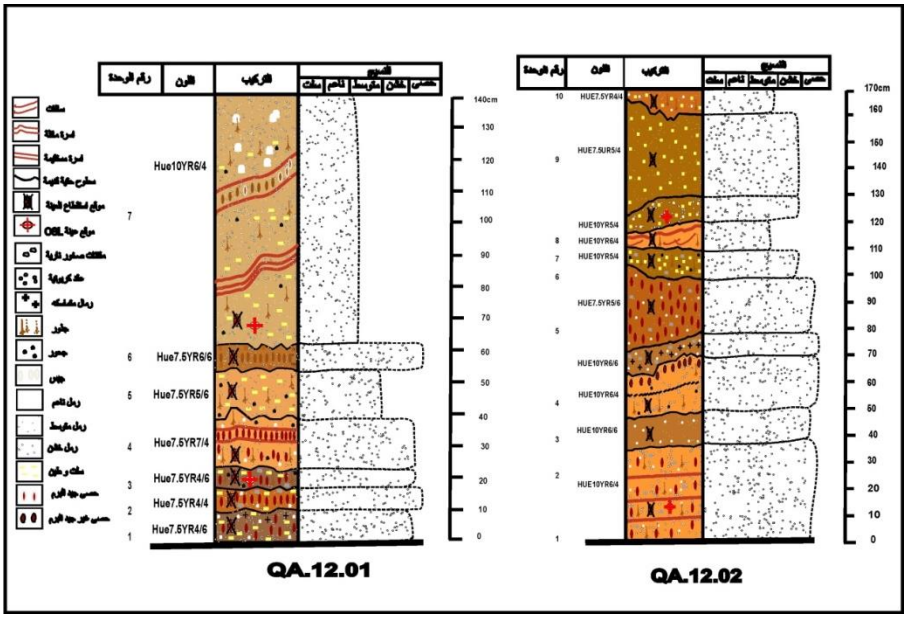

لشكل رقم (٥). جانب من مصطبة وادي النساء(QA.12 .02)، ومصطبة رافدة وادي الارطاوي (QA.12.01).

إن التمعن في النتائج التحليلية المذكورة في مصطبة واي النساء يظهر أن الخصائص الدنيا من المصطبة توحي بجريان اتسم بالديمومة والقوة، أعقبة ضعف أو توقف لفترة محدودة، دعم ذلك تشكُّل سطح حتيٍّ قديم، وظهر ذلك جليًّا بتشكُّل بضع مليمترات من الرسوبيات الغنية بالكورتز والجبس. كما عكست طبيعة الرواسب في الوحدات من وسط المصطبة (3 إلى 8) أدلة تدعم جريان عظيم صاحبه فيضانات واسعة هي في الغالب أشد من الفترة سابقتها، واتسمت بيئة الوادي بسيادة غطاء نباتي كثيف، يزداد كثافة وتنوعًا بالاتجاه ناحية الأجزاء العليا من المصطبة الوسطى. وفي هذا دلالة على أن بيئة الوادي كانت تواكب ظروفًا رطبة، هي في الاحتمال الأغلب جرى توغل الرياح الموسمية القديمة، وهذا في الأعم الأغلب يواكب الفترات المطيرة التي

سادت خلال البلايستوسين و أوائل الهولوسين في كثير من أرجاء الجزيرة العربية، والتي هي أيضًا معروفة جيدًا في كثير من الدراسات كدراسة: (*Aldughairi., 2012*، *Parker et al., 2006*، *McLaren et al., 2009*).

إنه ومن خلال تمعن فاحص نجد أن الشبكات الهيدرولوجية في وادي النساء وما جاوره حسب درسات سابقة ما هي إلا نتاج نشاط نهري ساد قديمًا، خلَّف وراءه مصاطب نهرية ذات رواسب محفوظة دلت على فترات رطبة مرت بها الجزيرة العربية وأواسط المملكة، فعلى سبيل الدراسات التي أجريت على الشبكات النهرية القديمة للأودية الموجودة فيما بين الكويت وشمال شرق المملكة، والتي أكدت على مرور الجزيرة العربية بفترات رطبة قبل حوالي (7000 -10000) سنة (*Mohammad, 2008*), إثر التوغل القديم للرياح الموسمية خلال الرباعي المتأخر ومما يدعم ذلك أيضا امتلاء بحيرات جبة ونشاطها شمال المملكة (*Garrard et al., 1981 & Whitney et al., 1983*). على جانب أخر من الدراسة نجد هنالك تتشابه الظروف البيئية والترسيبية أيضا في مصاطب وادي النساء مع الإشارات التي ذكرتها مكليران وزملاؤها (*Mclaren et al., 2009*) في دراستهم والتي دعمت سيادة فيضانات عظيمة خلال البلايستوسين وتحديداً (38 -50 -38)ألف سنة شكلت المراوح الفيضية في القويعية، وهنا نستخلص أن جميع هذه الدراسات تتشابه أدلتها مع ما وجد من أدلة في مصاطب حوض وادي النساء (*الوهيبي، الدغيري، 2013*) والتي من الممكن أن تكون تأثيراتها هي نفسها وصلت لداخل الحوض، فالشكل البيضاوي المتطاول لوادي النساء يدل على نشاط نهري قديم ممتد، ويؤكد ذلك ما وجد من أدلة محفوظة في رواسب مصاطب وادي الارطاوي والنساء، ولعل النتائج التحليلية العمرية اللاحقة تدعم هذا التحليل.

٢- شبكة التصريف

إن حوض الوادي يميل للشكل البيضاوي المتطاول، تقدر مساحة بنحو (2377 كم٢) وهذا يوحي بنمط جريان طولي قديم ساد وباد خلال عصور مضت، خلَّف فيها الوادي عددًا من الرواسب الفيضية (العمل جار على تحديد فترات نشاط هذا الوادي)، في هذا الحوض تم ثبت الاجزاء التي يشغلها النمو السكاني بالاضافة إلى ما اعتمده المخطط ؛ ليكون فيه التطوير والنمو الحضري، ومن خلال نظرة في الحدود المجالية لحرم حوض وادي النساء، **يمكن استخلاص النتائج الآتية(الشكل ٧)**:

- توحي الخصائص الموفومترية في الاجزاء الشمالية الغربية من الحوض بزيادة عدد الروافد النهرية من الرتبة رقم (1) والرتبة رقم(2) بنسبة تقدر (50٪) و(25٪) على التوالي، وهي تتميز بقصر مجاريها وتغير اتجاهاتها من شمال شرق وجنوب شرق، في حين تتصف الأودية من الرتب (٣ و4 و5) بطول المجاري وقلة أعدادها وبجريانها من الجنوب إلى الشمال الشرقي. (|14٪)، (8٪) و(3٪) على التوالي.
- تشغل الأودية المذكورة الحدود المجالية المقترحة لنمو الحضري والهيكلي للطرق وذلك لعام 2030، حيث تبلغ أطوال الطرق الهيكلية ذات الاتجاه الشمالي ما يقارب (140 كم) بعرض (40 مترًا) وذلك داخل حرم الوادي، في حين تصل اطوال المحاور الهيكلية ذات الاتجاه شرق غرب ما يقارب (126 كم) بعرض (40 مترًا)، وهي بهذا الامتداد تدل على توغل واضح وكبير داخل الحدود المجالية لحرم الوادي. شكل رقم (6).
- معدلات الانحدار في الجزء المذكور والمقترح للنمو الحضري يوحي بقلة الانحدار(الشكل ٦)، الأمر الذي يسمح بتشكل سيلان منبث ويساعد على بناء مصاطب فيضية ممتدة حال أي فيضان مفاجئ، وتتراوح معدلات الانحدار في هذا الجزء ما بين (-2 0٪) مقارنة بالأجزاء العليا من الحوض والذي تصل في الانحدارات ما يقارب (15-10٪)،

وتنصرف فيه المجاري النهرية من السفوح الجنوبية لجبال خزاز من منسوب يتجاوز (950م)، والذي تُقيدُ فيه السمات الهيدورجيولوجية والبنيوية الخصائص الهيدرولوجية، الأمر الذي يوحي بسيادة جريانات نشطة ناحية المصب الأدنى للحوض الوادي.

- تقبع الحدود المجالية للتخطيط الهيكلي لعام ٢٠٥٠ على مصاطب نهرية قديمة تدعم جريان قديم وصل امتداده ما يقارب (كيلو متر واحد) على خواصر الأودية، كوادي الأرطاوي، الأمر الذي يوحي بفيضانات قديمة سادت وبادت خلال أدوار المطر من حقبة عصري البلايستوين والهولوسين، والذي تُبت عدد منها حسب دراسة (*الدغيري 2012*) لفيضان وادي الرمة قرب مصب وادي النساء ، حينما صفه بفيضان عارم ساد قبل ما يقارب (10) آلاف سنة مضت، ليس هذا فحسب، بل ففي فترة الهولوسين الجافة تم رصد سيلان فجائي عم القصيم بأكملها قبل ما يقارب (4200) سنة، ونتج عنها فيضانات عارمة طغت على كثيرًا من الأراضي، ووادي النساء بحكم القرب المكاني فيشمله الوصف المذكور الامر الذي لا يستبعد معه شمول الفيضان هذه الأجزاء خاصة أن االفارق المنسوبي للمصاطب في الرمة ووادي النساء متقاربة إن لم تكن منطبقة (الشكل ٤).

- توحي الإنحناءات الكنتورية وخصائص القنوات النهرية في حوض الوادي الأدنى القريب من الرمة -التي يدخل فيها التخطيط الهيكلي السكني -بأنها مناطق ذروة ومحتمل أن تكون عرضة للفيضان، بسبب كثرة الهضيبات والمرتفعات الصخرية الشرقية، بالإضافة لتأثيرات القاعدة الجرانيتية وقربها من منطقة المصب، وانصراف وادي النساء ناحية الرمة (ملحق رقم3، 2)، مما يلي الرس شرقًا، الأمر الذي أدى إلى انصراف نسبي للمجاري النهرية ناحية الشمال الغربي، أي: ناحية الجزء المعتمد للتخطيط المستقبلي.

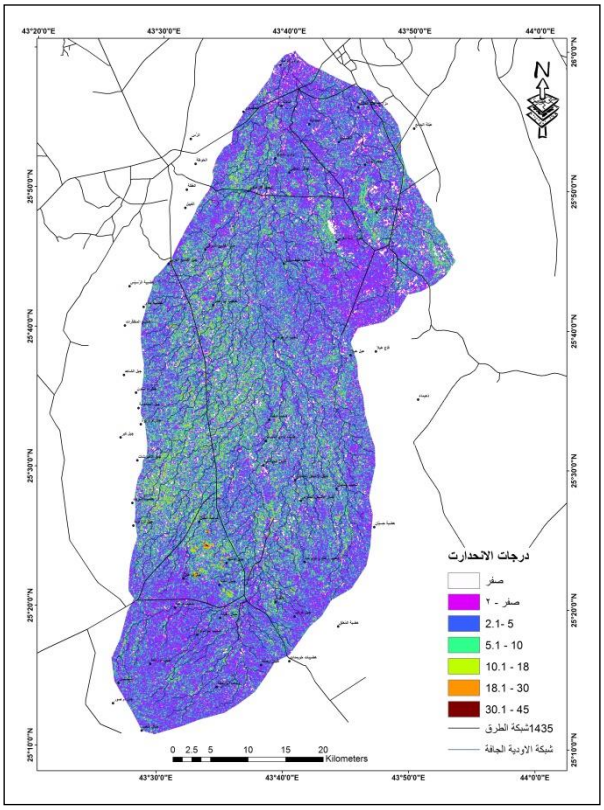

شكل رقم (٦). خارطة الانحدارت في حوض وادي النساء ومن الشكل العام يتضح الزيادة النسبية في المعدلات جهة الجنوب والجنوب الشرقي وبعض مناطق الغرب.

وفي جانب أخر من حوض وادي النساء تحديداً في الأجزاء الجنوبية الغربية، يظهرنمط عمراني لمحلة بلدة دخنة وبالنظر في مخرجات الخريطة الهيدروجيومورفولوجية (شكل ٧) وبعد تحديد وثبت المخطط العمراني وشبكة الطرق تبين الأتي:

• بلغت مساحة الرقعة المأهولة داخل الحوض مايقارب (2.7كم٢) حيث تخلل هذه المساحة عدد كبير من الاودية ذات الرتبة رقم (3.4.2) وهي أودية قريبة من المنابع

ومحصورة بحواف وجنبات جبال دخنة وجبال وذات إنحدارات شديدة تساعد على الجريان السريع حال أي سيلان، ونحرها بداء جليا عند فيضان عام 2008.

- يشغل الحوض في جانبة الغربي طرق ذات مسار واحد يصل اطولها مايقارب(98كم) وبعض يتراوح بين (10م) إلى (20م) في حدود بلدة دخنة، ويقطعها أودية من رتبة (1) ورتبة(2) وهي أودية موافقة ثانوية عنيفة يدل على ذلك معدلات انحدراها ووكثرة وضخامة قنواتها، بعضها ربط بقنوات تصريف للمياه والاخري لم يشملها أي تصريف (جسور، عبارات).
- بلغت الرقعة الزراعية داخل الحوض مايوازي (69كم٢)، أكثر من(80) منها تدخل في نطاق الاودية وتعبر مواقعها تعدي واضح على حرم الاودية ولا تراعي مساراتها، ويكتفي ملاكها بوضع سواتر ترابية (1م إلى 2 م) من شكلها يتضح عدم صمودها أمام الرياح فضلا عن الجريانات الضخمة التي بترتها ولا أدل على ذلك من جرفها أثناء سيلان الوادي وطغيان فيضانه في عام 2008 .

فبالنظر للمخططات الهيكلية المستقبلية لمدينة الرس وبلدة دخنة نجدها أخذت بالتوغل داخل الحدود المجالية للحوض بطول (238كم)، وهذا التخطيط الهيكلي تم على مجارٍ ذات رتب متغايرة الاتجاه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي وهي بحالها تلك تشكل تهديداً خطرًا على النمو المستقبلي للمناطق الحضرية، فأغلب المجاري تنصرف من سفوح جبال خزاز من منسوب يجاوز (950مترًا)، ومعدلات الميول والانحدار في الأجزاء العليا من الحوض تقارب (10درجات)، وفي الأجزاء الدنيا تصل إلى (صفر - ٥درجة)، الأمر الذي يساعد على جريان سريع مع قلة في التسريب نظرا لطبيعة الصخر الغير منفذة ح (الشكل٢) الامر الذي يكون نهايتة تشكل فيضانات

فجائية، وهذا يدعم إشارات الدغيري ٢٠١٢ في أن الجنوب الملاصق للحوض شهد فيضان فجائي عارم لوادي الرمة قبل ما يقارب (٤٢٠٠) سنة خلال حقبة الهولوسين.

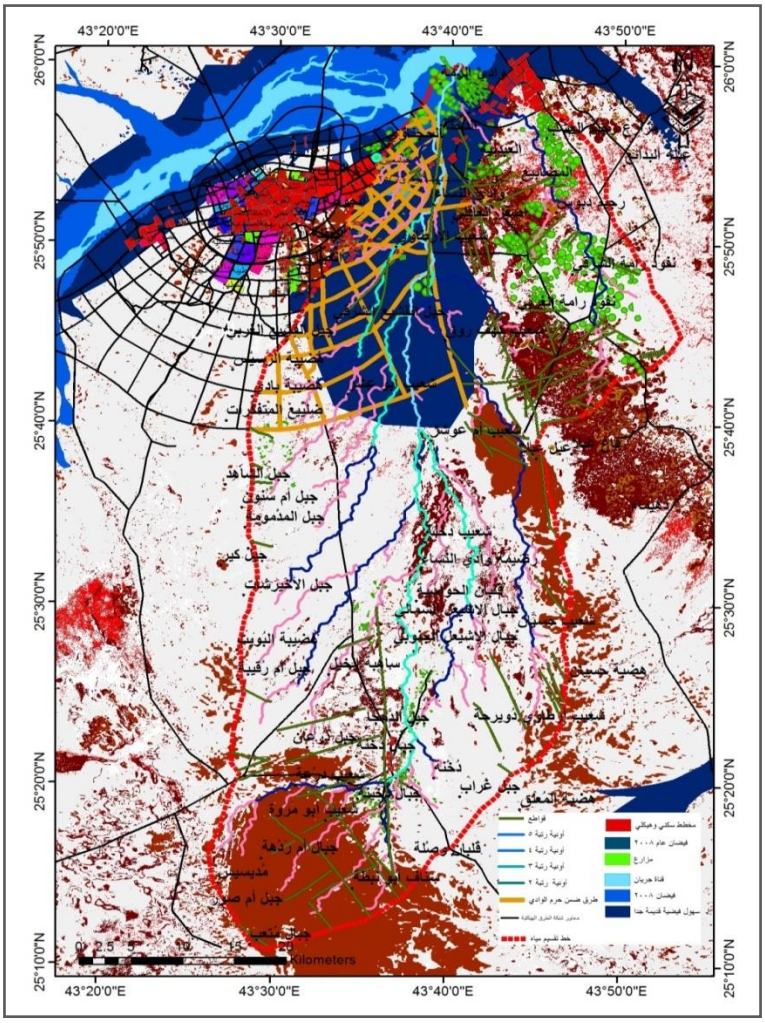

شكل رقم (٧). خارطة تفصيلية للشبكة الهيدرولوجية لوادي النساء، والمحلات العمرانية الحالية والمستقبلية المحيطة بالحوض، حيث يظهر المخطط المستقبلي الذي تعدى على مناطق خطرة من الشبكة النهرية ويكاد يتجاوز مجرى وادي الأرطاوي والنساء في الوسط.

إن التخوف من احتمالية عودة فيضان الاودية في حوض النساء هو ما يجعلنا نركِّز على مدى خطورة التوسع العمراني داخل الحوض، خاصة وأن التخطيط المستقبلي الهيكلي لتلك المحلات -كما هو موضح في (الشكل رقم: ٧) -لا يراعي مجاري الأودية والشعاب، وبالنظر للوقت المعاش نلمس أن تلك المشاهد اصبحت شبه سائدة وواقع ملاحظ في كثير من مناطق المملكة العربية السعودية، ويؤكد على هذا ما أشار إليه *(مصطفى. ٢٠١٣)* في وادي بيشه جنوب غرب المملكة، *و(مرزا وآخرون، ٢٠١٣)* بمكة المكرمة، و *(فضة ٢٠١٣)* في شمال الرياض، والذين أجمعوا في دراساتهم تلك أن التخطيط المستقبلي الهيكلي الجيد يجب أن يكون بعيدا عن مجاري الأودية والشعاب. عليه كان لثبت الشبكة الهيدرولوجية لوادي النساء خرائطياً وربطها بالنمو العمراني الحالي والمستقبلي اعتمادا على الأنموذج الراداري الرقمي *(SRTM)* إلى جانب العمل الميداني، أمر ملح أعطى نتائج دقيقة لكامل القنوات والمجاري الحالية والمطمورة الامر الذي معه ينبغي تدارك الأمر وعدم الانجراف وراى الاستثمار العقاري غير الموجه.

الخاتمة

تشير الرواسب في الاجزاء الدنيا والوسطي من السهول الفيضية لوادي الارطاوي ووادي النساء إلى سيادة ظروف بيئية أقرب إلى الرطوبة وغنية بغطاء نباتي كثيف عاصر الجريان القديم، كما تؤكد على عظم حجم الفيضان الذي زامن الجريان أنذاك، والتي من المؤكد أنها كانت تستمد مياهها من المنابع العليا مما يلي سفوح جبال خزاز، وذلك كاستجابة للتأثيرات التي كانت تغزو أواسط المملكة حسب دراسات الدغيري المجاورة لحوض وادي النساء. بدت آثار الجفاف واضحة في الأجزاء العليا من

المصاطب الفيضية، دعم ذلك قلة نسب السلت والطين وارتفاع نسب الكورتز ذي الاصل الريحي. وتؤكد خصائص المصاطب كذلك على انعدم وقلة في الكساء النباتي السائد آنذاك الذي إن وجد فهو لا يعدو أن يكون نباتًا متحور وشبيه بما مشاهد في الوقت المعاش.

على جانب أخر وفي زمننا المعاش قادت نتائج الدراسة إلى أن التخطيط الهيكلي المستقبلي لمحافظة الرس, وقراه لا يأخذ بالحسبان تأثيرات مجرى وحرم وادي النساء. إن التخطيط المستقبلي للرس يتجه ناحية الجنوب الغربي ليصل إلى (140كم) داخل الحوض، وبالنظر للمخططات الهيكلية نلاحظ أن أغلبها يتركز في الأجزاء الدنيا من الحوض، أي: بمناطق جريانات نشطة. كما أوضحت النتائج احتمالية تعرُّض حي المنتزة بكاملة وحي النسيم الواقع ج/ق الرس لغمر وفيضان حال زيادة معدلات التهطال وارتفاع معدل الجريان السيلي عن الوضع المعهود.

وتوصي الدراسة بمراعاة حرم وادي النساء، والتخطيط وفق طبيعية الظروف الطبوغرافية، وفرض نظام صارم يمنع التعدي على حرم وادي النساء، وإعادة تدقيق المخططات المستقبلية بناء على نتائج الدراسة الحالية والدراسات الجيومورفولوجية، كدراسة (*Al dughairi, 2011., الدغيري، 2013*)، التي أوصت بضرورة احترام طبيعة الأودية والقيام بتخطيط سليم بعيد عن مجاري الأودية. كما توصي الدراسة بضرورة إعادة تقييم وضع الأراضي الفلاحية شمال شرق وغرب الحوض واجلاء المتعدي على الوادي وتطبيق اللوائح والقوانين بحق من تعدي ويملك حجة استحكام.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

[١] الدغيري، أحمد عبدالله. ٢٠١٣: *أدلة فيضان وادي الطرفية رافد وادي الرمة بإقليم القصيم خلال الرباعي المتأخر أواسط المملكة العربية السعودية*، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، العدد: ٣٧٧.

[٢] الدغيري، أحمد عبد الله. ٢٠١٣ *أدلة فيضان وادي الرمة بإقليم القصيم خلال الهولوسين أواسط المملكة العربية السعودية*، مؤتمر الجغرافيا والتغيرات العالمية المعاصرة، جامعة طيبة، المدينة المنورة، العدد: ١، ص٣٣٠ -٣٦٥.

[٣] الوهيبي، آلاء عبد الله. الدغيري، أحمد عبد الله. ٢٠١٣: *الأدلة المبدئية لفيضان وادي النساء رافد وادي الرِّمَّة بإقليم القصيم*، مؤتمر -الجغرافيا والتغيرات العالمية المعاصرة – المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة.

[٤] حمدان، صبري محمد. أبو عمرة، صالح محمد. ٢٠١٠: *بعض الخصائص المورفومترية للجزء الأعلى من حوض الرميمين وسط غرب الأردن باستخدام الطرق التقليدية وبرمجيات نظم المعلومات الجغرافية*، مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد: ١٢، العدد: ٢، الصفحات ٦٢٠ -٩٥٩.

[٥] فضة، إياد حكم، ٢٠١٣: *تحديد المناطق المعرضة لخطر الفيضان في شمال الرياض باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد*، الجمعية الجغرافية العمومية، الخرج، العدد: ٢٩.

[٦] مرزا، معراج نواب. داود، جمعة محمد. الزهراني، رمزي أحمد. الغامدي، خالد عبد الرحمن. ٢٠١٣: *استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تقييم*

العلاقة بين النمو العمراني وزيادة مخاطر السيول في مدينة مكة المكرمة للفترة ١٤١٠-١٤٥٠هـ، الجمعية الجغرافية العمومية، الخرج، العدد: ٢٩.

[٧] مصطفى، سامية عبد العزيز. ٢٠١٣: *مخاطر الفيضانات المحتملة في حوض وادي بيشة جنوب غرب المملكة العربية السعودية*، الجمعية الجغرافية العمومية، الخرج، العدد: ٢٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية

[8] Al dughairi, A., 2011: *Late Quaternary Palaeoenvironmental Reconstruction in the Burydah area, Central Saudi Arabia*, PhD. thesis submitted to University of Leicester.UK.

[9] Al Juaidi, F., Millington, A. and McLaren, S., 2003: *Evaluating image fusion techniques for mapping geomorphological features on the eastern edge of the Arabian shield Central Saudi Arabia*. Geographical Journal, Vol.169, pp117-131.

[10] Clemens, S., Prell, W., Murray, D., Shimmiels, G., Weedon, G., 1991: *Forcing mechanisms of the Indian Ocean Monsoon*, Nature. pp353-720.

[11] Fleitmann, D., Matter, A., Pint, J., and Al Ahanti, M., 2004: *The Speleothem record of climate change in Saudi Arabia. Saudi Geological survey*. Riyadh.

[12] Fletmann, D., Burns, S., Mangini, A., Mudelsee, M., Kramers, J., Villa, L., Neff, H., Al Subbary, A., Buettner, A., Hippler, D. and Matter, A., 2007*: Holocene ITCZ and Indian monsoon dynamics recorded in stalagmites from Oman and Yemen (Socatra*). Quaternary Science Reviews, Vol.26, pp170-188.

[13] Garrard, A., Harvey, C., and Switzer, V., 1981*: Environment and settlement during the Upper Pleistocene and Holocene at Jubbah in the Great Nefud, Northern Arabia.* Riyadh, Atlal 5, pp.137-148.

[14] Glennie, K., and Singhvi, A., 2002*: Event stratigraphy, paleoenviroment and chronology of SE Arabian deserts*. Quaternary Science Reviews, Vol. 21, pp 853-869.

[15] McLaren, S., Al Juaidi, F., Millington, A. and Bateman, M., 2009: Evidence *for episodic humidity in the arid interior of central Saudi Arabia over the last 60 ka. Journal of Quaternary*, Vol 24, pp 198-207.

[16] Mohammad, Redha., 2008 *: Geographical Information System Based Analysis of Paleofluvial Systems in the Kuwait Region*. University of Pittsburgh. Oregon.

[17] Neff, U., Burns., J, Mangini, A., Mudelsee, M., Fleitmann, D., and Matter, : . 2001*: Strong coherence between solar variability and the monsoon in Oman between 9 and 6 kyr ago*. Nature 411, pp 290-293.

[18] Parker, A., Eckersleyl, L., Smith, M., Goudie, A., Stokes, S., Ward, S., White, K. and Hodson, J., 2004*: Holocene vegetation dynamics in the north-eastern Rub al-Khali desert, Arabian Peninsula: a phytolith, pollen and carbon isotope study*. John Wiley, Vol 19,pp 655-676.

[19] Whitney, JW., Faulkender, DJ., Rubin, M., 1983: *The environmental history and present condition of the northern sand sea of Saudi Arabia*. United States Geological Survey Open File Report, USGS-of-03-95, USGS: Reston, VA.

[20] Stuckless, J. S.; Futa, Kiyoto,1978: *Rb-Sr isotopic studies of postorogenic granites from the eastern Arabian Shield, Kingdom of Saudi Arabia*. Ministry for Mineral Resources, Saudi Arabia.

[21] Johnson, R , Zheng,Q*, Erway, L, 2000: A Major Gene Affecting Age-Related Hearing Loss Is Common to at Least Ten Inbred Strains of Mice*.PP70, 171–180. Academic Press

الملحقات التصويرية

صورة ١: إحدى المصاطب النهرية لوادي الأرطاوي، والتي يتراوح ارتفاعها من قاع الوادى ما بين المتر إلى المترين وتدعم سيل جارف ساد وقتما كان الجريان نشطاً

صورة رقم (٢). أحد شعاب حوض وادي النساء والذي يظهر فيها الودي يتخلل أحد الأحياء الجنوبية لمحافظة الرس.

صورة رقم (٣). آثار السيول فى وادي النساء على إحدى المزارع بالقرب من المصب حيث يلتقي الوادي بوادي الرمة.

The Geomorphic Analysis of Wadi An-Nisa's Basin Using the RS & GIS Techniques

Ahmed Al-Dughairi [2] and, Alaa Al-Wehaibi [1]
1 Associate Professor, Geography
2 Searcher, Geography Department Al Qassim University

Abstract. One of the several areas located in an arid zone is the environment in Al Qassim, the subject of flash flooding. At present, Rainstorm and watershed characteristics are the most influencing factors on urban areas, which are located directly on the Wadi Al-Rimah and its tributary Wadi An-Nisa. Most of its final characteristics Wadi took from the middle Holocene Ca 5ka, when the Wadi has extended and runs through this area without any impact. At present the flash floods are one of the most dangerous weather-related natural disasters in the Waid An-Nisa, and can create hazardous situations for people and cause extensive damage to property.

A spatial survey using Shuttle Radar Topography Mission and fieldwork investigating in many sites that are present in the Wadi An-Nisa showed moderate to middle runoff in the Wadi in semi-moist Environment with intensive vegetation cover. However, the main hydrologic network and their tributaries were active; it is likely drained and received its water from the upper catchment of Jabel Dekhnah. The incised North West channels of Wadi An-Nisa are experienced flash floods with major damage to people and property. Study showed that the urbanization areas occurred along the Wadi itself, and most of the expansion is in the downstream end close to the Wadi An-Nisa channel. The scheme administrator who plan area in basin did not made their plan as the Nature of Wadi's channels

Keywords: (SRTM) Shuttle Radar Topography Mission. Holocene . Al Rass. Wadi An-Nisa. Wadi Al-Rimah

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٢)، ص ص ٩٢١-٩٦٤، (ربيع ثاني ١٤٣٧هـ/ يناير ٢٠١٦)

دور الوسائط التكنولوجية المتعددة في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات دراسة وصفية مطبقة بكلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

د. فاطمة فؤاد محمد محمود
أستاذ خدمة الجماعة المساعد، كلية الخدمة الاجتماعية
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص البحث._تتحدد مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على: هل استخدام الوسائط التكنولوجية المتعددة في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات يسهم في تحقيق أهداف المقرر؟

وقد هدفت الدراسة إلى" التعرف علي طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات ، و دورها في تحقيق اهداف المقرر، وتحديد معوقات استخدامها في تدريس المقرر، والتوصل الى المقترحات التي تحقق اقصي إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها:

أتفاق أعضاء هيئة التدريس والطالبات حول الدور الذي تقوم به الوسائط التكنولوجية في تحقيق اهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات ومنه:

١- تمكن من فهم محتوي مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بطريقة مشوقة وجذابة.

٢- تؤهل وتعد الطالبات للحياة العملية.

وقد تمثلت أهم المعوقات في: وجود أعطال متكررة للوسائط التكنولوجية تعوق الاستفادة منها في تحقيق اهداف المقرر.

وتمثلت أهم المقترحات في: توافر خدمات الدعم الفني بصفة مستمرة بالقاعات الدراسية بما يحقق أقصى استفادة منها في تحقيق أهداف المقرر.

أولاً: مدخل الدراسة

يعيش العالم في الفترة الأخيرة ثورة علمية وتكنولوجية كبيرة، كان لها تأثيرٌ كبير على جميع جوانب الحياة، وأصبح التعليم مطالبا بالبحث عن أساليب ونماذج تعليمية جديدة لمواجهة العديد من التحديات على المستوى العالمي منها زيادة الطلب على التعليم مع نقص عدد المؤسسات التعليمية، وزيادة الكم المعلوماتي في جميع فروع المعرفة، والتعلم من خلال محتوى علمي مختلف عما يقدم في الكتب المدرسية، حيث يعتمد المحتوى الجديد على الوسائط المتعددة (نصوص، رسومات، صور، فيديو، صوت..) ويقدم من خلال وسائط الكترونية حديثة مثل الكمبيوتر، والانترنت، الأقمار الاصطناعية، الإذاعة، التلفزيون، الأقراص المغنطة، البريد الإلكتروني، مؤتمرات الفيديو (سالم:٢٠٠٤، ص٢٣٦).

وتؤكد الاتجاهات التربوية المعاصرة والحديثة على ضرورة مواكبة النظم التعليمية لمتطلبات العصر واحتياجاته، فضلاً عن متطلبات المستقبل المتوقع حدوثها، وتهتم أساليب التعلم الحديثة بإعداد الانسان من أجل التعايش مع هذا العالم، لذا فقد أصبحت هناك ضرورة لإدخال التغير المناسب علي مناهج وأساليب التعليم، لأن الأساليب التقليدية أصبحت لا تجدي في هذا العصر فأصبح من الحتمي أن يتحول التعليم من مجرد الحفظ والتلقين والتلقي السلبي من المتعلم إلى نوع مغاير تماماً ألا وهو " التعليم الإيجابي" حيث المشاركة الفعالة من جانب المتعلم من أجل تكامل العملية التعليمية من خلال أساليب تكنولوجيا التعليم السائدة.(عبد السميع، مصطفي: ٢٠٠٤، ص٣٧).

لذا تتسابق كثيرٌ من الأمم لإصلاح نظمها التربوية لكي تتمكن من مواجهة تحديات العصر وثورة تقنية المعلومات والاتصالات، ولم يعد توظيف الحاسب

والانترنت في عمليتي التعليم والتعلم ترفاً، بل ضرورة فرضتها التطورات التكنولوجية الهائلة التي طرأت في القرن الحادي والعشرين. (رمود، ربيع عبد العظيم: ٢٠١٢، ص١٥).

فينظر إلى إدخال التكنولوجيا في مجال التعليم كواحدة من الوسائل الهامة لمقابلة احتياجات الطلاب والجامعات والمجتمع ككل، لذلك يجب أن تحتضن الجامعات التقدم التكنولوجي الحديث والقادر على تحويل العملية التعليمية إلى البقاء في سوق التعليم العالمي (ALhomod, Mudasir 2003:p247).

ومما لا شك فيه أن ثورة تقنية المعلومات ووسائل الاتصال حولت عالم اليوم إلى قرية الكترونية تتلاشي فيها الحواجز الزمنية والمكانية، وهذا التغير يفرض على المؤسسات التربوية أن تقدم حلولاً للاستفادة من تلك التقنية وتوظيفها في العملية التعليمية، بما يتوافق مع أهدافها وأهداف المجتمع، وكذلك تقديم المبادرة للاستفادة من التقنية في رفع جودة مخرجات العملية التعليمية للتوافق مع متطلبات سوق العمل. (رمود، ربيع عبد العظيم: ٢٠١٢، ص١٥).

وقد أوضح "توماس"Thomas C. Reeves"١٩٩٨ أن هناك اتجاهين رأسيين لاستخدام الوسائط التكنولوجية في المدارس:

الأول: يستطيع التلاميذ التعلم من الوسائط التكنولوجية.

الثاني: يستطيع التلاميذ التعلم مع الوسائط التكنولوجية.

فالتعلم من الوسائط التكنولوجية مثل التليفزيون التعليمي أو التعلم القائم على الكمبيوتر أو نظم التعلم المتكاملة، أما التعلم مع الوسائط التكنولوجية فيشير إلى مصطلحات مثل بيئة التعلم التنموية، لذلك فأدخلت الوسائط التكنولوجية في المدارس لأنه يعتقد أن لها آثاراً إيجابية على التعليم والتعلم.

وفي هذا المجال أجرى (يسري السيد: ١٩٩٩م) دراسة للتعرف على اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو توظيف التجهيزات التكنولوجية وعلاقة ذلك بدرجة استخدامهم لها ومدى استفادة طلبة الشعب العلمية بكليات التربية في جنوب الوادي من تلك التجهيزات، وتحقيقا لذلك أعد الباحث مقياسا للاتجاهات وكذلك استبانة حول مدى توظيف أعضاء هيئة التدريس للتجهيزات التكنولوجية في التدريس ومدى استفادة الطلبة من ذلك، وبعد تطبيق الباحث لأدوات الدراسة على عينة البحث توصل للنتائج التالية:

-ارتفاع إيجابية اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو توظيف التجهيزات التكنولوجية.

-لا توجد علاقة بين اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو توظيف التجهيزات التكنولوجية ودرجة استخدامهم لها.

ومن ثم فقد أصبحت الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم ركناً أساسياً من أركان العملية التعليمية وجزءاً لا يتجزأ من النظام التعليمي الشامل، مما دفع المؤسسات التعليمية إلى الأخذ بتكنولوجيا التعليم والاتصال لتحقيق أهدافها ومواجهة التحديات التي يواجهها العالم اليوم نتيجة للتغير السريع الذي طرأ على ثورة المعلومات والاتصالات، لذا أصبح استخدام الوسائل التعليمية ضرورة من ضروريات التدريس التي يمكن الاستفادة منها في تهيئة الخبرة المتنوعة لدى الطلبة ليتم إعدادهم بدرجة عالية من الكفاءة تؤهلهم لمواجهة تحديات العصر الحديثة (نصر: حسن، ٢٠٠٩ ص ٤٧).

فتكنولوجيا المعلومات تلعب دورا كبيرا في إمداد المعلم بمواد تعليمية وأدوات وأجهزة تيسر عملية التعليم وتزيد من فاعلية عمليات التعلم عند المتعلمين، وقد

تكون تلك المواد سمعية مثل التسجيلات الصوتية وأجهزة عرضها سواء أكانت من خلال الاسطوانات أو أشرطة التسجيل، أو بصرية كالشرائح الشفافة والمعتمة والأفلام الثابتة التي تجمع بين الصوت والصورة مثل الأفلام التعليمية المتحركة والناطقة وبرمجيات الكمبيوتر وغيرها، وقد دخلت المواد التعليمية والأدوات والأجهزة إلى نظام التعليم تحت مسميات عديدة مثل المعينات التعليمية أو الوسائل التعليمية أو الوسائط التعليمية (نصر، حسن أحمد: ٢٠١٣، ص٢١).

فقد هدفت دراسة (فاطمة ابراهيم علي الغدير: ٢٠٠٩) إلى معرفة درجة توافر مستحدثات تكنولوجيا التعليم في مدارس المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، ومعرفة درجة استخدام معلمات الرياضيات لهذه المستحدثات في التدريس بمدارس المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، ومعرفة معوقات استخدامها بتلك المدارس، بالإضافة إلى معرفة درجة توافر مهارات استخدام مستحدثات تكنولوجيا التعليم في التدريس لدي معلمات الرياضيات بالمدراس قيد البحث، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي وتكونت عينتها من ١٠٠ معلمة واعتمدت على الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة توافر مستجدات التقنية في المدارس الثانوية للبنات كانت منخفضة بشكل عام، وكذلك أوضحت نتائج الدراسة أن هناك معوقات تحول دون استخدام مستحدثات تكنولوجيا التعليم في التدريس، بالإضافة إلى انخفاض مهارات المعلمات في استخدام مستحدثات تكنولوجيا التعليم.

وتزداد أهمية توظيف الوسائط المتعددة يوماً بعد يوم لتحسين استراتيجيات التعليم والتعلم وإثراء بيئة التعلم. وأدى تزايد التكنولوجيا في التدريس بالمؤسسات التعليمية إلى تحقيق أمرين هما: (نصر، حسن: ٢٠٠٩، ص ١٧)

الأول: تغير دور المعلم من انشغاله بالشرح والتلقين وأداء أعمال روتينية إلى زيادة الاهتمام بعمليات التعلم التي تتطلب التفاعل المباشر مع التلميذ ومساعدته على اكتساب خبرات تسمح له بالنمو وفق ميوله وتوفير المواد التعليمية (Instructional Material (التي تحقق ذلك.

والثاني: الاهتمام بتصميم بيئة التعليم والتعلم (Designing Teaching and Learning Environment) بما فيها من مدخلات تسمح بإعطاء المتعلم الفرصة لاكتساب المفاهيم ومهارات البحث واتخاذ القرارات الضرورية لمتابعة التعلم.

وأوضحت دراسة "اديموند "(Edmund, Rob and others: 2012) اتجاهات الطلاب نحو تزايد استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات (ICT) في التعليم العالي، وعلاقته بتنمية خبرات الطلاب في الدراسة والحياة الجامعية وذلك لتنمية خبراتهم ما بعد الجامعة، فقد اتضح من نتائج دراسته فائدة وسهولة استخدام التكنولوجية، وأن استخدام التكنولوجية في العمل هو دافعٌ مهمٌ لاستخدامها في مجالات آخري.

كما تناول كالاواي ١٩٧٧" Callaway": في دراسته أثر استخدام برنامج محوسب متعدد الوسائط في بنائه على خصائص الطلاب المعرفية والأنماط التي أهملت في الطريقة التقليدية، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فرق ذي دلالة احصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية والمجموعة التقليدية لصالح المجموعة التجريبية التي درست بنظام الوسائط المتعددة.

كذلك وأوضحت دراسة عبد الله سيد (Abdullah, Sayed,2007) فوائد استخدام شبكة الانترنت في مجال التعليم بشكل عام وكيف يمكن أن يساعد المعلمين، ويحسن من الأداء الأكاديمي لدى الطلاب، وتطوير مهاراتهم الأكاديمية وبشكل خاص تطوير مهارات اللغة الانجليزية، حيث هدف البحث إلى معرفة فوائد استخدام الانترنت (مع

العديد من المرافق التي يوفرها) في تطوير المهارات اللغوية للطلاب، وبشكل خاص خاصة المهارة في القراءة.

واستهدفت دراسة (لال، زكريا: ٢٠٠٢) استقصاء فعالية الوسائط المتعددة في التحصيل الدراسي وتنمية مهارات إنتاج الشرائح المتزامنة صوتيًّا لدى طلاب كلية التربية جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، وتحديد فعالية برنامج تكنولوجي متعدد الوسائط في التحصيل الدراسي، حيث تم استخدام اختبار تحصيلي في المحتوى التعليمي ، و إعداد بطاقة ملاحظة لتقييم أداء الطلاب في مهارات تصميم و إنتاج الشرائح، مع برنامج معد على قرص مدمج، CD-ROM لتقييم المحتوى، وتم تحديد عينة الدراسة من مجموعتين: ضابطة قوامها (٢٥ طالبا)، وتجريبية قوامها (٢٥ طالبا)، ثم قام الباحث بتطبيق الدراسة على عينة البحث، وقد كشفت نتائج الدراسة عن عدم وجود فرق دال بين تحصيل المجموعتين التجريبية والضابطة قبل البدء في تطبيق البرنامج مما يؤكد تجانس المجموعتين وتكافأهما في المحتوى التعليمي، كذلك كشفت الدراسة عن وجود فرق دال إحصائيًّا بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية التي تم تدريسها باستخدام البرنامج التكنولوجي، واختتمت الدراسة بإبراز أهم التوصيات والمقترحات التي يمكن من خلالها تحقيق الفائدة المرجوة.

فهناك استخدامات متنوعة للوسائط التكنولوجية في التعليم، حيث أن استخدامها يؤثر إيجابياً على البيئة الدراسية والمجتمع، فيزيد من تحقيق أهداف المؤسسات التعليمية لتصبح ناجحة في مجتمع اليوم، والطلاب كذلك بحاجة إلى قاعدة صلبة من المهارات التكنولوجية، فاليوم يتم استخدام الوسائط التكنولوجية في التعليم لإدخال موضوعات، تعزيز المهارات، التعاون، العرض، والتواصل، وأغراض إدارية، تسجيل الدرجات، المنشورات والطباعة ولكي تكون

الوسائط التكنولوجية أكثر فعالية ينبغي إدماجها بشكل صحيح في المحتوى التعليمي، كذلك ينبغي أن يكون للمعلمين موقفٌ إيجابي نحو استخدامها والتنمية المهنية المناسبة فالوسائط التكنولوجية هي إضافة ممتازة لنظامنا التعليمي عند استخدامها بشكل صحيح (Kasi Roden:2011, p.2).

ولقد اهتمت مهنة الخدمة الاجتماعية شأنها شأن المهن الأخرى، بإدخال وتوظيف التقنيات المعلوماتية فى إعداد الممارسين وتعليم الخدمة الاجتماعية، حيث تسعى إلى مواكبة التطورات في مجال إعداد وتدريب الطلاب.

فنظراً للتغيرات التي تواجه البلدان النامية حالياً،يظهر معلمو الخدمة الاجتماعية لتطوير المناهج من أجل مساعدة المجتمعات للتعامل مع موجات جديدة من المشاكل الاجتماعية (Soliman.Hussein &Sayed. Hesham:2010)

فقد أوضحت دراسة "موفات 1996:Moffatt, Kenneth James :" تأثير التكنولوجيا على مجال الخدمة الاجتماعية، حيث ساهمت هذه الدراسة في تفكيك الافتراضية القائلة بأنه ليست هناك علاقة بين التكنولوجية والخدمة الاجتماعية، وتشير الدراسة إلى أن هناك نقصاً في الإجماع على أنه من الممكن حدوث تغيير على الخدمة الاجتماعية من علم يقوم على قيمة الاهتمام بالإنسانية إلى علم تجريبي يقوم على فهم التكنولوجيا والعلوم، ويشير البحث إلى أن التطور التكنولوجي يؤثر على العلاقات الإنسانية، لذلك لابد أن يعرف الاخصائيون الاجتماعيون الوسائط التكنولوجية المتعدة وطرق استخدامها وأن توضع هذه الوسائط في الأساس المعرفي للخدمة الاجتماعية.

كذلك أثبتت دراسة "Bonner, Aisha Ain:2012" أن استخدام الوسائط التكنولوجية مهم جدا للأخصائي الاجتماعي، بالإضافة إلى إدراكه أن استخدام الوسائط التكنولوجية سوف يحسن من أدائه الوظيفي، ويحسن من أدائه المتوقع أيضاً.

ويرى Sapey (١٩٩٧) أن مستقبل ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية يرتبط بقدرة الممارسين في المهنة على استخدام التقنيات المعلوماتية بصورة جيدة لاتخاذ القرارات الفاعلة للارتفاع وتطوير الممارسة المهنية وتقديم الخدمات الاجتماعية على أسس علمية تتناسب مع رؤية واقعية لما سيؤول إليه المستقبل في ممارسة المهنة في ضوء الحقبة التكنولوجية التي نعيشها.

حيث يرى (بركات: وجدي، ٢٠٠٣، ٥٤: ٥٥) أن استخدام التقنيات المعلوماتية فى تعليم مهنة الخدمة الاجتماعية سوف ينمى السمات والمهارات التي يجب أن تتوافر فى الطلاب الدارسين للمهنة، وينمى من مقدرتهم على أداء مسؤولياتهم المهنية فى المستقبل، وأهم هذه السمات ما يلى: -

١ - تنمية الروح العلمية للطالب والتي تظهر فى اتجاهه إلى استخدام الوسائط المعلوماتية للحصول على المعرفة الخاصة بالمهنة.

٢ - البراعة فى معرفة ودراسة المشاكل والقضايا المعاصرة من خلال التعامل مع الكم الهائل من البيانات والمعلومات المتوفرة فى التقنيات المعلوماتية.

٣ - تنمية قدرات الطالب وتزويده بالطرق الجديدة التي تمكنه من إدراك المجتمع من حوله ومن ثم تنمو لديه طرق جديدة للتفكير من خلال تعامله مع التقنيات المعلوماتية.

٤ - تنمية قدرات الطلاب للتعامل مع المستقبل دون تصوره مشروعاً مستحيلاً فى إطار التعرف النشط على تجارب الممارسة الناجحة للمهنة سواء على المستوى

المحلى أو القومي أوالعالمي، مما ينمى القدرات الابتكارية للطالب حول أساليب ممارسة المهنة، وزيادة ثقة الطالب فيما يمكن أن تحققه المهنة من إنجازات مجتمعية. وذلك من خلال ما توفره الشبكات المعلوماتية فى هذا الإطار.

٥ - تنمية قدرات الطلاب على استخدام الأساليب الإحصائية المتطورة للتعامل مع البيانات والمعلومات التي تتطلبها طبيعة ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية مع وحدات العمل بها (أفراد – جماعات – منظمات – مجتمعات)، وكذلك تدريبهم على استخدام البرامج الخاصة بالحاسب الآلي فى ذلك.

٦ - إيجاد اتصال دائم بين طلاب الدارسين للمهنة والهيئة الأكاديمية والتعليمية من خلال ما توفره الوسائط المعلوماتية (شبكة الانترنت – البريد الالكتروني...)، لأخذ التوجيه العلمي والمشورة المهنية فى أي وقت، سواء ما يتعلق بالجانب النظري أو الميداني في إعداد الطلاب، وهذه الفكرة التي يقوم عليها نظام التعليم عن بعد فى بعض التخصصات.

٧ - المعلوماتية بتقنياتها المتطورة يمكن أن تسهم بشكل فعال فى التعليم المستمر للخدمة الاجتماعية، فمن المعروف أن تنمية التعليم، والتعلم أصبحت تعتمد اعتماداً كبيراً على الاستخدام والتوظيف الجيد للمعلومات بتكنولوجياتها المعاصرة وأدوات الاتصال التي أتاحها عصر المعلوماتية، مما انعكس على البرامج التعليمية، وعلى التعليم عن بعد وظهور ما يسمى بالتعليم المستمر..، ويعتبر التعليم المستمر فى بعض المهن والتخصصات هو استجابة واعية لتلبية المتغيرات والمستجدات العصرية فى عالم المعلوماتية، وهو نموذج جديد ومساند للتعليم الأكاديمي العام ويفتح المجال للفرد للحصول على ما يطلبه من معارف ومعلومات وفقاً لاتجاهاته وميوله. وبالتالي فهو تعليم مستمر مدى الحياة.

وفي ضوء مدخل الدراسة، وفي ضوء الدراسات السابقة التي تم عرضها والتي ركزت على أهمية استخدام الوسائط التكنولوجية المتعددة في المجال التعليمي ومدى فعالية هذا الاستخدام، وإيماناً بأهمية مواكبة مهنة الخدمة الاجتماعية لمستحدثات العصر بما يحقق أهدافها ويساعدها في الحصول على مزيد من الاعتراف المجتمعي الذي يبرز ويوضح أهمية دورها في المجتمع، **تتحدد مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على:هل استخدام الوسائط التكنولوجية المتعددة في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات يسهم في تحقيق أهداف المقرر؟**

ثالثاً: أهمية الدراسة

تنبثق أهمية البحث من أهمية الظاهرة التي يبحث فيها، وهو دور الوسائط التكنولوجية المتعددة في التدريس الجامعي بصفة عامة، وفي تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بصفة خاصة، وما يحققه استخدام هذه الوسائط من أهداف لهذا المقرر.

رابعاً: أهداف الدراسة

١ -التعرف على طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٢ - التعرف على دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٣ - التعرف على معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٤ - التعرف على المقترحات التي تفعل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصي إفادة لأهداف مقرر
ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

خامساً: تساؤلات الدراسة:

١ - ما طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات ؟

٢ - ما دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات ؟

٣ - ما معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات ؟

٤ - ما المقترحات التي تفعل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصي إفادة لأهداف مقرر
ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات ؟

سادساً: مفاهيم الدراسة

مفهوم الوسائط المتعددة:

وتشير إلى كل وسيط يحمل معلومات. Media وتعني التعددية، Multi يتكون المصطلح من شقين.

وتعرف الوسائط المتعددة على أنها منظومة تعليمية تتكون من مجموعة من المواد التي تتكامل مع بعضها وتتفاعل تفاعلاً وظيفياً في برنامج تعليمي لتحقيق أهدافه. وتنظم هذه الوسائط في ترتيب متتابع محكم يسمح لكل طالب أن يسير في البرنامج

التعليمي وفق إمكاناته الخاصة، بشكل نشط وإيجابي وأن يختار ما يناسبه من مواد تعليمية، يمكن استخدامها في زمن معين ومكان محدد، إذن فالوسائط المتعددة ليست مجرد مجموعة من المواد التعليمية التي يمكن أن يستخدمها المدرس لمساعدته في الشرح أو إضافة لما يقدمه في الدرس، بل هي نظام متكامل يحمل رؤى تربوية جديدة تمتد إلى كل من المعلم والمتعلم، فتعمل على تغيير النماذج التقليدية في أدوارهم وتلغي مصطلح ملقن ومستمع وتحمل المتعلم مسؤولية تعلمه كاملة، كما توسع دور المدرس إلى مصمم ومشرف وموجه تربوي (رمود، ربيع: ٢٠١٢، ص١٠٢).

ولقد عرفت الوسائط المتعددة في مجال تكنولوجيا التعليم منذ الستينات باعتبار أنها استخدام أكثر من وسيلة تعليمية في الموقف التعليمي الواحد يدخل في نطاق الوسائط المتعددة، ومع ظهور التليفزيون التعليمي الذي يعرض أكثر من وسيلة واحدة (صوت وصورة وحركة ونص مكتوب) استخدم أيضاً مصطلح الوسائط المتعددة، ولكنه في الوقت الحالي ومع استخدام الكمبيوتر فإن المصطلح عاد للظهور أكثر وضوحاً وأيضاً أكثر اختلافاً عن الاستعمالات السابقة والتي حصرته في أنه استخدام لأكثر من وسيلة تعليمية استخداماً متكاملاً(الفرجاني، عبد العظيم: ١٩٩٨، ص٢١) .

المفهوم الاجرائي للوسائط المتعددة في إطار هذه الدراسة

١ - هي الوسائل التكنولوجية التي يستخدمها عضو هيئة التدريس بطريقة متكاملة.

٢ - لتحقيق أهداف تعليمية خاصة بمقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٣ - تتضمن (الانترنت، والحاسوب، والبريد الإلكتروني، وجهاز عرض البيانات، ومؤتمرات الفيديو، والهاتف النقال.....إلخ).

سابعاً: الإجراءات المنهجية للدراسة

١- نوع الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على نمط البحوث الوصفية التحليلية التي تهتم بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف وهي أكثر أنواع الدراسات العلمية ملائمة لموضوع الدراسة، حيث تسعي الدراسة إلى التعرف دور الوسائط التكنولوجية المتعددة في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٢- المنهج المستخدم:

تعتمد الدراسة الحالية على منهج المسح الاجتماعي الشامل لكل من:

- أعضاء هيئة التدريس بقسم خدمة الجماعة (كلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن).

- الطالبات اللاتي يدرسن مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٣- أدوات الدراسة:

تم الاعتماد على أداتين رئيسيتين هما:

أ) استمارة استبيان لأعضاء هيئة التدريس بقسم خدمة الجماعة.

ب) استمارة استبيان للطالبات اللاتي يدرسن المقرر موضع البحث.

وتم اتباع الخطوات التالية في تصميم الاستمارتين:

١ -تحديد الإطار النظري للدراسة.

٢ -الاطلاع على الدراسات والبحوث ذات الصلة بالموضوع.

٣ -تحديد المؤشرات والمحاور الأساسية للاستمارة على النحو التالي:

• المحور الأول: البيانات الأولية.

• المحور الثاني: طبيعية استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

• المحور الثالث: دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

• المحور الرابع: معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

• المحور الخامس: المقترحات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

٤ -صياغة العبارات وفق كل مؤشر من المؤشرات السابقة.

٥ -عرض الاستمارات على عدد "٤" محكمين من أساتذة الخدمة الاجتماعية بكلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان،

وكلية الخدمة الاجتماعية جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، بهدف إيجاد اتفاق حول الصياغة وارتباط الأسئلة بالمتغيرات المراد جمعها ولقد تم تعديل الصياغات وإضافة وحذف العبارات التي تقل نسبة الاتفاق عليها عن ٨٠٪ فأكثر.

٦ - ثم حساب معامل الثبات والتطبيق على عدد 10 من أعضاء هيئة التدريس في قسم خدمة الجماعة بكلية الخدمة الاجتماعية جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وعدد ١٠ طالبات من العدد الأصلي لمجتمع البحث.

ثبات الاستمارة

تم التحقق من ثبات الاستمارة باستخدام طريقة التجزئة النصفية على النحو التالي :

١ -الخطوات :

أ) تفريغ البيانات (أعداد القيم الفردية ، القيم الزوجية).

جدول رقم (١). ثبات الاستمارة باستخدام طريقة التجزئة النصفية.

ف٢	ف	ت	زوجي	ت	فردي	الاستمارة
1	1	٩	٤٩	٨	٤٨	١
2.25	1.5-	١	٥٥	2.5	٥٩	٢
2.25	1.5-	٤	٥٥	2.5	٥٥	٣
2.25	1.5	٧	٥١	5.5	٥٤	٤
2.25	1.5-	٤	٥١	5.5	٥٥	٥
36	6-	٤	٤٧	10	٥٥	٦
2.25	1.5	٤	٥٥	2.5	٥٥	٧
1	1	٩	٤٩	8	٤٨	٨
2.25	1.5	٤	٥٥	2.5	٥٥	٩
1	1	٩	٤٩	1	٤٨	١٠

ب) تطبيق معادلة ارتباط سبيرمان $\sqrt{\text{١} - \frac{٦ \text{مج ف}^٢}{\text{ن}(\text{ن}^٢ - ١)}}$

$$= \sqrt{١ - \frac{٦(٥٢,٥)}{10\ (٩٩)}}$$

$$= \sqrt{١ - \frac{٣١٥}{٩٩٠}}$$

$$= ١ - ٠,٣٢ \simeq ٠,٧٠$$

تدل النتيجة السابقة على ثبات الاستمارة ومن ثم قابليتها للتطبيق.

٤- مجالات الدراسة:

- **المجال المكاني:**

كلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

- **المجال البشري:**

-أعضاء هيئة التدريس بقسم خدمة الجماعة كلية الخدمة الاجتماعية.

-الطالبات المسجلات لمقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

- **المجال الزمني:**

فترة إجراء الدراسة الميدانية و جمع البيانات.

ثامناً: عرض جداول الدراسة وتحليلها

جدول رقم (٢). الحالة الاجتماعية للطالبات:ن=٩٢.

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة %
آنسة	٨٠	%٨٦,٩
متزوجة	١٠	%١٠,٩
مطلقة	٢	%٢,٢
أرملة	٠	%٠

تشير نتائج الجدول رقم (٢) إلى أن نسبة ٨٦,٩٪ من الطالبات عينة البحث آنسات وتعكس هذه النتيجة اهتمام المملكة العربية السعودية بتعليم الفتيات، وكذلك أن الطالبات عينة الدراسة تتراوح أعمارهن ما بين التاسعة عشرة والعشرين عاماً.

جدول رقم (٣). استخدام الوسائط التكنولوجية في المواد الدراسية.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
نعم	٧٠	%٧٦,١
لا	٢٢	%٢٣,٩

يتضح من نتائج جدول رقم (٣) إلى أن نسبة ٧٦,١٪ من الطالبات عينة الدراسة أجابوا بنعم يتم استخدام الوسائط التكنولوجيا في تدريس كل المواد الدراسية، حيث التوجه العام في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن إلى استخدام أحدث الوسائط التكنولوجية في التدريس بما يفيد في تطوير العملية التعليمية.

جدول رقم (٤). حصول العينة على دورات تدريبية في مجال الوسائط التكنولوجية.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
نعم	٧	%٧,٦
لا	٨٥	%٩٢,٤

يتضح من نتائج جدول رقم (٤)أن نسبة ٩٢,٤٪ من الطالبات عينة الدراسة لم تحصل على دورات تدريبية في مجال الوسائط التكنولوجية، وتتعارض هذه النتيجة مع نتائج جدول رقم (٣) والتي توضح استخدام الوسائط التكنولوجية في كل المواد الدراسية مما يعطي مؤشراً لأهمية توجيه الاهتمام نحو هذا النوع من الدورات التدريبية، لكي يتم التدريب الكافي للطالبات لاستخدام هذه الأجهزة والوسائط التكنولوجية الحديثة.

جدول رقم (٥). عدد الدورات التدريبية التي حصلن عليها الطالبات في مجال الوسائط التكنولوجية.

عدد الدورات	التكرار	النسبة %
دورة واحدة	٧	%٧,٦
دورتين	٠	%٠
ثلاث دورات	٠	%٠
أربع دورات فأكثر	٠	%٠

تتسق نتائج جدول رقم (٥) مع نتائج جدول رقم (٤) أن عدداً قليلاً جداً من الطالبات حصلن على دورة تدريبية واحدة في مجال الوسائط التكنولوجية، ومن هذه النتيجة تبرز ضرورة الاهتمام بإعطاء الطالبات دورات تدريبية في مجال الوسائط التكنولوجية حتى يتنسى لهن التعامل الصحيح مع هذه الوسائط.

جدول رقم (٦). رأي الطالبات في تحقيق الوسائط التكنولوجية لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
تحقق أهداف المقرر بدرجة كبيرة	٥٥	%٥٩,٨
تحقق أهداف المقرر بدرجة متوسطة	٣٧	%٤٠,٢
تحقق أهداف المقرر بدرجة ضعيفة	٠	%٠
لا تحقق أية أهداف	٠	%٠

يتضح من نتائج الجدول رقم (٦) أن نسبة ٥٩,٨٪ من الطالبات عينة الدراسة يرين أن الوسائط التكنولوجية تحقق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بدرجة كبيرة، ونسبة ٤٠,٢٪ يرين أن الوسائط التكنولوجية تحقق الأهداف

بدرجة متوسطة، وهذا يوضح أهمية استخدام الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

جدول رقم (٧). طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

م	طبيعية استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	الى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	يتم الاعتماد عليها في الاتفاق على الخطة التدريسية للمقرر	52	٤٠	-	2.6	3
٢	تستخدم في الحصول علي معلومات خاصة بالمنهج	٨6	24	-	2.7	2
٣	تستخدم في تصميم المنهج	٢6	27	٣	2.6	3
٤	يتم من خلالها عرض وتقديم المعلومات الخاصة بالمنهج	٧7	14	١	2.8	1
٥	تستخدم في إرسال واستقبال وعرض الواجبات من الطالبات	٤6	20	٨	2.6	3
٦	يعتمد عليها في التواصل بين الطالبات	٨6	٠2	٤	2.7	2
٧	تستخدم في الاتصال بين الطالبات وأساتذة المقرر	٨6	19	٥	2.7	2
٨	يتم من خلالها إرسال تعليمات خاصة بالمنهج للطالبات	٢6	24	٦	2.6	3
٩	يتم الاعتماد عليها في تقييم المقرر	٩3	42	١١	2.3	5
١٠	يتم الاعتماد عليها في تسجيل وإعلام الطالبات بالتغذية الراجعة للمقرر	٥4	36	١١	2.4	4

يتضح من تحليل بيانات الجدول رقم (٧) طبيعية استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر الطالبات حيث جاءت على النحو التالي:

- يتم من خلالها عرض وتقديم المعلومات الخاصة بالمنهج، حيث جاءت هذه العبارة في الترتيب الأول بوزن مرجح ٢,٨، حيث يقوم عضو هيئة التدريس

المسؤول عن تدريس المقرر بإرسال الخطة التدريسية الخاصة بالمقرر للطالبات من خلال موقع الجامعة.

- بينما احتلت استجابات تستخدم في الحصول على معلومات خاصة بالمنهج، ويعتمد عليها في التواصل بين الطالبات، وتستخدم في الاتصال بين الطالبات وأساتذة المقرر المرتبة الثانية بوزن مرجح ٢,٧. وهذه النتيجة تختلف مع دراسة " **قسيم محمد الشناق ٢٠٠٦**" حيث أثبتت دراسته أن أقل استخدام للانترنت في المجال التعليمي هو الحصول على معلومات خاصة متعلقة بمناهج العلوم، حيث بلغ المتوسط الحسابي (٢,٠١)، ويصنف على أنه استخدام ضعيف.

- أما المرتبة الثالثة فقد كانت لاستجابة يتم الاعتماد عليها في الاتفاق على الخطة التدريسية للمقرر، و تستخدم في تصميم المنهج، و تستخدم في إرسال واستقبال وعرض الواجبات من الطالبات، ويتم من خلالها إرسال تعليمات خاصة بالمنهج للطالبات بوزن مرجح ٢,٦ ،وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة " **قسيم محمد الشناق ٢٠٠٦**" أن أكثر استخدامات معلمي العلوم للبريد الالكتروني كان في تصحيح الواجبات المنزلية وإرسالها إلى الطلبة، حيث بلغ المتوسط (٤,٠٤)، ويصنف على أنه استخدام عالٍ.

- وجاء في المرتبة الرابعة يتم الاعتماد عليها في تسجيل وإعلام الطالبات بالتغذية الراجعة للمقرر بوزن مرجح ٢,٤.

- أما مايتم الاعتماد عليها في تقييم المقرر فقد جاء في المرتبة الخامسة والأخيرة بوزن مرجح ٢,٣.

جدول رقم (٨). دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	إلى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
تساهم في إكساب الطالبات المعارف الأساسية لتقدير وتخطيط التدخل المهني مع الجماعات الصغيرة	65	٥2	٢	2.7	2
تتيح فرصة للطالبات لاكتساب المهارات المختلفة في استخدام التكنولوجيا (مهارات الحاسب الآلي)	٤6	27	١	2.7	2
تمكن الطالبات من التعامل مع الأنواع المختلفة من الجماعات	٦٠	31	١	2.5	4
تؤهل وتعد الطالبات للحياة العملية	٧6	24	١	2.7	2
تساعد في تدريب الطالبات على القيادة وتحمل المسؤولية	٣٠	21	١	1.4	5
تمكن الطالبات من إقامة علاقات اجتماعية سليمة	٨5	32	٢	2.6	3
تساهم في إكساب الطالبات المهارات المهنية اللازمة لأخصائية العمل مع الجماعات	٧6	25	-	2.7	2
تكسب الطالبات الخبرات الجماعية المباشرة	٥5	35	٢	2.6	3
تساعد في تدريب الطالبات على المواقف المهنية لطريقة العمل مع الجماعات	٦٠	27	٥	2.6	3
تمكن من فهم محتوى مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بطريقة مشوقة وجذابة	٢7	18	٢	2.8	1
تحقق تنمية الشخصية المهنية والنضج اللازمين للعمل مع الجماعات	١6	30	١	2.6	3

يتضح من تحليل بيانات الجدول رقم (٨) أن دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة الطالبات جاء وفقاً للترتيب التالي:

المرتبة الأولى: تمكن من فهم محتوى مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بطريقة مشوقة وجذابة بوزن مرجح ٢,٨.

المرتبة الثانية: تساهم في إكساب الطالبات المعارف الأساسية لتقدير وتخطيط التدخل المهني مع الجماعات الصغيرة، تتيح فرصة للطالبات لاكتساب المهارات المختلفة في استخدام التكنولوجيا (مهارات الحاسب الالي)، تؤهل وتعد الطالبات للحياة العملية، تساهم في إكساب الطالبات المهارات المهنية اللازمة لأخصائية العمل مع الجماعات بوزن مرجح ٢,٧.

المرتبة الثالثة: تمكن الطالبات من إقامة علاقات اجتماعية سليمة، تكسب الطالبات الخبرات الجماعية المباشرة، تساعد في تدريب الطالبات على المواقف المهنية لطريقة العمل مع الجماعات، تحقق تنمية الشخصية المهنية و النضج اللازمين للعمل مع الجماعات بوزن مرجح ٢,٦.

المرتبة الرابعة: تمكن الطالبات من التعامل مع الأنواع المختلفة من الجماعات بوزن مرجح ٢,٥.

المرتبة الخامسة: تساعد في تدريب الطالبات على القيادة وتحمل المسؤولية بوزن مرجح١,٤.

وتدل النتيجة السابقة على شمولية الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف المقرر والذي أشارت إليه النتائج في دور هذه الوسائط من تمكين الطالبات من فهم المقرر.

جدول رقم (٩). معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

م	معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	الى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	الأعطال المتكررة للوسائط التكنولوجية تعوق الاستفادة منها في تحقيق أهداف المقرر	٦٥	٢١	٦	2.6	1
٢	قلة الدورات التدريبية التي تؤهل أعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية	٤٧	٣٦	٩	2.4	3
٣	عدم الاهتمام بتطوير مهارات الطالبات في استخدام الوسائط التكنولوجية	٥٠	٣١	١١	2.4	3
٤	خدمات الدعم الفني غير كافية لتحقيق أقصى استفادة من الوسائط التكنولوجية.	٤٩	٣٥	٨	2.5	2
٥	عدم قناعة أساتذة المقرر بجدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس	٣١	٣٤	٢٧	2.04	٧
٦	ضعف مهارات الطالبات التي تمكنهم من استخدام كافة الوسائط التكنولوجية.	٣٤	٤٤	١٤	2.2	5
٧	ضعف استجابة الطالبات للتفاعل عبر الوسائط التكنولوجية	٣٤	٣٥	٢٣	2.1	٦
٨	الوسائط التكنولوجية لا تتوافق مع أهداف المقرر في إحداث التفاعل الصفي	٣٠	٢٣	٣٩	1.9	٩
٩	عدم توافر الوقت الكافي للتدريب على الوسائط التكنولوجية الحديثة	٣٨	٣٦	١٨	2.2	٥
١٠	تستهلك الكثير من الوقت والجهد	٢٨	٣٠	٣٤	1.9	٩
١١	عدد الوحدات الدراسية للمقرر لا تكفي لتحقيق الاستفادة القصوى من استخدام الوسائط التكنولوجية	٢٨	٣٨	٢٦	2.01	٨
١٢	بعض موضوعات المقرر لا تتطلب استخدام الوسائط التكنولوجية	٤٢	٣٤	١٦	2.3	4

يتبين من تحليل بيانات الجدول رقم (٩) أن معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر الطالبات جاءت مرتبة كالتالي:

١ - الأعطال المتكررة للوسائط التكنولوجية تعوق الاستفادة منها في تحقيق أهداف المقرر بوزن مرجح ٢,٦.

٢ - خدمات الدعم الفني غير كافية لتحقيق أقصى استفادة من الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٥.

٣ - قلة الدورات التدريبية التي تؤهل أعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٤ ،

٣ - عدم الاهتمام بتطوير مهارات الطالبات في استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٤.

٤ - بعض موضوعات المقرر لا تتطلب استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٣.

٥ - ضعف مهارات الطالبات التي تمكنهن من استخدام كافة الوسائط التكنولوجية عدم توافر الوقت الكافي للتدريب علي الوسائط التكنولوجية الحديثة، بوزن مرجح ٢,٢

٦ - ضعف استجابة الطالبات للتفاعل عبر الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,١.

٧ - عدم قناعة أساتذة المقرر بجدوي الوسائط التكنولوجية في التدريس بوزن مرجح ٢,٠٤.

٨ -عدد الوحدات الدراسية للمقرر لا تكفي لتحقيق الاستفادة القصوى من استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٠١.

٩ - الوسائط التكنولوجية لا تتوافق مع أهداف المقرر في إحداث التفاعل الصفي تستهلك الكثير من الوقت والجهد بوزن مرجح ١,٩.

وتبرر الباحثة النتيجة السابقة في ضوء ملاحظتها خلال التدريس بسوء استخدام بعض الطالبات لجهاز الابديوم المستخدم في تدريس المقرر مما يعرقل العملية التدريسية باستخدام الوسائط التكنولوجية.

جدول رقم (١٠). مقترحات الطالبات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

م	المقترحات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	إلى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	التدريب الكافي والمستمر لأعضاء هيئة التدريس علي استخدام الوسائط التكنولوجية	٦٩	٢٠	٣	2.7	3
٢	توافر الدعم الفني الخاص بالوسائط التكنولوجية باستمرار	٦٠	٢٩	٣	2.6	4
٣	إنشاء وحدة متخصصة داخل الجامعة تدعم الوسائط التكنولوجية	٧١	١٨	٣	2,7	3
٤	تطوير محتوى البرامج الدراسية بما يتناسب مع الوسائط التكنولوجية	٧٥	١٧	—	2.8	2
٥	توزيع نشرات توعوية وتدريبية دورية عن جدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس	٦١	٣٩	٢	2.9	1
٦	إعطاء دورات تدريبية للطالبات عن كيفية استخدام الوسائط التكنولوجية	٦٥	٢٣	٤	2.7	3
٧	الصيانة المستمرة للأجهزة داخل القاعات	٧٣	١٥	٤	2.7	3
٨	التدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس على أحدث المستجدات بمجال الوسائط التكنولوجية	٧١	٢١	—	2.8	2

يتضح من نتائج جدول رقم (١٠) أن مقترحات الطالبات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات جاءت بالترتيب الاتي:

المرتبة الأولى: توزيع نشرات توعوية وتدريبية دورية عن جدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس بوزن مرجح ٢,٩.

-تطوير محتوى البرامج الدراسية بما يتناسب مع الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٨.

المرتبة الثانية: بوزن مرجح ٢,٨ ، التدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس على أحدث المستجدات بمجال الوسائط التكنولوجية.

المرتبة الثالثة: بوزن مرجح ٢,٧ ،التدريب الكافي والمستمر لأعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية.

-إنشاء وحدة متخصصة داخل الجامعة تدعم الوسائط التكنولوجية.

- إعطاء دورات تدريبية للطالبات عن كيفية استخدام الوسائط التكنولوجية.

- الصيانة المستمرة للأجهزة داخل القاعات.

المرتبة الرابعة: بوزن مرجح ٢,٦ ، توافر الدعم الفني الخاص بالوسائط التكنولوجية باستمرار.

النتائج الخاصة باستمارة أعضاء هيئة التدريس ن= ١٠:

جدول رقم (١١). يوضح الدرجة العلمية لأعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة.

الدرجة العلمية	التكرار	النسبة %
معيد	٠	٠%
محاضر	٠	٠%
أستاذ مساعد	٩	٩٠%
أستاذ مشارك	١	١٠%

يوضح جدول رقم (١١) توزيع مجتمع الدراسة حسب المرتبة الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس ويتبين من هذا الجدول أن العدد الأكبر منهن يشغلن مرتبة أستاذ

مساعد، حيث تبلغ نسبتهم ٩٠٪، كما يتضح أن الفئة التي تشغل مرتبة أستاذ مشارك تأتي في المرتبة الثانية بنسبة ١٠٪.

جدول رقم (١٢). يوضح سنوات الخبرة الاكاديمية لأعضاء هيئة التدريس.

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة %
أقل من ٥ سنوات	٠	٠ %
من ٥- ١٠ سنوات	٢	٢٠ %
من ١٠ -١٥ سنة	٣	٣٠ %
من ١٥- ٢٠ سنة	٣	٣٠ %
من ٢٠ سنة فأكثر	٢	٢٠ %

يتبين من نتائج جدول رقم (١٢) أن أعضاء هيئة التدريس اللاتي لديهن خبرة من ١٠ - ١٥ سنة، ١٥ - ٢٠ سنة يأتين في المرتبة الأولى، بينما من لديهن خبرة من ٥ -١٠ سنوات، ٢٠ سنة فأكثر يأتين في المرتبة الثانية.

جدول رقم (١٣). يوضح هل سبق لعضو هيئة التدريس تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
نعم	٧	٧٠%
لا	٣	٣٠%

يوضح جدول رقم (١٣) تدريس عضو هيئة التدريس لمقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات، وقد تبين أن نسبة ٧٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس بقسم خدمة الجماعة كلية الخدمة الاجتماعية يقمن بتدريس المقرر.

وقد تم إدراج هذا السؤال لأن قسم خدمة الجماعة بالكلية يقوم بتدريس عدد من المقررات الدراسية من بينها مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات جمع ٢٥١م، وليس بالضرورة أن تقوم عضو هيئة التدريس بتدريس هذا المقرر، وقد

اشتركت في تدريس هذا المقرر منذ بداية الخطة إلى الآن عدد ٤ من أعضاء هيئة التدريس وتم التطبيق على جميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم نظراً لأنه من المتوقع أن تقوم أي عضو بتدريس المقرر، هذا فضلاً من أن توصيف المقرر يتضمن شرحاً لاستراتيجيات التدريس ووسائل تطبيقها.

جدول رقم (١٤). استخدام الوسائط التكنولوجية في كل المقررات التدريسية.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
نعم	١٠	%١٠٠
لا	٠	%٠

يتضح من نتائج الجدول رقم (١٤) أن جميع أعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة يقمن باستخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس المقررات الدراسية، وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة الاستمارة المطبقة على الطالبات حيث أشارت نسبة ٧٦,١٪ من الطالبات إلى استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس كافة المقررات الدراسية.

جدول رقم (١٦). يوضح حصول عضو هيئة التدريس على دورات تدريبية في مجال الوسائط التكنولوجية.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
نعم	٤	%٤٠
لا	٦	%٦٠

يتضح من جدول رقم (١٦) أن نسبة ٦٠٪ من أعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة لم يحصلوا على دورات تدريبية في مجال الوسائط التكنولوجية، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج استمارة الطالبات وتتفق كذلك مع نتائج دراسة "منصور بن علي الشهري، ٢٠٠٥" حيث كشفت دراسته أن نسبة ٣٠,١٪ من عينة الدراسة سبق لهم الالتحاق بدورات تدريبية. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة "**منصور بن علي**

الشهري " التي أوضحت أن نقص عدد الدورات التدريبة في مجال تكنولوجيا التعليم من أهم الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس حيث أن نسبة ٣٠,١٪ من عينة الدراسة قد التحقت بدورات تدريبة وهي نسبة ضعيفة.

جدول رقم (١٧). يوضح عدد الدورات التدريبية التي حصل عليها أعضاء هيئة التدريس في مجال الوسائط التكنولوجية.

عدد الدورات	التكرار	النسبة %
دورة واحدة	٢	%٢٠
دورتان	٢	%٢٠
ثلاث دورات	٠	%٠
أربع دورات فأكثر	٠	%٠

يتضح من الجدول رقم (١٧) أن عدد الدورات التدريبية التي حصل عليها أعضاء هيئة التدريس في مجال الوسائط التكنولوجية يتراوح ما بين دورة واحدة ودورتين وهي نسبة قليلة لما يشهده العصر من تطور في الوسائط التكنولوجية التي تستلزم المواكبة والتدريب المستمر من قبل أعضاء هيئة التدريس.

جدول رقم (١٨). رأي أعضاء هيئة التدريس في تحقيق الوسائط التكنولوجية لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

الاستجابة	التكرار	النسبة %
تحقق أهداف المقرر بدرجة كبيرة	٨	%٨٠
تحقق أهداف المقرر بدرجة متوسطة	٢	%٢٠
تحقق أهداف المقرر بدرجة ضعيفة	٠	%٠
لا تحقق أية أهداف	٠	%٠

يتضح من تحليل نتائج جدول رقم (١٨) أن النسبة الأعلى من أعضاء هيئة التدريس يرون أن الوسائط التكنولوجية تحقق أهداف المقرر بدرجة كبيرة وهذه النتيجة تتفق مع النتائج التي دلت عليها نتيجة استمارة الطالبات، مما يوضح أهمية استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

جدول رقم (١٩). طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

م	طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	إلى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	يتم الاعتماد عليها في الاتفاق على الخطة التدريسية للمقرر	٩	١	-	٩.٢	2
٢	تستخدم في الحصول علي معلومات خاصة بالمنهج	٧	٣	-	2.7	3
٣	تستخدم في تصميم المنهج	٦	٤	-	2.6	4
٤	يتم من خلالها عرض وتقديم المعلومات الخاصة بالمنهج	١٠	-	-	3	1
٥	تستخدم في ارسال واستقبال وعرض الواجبات من الطالبات	٩	١	-	2.9	2
٦	يعتمد عليها في التواصل بين الطالبات	١٠	-	-	3	1
٧	تستخدم في الاتصال بين الطالبات وأساتذة المقرر	١٠	-	-	3	1
٨	يتم من خلالها إرسال تعليمات خاصة بالمنهج للطالبات	١٠	-	-	3	1
٩	يتم الاعتماد عليها في تقييم المقرر	٦	٤	-	2.6	4
١٠	يتم الاعتماد عليها في تسجيل واعلام الطالبات بالتغذية الراجعة للمقرر	٤	٦	-	2.4	5

يوضح الجدول رقم (١٩) طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس حيث جاءت علي النحو التالي:

المرتبة الاولي بوزن مرجح ٣، يتم من خلالها عرض وتقديم المعلومات الخاصة بالمنهج.

-يعتمد عليها في التواصل بين الطالبات

-تستخدم في الاتصال بين الطالبات وأساتذة المقرر.

-يتم من خلالها إرسال تعليمات خاصة بالمنهج للطالبات.

-المرتبة الثانية بوزن مرجح ٢,٩ ، يتم الاعتماد عليها في الاتفاق على الخطة التدريسية للمقرر

تستخدم في ارسال واستقبال وعرض الواجبات من الطالبات.

-المرتبة الثالثة بوزن مرجح ٢,٧ ، تستخدم في الحصول علي معلومات خاصة بالمنهج.

-المرتبة الرابعة بوزن مرجح ٢,٦ ، يتم الاعتماد عليها في تقييم المقرر، تستخدم في تصميم المنهج.

المرتبة الخامسة بوزن مرجح ٢,٤ ، يتم الاعتماد عليها في تسجيل واعلام الطالبات بالتغذية الراجعة للمقرر.

وقد اتفق كلاً من أعضاء هيئة التدريس والطالبات في أنه يتم الاعتماد على الوسائط التكنولوجية في عرض وتقديم المعلومات الخاصة بالمنهج، ولكن اختلافا في استخدام الوسائط التكنولوجية في الاتصال والتواصل بين الطالبات وعضو هيئة التدريس وبين الطالبات بعضهن البعض حيث حصلت على المرتبة الاولي في استمارة الاعضاء، بينما حصلت على المرتبة الثانية في استمارة الطالبات.

كذلك الاعتماد عليها في الاتفاق على الخطة التدريسية حصلت على المرتبة الثانية في استمارة الاعضاء بينما حصلت على المرتبة الثالثة في استمارة الطالبات،

وبقية الاستجابات منها من تقدم مرتبة ومنها من تأخر مرتبة بين الاستمارتين ولكن لم تتأخر استجابة أكثر من مرتبة واحدة في الترتيب، وهذا يوضح الاتفاق بين الطالبات وأعضاء هيئة التدريس في طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية في العمل مع الجماعات.

جدول رقم (٢٠). دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق اهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

م	دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق اهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	إلى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	تساهم في إكساب الطالبات المعارف الأساسية لتقدير وتخطيط التدخل المهني مع الجماعات الصغيرة	٥	٥	-	2.5	5
٢	تتيح فرصة للطالبات لاكتساب المهارات المختلفة في استخدام التكنولوجيا (مهارات الحاسب الآلي)	١٠	-	-	3	1
٣	تمكن الطالبات من التعامل مع الأنواع المختلفة من الجماعات	٣	٧	-	2.3	7
٤	تؤهل وتعد الطالبات للحياة العملية	٨	٢	-	2.8	2
٥	تساعد في تدريب الطالبات على القيادة وتحمل المسؤولية	٤	٦	-	2.4	6
٦	تمكن الطالبات من إقامة علاقات اجتماعية سليمة	٦	٤	-	2.6	4
٧	تساهم في إكساب الطالبات المهارات المهنية اللازمة لأخصائية العمل مع الجماعات	٦	٤	-	2.6	4
٨	تكسب الطالبات الخبرات الجماعية المباشرة	٤	٦	-	.42	6
٩	تساعد في تدريب الطالبات على المواقف المهنية لطريقة العمل مع الجماعات	٣	٦	١	2.1	8
١٠	تمكن من فهم محتوى مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بطريقة مشوقة وجذابة	٧	٣	-	2.7	3
١١	تحقق تنمية الشخصية المهنية والنضج اللازمين للعمل مع الجماعات	٧	٣	-	2.7	3

يبين الجدول رقم (٢٠) أن دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس يتضح في الآتي:

١ - تتيح فرصة للطالبات لاكتساب المهارات المختلفة في استخدام التكنولوجيا (مهارات الحاسب الالي) بوزن مرجح ٣.

٢ - تؤهل وتعد الطالبات للحياة العملية بوزن مرجح ٢,٨.

٣ - تمكن من فهم محتوي مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بطريقة مشوقة وجذابة،

- تحقق تنمية الشخصية المهنية و النضج اللازمين للعمل مع الجماعات، بوزن مرجح ٢,٧.

٤ - تمكن الطالبات من إقامة علاقات اجتماعية سليمة.

-تساهم في إكساب الطالبات المهارات المهنية اللازمة لأخصائية العمل مع الجماعات، بوزن مرجح ٢,٦.

٥ - تساهم في إكساب الطالبات المعارف الأساسية لتقدير وتخطيط التدخل المهني مع الجماعات الصغيرة

بوزن مرجح ٢,٥.

٦ -تساعد في تدريب الطالبات على القيادة وتحمل المسؤولية،

-تكسب الطالبات الخبرات الجماعية المباشرة، بوزن مرجح ٢,٤.

٧ - تمكن الطالبات من التعامل مع الأنواع المختلفة من الجماعات بوزن مرجح ٢,٣.

جدول رقم (٢١). يوضح معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

م	معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	إلى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	الأعطال المتكررة للوسائط التكنولوجية تعوق الاستفادة منها في تحقيق أهداف المقرر	٨	٢	—	2.8	2
٢	قلة الدورات التدريبية التي تؤهل أعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية	٣	٧	—	2.3	4
٣	عدم الاهتمام بتطوير مهارات الطالبات في استخدام الوسائط التكنولوجية	٧	٣	—	2.7	3
4	خدمات الدعم الفني غير كافية لتحقيق أقصى استفادة من الوسائط التكنولوجية.	٩	١	—	2.9	1
5	عدم قناعة أساتذة المقرر بجدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس	—	٣	٧	1.3	9
6	ضعف مهارات الطالبات التي تمكنهم من استخدام كافة الوسائط التكنولوجية.	٢	٣	٥	1.7	7
7	ضعف استجابة الطالبات للتفاعل عبر الوسائط التكنولوجية	٢	٤	٤	1.8	6
8	الوسائط التكنولوجية لا تتوافق مع أهداف المقرر في إحداث التفاعل الصفي	١	١	٨	1.3	9
9	عدم توافر الوقت الكافي للتدريب على الوسائط التكنولوجية الحديثة	٢	٣	٥	1.7	7
١٠	تستهلك الكثير من الوقت والجهد	٢	—	٨	1.4	8
11	عدد الوحدات الدراسية للمقرر لا تكفي لتحقيق الاستفادة القصوى من استخدام الوسائط التكنولوجية	٢	—	٨	1.4	8
١٢	بعض موضوعات المقرر لا تتطلب استخدام الوسائط التكنولوجية	٣	٤	٣	2	5

توضح نتائج الجدول رقم (٢١) أن معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس تتمثل في الآتي :

١ - خدمات الدعم الفني غير كافية لتحقيق أقصى استفادة من الوسائط بوزن مرجح ٢,٩.

٢ - الأعطال المتكررة للوسائط التكنولوجية تعوق الاستفادة منها في تحقيق أهداف المقرر بوزن مرجح ٢,٨.

٣ - عدم الاهتمام بتطوير مهارات الطالبات في استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٧

٤ - قلة الدورات التدريبية التي تؤهل أعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢,٣

٥ - بعض موضوعات المقرر لا تتطلب استخدام الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ٢.

٦ - ضعف استجابة الطالبات للتفاعل عبر الوسائط التكنولوجية بوزن مرجح ١,٨.

٧ -ضعف مهارات الطالبات التي تمكنهم من استخدام كافة الوسائط التكنولوجية.

-عدم توافر الوقت الكافي للتدريب على الوسائط التكنولوجية الحديثة بوزن مرجح ١,٧.

٨ -تستهلك الكثير من الوقت والجهد.

-عدد الوحدات الدراسية للمقرر لا تكفي لتحقيق الاستفادة القصوى من استخدام الوسائط التكنولوجية، بوزن مرجح ١,٤.

٩ -عدم قناعة أساتذة المقرر بجدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس.

الوسائط التكنولوجية لا تتوافق مع أهداف المقرر في إحداث التفاعل الصفي، بوزن مرجح ١,٣.

وتتفق نتائج هذا الجدول مع نتائج دراسة (الهزاني، نورة:٢٠١٣) حيث أوضحت في نتائج دراستها أن أهم تحديات تكنولوجيا المعلومات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس والقيادات الإدارية في جامعة الملك سعود من الناحية التقنية تتمثل في ضعف الصيانة لأنظمة تكنولوجيا المعلومات الإدارية وقد جاءت في المرتبة الثانية بنسبة ٧٤,٢٪ من عينة الدراسة.

جدول رقم (٢٢). المقترحات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات.

م	المقترحات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصي إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات	موافق	إلى حد ما	غير موافق	الوزن المرجح	الترتيب
١	التدريب الكافي والمستمر لأعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية	١٠	-	-	٣	1
٢	توافر الدعم الفني الخاص بالوسائط التكنولوجية باستمرار	١٠	-	-	٣	1
٣	إنشاء وحدة متخصصة داخل الجامعة تدعم الوسائط التكنولوجية	٦	٤	-	2.6	4
٤	تطوير محتوى البرامج الدراسية بما يتناسب مع الوسائط التكنولوجية	٧	٣	-	2.7	3
٥	توزيع نشرات توعوية وتدريبية دورية عن جدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس	٥	٥	-	2.5	5
٦	إعطاء دورات تدريبية للطالبات عن كيفية استخدام الوسائط التكنولوجية	٨	٢	-	2.8	2
٧	الصيانة المستمرة للأجهزة داخل القاعات	١٠	-	-	3	1
٨	التدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس على أحدث المستجدات بمجال الوسائط التكنولوجية	١٠	-	-	3	1

يتضح من نتائج الجدول رقم (٢٢) أن مقترحات أعضاء هيئة التدريس لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات جاءت على النحو التالي:

المرتبة الأولى: بوزن مرجح ٣، التدريب الكافي والمستمر لأعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية.

-توافر الدعم الفني الخاص بالوسائط التكنولوجية باستمرار.

-الصيانة المستمرة للأجهزة داخل القاعات.

-التدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس على أحدث المستجدات بمجال الوسائط التكنولوجية.

المرتبة الثانية: بوزن مرجح ٢,٨، إعطاء دورات تدريبية للطالبات عن كيفية استخدام الوسائط التكنولوجية.

المرتبة الثالثة: بوزن مرجح ٢,٧، تطوير محتوي البرامج الدراسية بما يتناسب مع الوسائط التكنولوجية.

المرتبة الرابعة: بوزن مرجح ٢,٦، إنشاء وحدة متخصصة داخل الجامعة تدعم الوسائط التكنولوجية.

المرتبة الخامسة: بوزن مرجح ٢,٥، توزيع نشرات توعوية وتدريبية دورية عن جدوى الوسائط التكنولوجية في التدريس.

النتائج العامة للدراسة

خلصت الدراسة إلى أهم النتائج على النحو التالي:

- اتفق كلٌ من أعضاء هيئة التدريس والطالبات على أنه يتم استخدام الوسائط التكنولوجيا في تدريس كافة المواد الدراسية.

- اتفق كلٌ من أعضاء هيئة التدريس والطالبات عينة الدراسة أن جهاز الابديوم هو أكثر الوسائط التكنولوجية استخداما في التدريس.

- نسبة ٩٢,٤٪ من الطالبات، ونسبة ٦٠٪ من أعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة لم يحصلوا على دورات تدريبية في مجال الوسائط التكنولوجية.

- أن نسبة ٥٩,٨٪ من الطالبات، و٨٠٪ من أعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة يرون أن الوسائط التكنولوجية تحقق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بدرجة كبيرة.

-يرى أعضاء هيئة التدريس والطالبات أن طبيعة استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات يتمثل في الاتي :

١ -يتم من خلالها عرض وتقديم المعلومات الخاصة بالمنهج.

٢ - تستخدم في الحصول على معلومات خاصة بالمنهج.

٣ - ويعتمد عليها في التواصل بين الطالبات.

٤ -تستخدم في الاتصال بين الطالبات وأساتذة المقرر.

اتفق كلٌ من أعضاء هيئة التدريس والطالبات على أن دور الوسائط التكنولوجية في تحقيق أهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات يتمثل في الآتي:

١ -تمكن من فهم محتوى مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بطريقة مشوقة وجذابة.

٢ -تتيح فرصة للطالبات لاكتساب المهارات المختلفة في استخدام التكنولوجيا (مهارات الحاسب الآلي).

٣ - تؤهل وتعد الطالبات للحياة العملية.

٤ -تساهم في إكساب الطالبات المعارف الأساسية لتقدير وتخطيط التدخل المهني مع الجماعات الصغيرة.

وتتمثل معوقات استخدام الوسائط التكنولوجية في تدريس مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس والطالبات في الآتي:

١ - الأعطال المتكررة للوسائط التكنولوجية تعوق الاستفادة منها في تحقيق أهداف المقرر.

٢ - خدمات الدعم الفني غير كافية لتحقيق أقصى استفادة من الوسائط التكنولوجية.

٣ - قلة الدورات التدريبية التي تؤهل أعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية.

٣ - عدم الاهتمام بتطوير مهارات الطالبات في استخدام الوسائط التكنولوجية.

وجاءت مقترحات أعضاء هيئة التدريس والطالبات لتفعيل استخدام الوسائط التكنولوجية بطريقة تحقق أقصى إفادة لأهداف مقرر ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الجماعات بالترتيب الاتي:

١ - التدريب الكافي والمستمر لأعضاء هيئة التدريس على استخدام الوسائط التكنولوجية.

٢ -توافر الدعم الفني الخاص بالوسائط التكنولوجية باستمرار.

٣ -الصيانة المستمرة للأجهزة داخل القاعات.

٤ - تطوير محتوى البرامج الدراسية بما يتناسب مع الوسائط التكنولوجية.

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية

[١] الشهري، منصور بن علي (٢٠٠٥م): استخدام أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك سعود لتقنيات المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية، بحث منشور في كلية الآداب (قسم علوم المكتبات والمعلومات) جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

[٢] الشناق، قسيم محمد (٢٠٠٦م): واقع استخدام الوسائط التعليمية الالكترونية في تعليم العلوم بدولة الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظر المعلمين، بحث منشور في كلية التربية -جامعة الإمارات العربية المتحدة.

[٣] الغدير، فاطمة ابراهيم علي (٢٠٠٩): توظيف الأساليب الحديثة في مجال تكنولوجيا التعليم بمدارس المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[٤] الفرجاني، عبد العظيم عبد السلام(١٩٩٨م): التربية التكنولوجية وتكنولوجيا التربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[٥] الموسى، عبد الله بن عبد العزيز (١٤٢٣هـ) التعليم الالكتروني مفهومه، خصائصه، فوائده، عوائقه ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل، جامعة الملك سعود كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

[٦] الهزاني، نورة بنت سعود (٢٠١٣م) تحديات تكنولوجيا المعلومات في مؤسسات التعليم العالي من وجهة نظر القيادات الإدارية والأكاديمية في جامعة الملك سعود، بحث منشور في المؤتمر العلمي الدولي الثالث للتعليم الالكتروني والتعليم عن بعد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

[٧] بركات، وجدي محمد أحمد(٢٠٠٣م): المعلوماتية والخدمة الاجتماعية، بحث منشور في كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية.

[٨] رمود، ربيع عبد العظيم (٢٠١٢م): تقنيات التعليم الالكتروني، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

[٩] سالم، أحمد محمد(٢٠٠٤م): تكنولوجيا التعليم و التعليم الالكتروني، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

[١٠] عبد السميع مصطفي (٢٠٠٤م): تكنولوجيا التعليم "مفاهيم وتطبيقات"، دار الفكر، عمان.

[١١] لال، زكريا بن يحيي (٢٠٠٢): فعالية الوسائط المتعددة في التحصيل الدراسي وتنمية مهارات إنتاج الشرائح المتزامنة صوتيًّا لدى طلاب كلية التربية، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، بحث منشور في مجلة رسالة الخليج العربي، العدد (٩٣)، المملكة العربية السعودية.

[١٢] نص، حسن أحمد (٢٠٠٩م): المدخل إلى تكنولوجيا التعليم، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

[١٣] ـــــــــ(٢٠١٣م): تكنولوجيا الوسائط المتعددة وتنمية التفكير، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

[١٤] يسرى مصطفى السيد (١٩٩٩): اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو توظيف التجهيزات التكنولوجية وعلاقتها بدرجة استخدامهم لها ومدى استفادة طلبة الشعب في كليات التربية جامعة جنوب الوادي منها، مجلة التربية العلمية المؤتمر العلمي الثالث للجمعية المصرية للتربية العملية، الإسماعيلية، ٢٥ -٢٨ يوليو، مصر.

ثانياً: المراجع الانجليزية

[15] ALhomod Sami & Shafi Mohd Mudasir (2013): Success factors of e-learning projects: A technical perspective , The Turkish Online Journal of Educational Technology April 2013, volume 12 Issue.

[16] Bonner,Aisha Ain (2012): Bridging the Professional Digital Divide" Comparative Analysis of Technology usage Behaviors Across the Working Lifespan of Professional Social Workers: A Quantitative study, Ph.D. United States.

[17] Callaway, Judith Ann (1997) "An Interactive multimedia computer package on photosynthesis for hi school student based on a matrix of cognitive and learning styles" DAI. A57/07 P2951.

[18] Edmund, Rob and others(2012): student attitudes towards and Use of ICT in Corse Study, Work and Social Activity:A Technology Acceptance Model Approach, British Journal of Education Technology , v43 n1 p71-84 Jan 2012.

[19] Herbert ,G,cet (1990):Personal Human Recourse Management ,New York ,Macmillan Publishing ,Co.,P.146.

[20] Kasi Roden (2011): Technology in Education , University of West Alabama, Journal of Computing in Teacher Education.

[21] Moffatt, Kenneth James: (1996): Multiple ways of knowing: Social work knowledge and ethics in the technological era, Ph.D., University of Toronto, Canada.

[22] Sapey, Bab; (1997): Social Work: Towards a critical Understanding of Technology in Social Work, British, Journal of Social Work, Vol. 27.

[23] Sayed, Abdullah (2007):Exploring the process of integrating the internet into English language teaching, paper presented at the academic conference for young researchers (1st,Asyut ,Egypt ,Apr.24).

[24] Soliman.Hussein& Sayed. Hesham (2010):The challenges of modernization of social work education in developing countries the case of Egypt, international social work,vol.53, no.101-114.

[25] Thomas C. Reeves,(1998): The Impact of Media and Technology in Schools, A Research Report prepared for The Bertelsmann Foundation, The University of Georgia ,p1.

Technological Multi- media Role in Achieving the Goals of the Practice Curriculum With Groups An Discriptive Study Applied in Social Work Faculty, Princess Nora Bint Abdul Rahman University

Dr. Fatma Fouad Mohamed Mahmoud
Assistant Professor

Abstract.

Study Title: The Role of the multiple technological means to achieve the objectives of the subject social work practice with groups

The study determined the problem in an attempt to identify: Does the use of multiple technological media in Teaching subject social work practice with groups contribute to achieving the objectives set

The study was aimed to "identify the nature of the use of technological media in Teaching practice of social work with groups, and its role in achieving the objectives of the subject, and to identify obstacles to be used in the course, and come up with proposals that achieve the maximum benefit for the objectives of the subject of the of social work practice with groups.

The study found a number of results was the most important:

Teaching staff members and students are agreement about the role of technological media in achieving the subject of social work practice with groups goal such as:

1- Anabling to understand the social work practice with groups subject content in an Interesting and attractive way

2- Qualify and prepare students for practical life.

-Most important obstacles has been to: the existence of frequent damage of technological media hinder use them in achieving the objectives social work practice with groups goal.

-The most important Suggestions: the availability of UCC services on e classroom study on a continuous to achieve maximum benefit of objectives social work practice with groups goals.

Guidelines for Authors

a) Types of materials accepted by the Journal for publication:

1. Research and study: Works submitted to the Journal should make original contributions to any of the various fields of the Journal.
2. Articles: Papers dealing with criticism and analysis for previously published articles, books and scientific theses.
3. Distinguished scientific inventions and patents.
4. Correspondences: These can present creative ideas, scientific opinions, or research suggestions.

b) Publication Terms:

1. The work must be characterized by originality, innovation, scientific methodology, and correct attitudes.
2. It should be written in sound language free of any spelling and grammatical mistakes. The researcher is responsible for the errors contained in his/her research.
3. All types of manuscripts submitted to the Journal are subject to a blind peer review process.
4. All decisions taken by the Editorial Board are final. They have the right not to present any justification(s) for their decisions.
5. Manuscripts accepted for publication should not exceed 60 pages of A size.

c) Paper Selection and Publication Process:

1. A request to publish the manuscript. A written consent that the manuscript submitted has not previously been published and is not being considered for publication elsewhere, either in the submitted form or in a modified version.
2. Three hard copies in addition to a soft copy should be submitted.
3. An English and Arabic abstracts not exceeding 200 words should be included.
4. Title of the manuscript, or any brief biodata such as his/her name, affiliate, main interests, a contact address and an email address should be written in a separate page.
5. Margins of each page should be written at the bottom of the page.
6. One of the following methods should be used when referring to references:
    a. using (MLA) style.
    b. using (APA) style.
    c. using (Foot Note) style.
7. Manuscript will not be returned to the author(s) whether accepted for publication or not.
8. Author(s) will be given two copies of the Journal and 20 reprints of the published manuscript.
9. Author(s) will be requested to make adjustments set forth in the reports of the referees. If they are willing not to do so they should justify their decisions.
10. All published materials reflect solely their authors' opinions.
11. Publication in the Journal is free and there is no bonuses for the authors.
12. It is not allowed to republish the manuscript or part of it in any type of publication material except a written permission from the Chief Editor.
13. The journal is issued Four times a year.

Subscription and Exchange

Scientific Journal of Qassim University (Journal of Arabic and Human Sciences)

E-mail: jahsqu@gmail.com

In The Name of ALLAH,
Most Gracious, Most Merciful

Qassim University Scientific Publications

(Refereed Journal)

Volume (9) – NO .(2)

Journal of

ARABIC AND HUMAN SCIENCES

January 2016 – Rabi' II 1437H

Scientific Publications & translation

Editorial Board

Chief Editor

Prof. Abdulaziz R. Alsinaidi

Member Editors

Prof. Ibrahim A. Almutawa
Prof. Hamdeno A. El-Awady
Prof. Mhmoud Mohmed Sadeq
Dr. Yousef Ibrahim Al-Rojaie

Journal Secretary

Saleh A. Alolayqi

Editorial Advisory Board

Prof. Ibrahim Mubarak Al-Jewaire	(Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University) (Social Sciences)
Prof. Saad Hamdan Al-Ghamdi	(Um AlQura University) (Syntax and Morphology)
Prof. Abdullah Hamd Al-Humeedan	(King Saud University) (Applied Linguistics)
Prof. Abdullah Yousuf Al-Shabal	(Ex-President Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University) (History)
Prof. Abdullah Yousuf Al-Ghuneem	(Kuwait University) (Geography)
Prof. Fakhar Al-Din Qabawa	(Halab University) (Linguistics)

Deposif: 1429/2027

Journal of Arabic and Human Sciences
Qassim University, Vol. 9, No. 2, PP 471-964 for Ar. PP 1-19 for En. (January 2016/ Rabi' II 1436)

Contents

Page

English Section

The Effect of the Dialogue Journal on Developing Engineering College Students' Argumentative Essay Writing
Dr. Majid N. Al-Amri, PhD 1

Arabic Section

The Conjunction "Or" in Surat Al Baqarah "A Grammatical and Semantic Study" (English Abstract)
Dr. Murad Rafiq Albayyari 506

Aspects from Ancient Yamani Dialects in the Contemporary Qassim Dialect: A Study for Different Sementic that Begins with Ba, Ra and Other Letters Between them (English Abstract)
Dr. Khalid bin Mohammed bin Suleiman Aljumah 591

The Color in ibn abd Rabbo's Collection of Poets and its Semantict Objective and Artistic (English Abstract)
Dr. Salim Obeid Abdul-MohsinAl-Gararaa 644

Mohammad Althobaity And The Structure Of Poetic Dictionary: Vision and meaning (English Abstract)
Dr. Suhiel Abdullateef Alfetiany 672

Forms of loyalty among the Arabs before Islam (English Abstract)
Dr. Fatamah Ali Bakhashwin 695

Some human values through the texts of King Hammurabi (1792-1750.B-C) (An analytical study) (English Abstract)
Dr. Sheikha Obaid Al Habra 761

The Status of Farming Lands Under the Ayoubi Rule (570-648 A.H/ 1174-1250 B.C) (English Abstract)
Dr. Abed Al Mouiz Asri Bani Issa 836

Sultan Ala' AldeenAlKhalji Research (1296-1316/695-716H) (English Abstract)
Dr. Khyria Mohammad Ali Al – Sannah 882

The Geomorphic Analysis of Wadi An-Nisa's Basin Using the RS & GIS Techniques (English Abstract)
Dr. Ahmed Al-Dughairi and, Alaa Al-Wehaibi 920

Technological Multi- media Role in Achieving the Goals of the Practice Curriculum With Groups An Discriptive Study Applied in Social Work Faculty, Princess Nora Bint Abdul Rahman University (English Abstract)
Dr. Fatma Fouad Mohamed Mahmoud 96**4**

Journal of Arabic and Human Sciences
Qassim University, Vol. 9, No. 2, PP 1-19. (January 2016/ Rabi' II 1436)

The Effect of the Dialogue Journal on Developing Engineering College Students' Argumentative Essay Writing

Majid N. Al-Amri, PhD
College of Education, Department of Curriculum and Instruction,
College of Education, Taibah University
Al-Madinah Al-Munawarah

Abstract. Effects of implementing the dialogue journal as a bridge from written conversations to the academic argumentative essay with 51 engineering bachelor's students enrolled in an academic writing course were investigated. During a 15-week semester, the control group (n=26) and the experiential group (n=25) joined a three-semester-hour academic writing course which meets 3 times a week for 50 minutes each period. One 50-minute period each week was assigned for teaching the argumentative essay. Findings indicated that (a) course instructors believed that they had covered the argumentative elements in class; (b) experimental students demonstrated significantly higher levels ($p > .01$) of perceived knowledge and achieved significantly better ($p > .01$) than did control students on written and videotaped participation assessments; (c) students and instructors showed positive perceptions of the dialogue journal; and (d) in general there is not too much difference between groups in attitudes towards academic wiring; the apparently slightly more favorable feelings of one group in one assessed area may be reversed in another.

Key words: Pedagogy; dialogue journal; argumentative essay; academic writing; EFL learners; English language centers; higher education

Introduction

In an attempt to improve the overall performance of students, English language teacher educators and curriculum developers have started to question the fundamental fairness of teacher-centered approaches and traditional achievement tests (e.g., objective tests such as standardized tests) as a measure of the growth and achievement of English language learners. (Alamillo et al., 2005) Instead they have strongly recommended various non-traditional forms of teaching approaches and assessment (i.e. alternative assessments) including classroom observations by teachers, journals, portfolios, self-and peer-assessments, conferences and interviews, and so forth, as they are assumed to "blend cognition and social interaction into a functional theoretical framework by situating individual cognitive development in a context of collective classroom activity." (Clark, 2011, p. 28) As the most formative of all the alternative assessments, (Brown and Abeywickrama, 2010), journals have been used in the field of EFL education for students at different ages "to write down their reactions and reflections to what they are reading or hearing in class." (Denne-Bolton, 2013, p. 3) They have gained popularity in recent years and their potential value as instructional tools as well as measurement tools "occupy a prominent role in a pedagogical model that stresses the importance of self-reflection in a student's education." (Brown and Abeywickrama, 2010, p. 134)

As journals have been promoted in the field of EFL education, a number of overlapping categories or purposes in journal writing have emerged such as language-learning logs, grammar journals, responses to readings, strategies-based learning logs, self-assessment reflections, diaries of attitudes, feelings and other affective factors, acculturation logs. Most classroom-oriented of journals are what have now come to be known as the dialogue journal, (Brown and Abeywickrama, 2010), which is "a written conversation in which a student and teacher communicate regularly (daily, weekly, etc., depending on the educational setting) over a semester, school year, or course. The teacher is a participant in an ongoing, written conversation with the student, rather than an evaluator who corrects or comments on the student's writing." (Peyton, 1993, p. 2) The dialogue journal has been utilized within the field of English language teaching, and the results showed that the dialogue journal has the potential to create a non-threatening constructivist learning environment which can promote meaningful student involvement (Issirlis, 1996; Nassaji and Cumming, 2000; Lee 2004) through extensive writings (Peyton et al., 1990; Nassaji and Cumming, 2000) for a real audience. (Peyton et al., 1990; Sanders, 2000)

Despite a recent criticism of the dialogue journal in English language learning classes that it bears little relation to the academic writing in which EFL students may be required to become competent, an argument can be made in favor of the dialogue journal as a pedagogical tool for the rigors of academic writing for two main things. (Denne-Bolton, 2013) "For one thing, before students can write academic essays, they need to be comfortable with their writing abilities, and writing in dialogue journals certainly builds learner confidence." (Denne-Bolton, 2013, p. 8) The dialogue

journal helps to blend "ongoing social influences in emergent interaction with personal development" (McCaslin, 2004, p. 250). It has also been argued that the dialogue journal has the potential to give students "a way to see beyond the surface conventions of academic writing to their fundamental purpose" (Carroll and Mchawala, 2001, 58), as it "blends cognition and social interaction into a functional theoretical framework by situating individual cognitive development in a context of collective classroom activity" (Clark, 2011, p. 28) Denne-Bolton (2013) explained that rhetorical forms can arise naturally out of the student-generated content of dialogue journals through having the liberty to write about a range of issues and engage with mature concepts in their dialogue journals, students are given the opportunity to learn inductively which lays the foundation for rhetorical knowledge understanding the reason why one or another rhetorical form is used, and that knowledge makes it easier for the writer to use the correct form. However, while the dialogue journal has been used successfully with English language students in a variety of different ways, we could not locate studies which focused specifically on independently writing particular academic essays (the argumentative essay in the present study, for example). Also, although some previous studies showed promise in the potential value of using the dialogue journal as a way to enhance student participations and writing abilities, we do not see direct investigations of the effect of the dialogue journal on students' attitudes towards academic writing itself.

The theoretical concepts providing the framework for the implementation of the dialogue journal in the EFL classroom are threefold. They relate first to the construct that the dialogue journal is a key mediator in the construction of knowledge "within specific sociocultural discursive contexts, each with specific constructions and constellations with respect to values systems, practices and a range of symbolic signifiers of what constitutes a particular sense of place." (MacRuairc, 2011) Prompts and available resources are of great help to students. Thus the use of the dialogue journal in the EFL classroom can draw its theoretical vitality from a variety of cognitive theories particularly the later work of Jean Piaget (1970) and from Vygotsky's (1978) emphasis on the socio-historical aspect of knowledge and the role of the social context in facilitating the process of learning. From a cognitive perspective, the role of students' prior knowledge and cognitive process work as a foundation for cognitive development and deep understanding in a complex and fundamentally nonlinear process. From the sociocultural perspective, the socio-historical aspect of knowledge and the role of the social context facilitate the process of learning. Particularly influential has been Vygotsky's (1978) notion of the Zone of Proximal Development (ZPD), which is "the interpersonal space where minds meet and new understandings can arise through collaborative interaction and inquiry." (Cummins et al., 2007, p. 59) These two perspectives together provide a useful framework for the consideration of using the dialogue journal inside the EFL classroom: blending cognition and social interaction into a functional theoretical framework by situating students' cognitive developments in a context of collective classroom activities. (Clark, 2011) In other words, it can be assumed that the

dialogue journal can help students work with instructors and peers as a community of discourse engaging in activity, reflection, and conversation, (Fosnot and Perry, 2005), in a non-threatening constructivist learning environment which can promote meaningful student involvement (Issirlis, 1996; Nassaji and Cumming, 2000; Lee 2004) through extensive writings (Peyton et al., 1990; Nassaji and Cumming, 2000) for a real audience. (Peyton et al., 1990; Sanders, 2000)

The second related trajectory of scholarship draws on perspectives focusing on the nature of linguistic acquisition and interactional adjustments by the native speaker or more competent interlocutor. In this regard, a consideration of interaction using the dialogue journal is highlighted because it results in "pushed output (i.e. output that stretches the learner's current capabilities) [that] helps learners notice gaps in their linguistic knowledge, test their hypotheses about the target language, and reflect on their language use." (Wolf, 2013) Drawing on perspectives which focus on the nature of linguistic acquisition and interactional adjustments by the native speaker or more competent interlocutor, second language acquisition theories can also provide support for the use of the dialogue journal. Interaction (Long, 1996) and output (Swain, 1995) hypotheses are examples. Interaction hypothesis suggests that engaging in negotiation of meaning which is "a process in which a listener requests message clarification and confirmation and a speaker follows up these requests, often through repeating, elaboration, or simplifying the original message" (Pica, 1994, p. 497), would trigger interactional adjustments by the NS or more competent interlocutor, facilitating acquisition because it connects linguistic input, internal leaner capacities, particularly selective attention, and output in productive ways. (Long, 1996) This would results in "pushed output (i.e. output that stretches the learner's current capabilities) [that] helps learners notice gaps in their linguistic knowledge, test their hypotheses about the target language, and reflect on their language use." (Wolf, 2013) Both perspectives provide the basis to consider how the EFL classroom setting, where socio-cultural and cognitive and linguistic systems meet and sometimes clash, is delimited by specific expectations for particular forms of linguistic practices and ways of thinking.

Finally, a key construct unifying both perspectives is a consideration of the manner in which EFL academic writing students operate within different situations, each delimited by specific expectations for particular academic writing practices in terms of cognitive/linguistic involvement level and contextual support degree. The early work of Cummins (1984) which demonstrated the differences between BICS (Basic Interpersonal Communicative Skills) and CALP (Cognitive Academic Language Proficiency) can be regarded as a key construct unifying both perspectives. It considered the manner in which EFL academic writing students operate within different situations, each delimited by specific expectations for particular academic writing practices in terms of cognitive/linguistic involvement and contextual support degree. BICS describes the development of conversational fluency in the second language and CALP describes the use of language in decontextualized academic situations. "BICS is said to occur when there are contextual supports and props for language delivery. Face-to-face 'context

embedded' [boldface in original] situations provide, for example, non-verbal support to secure understanding. Actions with eyes and hands, instant feedback, cues and clues support verbal language. CALP, on the other hand, is said to occur in 'context reduced' [boldface in original] academic situations. Where higher order thinking skills (e.g. analysis, synthesis, evaluation) are required in the curriculum, language is 'disembedded' [boldface in original] from a meaningful, supportive context. Where language is 'disembedded' the situation is often referred to as 'context reduced' [boldface in original]." (Baker, 2006, p. 174)

In the context embedded situations, the students are encouraged to negotiate meaning in written conversations where the language is supported by a wide range of meaningful paralinguistic and situational cues, negotiated rules and dispersed knowledge to answer the questions and achieve a "joint accomplishment", (Cromadal (2001), as a group of people who share a certain set of practices through joint action (Gee, 2004). This type of the interaction was more typical of the everyday world outside the classroom, while many of the typical writing skills and linguistic demands of the classroom reflected activities which are closer to the context reduced end of the continuum. In the context reduced situations, the students have to rely on their linguistic cues to meaning and their successful writing skills rely heavily on their typical knowledge of the language to do, for example, individual free writings on general topics in their dialogue journals. The dialogue journal can also be used to addresses the developmental aspects of the writing skill in terms of the degree of active cognitive involvement in the activities, in other words, the amount of argumentative elements that have to be processed simultaneously by the individual in order to carry out the activity. Informal written conversations and free writing activities, for example, require few argumentative elements and thus require little active cognitive involvement while writing argumentative essays on particular academic topics are activities which require more argumentative elements and thus require more active cognitive involvement.

Research conducted from a social constructivist perspective has reported positive effects of the dialogue journal on English-language learners' compositions and writing skills. Peyton (1989), for example, used dialogue journals with beginning ESL learners to provide opportunities for them to learn correct grammatical forms and structures and master some elements of morphology such as the past tense of regular verbs and the plural and third-person singular -s, the copula be, the progressive auxiliary +/-ing, and the past tense of irregular verbs through reading teacher responses and imitating them. He states that "rather than overt correction of student errors, correct grammatical forms and structures can be modeled in the course of the interaction" (p. 27). Casanave (1994) analyzed 96 journals written by 16 university students for changes over time of the length of sentences, complexity of sentences, and accuracy. She found sentence length and accuracy progress differ from student to student. While some students' journals showed a decline in accuracy, some of the students were using the same words in more sophisticated and focused topics. As a volunteer English instructor in a community literacy program in Central Texas, Larrotta (2008) implemented

dialogue journals (DJs) in an effort to engage 17 Hispanic adult ESL literacy students in writing for authentic communication. This class took place twice a week for periods of two hours for an entire semester. The main goal of the DJs was to establish communication in English in writing with each student. In other words, the students and the researcher had individual private conversations in writing. The researcher responded to students' journal entries the same way she does when friends or colleagues send her an e-mail message or drop a note for her in her mailbox. She did not point out the students' mistakes in their letters, and she did not make corrections on their compositions. Not correcting students' mistakes right away was for the researcher as the instructor a new way of looking at students' writing. It was hard at the beginning because she was not used to returning students' compositions without explicitly having pointed out their mistakes. The researcher and her students did other writing activities aiming for correct grammar and spelling, such as a literacy autobiography in which the students followed the steps in the writing process (prewriting, drafting, revising, and editing), including a final typed version. The DJ activity became more exciting as the written conversations progressed since the entries became more personal and authentic.

Recent studies have used a critical frame to consider issues of power, identity and social and cultural diversities within classroom contexts. For example, Brown (1996) implemented dialogue journals between students as well as with the teacher. He found that the use of dialogue journals with the teacher could provide students freedom and privacy and give the teacher an opportunity to adjust writing level of each individual student to a higher level as the journals progress. Brown (1996) concluded that the use of dialogue journals between students would help students feel comfortable and create positive attitudes towards social and cultural diversities. Situating dialogue journals within the Vygotskian sociocultural theoretical framework, Darhower (2004) explored weekly dialogue journal communication as a form of mediation in L2 learning. Data was examined from the journals of eight learners (four high-frequency classroom participators and four low-frequency participators) in an intact intermediate college Spanish class. The study reported unique ways that dialogue journals function as mediators of (a) identification as a language learner and reflection on language learning experiences; (b) consolidation of course content as evidenced in the reporting of personal experiences and opinions relating to topics covered in class; and (c) use of language functions stressed in the classroom. The researcher concluded that the dialogue journal is an interactive writing environment in which learner goals and agency can comprise an important part of the learning process. Also, Miller's (2007) study showed promise in the potential value of using dialogue journals as a way to write without having to worry about anxiety or social pressure. He investigated the reflective journal writings of 10 high school students who had recently arrived in the country. He found that dialogue journals not only improve the quality of writings of non-native English speakers but also help them to establish their identities and voice in English.

Statement of Research Problem

Nearly most English language centers at universities are now offering English academic writing courses. As English academic writing has recently gained special attention due to its place at the center of teaching and learning in higher education, fulfilling a range of purposes according to the various contexts in which it occurs, (Coffin et al., 2003), educational program organizers and policy makers have expressed concern over the accountability of programs. English language teachers also need to be able to assess the performance of individual students in order to improve their own instruction, given the learning context has traditionally been focused on teacher-centered instruction and measurement-driven assessments, and students have few opportunities to go beyond the knowledge telling towards more dynamic, complex and probably more sophisticated skills of critical thinking and self-reflection, or in the case of learning academic writing, "to see beyond the surface conventions of academic writing to their fundamental purpose." (Carroll and Mchawala 2001, p. 58) This represents an unnecessary and detrimental reduction of the potential for the complex socio-cognitive dimensions of learning academic writing. At the same time, "a good many students, at all levels of schooling, hates the types of language associated with academic content areas." (Gee, 2004, p. 3), and they have particular difficulty with the concept of academic writing with fear of a teacher's scrutinizing every grammatical or spelling error, (Brown and Abeywickrama, 2010), which usually result in student low achievement and underachievement and significant achievement gaps between students. (Alamillo et al., 2005)

Importance and contribution of the study

While the dialogue journal has been used successfully with English language students in a variety of different ways, we could not locate studies which focused specifically on independently writing particular academic essays (the argumentative essay in the present study, for example). Also, although some previous studies showed promise in the potential value of using the dialogue journal as a way to enhance student participations and writing abilities, we do not see direct investigations of the effect of the dialogue journal on students' attitudes towards academic writing. Therefore, the current study provides us with more understandings as to the implementation of the dialogue journal as a bridge from written conversations to the argumentative essay that is not acknowledged in traditional EFL classrooms in higher education context.

Terms definitions

Written conversations

Discussions of written comments between the teacher and the students to improve the argumentative essay writing

Dialogue journals

Journals in which each student carries on a private written conversation with the teacher and share it with other students for a period of one academic semester

An argumentative essay

An essay in which the student agrees or disagrees with an issue, using reasons to support his opinion

Study objectives and hypotheses

The study aims to investigates the effect of the dialogue journal on English language learners' academic essays, one of which was the focus of the present study; namely, whether it is possible to use the dialogue journal as a bridge to help students move to argumentative essays while they are engaged in written conversations with their instructors and peers in higher education context, and if so, what effects it may have on particular argumentative essay elements (i.e. a clear stand on an issue, a clear statement, a clear argument, a solid evidence for arguments, a clear opposing argument, an explanation of the opposing, linking of ideas at a 'local' or sentence and paragraph level, rebuttals to the opposing argument, and a block pattern or a point-by-point pattern) and overall student essay performance. Also, the study is an attempt to explore instructors' and students' perceptions of the dialogue journal and to determine student classroom participation. Furthermore, the study tries to investigate the effect of the dialogue journal on the attitudes of the experimental group towards academic writing as compared to other students in the control group. To this end, six hypotheses will guide this study.

1. Course instructors will cover the argumentative essay elements in class.
2. Experimental students will achieve better than do control students on perceived knowledge assessments.
3. Experimental students will achieve better than do control students on videotaped participation assessments.
4. Experimental students will achieve better than do control students on essay writing assessments.
5. Experimental students and their instructor will show acceptance of the dialogue journal.
6. Experimental students will show more positive attitudes towards academic writing than do control students.

Research Design

The present study was conducted on engineering bachelor's students enrolled in an academic writing course (N = 51). The main objective of the course was to help students write coherent and unified four types of academic essays: chorological order/ process essays, cause/effect essays, comparison/contrast essays, and argumentative essays. This three-semester-hour course meets 3 times a week for 50

minutes each period. The students were administered a survey to decide if they had or they would have any educational instruction about the dialogue journal to write argumentative essays other than their weekly classes. No students were identified as having had or presently using the dialogue journal, but seven students, identified as having had instruction about argumentative essays, were assigned to the control group. This would force assignment and classes with odd numbers of students resulted in the unequal distribution between the two groups. Therefore, half the students were assigned to the control group in two classes (with 14 and 12 students), and the remaining students were assigned to the experimental group in two classes (with 13 and 12 students). The researcher discussed the theoretical perspectives and nature of the study with the instructors of the experimental group during one hour informal meeting. The instructors of both groups have almost the same teaching experiences and academic degrees. Both groups of students attended the course for an equivalent amount of time each week during a 15-week semester. One 50-minute period each week was assigned for teaching the argumentative essay. The control group had no activities with the dialogue journal. Quizzes and assignments were used for assessment and feedback. The experimental group was involved in activities with the dialogue journal.

To minimize discussion among peers, the experimental-group members were asked not to discuss the dialogue journal until the study was concluded. Students used dialogue journals to write argumentative essays in 14 study weeks and doubled their writing assignments the day following an absence. Only the first session was intended to orient students towards the dialogue journal to be sure they encountered no problems; they were, for example, informed about materials, frequency of writing, length of writing, writing instructions and topics, journal partners/groups. (Peyton, 1989) Also, students were introduced to nine elements of the argumentative essay which were recommended by four professional instructors of EFL during the development stage (1) a clear stand on an issue; (2) a clear statement; (3) a clear argument; 4) a solid evidence for arguments; (5) a clear opposing argument; (6) an explanation of the opposing; (7) linking of ideas at a 'local' or sentence and paragraph level; (8) rebuttals to the opposing argument; and (9) a block pattern or a point-by-point pattern. Students were informed that the elements would be covered as they move from written conversations towards academic argumentative essays.

To determine the effect of the dialogue journal on the experimental students' attitudes towards academic writing as compared to the control group, all students in both groups completed Likert-type surveys in their first class meeting. It contained specific response choices. Response descriptors and positive/negative polls were varied in an effort to maintain respondent focus of attention. I analyzed experimental student attitude towards academic writing by tabulating individual responses followed by the associated mean and standard deviation (see Table 1). All mean responses were 2.26 or lower on a 5-point scale, with a standard deviation range of 0.53 to 0.77. T-tests revealed that attitudes towards academic writing were not statistically significant at $p < 0.01$ in all areas.

Table (1). Results of Pretest of Students' Attitudes towards Academic Writing .

Question	Traditional Class (n= 26)		Dialogue Journal Class (n= 25)		
	M	SD	M	SD	t
Do you think academic writing is an interesting subject?	2.08	0.74	2.24	0.60	0.86
Do you think academic writing would help you in your future job?	2.15	0.73	2.08	0.64	0.38
Are you excited about learning academic writing?	2.04	0.77	2.16	0.69	0.59
Is academic writing easy to understand?	2.15	0.67	2.24	0.66	0.46
Do you recommend other students to study academic writing?	2.26	0.53	2.32	0.56	0.33
Would you like to study academic writing in the future?	2.09	0.74	2.12	0.73	0.21
Overall	2.13	0.70	2.19	0.65	0.47

Following the treatment all students completed Likert-type attitude surveys containing specific response choices created. I varied response descriptors and positive/negative polls in an effort to maintain respondent focus of attention. The control-group survey included questions about perceptions of specific knowledge regarding writing argumentative essays. The experimental group survey included the same questions, and additional questions and specific response choices concerning the dialogue journal were also included. Following an opportunity to view any argumentative essay element we wished, the instructors completed a Likert-type survey designed to find out if they felt the element to be assessed had been adequately covered in class (see Table 1). They responded to a 5-step continuum anchored by "not at all" and "comprehensively." Additional questions related to the teaching methods and possible irritants regarding covering the argumentative essay elements, students' participations and any changes observed in the classroom.

Table (2). Course Teacher Responses Indicating Perceived Adequacy of Material Covered in Class.

Questions	**Responses**						
	Low				High		
How well do you think you have covered teaching your students how to use . . . . in their argumentative essays?	1	2	3	4	5	M	SD
a clear stand on an issue	-	-	-	3	1	4.25	0.50
a clear thesis statement	-	-	1	2	1	4	0.82
their own arguments	-	-	-	3	1	4.25	0.50
solid evidence for their arguments	-	-	1	1	2	4.25	0.96
a clear opposing argument	-	-	-	1	3	4.75	0.50
an explanation of the opposing	-	-	-	2	2	4.5	0.58
linking of ideas at a 'local' or sentence and paragraph level	-	-	1	2	1	4	0.82
rebuttals to the opposing argument	-	-	1	3	-	3.75	0.50
A block pattern or a point-by-point pattern	-	-	-	1	3	4.75	0.50
Overall	-	-	4	22	19	4.33	0.64

Note. A dash (-) indicates no response.

Students completed a researcher-designed written posttest assessment. Testing took place at the end of the semester. It included two parts. The first part included matching, multiple-choice and true/false questions designed to assess each student's knowledge about the argumentative essay elements. This assessment only contained material the instructors believed they had covered. Students were asked to write "I don't know" for items they could not answer, providing me some assurance that the students had no accidently skipped the item. The second part of the assessment included one essay question. Students were given three argumentative topics and asked to write an argumentative essay on one of them.

A videotaped posttest, conducted to determine participants' active learning, requested students to work in groups and pairs, do presentations, and make discussions and search for information from on-line and written supplementary materials provided by their teachers. Students were videotaped in random order as they went through the class routines and assigned a number displayed on the tape.

Two professional instructors of EFL reviewed the argumentative elements during the development stage to evaluate them and recommend some of them for students to learn. The researcher graded the first part of the written test based on the answer key. The essay question was evaluated by the two instructors based on a 5-point scale rubric which was designed by them to measure the nine elements of the argumentative essay. Video evaluation also involved a 5-point scale rubric developed by evaluators in which they indicated the observed students' interactions inside the classroom. Independently judged evaluations of the video and written assessment were analyzed using the Pearson production-moment correlation coefficient that indicated an acceptable interjudge reliability of 0.95 for the written essay assessment and 0.81 for the video assessment.

Table (3). Results of T-Test Analysis of Students' Perceived Knowledge.

Question	Traditional Class (n= 26)		Dialogue Journal Class (n= 25)		
How much do you think you know how to use . . . in the argumentative essay?	M	SD	M	SD	t
a clear stand on an issue	2.31	0.55	2.92	0.70	3.48*
a clear thesis statement	2.23	0.65	2.80	0.65	3.13*
your own arguments	2.15	0.67	3.08	0.70	4.80*
solid evidence for their arguments	2.38	0.57	3.20	0.71	4.54*
a clear opposing argument	2.62	0.50	3.12	0.60	3.28*
an explanation of the opposing	2.35	0.89	2.96	0.84	2.53*
linking of ideas at a 'local' or sentence and paragraph level	2.54	0.58	3.16	0.69	3.49*
rebottles to the opposing argument	2.34	0.74	3.40	0.65	5.59*
a block pattern or a point-by-point pattern	3.12	0.59	3.48	0.59	2.22
Overall	2.45	0.64	3.12	0.68	3.67*

*** The result is significant at p < 0.01.**

Research Findings

To determine whether the teachers believed they had covered the argumentative elements, I calculated the mean responses and associated standard deviations for the appropriate survey questions (see Table 2). Results indicated that all mean responses were 3.75 or higher on a 5-point scale with an overall SD range of .50 to 0.96. Generally, the instructors seemed to believe they had covered the assessed material.

I calculated student responses on the appropriate survey questions to determine the students' perceived knowledge of the assessed areas (see Table 3). T-tests revealed that dialogue journal responses were statistically significant, except in one area (i.e. a block pattern or a point-by-point pattern).

Scoring of the students' essay and video assessments placed the advantage toward the student. For a response to be counted low, both evaluators had to mark that specific low response. If either evaluator counted a response higher, the higher response was considered. This procedure allowed latitude for teaching style, presentation, terminology, and interpretations.

Written and video assessments were analyzed by comparing percentage of items across groups. Based upon a possible total of 100, traditional written scores ranged from 30 to 81, with a mean of 60.54. Dialogue journal written scores ranged from 47 to 95 with a mean of 70. This difference between groups was significant on the Mann-Whitney U test ($n_1 = 25$, $n_2 = 26$ $p < .01$). Traditional class scores on the video assessment based on a possible total of 100 ranged from 29 to 75 with a mean of 62.62. Dialogue journal video scores ranged from 52 to 97 with a mean of 72.2. This difference between groups was significant on the Mann-Whitney U test ($n_1 = 25$, $n_2 = 26$ $p < .01$).

I analyzed experimental student attitude toward the dialogue journal by tabulating individual responses followed by the associated mean and standard deviation (see Table 4). All mean responses were 3.96 or higher on a 5-point scale, with a standard deviation range of 0.51 to 0.98. Overall, the students seemed pleased with the dialogue journal. When asked if they wanted to use the dialogue journal in the future, 22 students responded "yes". When asked if they had a chance to use it in other English language courses, would they be interested to use it, 23 students responded "yes".

Table (4). Dialogue Journal Group Responses Indicating Perceptions of the Dialogue Journal.

Questions	Responses						
	Low				High		
	1	2	3	4	5	M	SD
Did the dialogue journals help you understand how to write an argumentative essay?	-	1	9	5	10	3.96	0.98
Do you think the dialogue journal would have helped you work with other students?	-	1	6	10	8	4	0.87
Were you excited about using the dialogue journal?	-	-	-	13	12	4.48	0.51
Did the dialogue journal help you participate with your teacher more inside classroom?	-	1	1	13	10	4.28	0.74
Do you recommend the dialogue journal to be used with students in the other group?	-	-	2	9	14	4.48	0.65
Are you going to use the dialogue journal in the future?	-	-	4	8	13	4.36	0.76
Overall						4.26	0.75

Note. A dash (-) indicates no response.

Questions related to the instructors' perceptions of the dialogue journal and its implementation showed a strong propensity toward acceptance of the dialogue journal and its perceived value. None of the instructors believed that the students had missed too much of their regular class, and all the instructors indicated they had noticed improvement in the classroom participation and/or attitude of the students using the dialogue journal as opposed to those who did not. All the instructors indicated they would adapt their teaching in order to use the dialogue journal, they would use the dialogue journal in other courses if it were possible, they thought it would be beneficial to use the dialogue with other classes, and they would have students use it outside their classroom.

Student responses were calculated on the appropriate survey questions to determine the students' attitudes towards academic writing (see Table 5). T-tests revealed that in general there is not too much difference between groups in attitudes towards academic wiring. The apparently slightly more favorable feelings of one group in one assessed area may be reversed in another area.

Table (5). Results of Posttest of Students' Attitudes towards Academic Writing.

Question	Traditional Class (n= 26)		Dialogue Journal Class (n= 25)		
	M	SD	M	SD	t
Do you think academic writing is an interesting subject?	2.40	0.71	2.35	0.96	0.28
Do you think academic writing would help you in your future job?	1.96	0.84	2.08	0.80	0.51
Are you excited about learning academic writing?	2.42	0.70	2.72	0.46	1.78
Is academic writing easy to understand?	2.31	0.88	2.04	0.79	1.14
Do you recommend other students to study academic writing?	2.27	0.78	2.12	0.88	0.64
Would you like to study academic writing in the future?	2.36	0.99	2.54	0.95	0.66
Overall	2.29	0.82	2.31	0.81	0.84

The results are not significant at $p < 0.01$.

Discussion

Findings in this study show promise in the potential value of using the dialogue journal as a way not only to cover the argumentative elements but also to improve students' perceived knowledge of argumentative writing elements as well as academic writing ability to produce coherent and unified argumentative essays compared to other students in the control group as essay written assessment and videotape analysis showed. Also, videotape analysis showed that the experiential students appeared more active in participation than students in the control group. These findings are in line with previous investigations which reported positive effects of the dialogue journal on the achievements and participation of EFL writing students. (e.g., Peyton, 1989; Casanave, 1994; Brown, 1996; Darhower, 2004; Miller, 2007; Larrotta, 2008)

One possible reason for the significantly different achievement ratings between groups may be the learning environments which the dialogue journal would create for students. It seems reasonable that students involved in traditional learning environments may not learn better the material presented as appropriately as they learn in environments in which instructors and peers work as a community of discourse engaging in activity, reflection, and conversation, (Fosnot and Perry, 2005), in a non-threatening learning environment which promotes meaningful involvement (Issirlis, 1996; Nassaji and Cumming, 2000; Lee 2004) through extensive writings (Peyton et al., 1990; Nassaji and Cumming, 2000) for a real audience. (Peyton et al., 1990; Sanders, 2000) Such a learning environment with its contextual support and interactional adjustments would not only enhance students' participation but also their cognitive and linguistic abilities, and as a result, their academic argumentative writings.

Overall results indicated an acceptance of the dialogue journal. Both the instructors and students indicated a desire to have and use the dialogue journal, and there was a perceived educational value for implementation. However, implementation of the dialogue journal was met with a number of negative perceptions of the dialogue journal from some learners. One of the instructors argues that "the acceptance of the dialogue journal was not fully realized until the conclusion of the study . . . For some students, the dialogue journal was perceived as something more like an interrogation . . . There was sometimes a tendency to receive the feedback as negative or as overly critical." As a result, "resistance was a part of the classroom discourse which sometimes took the form of silence," the other instructor writes. One possible justification for the improvement of the acceptance of the dialogue journal is that negative perceptions of the dialogue journal from some learners such as resistant behavior was more the result of organizational features of social networks and instruction than other factors, and was therefore rectifiable through classroom management. (McFarland, 2001)

In general there is not too much difference between groups in attitudes towards academic wiring. The apparently slightly more favorable feelings of one group in one assessed area may be reversed in another. One possible justification may be

attributed to the fact that "attitudes, as an affective response, are determined by beliefs, which are basically cognitive." (Petric, 2002, p. 10) For example, academic competence accepting in a second language would mean to them rejecting their collective identity. (Valenzuela, 1999) In other words, academic specialist varieties of language are complex, technical, and initially alienating to many learners. They are significantly different from people's everyday varieties of language. Academic specialist varieties of language are also integrally connected to complex and technical ways of thinking. They are the tools through which certain types of content are thought about and acted on. (Gee, 2004) "By inviting students to examine their beliefs about writing and writer identity, these activities are useful in any classroom, across disciplines, in which high-stakes [academic] writing is used." (Fernsten and Reda, 2011, p. 171) Much time, effort, and determination may be required for significant change in students' attitudes towards academic writing to take place.

Conclusion

Results of this study showed an acceptance of the dialogue journal by both students and instructors. The dialogue journal was also found to be effective in raising student achievement levels in writing argumentative academic essays and class participations. However, several limitations were inherent in the design of the study. First, in order to find a large enough population four different sections were used. Therefore, differences between course instructors, student demographics, facilities, and equipment are only some of the factors that may have influenced the results. Second, the decision to assign students with the dialogue journal experience to the control group and the adjustment for classes with an uneven number of students may have influenced results. Third, even though students were asked to not discuss the dialogue journal amongst their peers, this behavior was never verified. It can be assumed that any such discussion probably benefitted the control group's assessments. Finally, all researchers must be cognizant of the "halo effect" that can influence students such as this where a group of students receives a different type of attention and pedagogical practices than do their peers. The various ways in which the dialogue journal can be used are as numerous as pedagogical practices and types of academic writing essays. It seems reasonable that the success demonstrated here could be equaled by similar dialogue journals written for writing courses mentioned in the literature. Based on the quantitative and qualitative results in this study, future investigation in implementing the dialogue journal in academic writing courses with different types of writing essays is recommended. Also, the effect of the dialogue journal on students' attitudes towards academic writing is warranted and should be actively pursued to help students "see the relevance of their identities as successful [academic] writers in contexts other than school and to renegotiate their positions and abilities to draw on and make use of various writing conventions. It is in making these efforts that we believe we can help 'struggling' students become competent, confident, empowered and emancipated [academic] writers." (Worthman et al., 2011, p. 327)

References

[1] Alamillo, L., Palmer, D., Viramontes, C., & Garcia, E. (2005). California's English only policies: An analysis of initial effects. In A. Valenzuela (Ed), Leaving children behind: How "Texas-Style" accountability fails Latino youth (pp. 201-224). Albany, NY: State University of New York Press.

[2] Alexander, N. 2001. A long day's journey into night: A primer on writing dialogue journals with adolescent ESL students. In Journal writing, ed. J. Burton and M. Carroll, 23- 35. Alexandria, VA: TESOL.

[3] Baker, C. (2006). Foundations of bilingual education and bilingualism (4th Edition).
Clevedon, England, Buffalo, N.Y.: Multilingual Matters.

[4] Brown, A. (1996). Dialogue and buddy journals help teach ESL students to read and write successfully. In Graduate Students (Comp.), Teaching reading and writing to ESL learners (K-8). Hempstead, NY: Hofstra University, School of Education.

[5] Brown, H. D., & Abeywickrama, P. (2010). Language assessment: Principles and classroom practices. White Plains, NY: Pearson Education.

[6] Carroll, M., & Mchawala, C. (2001). Form or meaning? Academic writing with a personal voice. In J.I. Burton & M. Carroll (Eds.), Journal writing: Case study in TESOL practice series (pp. 47-58). Illinois: Teachers of English to speakers of Other Languages.

[7] Casanave, P. C. (1994). Language development in students' journals. Journal of Second Language Writing, 3(3), 179-201.

[8] Clark, I. (2011). Formative assessment and motivation: Theories and themes. Prime Research on Education. 1(2), 27-36.

[9] Coffin, C., Curry, M.J., Goodman, S., Hewings, A., Lillis, T. M. & Swann, J. (2003). Teaching academic writing: A toolkit for higher education. London: Routledge.

[10] Cromdal, J. (2001) Can I be with you: Negotiating play entry in a bilingual school. Journal of Pragmatics, 33, 515-543.

[11] Cummins, J. (1984). Bilingual Education and Special Education: Issues in Assessment and Pedagogy San Diego: College Hill.

[12] Cummins, J., Brown, K, & Sayers, D. (2007). Literacy, technology, and diversity: Teaching for success in changing times. Boston, MA: Allyn and Bacon.

[13] Darhower, M. (2004). Dialogue journals as mediators of L2 learning: A sociocultural account. Hispania (Baltimore, Md.), 87(2), 324-335.

[14] Denne-Bolton, S. (2013). The Dialogue Journal: A Tool for Building Better Writers. English Teaching Forum 51(2), pp. 2-11.

[15] Fernsten, L. A. & Reda, M. (2011). Helping students meet the challenges of academic writing. Teaching in Higher Education, 16(2), 171-182.

[16] Fosnot, C. T., & Perry, R. S. (2005). A psychological theory of learning. In C. T. Fosnot
[17] (Ed.), Constructivism: Theory, perspectives and practice (pp. 8-38). New York: Teachers College Press.
[18] Gee, J. P. (2004). Situated language and learning: A critique of traditional schooling. New York: Routledge.
[19] Issirlis, J. (1996). Dialogue journal writing as part of a learner-centered curriculum. In J. K. Peyton & J. Staton (Eds.), Writing our lives: Reflections on dialogue journals with adults learning English (pp. 57–62). Washington, DC: Center for Applied Linguistics.
[20] Larrotta, C. 2008. Written conversations with Hispanic adults developing English literacy. Adult Basic Education and Literacy Journal 2 (1): 13–23.
[21] Lee, I. (2004). Using dialogue journals as a multi-purpose tool for preservice teacher preparation: How effective is it? Teacher Education Quarterly, 31(3), 73-97.
[22] Long, M.H. (1996). The role of the linguistic environment in second language acquisition. In W. Ritchie & T. Bhatia (Eds.), Handbook of language acquisition: Volume 2: Second language acquisition (pp. 413–468). New York: Academic Press.
[23] Mac Ruairc, G. (2011). They're my words - I'll talk how I like! Examining social class and linguistic practice among primary-school children. *Language and Education*, 25(6), 535–559.
[24] McCaslin, M. (2004). Coregulation of opportunity, activity, and identity in student motivation. In D. McInerney & S.Van Etten (Eds.), Big theories revisited: Research on sociocultural influences on motivation and learning, Greenwich, CT: Information Age, 249-274.
[25] McFarland, D. (2001). Student Resistance: How the Formal and Informal Organization of Classrooms Facilitate Everyday Forms of Student Defiance. AJS, 107(3), 612-678.
[26] Miller, J. (2007). Inscribing identity: Insights for teaching from ESL students' journals. TESL Canada Journal 25 (1): 23-40.
[27] Nassaji, H., & Cumming, A. (2000). What's in a ZPD? A case study of a young ESL student and teacher interacting through dialogue journals. Language Teaching Research, 4(2), 95-121.
[28] Petric, B. (2002). Students' Attitudes Towards Writing and Development of Academic Writing Skills. The Writing Center Journal, 22(2), 9-27.
[29] Peyton, J.K. (1989). Dialogue journal writing and the acquisition of English grammatical morphology. In J. K. Peyton (Ed.), Students and teachers writing together: Perspectives on journal writing, (pp. 67-97). Alexandria, VA: TESOL.
[30] Peyton, J.K., Staton, J., Richardson, G., & Wolfram, W. (1990). The influence of writing task on ESL students' written production. Research in the Teaching of English, 24(2), 142- 171.

[31] Peyton, J.K. (1993). "Dialogue journals: Interactive writing to develop language and literacy. ERIC Digest." Washington, DC: National Clearinghouse for ESL Literacy Education. (ED 354 789)
[32] Piaget, J. (1970). Structuralism. New York: Basic Books.
[33] Pica, T. (1994). Research on negotiation: What does it reveal about second-language learning conditions, processes, and outcomes? Language Learning, 44, 493-527.
[34] Sanders, K. M. (2000). The successful use of dialogue journals in the adult ESL classroom: A practitioner's view. In G. Brauer (Ed.), Writing across languages (pp. 41–52). Stamford, CT: Ablex Publishing Corporation.
[35] Swain, M. (1995). Three functions of output in second language learning. In G. Cook & B. Seidlhofer (Eds.), Principles and practice in applied linguistics: Studies in Honour of H.G. Widdowson (pp. 125–144). Oxford: Oxford University Press.
[36] Valenzuela, A. (1999). Subtractive Schooling: Mexican youth and the politics of caring. Albany, NY: SUNY Press.
[37] Vygotsky, L. S. (1978). Mind in society: The development of higher psychological processes. Cambridge, MA: Harvard University Press.
[38] Wolf, J. P. (2013). Exploring and contrasting EFL learners' perceptions of textbook-assigned and self-selected discussion topics. Language Teaching Research, 17(1), 49-66.
[39] Worthman, C., Gardner, J., & Thole, M. (2011). The three Rs and high school writing instruction: bridging in- and out-of school writing to reach "struggling writers". Pedagogies: An International Journal, 6(4), 312-330.

تقييم برنامج اللغة الإنجليزية في السنة التحضيرية في جامعة الدمام

د. ماجد بن نعيمان البدراني العمري

أستاذ مساعد – قسم المناهج وطرق التدريس

كلية التربية – جامعة طيبة – ص.ب. ٣٠٠٠٣

المدينة المنورة

ملخص البحث. هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر استخدام دفتر اليوميات الحواري على تطوير كتابة المقال الجدلي لدى ٥١ طالب هندسة بكلية ينبع الصناعية والمسجلين في مادة الإنشاء خلال الترم الأول للعام الاكاديمي ٢٠١٢/٢٠١٣م. تم توزيع الطلاب في مجموعتين و تخصيص لقاء مدته ٥٠ دقيقة أسبوعيا (أحد اللقاءات الأسبوعية الثلاثة للمادة) لتدريس المجموعتين المقال الجدلي. تم تدريس المجموعة الاولى (٢٦ طالب) بالطريقة التقليدية باعتبارها المجموعة الضابطة. وتم تدريس المجموعة الثانية (٢٥ طالب) باستخدام دفتر اليوميات الحواري باعتبارها مجموعة تجريبية. خضعت المجموعتان لاختبار قبلي وآخر بعدي في عناصر المقال الجدلي. وقد دلت نتائج تحليل الاختبار القبلي على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، مما يدل على تكافؤ المجموعتين. أما نتائج تحليل الاختبار البعدي فقد أسفر عن الآتي: ١) لاتوجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغطية تدريس عناصر المقال الجدلي للمجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة؛ ٢) توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المستوى المعرفي لعناصر المقال الجدلي بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية؛ ٣) توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التصورات حول استخدام دفتر اليوميات الحواري بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية؛ ٤) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلاب حول الكتابة الأكاديمية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة.

الكلمات المفتاحية: دفتر اليوميات الحوار؛ المقال الجدلي؛ الكتابة الأكاديمية؛ طلاب اللغة الانجليزية كلغة أجنبية؛ معلمي اللغة الانجليزية كلغة أجنبية؛ المحادثة الكتابية؛ مراكز اللغة الانجليزية.